إسرائيل جرشوني

جيمس جانكوفسكي



المركز القومي للترجمة

مواجهة الفاشية في مصر

الديكتاتورية مقابل الديمقراطية في الثلاثينيات

2721

ترجمة: بدر الرفاعي



بدر الرفاعي

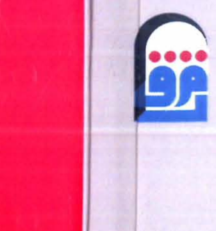
مواجهة الفاشية في مصر

الديكتاتورية مقابل الديمقراطية في الثلاثينيات

إسرائيل جرشوني

جيمس جانكوفسكي

2721



يسعى هذا الكتاب إلى إعادة النظر نقديًا في عقد الثلاثينيات بوصفه عقد الأزمة في مصر؛ ومن خلال الفحص التفصيلي للمصادر الأساسية المصرية ذات الصلة، والتركيز على الخطاب الذي لازال خافيًا حتى اليوم، والكائن في المجالات الغائبة والتي شغلتها الأصوات الصامتة التي سنحاول إيصالها، نأمل في أن نبين استمرار التعبير عن الأفكار الليبرالية عن السياسة والمجتمع بقوة كبيرة من جانب المثقفين والكتاب المصريين، حيث كان الافتتان بالمفاهيم الاستبدادية أو الفاشية للتنظيم السياسي الاستثناء وليست القاعدة في الخطاب العام المصري، حتى عندما كانت الفاشية في ذروة مجدها الأيديولوجي والسياسي في أوروبا وفي أماكن أخرى من العالم.

ويرمي هذا الكتاب إلى إعادة النظر في كل من الروايتين السياسية والفكرية اللتين رسختا فكرة تدهور القيم الليبرالية والانجذاب بالمقابل إلى مبادئ أكثر استبدادية. ويركز بالأساس على السنوات الأخيرة من عقد الثلاثينيات، عندما كانت إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية في أوج نفوذهما الدولي، وكانت الأوضاع الداخلية قد أدت إلى سياق يمكن أن يوفر بيئة مواتية لاستقبال الأساليب الفاشية. بالمقابل، كان هناك دفاع عن الديمقراطية البرلمانية كنظام، برغم عيوبه، يصون حقوق الأفراد ومصالح الجماعة. وبرغم المشاكل التي كانت تعانيها الديمقراطية الليبرالية في الثلاثينيات، لم ير القطاع الأكبر من الكتاب المصريين في تلك الفترة في الفاشية الشمولية بديلاً مقبولاً.

تصميم الغلاف: نسرين كشك

مواجهة الفاشية في مصر

الديكتاتورية مقابل الديمقراطية في الثلاثينيات

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: كرمة سامى

- العدد: 2721
- مواجهة الفاشية فى مصر: الديكتاتورية مقابل الديمقراطية فى الثلاثينيات
- إسرائيل جرشونى وجيمس جانكوفسكى
- بدر الرفاعى
- الطبعة الأولى 2022
- التصحيح اللغوى: عثمان الدلنجاوى
- المشرف على المطبوعات: حسن كامل

هذه ترجمة كتاب:

Confronting Fascism in Egypt:
Dictatorship versus Democracy in the 1930s
By: Israel Gershoni and James Jankowski
This title was originally published in English by Stanford University Press

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

مواجهة الفاشية فى مصر

الديكتاتورية مقابل الديمقراطية فى الثلاثينيات

تـأليـف:

إسرائيل جرشوني وجيمس جانكوفسكى

ترجمة:

بـدر الرفـاعـى



2022

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

جرشوني ، اسرائيل .
مواجهة الفاشية فى مصر : الديكتاتورية مقابل الديمقراطية فى الثلاثينيات / تأليف : اسرائيل جرشوني ، جيمس جانكوفسكى ؛ ترجمة بدر الرفاعى . - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٢٢
٤٣٢ ص ؛ ٢٤ سم
١ - الفاشية - مصر
٢ - الدكتايورية .
(أ) جانكوفسكى ، جيمس (مؤلف مشارك)
(ب) الرفاعى ، بدر (مترجم)
(جـ) العنوان . ٣٢١,٩٤

رقم الإيداع ١٠٢٥٨/ ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: I.S.B.N - 978 - 977- 92- 2200 - 4
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات



شكر وعرفان

ندين بالعرفان لعدد من المؤسسات والزملاء ومساعدي الباحثين لما قدموه من عون حتى يظهر هذا العمل. ولا يمكننا وضع قائمة بكل هؤلاء الذين أفدنا من نصحهم ونقدهم. فنحن مدينون بالشكر لتلك المؤسسات التي قدمت الدعم المالي السخي على مدى خمس سنوات من البحث في مصر وإنجلترا وإيطاليا والولايات المتحدة وإسرائيل. ومن المركز القومي للإنسانيات، نخص بالشكر كلاً من جيفري هارفام، رئيس ومدير المركز؛ وكنت موليكين، نائب المدير؛ ولويس ويتنجتون، منسق برنامج الزمالة؛ وكارين كارول، منسق الخدمات التعليمية. لقد وفر لنا المركز مناخا داعما، فريدا ومنتجا، أسهم في تسهيل صياغة المسودات الأولى لجزء من هذا الكتاب. ونود كذلك أن نعبر عن تقديرنا للعاملين بدار الكتب المصرية بالقاهرة ودار المحفوظات على ما قدموه من عون من خلال جولات البحث العديدة في هاتين المؤسستين.

كما قدم قسم التاريخ بجامعة كولورادو في بولدر دعمه الكبير للجهود البحثية لزميل متقاعد. ونود أن نعبر عن امتناننا الكبير لكراسي توماس زيلر، وبيتر بوج، وسوزان كنت لتمكيننا من الاستفادة من التسهيلات الجامعية، وشيلي أندرسون وكيلي ماتيوز على مساعدتهما التي لا تقدر في التغلب على المشكلات التقنية.

وهناك كثير من الزملاء والأصدقاء الذين قدموا لنا النصح، والتحفيز، والنقد. ونود أن نشكر بشكل خاص نير أرييللي وأوريت باشكين ويواف دي كابوا وهاجاي إرليش وجويل جورن وجوتز نوردبرش ودونالد رايد وشلومو ساند وهيثر شاركي وياكوف شافير وإيف تراوت باول وإستي ويبمان وبيتر واين وإيال زيسر وميير زمير. وقد أثْرت الإيضاحات التي قدمها مصطفى كبها ومحمد غنيم للنصوص العربية المعقدة، خاصة للرسوم الكاريكاتيرية، فهمنا للمستويات المتعددة لمعناها. ونحن نعرب عن بالغ تقديرنا لهما على ما قدماه من عون. كما نتوجه

بالشكر لهيا ناور وسوزين مكلرون لترجمتهما أجزاء من المخطوط في مراحله الأولى.

وخالص شكرنا للزملاء والأصدقاء في مصر: رئيس المحكمة العليا الأسبق، محمد سعيد العشماوي، والدكتور أحمد شوقي محمود، والمرحوم علي الشلقاني المحامي. فقد قدموا لنا العون في المراحل الحاسمة من بحثنا عندما كان هذا الكتاب محض فكرة. كانوا من السخاء بحيث أمدونا بمواد مهمة، كما ساعدونا في التغلب على العقبات وتفادي الوقوع في أخطاء مربكة. وكانوا صبورين في الإجابة عن أسئلتنا، ورحبوا بقوة بمساعدتنا في فهم مصر الثلاثينيات.

إننا مدينون بالكثير لمساعدي الباحثين: آفي مور، ليزا بينن راش، أرنون داش، ارنون دجاني. آفي مور أبحر بنا عبر النصوص العربية المعقدة وكان المسئول عن جمع وتنظيم المواد الأساسية. وكانت مهارات ليزا بينن راش لا غنى عنها لإضفاء اللمسات النهائية على المخطوط وإعداده للنشر. ونحن نثمن غاليا نصائح أرنون دجاني ومساعداته الإنتاجية خلال مراحل الكتاب الأخيرة.

ونشعر بالكثير من الامتنان لكيت وال وجوا سوريز، والقراء المجهولين من دار نشر جامعة ستانفورد لمراجعتهم الدقيقة للمخطوط واقتراحاتهم البناءة التي كان لها دور كبير في تحسين المنتج النهائي، وكذلك لمحرر النسخة، ولبات كتاني، وباربارا جودهاوس من مجموعة وستشستربوك على مساعداتهما التحريرية الممتازة.

وأخيرا، نود أن نتوجه بالشكر لعائلتينا، اللتين تقبلتا التغيرات والارتباكات التي حدثت في حياة وخطط أفرادهما من أجل تسهيل تعاوننا. فلم يكن لهذا الكتاب أن يكتمل لولا حب ماري آن وشاني، وميشيل ونمرود، وعونهم الذي لا يكل. ونحن نتوجه ببالغ الشكر إلى هؤلاء الأشخاص الرائعين. ونهدي الكتاب إلى أحفادنا جوناه وأوين ومرياه وفويب ويهونتان ودانييل، الذين نأمل أن يأتي يوم يفيدون فيه من قراءته.

الجزء الأول

روايات وسياقات

مقدمة

سرديات التاريخ المصري الحديث

عادة ما ينظر إلى عقد الثلاثينيات بوصفه عقد الأزمة في مصر. سياسيا، تقوض النظام الدستوري البرلماني الذي تأسس في العشرينيات بسبب تلاعب العناصر الأوتوقراطية المدعومة من العرش المصري. واقتصاديا، كان للكساد العالمي الذي شهده العالم في أوائل الثلاثينيات تأثيره الحاد على أسعار الصادرات الزراعية. وعلى الجانب الاجتماعي السياسي، انجذب جيل الشباب المصري، الذي شب على الحلم بمصر جديدة مستقلة والذي أصيب بخيبة الأمل من خلافات ومشاحنات الكبار، إلى نماذج سياسية أكثر تسلطا ويفترض فيها الكفاءة. وفكريا وثقافيا، شهد عقد الثلاثينيات "أزمة توجه"، حيث تراجع المثقفون المصريون عن القيم الليبرالية التي كانوا يعتنقونها في السابق، واتجهوا نحو رومانتيكية تقليدية جديدة ورجعية مترسخة في تمجيد التراث الإسلامي – العربي. ومن المفترض أن عقد الأزمة هذا مثل ابتعادًا حادا عن مسار التطور المصري الذي سبق وشهد ظهور وانتشار المفاهيم والممارسات الليبرالية والعلمانية المتأثرة بقيم وممارسات الغرب الحديث. ومقارنة بما سبقه من عقود، عادة ما ينظر إلى الثلاثينيات باعتباره عقدا متقهقرا في التاريخ المصري [1].

ووفقا لهذه الرواية المحكمة للتاريخ المصري الحديث، فإن المصريين صاروا يميلون إلى تحبيذ الاستبداد السياسي، وبالذات النموذج الفاشي الذي ازدهر كثيرا في أوروبا في الثلاثينيات، بصورة متزايدة. وهي تظهر المصريين بصورة المتطلعين إلى الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية بوصفهما بديلا ناجحا للنظام

البرلماني الفاشل. ويفترض أن جاذبية الفاشية والنازية نابعة من قدرة بنيتو موسوليني وأدولف هتلر على تغيير بلديهما من خلال الإصلاح الاقتصادي، والحشد الاجتماعي، واستعادة الثقة في الذات القومية والكبرياء القومي. وينظر إلى زيادة التأكيد على الإسلام في الثلاثينيات باعتباره توافقا مع هذه الحركة نحو القبول بمزيد من المبادئ الاستبدادية. يضاف إلى هذا أن تواصل الكفاح الوطني ضد الاحتلال العسكري البريطاني والهيمنة السياسية قد عزز، حسبما يعتقد، من الموقف الإيجابي من إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية. ومع سعي الدولتين لإسقاط النظام العالمي الذي قام بعد الحرب العالمية الثانية، والذي تهيمن عليه بريطانيا وفرنسا، يفترض أن المصريين رأوا في الدولتين الفاشيتين حليفين طبيعيين لمصر التي تناضل ضد الاستعمار الأوروبي الغربي. وفي السردية الأساسية، فإن الحكمة القائلة "عدو عدوي صديقي" تنطبق على مصر. وكانت النتيجة النهائية لهذا التوازي في المصالح هي محاولة بعض المصريين التعاون مع دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية. (٢)

وتسعى دراستنا إلى إعادة النظر نقديا في هذه الرواية. ومن خلال الفحص التفصيلي للمصادر الأساسية المصرية ذات الصلة، وهي مسألة مهملة نسبيا حتى الآن، تقدم الدراسة صورة مختلفة للمواقف المصرية من الديكتاتورية والديمقراطية خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية مباشرة. ومن خلال التركيز على الخطاب الذي ما زال خافيا حتى اليوم، والكائن في المجالات الغائبة والتي شغلتها الأصوات الصامتة التي سنحاول إيصال أصواتها، نأمل في أن نبين استمرار التعبير عن الأفكار الليبرالية عن السياسة والمجتمع بقوة كبيرة من جانب المثقفين والكتاب المصريين؛ ومن ثم، كان الافتتان بالمفاهيم الاستبدادية أو الفاشية للتنظيم السياسي الاستثناء وليس القاعدة في الخطاب العام المصري حتى عندما كانت

الفاشية في ذروة مجدها الأيديولوجي والسياسي في أوروبا وفي أي مكان آخر من العالم.

متى وكيف ظهرت وجهة النظر التي ترى أن الثلاثينيات شهدت انهيار الليبرالية، وبالمقابل الافتتان بالفاشية في مصر؟ هناك روايتان متعاقبتان — واحدة سياسية والأخرى فكرية — أسهمتا في ظهور وترسيخ هذا التفسير. في البداية، تبلورت سردية سياسية تتصل بميول وأنشطة المصريين المفترضة للمحور. فحتى من قبل الحرب العالمية الثانية، كان المسئولون البريطانيون في مصر يشكّون في أن الشخصيات السياسية المصرية البارزة، خاصة مجموعة السياسيين الملتفين حول علي ماهر (رئيس الوزراء من أغسطس ١٩٣٩ إلى يونيو ١٩٤٠) وكذلك الملك فاروق ومستشارو القصر، يكنون مشاعر موالية، وربما كانوا متورطين في مؤامرة لصالح المحور. [٣] وقد ظهرت شذرات التوثيق الألماني الخاص بالعلاقات السرية بين المصريين ودول المحور، أول ما ظهرت، أثناء الحرب نفسها، بغرض تشويه سمعة الحكومة المصرية وتوريطها في القضية الفلسطينية، وذلك في سياق الكم الهائل من المواد التي نجمت عن الصراع العربي الصهيوني حول فلسطين في أواخر الأربعينيات. [٤] وقد حظيت الشكوك في اتصالات المصريين بدول المحور قبل وأثناء الحرب بنظرة أكاديمية مرجعية في دراسة صدرت عن المعهد الملكي للشئون الدولية (١٩٥٢) بعنوان "الشرق الأوسط في الحرب". [٥]

وبعد الثورة المصرية في يوليو ١٩٥٢، كثر الحديث عن الأنشطة المصرية الموالية للمحور أثناء الحرب العالمية الثانية، وتجسد في السردية المصرية المتصلة بسنوات الحرب. فرجال الجيش الذين استولوا على السلطة في مصر في ١٩٥٢ كانوا معادين بشدة للاستعمار. وقد سادت السنوات الأولى من الحكم الثوري جهود إنهاء الاحتلال البريطاني لمصر، وهو ما تحقق في ١٩٥٦. ولإضفاء الشرعية

على وضعهم بوصفهم مصريين منتقدي الوطنية، أسقط قادة الثورة موقفهم المعـادي للاستعمار في الخمسينيات على الأربعينيات. ووفقا للذاكرة الجمعية، التـي عملـوا على نشرها بين الجمهور المصري لإضفاء عمق تاريخي علـى أوراق اعتمـادهم كمكافحين للاستعمار، عاد نشاط رجال الجيش المصري إلى أيام الحرب الـصعبة عندما كان الجيش المصري مكانا لحركة سرية موجهة ضد الاحتلال البريطـاني، فكرت (وإن لم تنفذ) في هبة عسكرية، وتورطت في اتـصالات سـرية مـع دول المحور (أخفقت تماما) بأمل إضعاف وضع بريطانيا العظمى في مـصر. وتزايـد استياء الجيش من الأوضاع القائمة بفعل حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ المهـين، عنـدما أجبر البريطانيون الملك، تحت تهديده بالطرد، على تعيين حكومـة وفديـة مواليـة لبريطانيا. (٦)

وقصة الاتصالات المصرية بالمحور وقت الحـرب الموجـودة بالـسردية المصرية نجدها في كثير من الكتابات الغربيـة عـن مـصر فـي الخمـسينيات والستينيات. وقد تأكدت وغالبا ما أضيف عليها تفاصيل صـارخة فـي مـذكرات عملاء ألمانيا وقت الحرب وضباط مكافحة التجسس البريطانيين،(٧) الذين تقاعـدوا وكثرت شهاداتهم في العديد من الصحف الغربية والشهادات شبه الأكاديمية لأركان النظام الثوري المصري التي ظهرت في الخمـسينيات والـستينيات. (٨) وجـاءت الطبقة الأخيرة من الرواية السياسية من جانـب البـاحثين العـاملين بالأرشـيفات الألمانية، التي وثقت منشوراتهم في الستينيات والسبعينيات الاتصالات الألمانيةـــ المصرية من المواد الأرشيفية. (٩) وبحلول السبعينيات، أصبحت السردية المصرية للتعاطف المصري مع دول المحور أثناء الجرب العالمية الثانية حكمة مقبولة (١٠).

في الستينيات، اكتست السردية السياسية التي تطورت أسسها في الأربعينيات والخمسينيات بتحليل أكثر عمقا بكشف الخطابات الأيديولوجية المصرية من جانـب

الباحثين العاملين في مجال التاريخ الفكري للشرق الأوسط. وكان أول ظهور لمقولة وجود رفض أيديولوجي مصري للأفكار الليبرالية وتحول الخطاب المصري تبعا لذلك باتجاه مبادئ بديلة للحياة الاجتماعية والسياسية في "بحث مصر عن جماعة سياسية" لنداف صفران. (١١) ويرى تحليل صفران المؤثر لتطور الحياة الفكرية المصرية في فترة بين الحربين أنه بعد ""مرحلة تقدمية" من التطور الفكري خلال العشرينيات، حيث ارتبطت القيم السياسية والاجتماعية بالليبرالية الأوروبية في القرن التاسع عشر واستوعبها كبار مفكرو مصر وتبنوها، فاجأت كثيرين من أولئك المفكرين الكبار "أزمة اتجاه" بحلول الثلاثينيات. وتمثلت أبرز تجليات الأزمة في ذلك الإنتاج واسع النطاق من الكتابة ذات التوجه الديني، خاصة سير النبي محمد والخلفاء الراشدين، والأبطال السياسيين والعسكريين الأوائل، بأقلام مفكرين كانت كتاباتهم السابقة تتبنى توجها ليبراليا، وكانوا يرون أن تبني هذه القيم والممارسات هو السبيل السليم لتطوير مصر وتحديثها. وبعد تبنيهم لموضوعات إسلامية وتأكيدهم على أمجاد ماضي المسلمين، ابتعد هؤلاء المفكرون عن المبادئ الديمقراطية الليبرالية والبرلمانية الدستورية كأساس لثقافة بلادهم، وتحولوا إلى مدافعين عن الأفكار الأكثر تقليدية والمعادية بطبيعتها للأفكار الغربية كبديل عن النظام الليبرالي الفاشل. وهكذا، كانت الثلاثينيات علامة على بداية "مرحلة أكثر رجعية" من التطور الفكري المصري. (١٢) وبالنسبة لصفران، كان قوام هذه المرحلة الرجعية هو رفض الديمقراطية البرلمانية والعودة إلى مفاهيم أكثر استبدادية للحكم. وهو يوجز العملية الأخيرة: "أضفى الكساد الكبير المصداقية على دعاوى الفاشية والنازية والشيوعية بأن الديمقراطية نظام يشهد التحلل. والتناقض بين البؤس واليأس والشقاق الاجتماعي الذي يعم الديمقراطيات الغربية وبين الانضباط والثقة التي يبدو أنها تسم الأنظمة الشمولية قد أثر بشدة في المصريين، الذين رأوا في بلدهم سجلا للإخفاقات الديمقراطية الفجة". (١٣)

وكان لتفسير صفران، الذي نُشر بتصريح من دار نشر جامعة هارفارد في وقت كانت الدراسة الجادة للتاريخ الفكري العربي في مهدها، بحدوث انتقال في الحياة الفكرية المصرية من مرحلة "تقدمية" إلى أخرى أكثر "تقليدية" خلال عقد الثلاثينيات، تأثير كبير. وعلى الرغم مما تعرض له تعبيره "أزمة الاتجاه" من نقد بوصفه تبسيطياً، أخطأ في فهم ما كان أقرب إلى تحول تكتيكي في النهج الأدبي مدفوعًا باعتبارات الميل الشعبي واعتبره تغيرا أساسيا أصيلاً في النظرة،[١٤] فإن تفسيره الموازي لتساؤل المصريين حول فعالية الديمقراطية البرلمانية وما ترتب عليه من ميل نحو المبادئ السياسية الاستبدادية صار مقبولا إلى حد كبير في الدراسات اللاحقة. وقد تكرر وتعزز في دراسة بي. جي. فاتيكيوتيس "تاريخ مصر الحديث"، في فصلين يتناولان على التوالي "الهجوم الليبرالي على التقاليد" في أوائل القرن العشرين و"فشل الليبرالية ورد الفعل تجاه أوروبا" في الثلاثينيات والأربعينيات. [١٥] يرى فاتيكيوتيس أن "النجاح المؤقت للخطر الذي شكلته الفاشية والنازية على ديمقراطيات غرب أوروبا كان من شأنه تقويض الحكم الديمقراطي كنموذج تحتذيه البلاد غير الأوروبية ... وكان لهذا صداه المدوي في مصر. وتجلى هذا في الظهور السريع لجماعات اجتماعية وسياسية جديدة تشترك، رغم اختلاف قيادتها، في إيمانها بالعنف ــ استخدام العنف من أجل تحقيق غايات سياسية".[١٦] بعد ذلك، أصبح الباحثون، الغربيون والمصريون على حد سواء، يقرون بالخطوط العريضة لصيغة فقد الإيمان بالليبرالية، والعودة إلى المفاهيم الاستبدادية من جانب المفكرين والكتاب في الثلاثينيات. والوصف الحي الذي قدمته عفاف لطفي السيد مارسو للعملية معبر بحق: "أدت أزمة الأنظمة الديمقراطية في الغرب إلى اهتزاز إيمان كثيرين بقيمة الديمقراطية. وقد نما الإعجاب بالفاشية عندما جعل موسوليني القطار يسير في موعده، وأجبر الكسالى على تجرع زيت

الخروج. واعتقد بعض المصريين أن تلك الأساليب قد تكون أكثر نجاحا في مصر من تلك المؤسسات الديمقراطية ". [١٧]

ويرمي هذا الكتاب إلى إعادة النظر في كل من السرديتين السياسية والفكرية اللتين رسختا فكرة تدهور القيم الليبرالية والانجذاب بالمقابل إلى مبادئ أكثر استبدادية. ويركز بالأساس على السنوات الأخيرة من عقد الثلاثينيات، عندما كانت إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية في أوج نفوذهما الدولي، وكانت الأوضاع الداخلية قد أدت إلى سياق يمكن أن يوفر بيئة طيبة لاستقبال الأساليب الفاشية. (ما إن قامت الحرب حتى فرضت إجراءات رقابة صارمة، ما جعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، إجراء تقييم للرأي العام). كما يسعى هذا العمل إلى محاولة تأطير الرأي العام المصري في مسألة الليبرالية مقابل الفاشية في سياق أوضاع مصر المحلية والعالمية، وفي سياق تنافر وتعددية المجال العام الذي يدور فيه الجدال بشأن الفاشية مقابل الديمقراطية.

وهناك ثلاثة ملامح لتطور مصر السياسي والفكري خلال الثلاثينيات عادة ما تقدم كدليل على تدهور الليبرالية والميل نحو الاستبدادية يتناولها هذا الكتاب. أحدها ظهور ونمو الحركات المنظمة الرافضة لحزمة القيم الليبرالية التي كان يتبناها الجيل السابق من المصريين، والتي قدمت مجموعة بديلة من المبادئ الاجتماعية والسياسية. وإسهام تلك الحركات كالإخوان المسلمين (١٩٢٨) ومصر الفتاة (١٩٣٣)، وتعبيرها بقوة عن مناخ خيبة الأمل من الحكم البرلماني بالصورة التي مورست بها في مصر خلال فترة بين الحربين لا جدال فيه[١٨]. كما أن هذا الميل نحو مفاهيم أكثر استبدادية للحكم يمكن أن نجده في البدائل التي طرحتها هذه الحركات.[١٩] لكن تصوير هذه الحركات باعتبارها "فاشية" لا يصح. وكما يبين الجزء الثالث من هذا الكتاب، فقد قدم المعبرون عن الحركات من خارج المؤسسة

السياسية في الثلاثينيات تشكيلة من الآراء حول مزايا ومساوئ الفاشية والنازية، وهي آراء تغيرت بصورة كبيرة بمرور الوقت وانكشاف الأجندات الداخلية والدولية للحركات الأوروبية وظهور أبعادها الكاملة. وسواء فيما يتصل بنظرتهم للسياسات الداخلية، حيث كان الإعجاب بكفاءة الفاشي والنازي والحشد القومي يجد تعبيرا عن نفسه أحيانا، وإن كان مصحوبًا بنقد لاستبداديتهما الفكرية وموقفهما المعادي للدين، وكذلك لسياستهما الخارجية، حيث كانت الطموحات الإيطالية الدولية في البحر المتوسط تُرى أحيانا كتهديد للسلام العالمي والاستقرار بشكل عام. فلم يكن إعجاب الحركات من خارج المؤسسة السياسية المستجدة في الثلاثينيات بأفكار وسياسات فاشية إيطاليا ونازية ألمانيا مطلقا. ومع مرور الوقت، عبرت مصر الفتاة عن درجة أكبر من الإعجاب بمبادئ الفاشية مقارنة بجماعة الإخوان ذات التوجه الأكثر تدينا؛ لكن حتى في حالتها، كان الإعجاب ببعض جوانب الفاشية يأتي مصحوبا بنقد جوانب أخرى ورفضها.

الملمح الثاني للسياسة المصرية الذي يستشهد به لإثبات الزعم بنمو الاتجاهات المعادية لليبرالية في الثلاثينيات يتصل بالنخبة وليس بالسياسات العامة. إنه رأي الشخصيات البارزة داخل المؤسسة السياسية المصرية، وتحديدا السياسي المهم علي ماهر (رئيس الديوان الملكي في أواخر الثلاثينيات ورئيس الوزراء في الفترة من ١٩٣٩-١٩٤٠) وزملاؤه، وكذلك الملك فاروق ومستشاروه في البلاط المصري، الذين احتفوا في الثلاثينيات بالتعويل على مناخ الاستياء من إدارة البرلمان والنظام الحزبي القائم للسير في اتجاه "إصلاحات أساسية"، بهدف ـ تحديدا ـ ضبط البرلمانية الملكية في اتجاه من شأنه تقليص سلطة كل من البرلمان والأحزاب، وبالمقابل وضع سلطات أوسع بيد العرش المصري.[٢٠] وسوف نناقش هذا الملمح من ملامح السياسة العليا في مصر في الفصل الأول. واستباقا

لاستنتاجاته، نرى أن الاتجاهات الاستبدادية المزعومة داخل دائرة القصر المصري في أواخر الثلاثينيات لا تحمل الكثير من التماثل مع نظم الحكم الديكتاتورية والأيديولوجية الشمولية عديمة الرحمة التي تسم الفاشية والنازية، وأن الجهود المترددة لزيادة سلطات العرش المصري على حساب البرلمان والأحزاب التي بذلها القصر المصري لم تجد لها كبير صدى، إلى جانب المعارضة الكبيرة من جانب المصريين المهتمين بالسياسة.

التطور الثالث الذي يقدم كدليل على ابتعاد مصر عن الليبرالية في الثلاثينيات هو مسار الحياة الفكرية المصرية كما قدمها للمرة الأولى نداف صفران، وردد صداها غيره. وقد كان قوام الكتابات التي استخدمت لتبيان أن "أزمة الاتجاه" التي عاينها المفكرون المصريون في الثلاثينيات أدت إلى التحول إلى نظرة أكثر "رجعية" ومعادية للغرب من جانب قطاع من المصريين هي تلك المخصصة لموضوعات إسلامية أنجزت في الثلاثينيات على يد مفكرين مصريين بارزين كانوا يدافعون في العشرينيات عن القيم الليبرالية. ويرى صفران أن هذه الأدبيات ذات التوجه الإسلامي في فترة ما بعد الثلاثينيات كانت معادية للقومية وللغرب، ومعادية بالتالي لليبرالية: "حاول واضعوها صياغة دفاع عقلاني عن تلك الجوانب من الميراث الإسلامي التي يلتزمون بها التزامهم بالدين، بينما يهاجمون في الوقت ذاته العقلانية الغربية ... كانت الجوانب الوحيدة الواضحة والعامة في هذه الأدبيات عبارة عن تمجيد عاطفي وعمومي لإسلام غامض، وموقف عدائي من نقيضه، الغرب".[٢١]

إننا نرى القول بتحول مفكرين مصريين إلى تناول موضوعات إسلامية يتضمن بالضرورة رفضا لليبرالية معيبًا منهجيًا، وينطوي على سوء فهم في فرضيته الضمنية. والربط التلقائي بين "المنعطف الإسلامي" في الإنتاج الفكري

مقابل التراجع عن الأفكار السياسية الليبرالية شيء مخل. إنها ببساطة بحث عن الإجابات في المكان الخاطئ. كما أنها تعكس فرضية المستشرق التقليدي باستحالة التوافق بين الليبرالية والحداثة من ناحية، والإسلام والتقاليد من ناحية أخرى. وتحت تأثير السردية الاستشراقية، تركز الدراسات التي تتناول تاريخ العرب الفكري في الثلاثينيات وما وراءها على محاولة فهم العلاقة بين التغريب والعلمانية والعقلانية من ناحية، والإسلام والتقاليد والتدين والروحانية من ناحية أخرى. وتركز الجهود البحثية على قياس حركة الأفكار من الأخير إلى الأول. فإذا نجح المثقفون في استيعاب وتبني تفكير حداثي وعقلاني مستمد من أوروبا، يصبحون متنورين وتقدميين، أما إذا لم يفعلوا، فيعتبرون تقليديين ورجعيين فشلوا في استيعاب متطلبات العالم الحديث. وهذا النموذج من البحث هو الذي وجَّه الدراسات نحو كتب الإسلاميات وإهمال مواد أدبية وفكرية أخرى، أحيانا ما تكون أكثر صلة بالموضوع.

ومن وجهة نظرنا، فإن أدبيات الإسلاميات في الثلاثينيات وما بعدها لا تمثل المصدر الأساسي أو الأفضل لفهم الاتجاهات المصرية حول السياسة الصريحة المتصلة بالديمقراطية والأوتوقراطية. فهذه النصوص تتناول موضوعات مثل الليبرالية أو الفاشية، والديمقراطية أو الديكتاتورية بصورة هامشية. فقد كان لها وظيفة مختلفة. فبينما لعبت أدبيات الإسلاميات دورًا حاسمًا في التاريخ المصري، كانت في المجال الثقافي، من خلال إعادة اكتشافها للتراث الإسلامي ـ العربي لمصر وتحويله إلى ذخيرة لإعادة تحديد هوية جمعية، وتحويله إلى ذخيرة لإعادة تحديد الهوية القومية الجمعية والتي وجدت صداها لدى قطاعات المجتمع من النخبة وغير النخبة ومن ثم ارتبطت بها. إنها تتصل عرضيا فقط بالمسألة الرئيسية التي تهمنا ـ حالة الليبرالية والبديل الفاشي في الخطاب الفكري والثقافي المصري.[٢٢]

وللتعرف على الآراء الليبرالية أو المعادية لليبرالية في الخطاب المصري العام، من الضروري فحص الكتابات التي تتناول بشكل مباشر مسائل مثل مزايا الديكتاتورية أو الديمقراطية، أو الحكم النيابي مقابل الحكم الاستبدادي، أو النظام الاجتماعي التعددي الذي يحترم حرية الفرد في التعبير والحقوق المدنية والنظام الشمولي الذي يخضع فيه الفرد للجماعة. وخارج الإسلاميات، وإن كانت قريبة منها غالبا ومكتوبة بأقلام الكتاب أنفسهم، هناك مخزون ثري من النصوص ذات الصلة قدمها مصريون. باختصار، توصل بحثنا في هذه المادة ـ الواردة بالصحف وصحف الرأي اليومية والأسبوعية والشهرية، والكتب والمطبوعات الصادرة في تلك الفترة، وكذلك التعبيرات البصرية عن الرأي كالرسوم والكاريكاتير ـ إلى صورة أكثر تعقيدًا من فرضية أن الاستياء من الأداء الفعلي للديمقراطية البرلمانية في مصر أدى إلى الحماس للبديل الاستبدادي أو الفاشي. فبدلا من الميل السائد نحو المفاهيم الاستبدادية، وجدنا تعددية وتنوعا في المواقف المصرية بشأن المزايا النسبية للديمقراطية مقابل الاستبدادية. وبشكل عام فإن غالبية المعلقين ـ المعبرين الأكبر سنا وكذلك الأجيال الأصغر من ممثلي كل من المؤسسة السياسية المصرية والمعادين للمؤسسة والقوى الهدامة ـ كانوا أكثر موالاة للديمقراطية وليسوا معادين لها، وهم أكثر تأييدا لما يطلق عليه عموما القيم الليبرالية من تلك غير الليبرالية المتجسدة في الفاشية والنازية. إن دراستنا هي محاولة استخلاص واستعادة الخطاب المهمل المؤيد للديمقراطية للعديد من منتجي الثقافة المطبوعة في تلك الفترة.(٢٣)

وتحليلنا للخطاب المصري العام فيما يخص الديكتاتورية مقابل الديمقراطية تجده في الجزء الثاني. وهو يشير إلى أن معظم صائغي الرأي العام المصري لم يتقبلوا، إلى حد كبير، أفكار الفاشية والنازية، ورفضوا في معظمهم أفكار

وممارسات الفاشية الأوروبية. حتى في أواخر الثلاثينيات، عندما بلغت النظم الفاشية ذروة شعبيتها وسطوتها، كانت غالبية الأصوات المصرية (وإن لم تكن كلها) تدعم الديمقراطية الليبرالية في مواجهة الخطر الفاشي. ورغم المصاعب التي عانتها مصر في الثلاثينيات، فإن معظم المعلقين المصريين سعوا إلى إصلاح وتحسين النظام البرلماني القائم، وليس استبداله وهدمه.

ويمكن تلخيص الموقف السائد من الفاشية المعاصرة في الخطاب المصري العام في ثلاثة عناوين. الأول هو الرفض العام من جانب المصريين للفاشية بسبب طبيعتها الشمولية، وقمعيتها، وعنفها، واستخدامها للبلاغة وكذلك القوة لصبغ المجتمع بالصرامة وإخضاع الفرد للدولة. كان ينظر إلى الفاشية والنازية كآلات قمعية ووحشية أنهت الحريات المدنية، وقضت على حرية التعبير، وسحقت المجتمع المدني. ففي كل من ألمانيا وإيطاليا، كان الفرد خاضعا لخدمة دولة مطلقة السلطة. ولتحقيق هذه الغاية، رفض النظامان الفاشيان التراث الثقافي لأمتيهما، وشرعا في تدميره. بالمقابل، كان هناك دفاع عن الديمقراطية البرلمانية كنظام، بغض النظر عن عيوبه، يصون حقوق الأفراد وأفضل مصالح الجماعة. وعلى الرغم من المشاكل التي كانت تعانيها الديمقراطية الليبرالية في الثلاثينيات، لم ير القطاع الأكبر من الكتاب المصريين في تلك الفترة في الفاشية الشمولية بديلاً مقبولاً.

وكانت العنصرية هي الجانب الثاني الذي جعل معظم المعلقين المصريين يبغضون النازية. وباستثناءات قليلة، رفض المراقبون المصريون النظرية العنصرية النازية وممارساتها. ويتضمن هذا الرفض إدانة عداء النازية للسامية واضطهاد اليهود في ألمانيا مع تصاعد هذه الممارسات عبر سنوات الثلاثينيات.

وبالنسبة لتأثير عنصرية النازية ومعاداتها للسامية على الشرق الأوسط، تنازع المصريون مشاعر متناقضة: بينما تعاطفوا مع المصير الرهيب لليهود في ألمانيا وأوروبا، إلا أنهم عارضوا الحل الصهيوني لاحتلال فلسطين العربية كحل للمسألة اليهودية. الجانب الثالث وربما كان الملمح الأهم للفاشية المعاصرة الذي يخص المصريين هو تداعيات الافتخار القومي والتوسعية. فعلى عكس العشرينيات وأوائل الثلاثينيات، عندما بدأ الحديث عن المزايا المحتملة للحكم الاستبدادي للإحياء القومي داخليا، تركز النقاش المصري للنازية والفاشية في أواخر الثلاثينيات على سياساتهما الخارجية. وهنا، كان هناك إجماع على أن: الفاشية والنازية تمثلان شكلين ضارين جديدين من الاستعمار. وكانت الدول الفاشية المستجدة تُرى باعتبارها مصدر خطر لا لبس فيه على استقرار العالم، وعلى وجود "الأمم الصغيرة" التي تقف في وجه التوسعية الفاشية والنازية. وكانت إيطاليا الفاشية على رأس اهتمام المصريين؛ ففي الفترة من ١٩٣٥-١٩٣٧، كان توسع إيطاليا الاستعماري في شرق أفريقيا وتورطها عسكريا في إسبانيا يشكل مركز اهتمام المصريين. وبحلول ١٩٣٨-١٩٣٩، تحول اهتمامهم تدريجيا نحو ألمانيا النازية وتهديدها للسلام العالمي بعد لجوئها إلى التهديد السياسي والقوة العسكرية لتنفيذ أجندة التوسع النازي في وسط أوروبا. ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية في أواخر ١٩٣٩، كان هناك إجماع شامل بين المراقبين المصريين على أن الدولتين الفاشيتين تشكلان تهديدا دوليا، وخطرا واضحا على السلام العالمي وكذلك على استقلال دول صغيرة مثل مصر. وقبل الحرب العالمية الثانية، لم تكن مسلمة "عدو عدوي صديقي" سارية.

باختصار، يقدم هذا الكتاب قراءة جديدة للتاريخ السياسي والفكري لمصر في الثلاثينيات. وهو يطرح مراجعة لفهمنا لاستجابات المصريين لمسألة الفاشية

والحكم المطلق مقابل الليبرالية والديمقراطية، مراجعة تتوازى مع ما يتبناه الباحثون حاليا فيما يتصل بالمسألة نفسها في أي مكان من العالم العربي. وبينما تركز الدراسة على مرحلة تاريخية محددة، فإن ما توصلت إليه قد يكون ذا صلة أيضا بالجدل الدائر اليوم حول علاقة الشرق أوسطيين والمسلمين بالفاشية. وعندما نتفحص آراء المصريين، وغالبيتهم من المسلمين، عندما كانت الفاشية الكلاسيكية في أوجها، نجدها تشكك في فرضية وجود ميل إسلامي متأصل تجاه الحكم الاستبدادي، أو الشمولية، أو "الفاشية ـ الإسلامية".

الفصل الأول

الإطار التاريخي

السياسة المصرية في أواخر الثلاثينيات

ينبغي وضع المواقف المصرية من الديمقراطية والديكتاتورية في الثلاثينيات في إطار سياقين. الأول هو الساحة الدولية ــ المنافسة الأيديولوجية المحمومة والمواجهة بين الديمقراطيات الليبرالية والديكتاتوريات الفاشية والنازية، وكيف قرأ المصريون واستوعبوا هذه المنافسة والمواجهة. والثاني هو الساحة المصرية في الداخل ــ كيف حولت التطورات الداخلية الجدل حول مزايا الديكتاتورية الفاشية مقارنة بالديمقراطية الليبرالية إلى موضوع حيوي وذي مغزى للمصريين. إن الصلة بين السياقين الخارجي والداخلي وثيقة جدا؛ فدورهما أساسي في تكييف آراء المصريين تجاه الفاشية والليبرالية، والديكتاتورية والديمقراطية.

وفي صورتيهما الحديثة، كان كل من النموذج الديمقراطي الليبرالي والفاشي الاستبدادي لنظام الحكم أوروبي المنشأ. وبالنسبة للمصريين في الثلاثينيات، كانت الديمقراطية الليبرالية تتمثل بالأساس في بريطانيا العظمى وفرنسا، والولايات المتحدة الأبعد. أما الحكم الاستبدادي فقد بلغ ذروة تمجيده في دولتي إيطاليا وألمانيا حيث ظهرت الفاشية والنازية واستولتا على السلطة، وفي النظام الشيوعي الذي ظهر في الاتحاد السوفيتي. وعندما تأمل المصريون المزايا النسبية لكل من الديمقراطية والديكتاتورية، كانت مواطن قوة وضعف هذين النموذجين الدخيلين عادة ما تشكل مادة نقاشهم مع أو ضد.

كان للإخفاق الجلي للديمقراطيات الغربية في الثلاثينيات – مستنقع الكساد الاقتصادي الكبير في أوائل العقد، الذي ضاعف منه التحزب، الذي يبدو أنه متأصل في النظم السياسية التعددية، والذي وهن في أواخر الثلاثينيات أمام التوسعية الإيطالية والألمانية – أثره الكبير على آراء المصريين. كما ترك الاتحاد والقوة الداخلية، والحيوية الاقتصادية، والقدرة على اتخاذ مبادرات دولية منظورة في حالتي إيطاليا وألمانيا خلال الفترة نفسها، أثرًا قويًا مساويًا على المصريين. ومن المؤكد أن الصعاب الداخلية للديمقراطيات الغربية والإنجازات الجلية للنظم الفاشية والنازية في الثلاثينيات لعبت دورا في تقييمات المصريين لكلا النظامين. لكن كان الشيء الأبرز بالنسبة للمصريين في كل حين هو التنافس الديمقراطي – الفاشي، والأهم كان التداعيات المحتملة للمواجهة بينهما على مصر نفسها. والحقيقة أن التداعيات المحتملة على مصر من التحدي الدولي والمتمثل في تحدي إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية لنظام عالمي كانت تهيمن عليه في السابق بريطانيا العظمى وفرنسا صارت تأخذ حيزا كبيرا أخيرا في الحوار حول الديمقراطية الليبرالية مقابل الاستبدادية الفاشية في مصر.

السياق الخارجي: أنشطة الدعاية الفاشية والنازية في مصر، ١٩٣٥-١٩٣٩

لم تنشأ المواقف من الفاشية والنازية من فراغ. فهناك أدلة كثيرة على أن أول نظام فاشي في إيطاليا ونظيره النازي في ألمانيا لاحقا، بذلا جهودا جبارة للتأثير على الرأي العام المصري في أواخر الثلاثينيات. على أن الأدلة المتاحة تشكك أيضا فيما إذا كانت جهود الدعاية النازية والفاشية في مصر تستحق العناء.

خلال منتصف الثلاثينيات، تصدرت إيطاليا الفاشية جهود التأثير على الرأي العام المصري. وأصبحت الدعاية الإيطالية، التي تستهدف الشرق الأوسط، بما فيه

مصر، أكثر هجومية اعتبارا من أوائل الثلاثينيات وما تلاها، مع إعداد إيطاليا لتوسيع إمبراطوريتها في شرق أفريقيا. [١] وكان من أهم معالم الدعاية الإيطالية بدء بث الإذاعات باللغة العربية عبر راديو باري في مايو ١٩٣٤. وقد حظيت توليفة راديو باري التي تجمع بين الترفيه والأخبار، والتي يغطي إرسالها معظم شمال أفريقيا ومناطق البحر الأحمر، بنسب استماع متنامية، خاصة في الملتقيات العامة كالمقاهي. [٢] وتأسس في روما دائرة الدعاية العربية للتواصل مع المفكرين العرب ونشر اللغة الإيطالية في الشرق الأوسط؛ حيث تدفقت مطبوعات وزارة الثقافة الشعبية بهدف تلميع صورة المفوضيات والوكالات الإيطالية في المنطقة. [٣]

وفي داخل مصر، كان يتولى أنشطة الدعاية الإيطالية في ١٩٣٥ وما تلاها مسئول من المفوضية الإيطالية وبإشراف أوجو دادون، الذي عين مديرا لوكالة مصر والشرق التابعة لدائرة الأخبار الإيطالية، وهي هيئة شبه رسمية تعمل تحت إشراف المفوضية الإيطالية في القاهرة. [٤] واعتبر البريطانيون الوكالة، التي كانت تصدر نشرات يومية كما يعتقد أنها كانت تمول التغطيات الموالية لإيطاليا في صحف مصرية، "أهم أداة لأنشطة الدعاية الإيطالية في مصر". [٥] وأثناء الأزمة الإثيوبية في ١٩٣٥، تشير التقديرات البريطانية إلى "جهود إيطالية لتخريب الصحافة المصرية ورجال السياسة المصريين" على أمل ضمان موقف مصري منحاز أو حتى محايد من الصراع بين إيطاليا وإثيوبيا. [٦] ويرصد تقييم في يناير ١٩٣٦، عن جهود الدعاية الإيطالية في مصر عدة طرق محتملة لكنها غير مؤكدة يستخدمها العملاء الإيطاليون للتأثير على الرأي العام المصري، من بينها تقديم الأموال لصحف مصرية، و"حث الطلبة على تكوين جماعات على الطراز الفاشي" وتقديم الدعم المالي لطلبة من ليبيا للتأثير على طلبة الأزهر. [٧] ويورد تقرير متابعة صدر في مارس ١٩٣٦، إشارات مصادر رسمية وغير رسمية

بأن "الجميع يؤكدون على وجود رشاو" قدمت للصحافة المصرية، بواسطة دادون وغيره من عملاء إيطاليا في مصر. (٨)

ويبدو أن جهود الدعاية الإيطالية في مصر أثناء الأزمة والحرب الإثيوبية لم تحرز نجاحا كبيرا. ويؤكد فحوى التقارير البريطانية العاجلة على أن تأثيرها على الرأي العام المصري كان هامشيا. ومع تطور الأزمة الإثيوبية في أواخر الثلاثينيات، كانت وجهة نظر البريطانيين هي أن "التعاطف المصري الحماسي والعام هو دون شك مع الحبشيين". (٩) ويتحدث تقييم صادر في مايو ١٩٣٦ عن أن الموقف المصري من إيطاليا الناجم عن الأزمة والحرب الإثيوبية مر بعدة مراحل: الأولى شابها الحذر من إمكانية تهديد إيطاليا لمصر، أعقبها مرحلة من الارتياح مع وصول التعزيزات البحرية البريطانية وتراجع إمكانية تهديد إيطاليا لمصر نفسها، بعدها ساد مناخ أكثر تشاؤما من أن تعجز بريطانيا عن الدفاع عن مصر في حالة وقوع هجوم إيطالي. (١٠) وقد أصبح مزيج الخوف من احتمال احتلال إيطالي والقلق المتزامن من قدرة بريطانيا العظمى على الدفاع عن مصر ملمحا متكررا للمنظور المصري للموقف الدولي في البحر المتوسط خلال ما تبقى من سنوات عقد الثلاثينيات.

وبعد أزمة دولية طال أمدها حول الحبشة أواخر ١٩٣٥ وأوائل ١٩٣٦، كانت فترة حكم الوزارة الوفدية من مايو ١٩٣٦ وحتى نهاية ١٩٣٧ أكثر هدوءا في الشئون الدولية فيما يتعلق بمصر. ويبدو أن الجهود الإيطالية لكسب تأييد الصحافة المصرية قد استمرت طوال حكم الوزارة الوفدية. (١١) إلا أن هذه الجهود الإيطالية للتأثير على الرأي المصري في ١٩٣٦-١٩٣٧ لم تحقق هي الأخرى سوى نجاح طفيف. والملخصات البريطانية نفسها عن الصحافة المصرية للعام ١٩٣٧ تشير إلى انتقادات صحفية قوية لادعاء موسوليني بأنه حامي الإسلام

ولمشروعات البناء في ليبيا التي فسرت بأنها لأغراض عسكرية، (١٢) وعبر العديد من الإصدارات المصرية عن قلقها من المناورات الإيطالية في ليبيا التي اعتبرت تهديدا ضمنيا لمصر. (١٣) وربما كان خير دليل على أن الصحافة المصرية لم تكن أداة طيعة بيد الدعاية الإيطالية هو تقديم المفوضيتين الألمانية والإيطالية في مصر في سبتمبر ١٩٣٧ احتجاجات رسمية لوزارة الخارجية المصرية بشأن "نشر رسوم كاريكاتيرية ساخرة للدوتشي والفوهرر ببعض المجلات الأسبوعية المصرية" (١٤)

وقد حدث تغير في الوزن النسبي لأنشطة الدعاية الإيطالية مقارنة بالدعاية الألمانية في الشرق الأوسط في ١٩٣٨ و١٩٣٩. فقد تراجعت جهود عملاء إيطاليا لإثارة المشاعر المعادية لبريطانيا في المنطقة بصورة ملموسة اعتبارا من بدايات ١٩٣٨، نتيجة لاتفاقية روما الأنجلو ــ إيطالية في مارس ١٩٣٨، التي أنهت نقاط التوتر المعلقة بين بريطانيا العظمى وإيطاليا في البحر المتوسط والتي وافقت فيها إيطاليا على وقف دعايتها المعادية لبريطانيا في الشرق الأوسط. (١٥) وحسب تقييم بريطاني في يناير ١٩٣٩، "بعد إقرار اتفاقية روما، توقفت الدعاية الإيطالية المكشوفة المعادية لبريطانيا إلى حد كبير". (١٦) واستمرت الأنشطة الخيرية والدعائية في مصر في ١٩٣٨ و١٩٣٩، لكن من الواضح أنها كانت أقل صراحة في هجومها على البريطانيين. كما واصلت المفوضية الإيطالية في تقديم الدعم للطلبة الليبيين والإريتريين والإثيوبيين بالأزهر، لكن دون تحقيق نتائج سياسية كبيرة على ما يبدو. (١٧) وبدلا من السعي لإضعاف الموقف البريطاني، كما كان الحال في الماضي، يبدو أن الجهود الإيطالية للتأثير على الصحافة المصرية توجهت بالأساس نحو تخفيف حدة النقد العدائي الموجه إلى سلوك إيطاليا الدولي مثل جهود إيطاليا الاستعمارية في ليبيا وغزوها لألبانيا في أبريل ١٩٣٩. (١٨)

ويبدو أن جهود الردع هذه لم تؤد إلى خلق رأي عام متعاطف مع إيطاليا الفاشية من جانب المصريين. وبحلول ١٩٣٩، كان المسئولون الإيطاليون أنفسهم يرون أن راديو باري كان يخسر مستمعيه المحليين. [١٩] وهي نفس التقديرات البريطانية عن الريف المصري في ١٩٣٩. وهناك تقرير عن الرأي العام في صعيد مصر في أوائل ١٩٣٩ "فشل في العثور على أي مؤشر على وجود نشاط للدعاية الإيطالية غير العمل التعليمي والخيري"، واستطرد يقول "الإيطاليون مكروهون بوجه عام" بسبب تصرفاتهم الوحشية في ليبيا. [٢٠] وتوصل تقرير دبلوماسي عن الوجه البحري في مايو ١٩٣٩ إلى نتيجة مماثلة: "لم أجد أي دليل على نشاط إيطالي، أو أدنى أثر لدعاية قد يكونون مارسوها ... ويبدو أن الإحساس العام معادٍ لإيطاليا، خاصة منذ غزو ألبانيا". [٢١] وتختتم مانويلا ويليامز تحليلها للدعاية الإيطالية في الشرق الأوسط أواخر الثلاثينيات بالتأكيد على "الطابع العابر لشعبية إيطاليا في الشرق الأوسط"، وتقدم أكثر الأسباب شيوعا لذبول النظرة الإيجابية لإيطاليا في المنطقة: "مع تبدي الطموحات الاستعمارية الإيطالية بصورة متزايدة، بدأ التيار العام للوطنيين ينأى بنفسه عن سياسة موسوليني في أفريقيا والشرق الأوسط". [٢٢] وتتوصل دراسة حديثة، قامت بها نير إريبلي، إلى نتيجة شبيهة: "بينما كان للفاشية قدر من الجاذبية عند بعض الشباب الوطني من الأفندية"، كان من شأن سياسات إيطاليا الاستعمارية الوحشية في ليبيا، وحربها الاستعمارية في الحبشة، ورطانتها العسكرية ومناوراتها في الشرق الأوسط "، نأى صناع الرأي العام في الشرق الأوسط عن إيطاليا. وهكذا، عندما انخرطت إيطاليا في الحرب لم يكن للإيطاليين سوى القليل من الحلفاء في المنطقة". [٢٣]

ومع تراجع أنشطة الدعاية الإيطالية، سدَّت ألمانيا الفجوة جزئيا. ولم تكن ألمانيا تعطي اهتماما كبيرا للدعاية في الشرق الأوسط قبل ١٩٣٨. وفي أواخر

مارس ١٩٣٨، أشار السفير البريطاني إلى "إنني عاجز عن التوصل إلى أدلة على وجود حركة منسقة من جانب ألمانيا، سواء بمفردها أو مع إيطاليا، غير في تطوير المصالح التجارية في البحر المتوسط". [٢٤] وإحدى العلامات على عدم اهتمام ألمانيا نسبيا بالعالم العربي معظم سنوات الثلاثينيات هو غياب ترجمة عربية كاملة لكتاب "كفاحي" لهتلر. وكما تبين ستيفان وايلد، فقد صدرت ترجمات عربية غير كاملة وغير مرخصة من الكتاب في العالم العربي قبل الحرب العالمية الثانية[٢٥]. حتى الجهود الرسمية لألمانيا لرعاية ترجمة عربية معتمدة في الثلاثينيات لم تؤت ثمارها بسبب الصراع البيروقراطي حول المسئولية عن المشروع، مع أخذ عدم الرضاء عن جودة الترجمة في الاعتبار، وأخيرا تكلفة المشروع. [٢٦]

وفي داخل مصر، استطعنا فقط تحديد ترجمات مبتسرة ومنتقدة بشكل عام لبيان هتلر الشخصي الذي يحدد أهدافه. وفي ١٩٣٤، صدر كتاب أحمد محمود الساداتي، "أدولف هتلر، زعيم الاشتراكية الوطنية مع بيان المسألة اليهودية"، يضم ترجمة جزئية وتحليلا لمقتطفات من "كفاحي". [٢٧] وكانت الترجمة غير معتمدة من الحكومة الألمانية: فوجئت السفارة الألمانية بالقاهرة عندما زارها الساداتي وحاول تقديم نسخة من عمله لوزير الدعاية جوزيف جوبلز. [٢٨] ويبدو أن كتاب الساداتي لم يوزع على نطاق واسع، وتأثيره العام ليس واضحا. [٢٩] وهناك ترجمة أخرى من ترجمات الثلاثينيات، ناقصة ومن المحتمل أنها تحوي مشاكل، هي ترجمة علي محمد محب بعنوان "كفاحي في سبيل الرايخ الكبير" (١٩٣٨). وهو ترجمة لجزء من "كفاحي"، ويتضمن أيضا تعليقات انتقادية من كاتب يرى في هتلر تهديدًا للسلام العالمي. وقد ردت وزارة الخارجية الألمانية بغضب على العمل، مطالبة الحكومة المصرية بمنع توزيعه داخل مصر. [٣٠]

فقط في ١٩٣٨-١٩٣٩، مع تصاعد التوتر مع الديمقراطيات الغربية وتزايد إدراك المسئولين الألمان لاحتمالات زعزعة موقف بريطانيا العظمى وفرنسا في الشرق الأوسط[٣١]، بدأت ألمانيا جهودها الدعائية المنتظمة في مصر بالتوازي مع تلك التي سبق وبادرت بها إيطاليا. فحلت وكالة الأنباء الألمانية، تحت إدارة ولهلم ستيلبوجن، محل الوكالة الإيطالية في مصر والشرق كمنظمة رئيسية تسعى إلى تحقيق تغطية موالية للمحور في الصحافة المصرية، وتعزيز صلات المحور بالمنظمات المصرية. ويشير ملخص الصحافة البريطانية في أواخر ١٩٣٨ إلى وجود "دليل غير مباشر" على الجهود الألمانية للتأثير على الصحافة عبر عقود الإعلانات واحتمال وجود رشاو.[٣٢] والتقييم نفسه الذي يشير إلى قلة أنشطة الدعاية الإيطالية في مصر في أوائل ١٩٣٩ ينتقل فورا ليلاحظ أنها "استبدلت بالدعاية الألمانية التي تعمل لصالح أعضاء محور روما ـ برلين".[٣٣] وبحلول ١٩٣٩، أشارت تقارير إلى أن وزارة الدعاية الألمانية تنفق ٣٠٠٠ إسترليني شهريا على أنشطة الدعاية بمصر.[٣٤] ومن بين هذه المصروفات دعم مالي للإخوان المسلمين قدمته وكالة الأنباء الألمانية".[٣٥] وشأن الدعاية الإيطالية في ١٩٣٨-١٩٣٩، يبدو أن هذه الجهود الألمانية الهادفة إلى تغيير وجهة الرأي العام المصري قبل الحرب كانت محدودة الأثر؛ يتوصل تقرير عن الصحافة المصرية في مايو ١٩٣٩ إلى أنه "يمكن القول إجمالا: إن الصحافة المصرية لم تتأثر، في تحريرها، بهذه الدعاية الألمانية".[٣٦] وقد انتهت أنشطة الدعاية الألمانية العلنية في مصر فعليا في سبتمبر ١٩٣٩، عندما قامت السلطات المصرية بإغلاق الوكالات الألمانية الرسمية واعتقال المواطنين الألمان المقيمين في مصر. ولا يشير موقف الحكومات المصرية المتعاقبة في أواخر الثلاثينيات ـ وزارة الوفد ومصطفى النحاس، التي تولت من مايو ١٩٣٦ وحتى ديسمبر ١٩٣٧، والائتلاف الوزاري برئاسة محمد محمود من أوائل ١٩٣٨ إلى أغسطس ١٩٣٩ ـ إلى وجود تعاطف

أيديولوجي أو تعاون فعلي مع إيطاليا الفاشية أو ألمانيا النازية. والوزارات الوفدية التي تولت بين عامي ١٩٣٦-١٩٣٧ لم تبد تعاطفا كبيرا مع أي من النظامين الفاشيين، ولا كان بينهم صلات ملموسة. وهذا لا يعني أن الوفد لم يتأثر تماما بالفاشية الأوروبية. فالحزب شكل ودعم، منذ ١٩٣٥، حركته الشبابية موحدة الزي وذات النسق القتالي، (القمصان الزرقاء).(٣٧) وأثناء قضاء عطلتهما بأوروبا في أكتوبر ١٩٣٦ قام رئيس الوزراء مصطفى النحاس ووزير المالية مكرم عبيد بزيارة غير رسمية لبرلين. وفي يومياته، التي حررت ونشرت بعد وفاته، يعلن النحاس أنه خرج بعد لقائه الشخصي مع هتلر بشعور واضح هو أن "من المحتم أن يجر هذا الشاب الغاضب والمنفعل العالم إلى حرب عالمية".(٣٨) وفي أوائل ١٩٣٧، كان تقدير سير مايلز لامبسون هو أنه "حتى الآن لا يظهر" النحاس وزعماء الوفد "تأثرا واضحا بالألمان".(٣٩) ومن جانبها، حاولت إيطاليا من خلال عملائها في مصر "تقويض حكومة الوفد، التي ترتبط مصالحها بشدة ببريطانيا العظمى.(٤٠) وبعد صرفه من الوزارة، ذهب النحاس وسط شعوره بالمرارة إلى حد تصديق أن سكوت البريطانيين عن عزله على يد الملك فاروق كان عائدا إلى أنه "أصبح عدوا صريحا لإيطاليا" وبذلك أصبح عقبة أمام استكمال المفاوضات الأنجلو- إيطالية لتخفيف التوتر في منطقة البحر المتوسط.(٤١)

وحسبما يرد بيومياته التي نشرت بعد وفاته، ظل النحاس على عدم تعاطفه مع الفاشية والنازية بعد خروجه من منصبه. وتسجل اليوميات عدة مبادرات في ١٩٣٨-١٩٣٩ من جانب الفاشيين أو الموالين لهم سعيا وراء دعم الوفد للمحور ـ محادثة مع وزير الخارجية الإيطالي جاليازو سيانو عند زيارة النحاس لروما في ١٩٣٨، بهدف كسب دعم الوفد ووقوفه ضد الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط؛ محاولة اقتراب ألماني غير مباشر، من خلال طالب مصري

يدرس في ألمانيا، "لتشكيل جبهة (وفدية ـ نازية) ضد الإنجليز"؛ محادثة مع مفتي فلسطين أمين الحسيني، حث الحسيني النحاس خلالها على الوقوف بجانب ألمانيا في حال نشوب الحرب؛ واقتراح إيطالي آخر يتضمن وعدا بتثبيت النحاس رئيسا لـ "جمهورية" مصرية مقابل تعاون الوفد. وتشير اليوميات إلى تجاهل النحاس أو رفضه جميع المحاولات، وتأييده، بدلا من ذلك، حياد مصر في أي نزاع بين الدول الأوربية، الملوثة بسجلاتها الاستعمارية.(٤٢)

كما لم يكن موقف وزارات محمد محمود المعلن في ١٩٣٨-١٩٣٩ متعاطفا مع إيطاليا الفاشية أو ألمانيا النازية. وفور توليه المنصب، أكد رئيس الوزراء محمد محمود للسفير البريطاني أنه "على علم تام" بالخطر الذي يشكله التوسع الإيطالي الفاشي المحتمل.(٤٣) وفي مايو، أشار السير مايلز لامبسون إلى أنه "فيما يخص العلاقات مع الدول الأجنبية، وبالأخص إيطاليا، فإن موقف كل من القصر وحكومة محمد محمود مُرضٍ تماما حتى الآن".(٤٤)وأثناء أزمة ميونيخ، أدلى رئيس الوزراء محمد محمود بتصريح علني يفيد أن مصر ستوفي بالتزاماتها تجاه بريطانيا في حالة الحرب، والواردة باتفاق التحالف الإنجليزي- المصري ١٩٣٦؛ وهو ما جعل السفير البريطاني يرى أن موقف كل من الحكومة المصرية والقصر أثناء الأزمة مُرضٍ.(٤٦)

وتشير تقييمات البريطانيين لكيف تطورت آراء المصريين في إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية نهاية الثلاثينيات إلى تباين تأثير دعاية المحور بين الشرائح المختلفة للمجتمع المصري. ويرى تعليق تفصيلي للسير مايلز لامبسون في أوائل ١٩٣٩ أن دعاية المحور بلغت أوج جاذبيتها عند الأرستقراطية المصرية، لكن صداها كان أقل بين المتعلمين من أبناء الطبقة الوسطى التي ما زالت تحت سطوة الوفد:

"الدعاية الإيطالية الألمانية واسعة الانتشار؛ لكن يبدو أن أحد مناطقها المفضلة في مصر هي تلك المتصلة بالطبقة الأرستقراطية، أي البلاط وما حوله، الأتراك والأتراك المتمصرون وعناصر المجتمع المصري الأكثر تأهلا اجتماعيا أو الأكثر غرورًا. في هذه الشريحة، وجد رجال الدعاية من الإيطاليين والألمان أرضا أكثر خصوبة من الشرائح الأكثر برجوازية وشعبية، التي لا تزال، تحت راية الوفد، ومعادية لإيطاليا على أية حال.[٤٧]

وقد كرر لامبسون وجهة النظر نفسها بعد ذلك بشهر عندما وصف ملك مصر وأكثر العناصر "أرستقراطية"، مستخدما ذلك التعبير بمعناه المصري الذي يرى أن أولئك الأقدم عهدا في التمتع بغنائم السلطة لا بد وأن يمقتوا فيروس الديمقراطية الذي لقحنا به الشعب المصري .... والنظم الشمولية، برفضها للديمقراطيات، لا بد وأن تجد، في ظل الأوضاع الحالية، جاذبية ما في القصر، الذي يحكم رغم معارضة غالبية الأمة.[٤٨]

وبعد اندلاع الحرب في ١٩٣٩، وصف لامبسون العرش المصري و"الأرستقراطية" التركية ـ المصرية، أكثر من مرة، بأنها "تميل إلى معاداة البريطانيين وحتى الألمان".[٤٩] وأيا كانت مشاعر القصر والأرستقراطية خلال الثلاثينيات، فإن لامبسون لم يقدم لنا الدليل على آرائهم التي يزعم أنها تحولت لتصبح مؤيدة لأنشطة المحور. وفي نوفمبر ١٩٣٩، قبل شهرين من اندلاع الحرب، أشار إلى أن "مكائد القصر وأتباعه ضد البريطانيين ما زالت في حيز الكلام والنوايا".[٥٠]

وتتناول الفصول التالية أدلة المصادر العربية الأساسية على استجابة الرأي العام المصري للفاشية والنازية. وقبل الدخول في ذلك التحليل، من المهم أن نلاحظ أن وجهة نظر بريطانيا المعاصرة حول موقف الرأي العام المصري من إيطاليا

الفاشية وألمانيا النازية في السنوات التي سبقت قيام الحرب الثانية كانت ترى أن هذه المواقف لم تكن موضوعا سلبيا تتلاعب به دعاية المحور، وإنما كان مقررا في المقام الأول بقراءة المصريين للتأثير المحتمل للسياسة الخارجية لكل من ألمانيا وإيطاليا على مصر نفسها. وحسب قراءة البريطانيين للمشهد المصري، فإن الأزمة الحبشية واندلاع الحرب هناك في ١٩٣٥-١٩٣٦ زرعت بذرة شك مشئومة في عقول كثير من المصريين؛ أن بريطانيا العظمى إما غير راغبة أو غير قادرة على حماية مصر أمام أي توسع استعماري محتمل في المستقبل.(٥١) وهكذا، يعلن بيان صادر في مايو ١٩٣٦ أن "الاستنتاج الطبيعي للمصريين هو أن بريطانيا لو فعلت ذلك ستوقف إيطاليا عند حدها. وعدم إقدامها على هذا معناه ببساطة العجز والضعف".(٥٢) وكانت التقييمات البريطانية التالية هي أن القلق من النوايا الحربية الإيطالية المحتملة تجاه مصر، إلى جانب "الشك في قدرة البريطانيين على الدفاع عن مصر"، استمرت كسمة للرأي العام المصري حتى في السنوات الأقل اضطرابا للوزارة الوفدية من منتصف ١٩٣٦ وحتى نهاية ١٩٣٧.(٥٣)

أدت الحوادث التي شهدها ١٩٣٨-١٩٣٩ إلى تكثيف القلق المصري من النوايا والتصرفات الخبيثة للدول الفاشية الأوروبية، إلى جانب تعميق الخوف من تداعيات عدوانية الفاشية والنازية تجاه مصر نفسها. وعندما قامت ألمانيا النازية بضم النمسا المستقلة في مارس ١٩٣٨، أعلن تقرير بريطاني، "عمليا، تعبر مجمل الصحافة عن تعاطفها مع النمسا التي قامت ألمانيا بغزوها".(٥٤) وكان للأزمة الممتدة بشأن منطقة سودتنلاند في تشيكوسلوفاكيا في صيف ١٩٣٨، التي توجت بضم ألمانيا للمنطقة بمقتضى معاهدة ميونيخ في سبتمبر، تأثير أكثر عمقا على الرأي العام المصري. واعتبر المصريون عزم نيفيل شامبرلين السفر إلى ميونيخ لاسترضاء ألمانيا في مسألة تشيكوسلوفاكيا علامة على الضعف القومي البريطاني

سيكون له تداعياته الواضحة على مصر: "تعاني بريطانيا العظمى الآن إذلالا يفوق ما عانته في الحبشة. وصارت قدرتها ورغبتها في الدفاع عن الدول الأصغر (بما فيها مصر) في وجه العدوان موضع شك كبير".[٥٥] وقد قوبلت بنود معاهدة ميونيخ في مصر بنوع من التردد يعكس استمرار قلق المصريين من تداعيات سياسة طمأنة دول صغيرة كمصر:

"الارتياح، عندما وردت أنباء معاهدة ميونيخ، لم يكن أقل صدقا وعمومية في مصر عن أي مكان آخر في العالم: لكن بعد الإحساس الأولي بالارتياح، انتاب الصحافة المحلية بعض الشك فيما لو لم تكن الدول الديمقراطية أسوأ من الدول الاستبدادية أو لو كانت تلك الديمقراطيات لم تعد قادرة على حماية دول صغيرة، كتشيكوسلوفاكيا، التي استسلمت أمام القوة"[٥٦]

كما اعتبر أن استرضاء بريطانيا العظمى لألمانيا النازية في ميونيخ سيكون له تداعياته على الشرق الأوسط ومصر: يختتم تقرير في ديسمبر ١٩٣٨ بالقول إن كثيرا من المصريين "يخشون الآن من أن تعجز (بريطانيا العظمى) عن حماية مصر بالقدر الكافي أمام هجوم إيطالي بسبب التطورات الحالية في أوروبا" [٥٧]

كانت مغامرتا ألمانيا النازية في ١٩٣٨ في النمسا وتشيكوسلوفاكيا نقطة تحول حاسمة في المواقف المصرية من الشئون الدولية المعاصرة. فعلى مستوى من المستويات، كانت النمسا وتشيكوسلوفاكيا دولتين مستقلتين مثل مصر، وكلتاهما نتاج لمعاهدة التسوية الموقعة بعد الحرب الأولى؛ والآن، واحدة محيت من الخريطة والأخرى تقطعت أوصالها جزئيا (قبل أن تزول تماما بعد ذلك بشهور) نتيجة لسياسة التوسع الألمانية. هذه العدوانية الدولية من جانب الدولتين الفاشيتين، والتي سبق واستهلتها إيطاليا بغزواتها الاستعمارية في شرق أفريقيا، وخاصة استعدادهما لشن الحرب تحقيقا لطموحاتهما، جعلت كثيرًا من المصريين يعتبرون

التداعيات السلبية لروح المغامرة الدولية للفاشي والنازي التي يمكن أن تقع على بلادهم العامل الحاسم الذي يحدد موقفهم من الدول الفاشية الأوروبية.

ومن المنظور البريطاني، ظل هذا الموقف هو السائد في رؤيتهم للفاشية والنازية في الشهور الأولى من عام ١٩٣٩، قبل نشوب الحرب في سبتمبر. وقد عزز ابتلاع ألمانيا لجزء من تشيكوسلوفاكيا في مارس، وغزو إيطاليا لألبانيا في أبريل المخاوف المصرية من التوسعية الفاشية، وزاد من إحساس المصريين بالاعتماد على بريطانيا العظمى في الدفاع عن بلادهم ضد أي هجوم محتمل. "إن الصدمات المتلاحقة الناجمة عن المأساتين التشيكوسلوفاكية والألبانية، خاصة الأخيرة، أوضحت للمصريين مدى فداحة موقفهم دون الدعم الكافي من حليفتهم بريطانيا ... وبشكل عام، أدى الخوف من ألمانيا وإيطاليا والاستياء من أعمال الأخيرة في ألبانيا إلى ميل المصريين أكثر فأكثر نحونا، وعزز من إدراك حاجة مصر لإنجلترا" (٥٨). وتوصلت مراجعة لشهر مايو ١٩٣٩ إلى أن "انعتاق مصر يكمن في ارتباطها بالبلاد الديمقراطية"(٥٩). وحسب تعبير سير مايلز لامبسون في يوليو، فإن "الخشية من ألمانيا وإيطاليا وكراهية المصريين لهما أجبر المصريين بشكل أو بآخر على الارتماء في أحضاننا".(٦٠)

إلا أن الاتجاهات التي حركتها العدوانية الدولية للفاشية والنازية في ١٩٣٨ و١٩٣٩ لم تكن كلها تدعم قضية البلاد الديمقراطية. فخطر الحرب المحدق أيام ميونيخ أدى إلى جدل امتد لمدة عام حول مدى التزامات مصر تجاه بريطانيا وفقا للمعاهدة الإنجليزية- المصرية في ١٩٣٦. وحسب معلومات بلغت السفارة البريطانية أثناء انعقاد ميونيخ في سبتمبر ١٩٣٨، فإن واحداً من وزراء محمد محمود، لم تذكر اسمه، طرح إمكانية وقوف مصر على الحياد حال نشوب حرب أوروبية عامة.(٦١) ومع أن رئيس الوزراء محمد محمود سارع بطمأنة البريطانيين

بأن حكومته لم تتبن اقتراحا بالوقوف على الحياد في حالة نشوب الحرب،[٦٢] وبينما توصلت قراءة البريطانيين لمشاعر الجمهور المصري أثناء الأزمة إلى أنه "بشكل عام هناك اتفاق على الوقوف بجانب التحالف [الإنجليزي - المصري]"،[٦٣] فإن فكرة احتمال حياد مصر لم تمت. كان من الواضح أنه يدور في النقاشات الخاصة داخل الدوائر السياسية بعد ميونيخ، عندما زعمت تقارير بريطانية عصبية أن فكرة حياد مصر ما زالت على قائمة الحوار في مصر، بسبب، في جانب منها، الإثارة الخبيثة من جانب الدبلوماسيين الألمان والإيطاليين المقيمين في مصر في حواراتهم الشخصية مع شخصيات مصرية بارزة.[٦٤]

أصبحت فكرة حياد مصر موضوعا للنقاش العام في ديسمبر ١٩٣٨، عندما عبر رئيس الوزراء الأسبق إسماعيل صدقي في خطاب بالبرلمان عن الفكرة التالية: في حين أن معاهدة التحالف الإنجليزية المصرية "ألزمت مصر بوضع مواردها تحت تصرف بريطانيا العظمى" في حالة نشوب حرب، إلا أنها "لم تفرض على مصر المشاركة في الحرب مع بريطانيا".[٦٥] وبينما جاء التوضيح البرلماني من جانب رئيس الوزراء سريعا وحاذقا عندما أعلن أن حكومته تنوي الوفاء بالتزاماتها تجاه بريطانيا العظمى "بكل ولاء وإخلاص"، لم يغلق محمد محمود الباب أمام إمكانية مراجعة مواد المعاهدة بما يقلل من التزامات مصر زمن الحرب.[٦٦]

أثار حديث صدقي حوارا عاما حول مسألة احتمال حياد مصر استمر حتى قيام الحرب. وحسب تلخيص مايلز لامبسون لحالة القلق في أوائل ١٩٣٩، فإن "المصريين يبحثون بقلق عن سبيل يعفيهم من التورط في الحرب المتوقعة".[٦٧] ولم يكن كل المشاركين في النقاش يؤيدون تفادي مصر التورط في الحرب المقبلة: كان السياسي أحمد ماهر، من الحزب السعدي، الذي أصبح فيما بعد من أشد المؤيدين

لدخول مصر الحرب العالمية الثانية، عنيفا في رفضه لاقتراح صدقي، ويصر على ضرورة وقوف مصر بجانب بريطانيا في وجه التوسعية النازية والفاشية.[٦٨] وفي البداية، تبنت صحافة الوفد، الداعم التقليدي للديمقراطية والتي انتقدت علنا مؤخرا دول أوروبا الفاشية، ضرورة وفاء مصر بالتزاماتها الواردة بالمعاهدة [٦٩] . وهذا الموقف لم يكن ثابتا؛ ففي وقت لاحق من ١٩٣٩، أشار البريطانيون إلى أن الصحافة الوفدية تؤيد عدم التعاون مع بريطانيا العظمى في حالة نشوب الحرب على أساس أن "مصر المحرومة من حقوقها الديمقراطية ليس لديها ما يغريها لأن تحارب من أجل الدول الديمقراطية في الحرب المقبلة".[٧٠] وعلى الرغم من أن القصر الملكي لم يتورط علنا في الخلاف، فقد كان لامبسون، الدائم التخوف قلقا من أن:

"يؤثر العملاء الإيطاليون والألمان، عبر عملائهم داخل البلاط وحوله، على الملك فاروق، وتوجيه دعمه نحو محور روما – برلين، وتحديدا باتجاه حياد مصر في الحرب المقبلة ... ولا شك أن الدعاية الألمانية والإيطالية تشيع بين المصريين، من كل الفئات، الشعور بأن على مصر تفادي جرها إلى حروب إنجلترا التي لا تخدم مصالح البلاد.[٧١]

وهناك مصدر مستقل يؤكد الشكوك البريطانية في ممانعة الملك في الالتحاق ببريطانيا في حالة الحرب: وفق ما ورد بيوميات وزير الخارجية الإيطالي، جاليازو سيان، فقد بلغه في فبراير ١٩٣٩ أن السفير المصري في برلين، متحدثا باسم الملك، استفسر عما إذا كانت دول المحور ستقدم الدعم لمصر في حال أعلنت حيادها.[٧٢] وفي تقييم بريطاني للمشاعر المصرية عشية الحرب لوحظ وجود تفاوت فيما يخص الموقف الدولي المتوتر: بينما يشير إلى أن "الخوف من ألمانيا وإيطاليا وكراهيتهما دفع المصريين بشكل أو بآخر إلى الارتماء في أحضاننا"،

يختتم بالقول: إنه "لا يزال هناك شعور كبير طاغ في البلاد بأن على مصر أن تظل بعيدة عن صراعات دولية لا تعنيها مباشرة".(٧٣)

ويشكل هذا الجدل المتصاعد حول إمكانية حياد مصر الذي دار خلال العام السابق على اندلاع الحرب الثانية خلفية لا غنى عنها لقرار مصر النهائي بعدم إعلان الحرب على ألمانيا في سبتمبر ١٩٣٩. لقد وضع قيام الحرب الحكومة الجديدة برئاسة علي ماهر في مأزق. وعلى الرغم من أنها قامت على الفور بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا وأعلنت عزمها احترام التزاماتها تجاه بريطانيا العظمى بمقتضى المعاهدة المصرية ــ الإنجليزية، ظلت مصر رسميا خارج الصراع. وفي هذا الوضع، العائد في جانب منه إلى أن إيطاليا، الدولة الفاشية تحد مصر بمستعمرتها في ليبيا، وتشكل بذلك خطرًا عسكريًا حقيقيًا، ظلت مصر محايدة خلال الشهور الأولى من الحرب. ونظرًا لأنه لم يكن يواجه تهديدا عسكريا عاجلا، وكان تشكيله من الوزراء الأقل ولاء لبريطانيا، رفض مجلس الوزراء المصري تلبية الطلبات المتكررة من بريطانيا لإعلان الحرب رسميا؛ كان رفضهم يستند إلى أن إعلان الحرب يتطلب موافقة البرلمان وأن مجلس الوزراء لم يكن على ثقة من الحصول عليها على ضوء نمو الشعور العام خلال السنوات الماضية بأن على مصر ألا تتورط في صراع لا يعنيها مباشرة.(٧٤) وعلى الرغم من أن السير لامبسون رفض بغضب هذا التبرير لعدم دخول الحرب بوصفه "حجة تافهة"،(٧٥) لم يقترح تحركا بريطانيا فعالا لإشراك مصر في الحرب.(٧٦) وبينما ظلت توفي بالتزاماتها العسكرية الفنية لحليفتها بمقتضى المعاهدة الإنجليزية ــ المصرية لعام ١٩٣٦(٧٧)، التزمت مصر موقف الدولة غير المحاربة بحكم القانون، لكنها كانت تسهم فعليا في المجهود الحربي البريطاني، وهو ما فعلته طوال فترة الحرب العالمية الثانية تقريبًا.

السياق الداخلي: التنافس بين الوفد والقصر، ١٩٣٦-١٩٣٩

بينما تطورت آراء المصريين في الديمقراطية الليبرالية والفاشية الاستبدادية، في جانب منها، استجابة للتطورات على الساحة الدولية، تشكلت أيضا بفعل الأوضاع في مصر نفسها. وبصفة خاصة، كانت الآراء المتصلة بالأنظمة الشمولية الجديدة في أوروبا هي في الوقت نفسه تعليقا غير مباشر على الأحداث السياسية الداخلية. ويتمتع السياق الداخلي بنفس أهمية السياق الخارجي لفهم مسار الخطاب المصري حول الليبرالية مقابل الفاشية.

في عامي ١٩٢٢-١٩٢٣، أصبحت مصر ملكية برلمانية مستقلة رسميا، وإن احتفظت بريطانيا بوجود عسكري فيها، وعدد من المستشارين، ونفوذ سياسي كبير. وبعد ذلك، كان تطور البلاد السياسي معقدا. كانت السياسة المصرية خلال فترة الملكية البرلمانية غالبا ما توصف بأنها صراع ثلاثي بين ثلاث قوى: الوفد والملك والبريطانيين. وكان الوفد هو الحركة الوطنية التي ناضلت بعد الحرب العالمية الأولى من أجل الاستقلال عن بريطانيا العظمى والتي أصبحت بعد ذلك أكثر التنظيمات السياسية شعبية. وأكسبه تمسكه بسلطة البرلمان عداء الملك؛ وجعله إصراره على "الاستقلال التام" لمصر في معظم فترة بين الحربين من أكبر مناوئي الاحتلال البريطاني. والقوة الثانية هي الملك (فؤاد حتى ١٩٣٦؛ وابنه فاروق بعد ذلك) وحلفاء الملك السياسيون. ورغب كل من فؤاد وفاروق في أن يحكم لا أن يملك وحسب. وقد فعلا هذا، في جانب منه، من خلال السلطات السياسية الكبيرة التي منحها دستور ١٩٢٣ للملك، وفي جانب آخر، من خلال ما نطلق عليه عادة أحزاب "الأقلية"، والتجمعات النخبوية من غير الوفديين أو من الوفديين السابقين الراغبين في التحالف مع الملك للفوز بالمناصب الوزارية. وكان اللاعب الثالث هو بريطانيا العظمى التي التزمت بالحفاظ على ما اعتبرته مصالح

إمبراطورية في مصر. في الأوقات العادية كانت تمارس نفوذها عن طريق النصيحة التي تقدم للمسئولين المصريين؛ وفي أوقات الأزمات كانت تلجأ إلى التهديد بالقوة العسكرية لفرض إرادتها.

والحقيقة أن مثلث: الملك / الوفد / بريطانيا يشكل جانبًا واحدًا من عالم السياسة المصرية المعقد في فترة بين الحربين. فقد لعبت قوى وأصوات متعددة أخرى، منظمة وغير منظمة، دورا ملحوظا في الحياة العامة المصرية. وكان من أبرزها تلك المؤسسة الدينية الإسلامية المبجلة المتمركزة حول جامعة الأزهر بالقاهرة. وكانت جامعة الأزهر وطلابها، المنوط بهم ضمان هيمنة الإسلام على المجتمع المصري، في التطبيق موالين في الغالب للملك الذي تعتمد عليه الجامعة في جانب من تمويلها، ويشاركون من حين لآخر في النقاشات العلنية والخلافات السياسية التي شهدها عقدا العشرينيات والثلاثينيات. وكان هناك قوة معادلة، أضعف نسبيا، تتمثل في الجامعة المصرية الأكثر علمانية، التي تأسست في الجيزة في ١٩٢٥ كمؤسسة للتعليم العالي مدعومة من الدولة، وطلابها. وبحلول الثلاثينيات، أصبح المزيج معقدا بعد ظهور الحركات السياسية الاجتماعية القوية خارج البرلمان، مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة. وتألف المكون الأكثر انتشارا وحيوية من الحياة العامة المصرية من المئات، إن لم يكن الآلاف، من المثقفين المصريين – البعض منهم مسلم والآخر مسيحي، إلى جانب بعض اليهود؛ وبعض المحافظين، وبعض الليبراليين، وبعض الراديكاليين؛ وبعض المرتبطين بالأحزاب أو الحركات المنظمة، وبعض المستقلين من غير المرتبطين تنظيميا – ممن يعبرون عن آرائهم في الأمور الجارية في العديد من الصحف ودوريات الرأي التي ازدهرت في مصر فترة بين الحربين. كانت الحياة العامة في مصر في العشرينيات والثلاثينيات مزيجًا نابضًا بالحياة. والعدد الكبير من وجهات النظر

المختلفة للتعبير، التي توفرت في فترة بين الحربين، أضفى على النظام ديناميـة تعددية وديمقراطية. وعلى الرغم من الفساد والمحسوبية والضغوط الاستبدادية الدورية، فقد كان التنوع الثقافي وحرية التفكير والتنظيم، والجدل السياسي والتنافس الحاد، هو القاعدة.

ويتمثل الملمح الأساسي لأواخر الثلاثينيات، تلك السنوات التي تركز عليها دراستنا، في الصراع على السلطة بين الوفد والبلاط المصري. وتزامنا مع النصر الانتخابي للوفد في مايو ١٩٣٦، ترتب على وفاة الملك فؤاد في ٢٨ أبريل ١٩٣٦ تولي عاهل جديد للعرش هو ابنه فاروق ذي الستة عشر عاما. ومنذ بداية عهد فاروق، تصاعد الصراع المرير على السلطة بين الوفد والقصر. وكان التنافس بين القصر والوفد العامل الداخلي الأهم في تطور المواقف المصرية من الديمقراطية والديكتاتورية خلال السنوات من ١٩٣٦-١٩٣٩.

كان القصر هو من بدأ الصراع إلى حد كبير. فبطلعته المهيبة، وعربيته الهزيلة، واحتقاره لما هو مصري، لم ينجح الملك فؤاد (١٩٢٢-١٩٣٦) مطلقا في التحول إلى شخصية شعبية حقيقية في مصر. وتمتع ابنه وخليفته (١٩٣٦-١٩٥٢) في البداية بصورة أكثر جاذبية. ولأنه شاب، وجذاب، لم تلوثه إخفاقات الماضي، ويتمتع بهالة من الورع والإيمان صنعت بعناية ــ من الصفات التي كانت تطلق عليه كثيرا: المجدد، الملك الصالح ــ حظي الملك الشاب بقدر كبير من التقدير الشعبي في السنوات الأولى من حكمه. وقادت شعبية الملك الشاب إلى تفضيل بعض المصريين أن يتسع دور الملك السياسي على الاحتفاظ بالوضع البرلماني القائم آنذاك والذي تزداد سمعته سوءا بسبب مشاحنات الأحزاب السياسية القائمة. وتوجهت جهود فاروق لتوسيع سلطات الملك بالاستعانة بعلي ماهر، السياسي المحنك والمعادي للوفد الذي شغل رئاسة الوزارة لمدة قصيرة في أوائل ١٩٣٦،

وتولى رئاسة الديوان الملكي من أكتوبر ١٩٣٧ إلى أغسطس ١٩٣٩، وشيخ الأزهر، محمد مصطفى المراغي، الذي عمل كذلك مستشارًا للملك للشئون الدينية.

ولعب علي ماهر دورًا أساسيًا في تكوين الائتلافات المناهضة للوفد ــ أحزاب الأقلية بصحفها، طلاب الأزهر، الحركات الجديدة من خارج البرلمان مثل مصر الفتاة والإخوان المسلمين ــ لمهاجمة الوفد وخلق مناخ سياسي يلعب فيه الملك دورا أكبر؛ من جانبه، تصدر المراغي حملة لتعزيز سلطة الملك وتقديمه كمسلم مخلص قادر على لعب دور إيجابي داخليا، وفي العالم الإسلامي الأوسع على حد سواء. وقد جعلت شعبية فاروق منه بؤرة العديد من الأحزاب والقوى التي كانت، في أواخر الثلاثينيات، إما تنافس الوفد أو فقدت الإيمان بالنظام البرلماني القائم.

من جانبه، صادف الوفد في أواخر الثلاثينيات الكثير من العقبات في صراعه مع القصر. فالحزب كان يعاني بالفعل من الانشقاقات منذ تأسيسه؛ كثير من الأحزاب السياسية غير الوفدية التي تأسست في فترة بين الحربين كان على رأسها وفديون سابقون انشقوا عن قيادة الحزب في وقت أو في آخر. ولم يكن زعيم الحزب، مصطفى النحاس، خليفة سعد زغلول منذ وفاته في ١٩٢٧، يتمتع بالكاريزما الشخصية ولا بالقدر نفسه من الشعبية التي كان يتمتع بها سعد زغلول. كان النحاس، غير الجذاب في مظهره والصاخب في سلوكه، واحدا من آحاد الناس لم يتفوق على زملائه ومنافسيه كسلفه زغلول. وفي أواخر الثلاثينيات، تراجعت صورة النحاس العامة بسبب اعتماده المتزايد على زميله القبطي مكرم عبيد، وانتشار الشائعات حول محاباته لأصهاره من عائلة الوكيل. وبعيدا عن الإدانة والمكاسب الشخصية، كان الوفد أكبر مدافع عن الحكم الدستوري وسيادة البرلمان خلال فترة بين الحربين.

لكن مع نهاية الفترة، ورغم اجتماع الشقاق الداخلي، وزعامة مشوهة، وتعدد مراكز المعارضة، تضاعفت قدرته على الدفاع عن النظام البرلماني الذي يؤمن بـه ويستفيد منه.

بدأ الصراع بين الوفد والقصر في مايو ١٩٣٦، تقريبا فور تـولي فـاروق وعودة الوفد إلى الحكم بعد فوزه في الانتخابات البرلمانية. وفي محاولة لإحباط أي محاولة وفدية لتحديد سن الرشد للملك بواحد وعشرين عامًا، وهي خطـوة تعـوق الملك عن لعب دور سياسي فعال حتى عام ١٩٤٠، صـدر مرسـوم مـن وزارة تصريف الأعمال برئاسة علي ماهر في أوائل مايو، قبل استبدالها مباشرة بـوزارة الوفد الجديدة، بتحديد سن رشد الملك بـ ١٨ عامـا بـالتقويم الهجـري.[٧٨] مـن جانبها، كان من أولى مبادرات الوزارة الوفدية تعيين وزير للقصر ليكـون بمثابـة مسئول اتصال بين الوزارة والملك. وقوبل الاقتـراح بالمقاومـة بوصـفه انتهاكـا دستوريا لصلاحيات الملك، وتم تعيين ثلاثة أوصياء لرعاية الملك الشاب حتى يبلغ سن الرشد. وأخيرا، اتفق على إنشاء منصب الوكيل البرلماني لشئون القصر كحـل بديل لسعيهم لفرض إشراف وزاري لمتابعة شئون القصر؛ واستمر المنصب قائمـا حتى يوليو ١٩٣٧، عندما بلـغ فـاروق سـن الثامنـة عـشرة وتـولى سـلطاته الدستورية.[٧٩] ومنذ بداية حكم فاروق، بذل العرش المصري جهدا واعيـا للحفـاظ على صورة الملك من خلال الظهور وهو يـؤدي صـلاة الجمعـة والاسـتقبالات والزيارات الاحتفالية، وجولاته في ريف البلاد.[٨٠]

وبحلول أوائل ١٩٣٧، توقع البريطانيون أن تأتي جهود القصر لطرد الوفـد من الوزارة في منتصف عام ١٩٣٧، في الوقت الذي يفترض أن يتولى فيه فاروق سلطاته الدستورية.[٨١] وكان التوقع دقيقا. ففي الشهور الأخيرة من ١٩٣٧، حيـث بلغ فاروق سن الثامنة عشرة حسب التقويم الهجري، خرج الـصراع بـين الوفـد

والسراي إلى العلن. وجرى تنصيب فاروق رسميا ملكا لمصر في ٢٩ يوليو ١٩٣٧، في احتفال مدني بالبرلمان حيث أقسم الملك بالحفاظ على الدستور؛ وأعقب التنصيب حفلات استقبال باذخة واستعراضات عسكرية بالقاهرة واحتفالات عامة بالإسكندرية فيما بعد.(٨٢) وقوبلت رغبة القصر في تتويج حفل التنصيب المدني بالبرلمان بتنصيب ديني، حيث يقلد الشيخ المراغي الملك سيف محمد علي في احتفال شبه ديني بالقلعة، بالرفض الشديد من جانب حكومة النحاس باعتبارها بدعة غير دستورية لا تتفق مع مكانة الملك كأعلى سلطة في الملكية البرلمانية (٨٣). وقد بلغ الحماس الشعبي للملك ذروته خلال احتفاليات تنصيبه في يوليو ١٩٣٧. ويشير تقرير بريطاني عن الاحتفالات إلى أن سياسة القصر لتلميع صورة فاروق كانت ناجحة: "في كل هذه المناسبات كان ظهور سموه العلني يحاط بالحماس الجماهيري. ولا شك في أن الملك الشاب كان يحظى بقبول شعبي. وهذه السياسة المستوحاة من حاشية الملك وعلي ماهر بظهور الملك أمام رعيته في كل مناسبة ممكنة، معززة دون شك بشباب الملك ومظهره المحبب، أتت ثمارها".(٨٤)

تزامن مع تنصيب الملك رسميا صدمة أصابت الوفد. فقد ترتب على العداوة القديمة بين زعماء الوفد ــ زعيم الحزب مصطفى النحاس وأقرب زملائه مكرم عبيد من ناحية، وعضوي الحزب المؤثرين محمود فهمي النقراشي وأحمد ماهر (أخي علي ماهر) على الجانب الآخر ــ ما سيعتبر أخطر انشقاق في تاريخ الوفد، أواخر ١٩٣٧. كان الصراع بين المجموعتين شخصيا في جانب منه، وسياسيا في جانبه الآخر. كان ماهر وعبيد مستاءين من تأثير مكرم عبيد على النحاس؛ كما باعد منح العقود العامة على أساس المحسوبية بينهم وبين النحاس وعبيد. وعندما قدم النحاس وزارته الجديدة للملك في أغسطس ١٩٣٧ بعد توليه سلطاته الدستورية، استبعد النقراشي من التشكيل. وفي سبتمبر، طُرِد النقراشي من الحزب،

وهو القرار الذي اعترض عليه حليفه أحمد ماهر. وكان من شأن التشهير المتبـادل بين النحاس والنقراشي مع نهاية ١٩٣٧ والمعارضة المكتومة داخـل الوفـد لقيـاد النحاس وعبيد من جانب أحمد ماهر تعميق الانشقاق. وقد بلغ هذا الانشقاق ذروتـه في يناير ١٩٣٨، عندما طُرد أحمد مـاهر بـدوره، وأسـس الوفـديان الـسابقان الحزب السعدي.[٨٥]

كان للانشقاق تداعيات خطيرة على الوفد كحركة شعبية. وخـلال خريـف ١٩٣٧، نظم النقراشي علنا معارضة للزعامة الوفدية التي طردتـه مـن الحـزب، وافتتح مكتبا لحشد المؤيدين واجتذاب الطلبة في قاعـات الجامعـة. وكـان لآراء النقراشي وماهر الانتقادية لما اعتبراه عصبة النحاس ــ عبيد صداها بين الـشباب والمتعلمين من المصريين بصفة خاصة. وفي أكتوبر، أشار أحد تقـارير الـشرطة المرسلة إلى البريطانيين إلى أن مؤيدي النقراشي يظهرون نشاطا كبيرا في دعايتهم في أوساط الطلاب ويحققون نجاحا كبيرا على ما يبدو، خاصة في الأزهـر. كمـا تزعم أن أعدادًا كبيرة من الطلاب يقفون ضد الحكومة ومع النقراشـي".[٨٦] ولـم يتعزز موقف النحاس بطريقته التي تميل أكثر فأكثر نحو الاسـتبداد. كمـا وافـق الحزب أيضا، في اجتماع سبتمبر الذي أسفر عن طرد النقراشي، على نص القـسم الشخصي للولاء للنحاس الذي سيكون علـى أعـضاء الحـزب تأديتـه مـن الآن فصاعدًا.[٨٧] وهناك تقرير بريطاني صادر في أواخر أكتوبر يرصـد، رغـم أنـه يعكس دون شك عداء البريطانيين التقليدي للوفد والنحاس، تحـولا واضـحا فـي النظرة العامة للرجل وحركته في أواخر ١٩٣٧: "لم يكتف النحاس باشـا بالتعامـل مع زعماء الحزب القدامى بازدراء، بل أبعد أو طرد كل العناصر المفكرة والبنـاءة في الوفد نفسه. كما يقوم الآن بإبعاد قطاع كبير من طائفة الطلاب والأزهر ككـل، ويتجه نحو العناصر الأكثر حدة من عمال بولاق والقمصان الزرقاء".[٨٨]

وهكذا، وقف الوفد المقسم والضعيف أمام هجوم القصر الذي شنه عند بلوغ فاروق سن الرشد. وخلال الشهور الأخيرة من عام ١٩٣٧، أعاق العرش، المدعوم بسلطاته الجديدة، واستفز الوزارة الوفدية حول عدد من المسائل الشخصية والسياسية.[٨٩] كما انتقل الصراع بين الوزارة والملك إلى المجال العام. وكان مكرم عبيد، لكونه قبطيا ولتداعيات سيطرة قبطي، هدفا للتحريض العام من جانب معارضي الوفد.[٩٠] بالمقابل، اتهمت الصحافة الوفدية معارضي الوزارة بـ "اللجوء إلى مفاقمة العداء الكامن بين المسلمين والأقباط باعتباره ورقة رابحة" في صراعهم مع الوفد على السلطة.[٩١]وخرجت المظاهرات المناهضة للوفد من طلاب الأزهر والجامعة المصرية في خريف ١٩٣٧؛ كانت مظاهرات الجامعة بتحريض من رئيس الجامعة، أحمد لطفي السيد، للمطالبة بتعليق الدراسة مؤقتا. وعندما رفضت الحكومة طلبه، استقال.[٩٢] وفي مواجهة المظاهرات المعادية للوفد، خرجت مظاهرات مؤيدة له نظمتها منظمة الوفد شبه العسكرية، القمصان الزرقاء، تلك الحركة التي تطورت عبر الزمن والتي استخدم أعضاؤها بصورة متزايدة كحراس شخصيين للنحاس وكمدافعين عن الحكومة أمام الانتقادات التي توجه إليها. وعندما طالب الملك الحكومة في أكتوبر بحل الحركة، أصبح سلوك القمصان الزرقاء مسألة أساسية في الصراع بين القصر والوزارة. ورددت الصحف المعادية للوفد مطلب الملك، واتهمت القمصان الزرقاء أكثر من مرة بالاعتداء على معارضي الوفد وبأنها تحولت إلى "أداة للإرهاب" تستخدم لدعم "ديكتاتورية" الوفد واستمرارها.[٩٣]

وفي النهاية، شملت المواجهة بين الوفد والقصر مسائل دستورية. ففي أوائل أكتوبر، فكرت الحكومة في استصدار تشريع من البرلمان يعيد تحديد سلطات الملك الدستورية ويقيدها [٩٤]. وكان تعيين فاروق لقط الوفد الأسود، علي ماهر، رئيسا

للديوان الملكي، في ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧، من طرف واحد ودون موافقة الوزارة وحتى دون إبلاغها قبل إقدامه على هذه الخطوة، بمثابة "إعلان حرب" على الوفد من جانب القصر، على حد تعبير المؤرخ المصري عبد العظيم محمد رمضان.[٩٥] وحث التعيين وزارة الوفد فورا على المطالبة بعدم أحقية الملك في الاعتراض على تعيينات الحكومة وخضوع تعيينات الملك لموافقة الوزارة.[٩٦] وفي أواخر ديسمبر، دخل القصر ووزارة الوفد في مفاوضات فاشلة حول تأليف لجنة لتحديد سلطات كل من الوزارة والملك.[٩٧] وكانت تلك الأزمة المنذرة في أواخر ١٩٣٧ ظاهرة كذلك أمام الرأي العام المصري. وفي الشوارع، كانت المظاهرات المؤيدة للوفد ترفع شعارا واحدا "الدستور فوق الجميع"؛ إلا أنه كان هناك شعار آخر ينذر بالشؤم هو "النحاس أو الثورة".[٩٨] وكان هذا الطرح لمسألة تحديد السلطات الدستورية للوزارة مقابل السلطات الدستورية للملك نذيرا بالجدل الذي سيزداد وضوحا خلال ١٩٣٨-١٩٣٩، عندما سيخرج الوفد من الوزارة ويهيمن الملك وحلفاؤه على أمور السياسة العليا.

على المستوى الشخصي، ازدادت العلاقات بين النحاس والملك فاروق سوءا. ووصفت الاجتماعات بين الطرفين في أكتوبر بأنها "أكثر من باردة ـــ كانت عاصفة ومتعسفة من الجانبين".[٩٩] وحسب مصدر مقرب من القصر، فإن فاروقًا "كان يكره النحاس ورأى في اصطياده دعابة بريئة".[١٠٠] وفي نوفمبر، من ناحيته، وصف النحاس سلوك الملك تجاهه بأنه "بالغ التهور، ومهين، وعنيد"؛[١٠١] وفي أحد اجتماعاته مع السفير البريطاني، وصف النحاس موقف الملك منه بأنه "لا يحتمل" وكذلك "غير دستوري على الإطلاق"، وواصل حديثه قائلا "أشك في إمكان التعاون مع جلالته مستقبلا مطلقا، وأتساءل إن كان من صالح البلاد رحيل الملك فاروق"[١٠٢]

في النهاية كان النحاس هو الذي رحل وليس فاروق. ففي ٣٠ ديسمبر، وبسبب ضعف موقفها العام بفعل الانشقاق الداخلي، وبالمواجهة العلنية مع ملك له شعبيته، وجموح بعض مسانديه، أقيلت وزارة مصطفى النحاس الوفدية بمرسوم ملكي [١٠٣]. وهذا الطرد من جانب الملك لوزارة ما زالت تتمتع بأغلبية ساحقة في البرلمان يرقى إلى "انقلاب دستوري" نفذه ملك مصر، حسب تعبير المؤرخ المصري عبد العظيم رمضان.[١٠٤] كان تدشينا لفترة شكل القصر فيها القوة الأبرز في السياسة المصرية.

من ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ وحتى ١٨ أغسطس ١٩٣٩، عاشت مصر تحت حكم وزارة ائتلافية من الأحزاب غير الوفدية برئاسة الزعيم الليبرالي محمد محمود. وقد اكتسبت شرعية حقها في الحكم عبر انتخابات برلمانية جديدة في مارس ١٩٣٨. وقد أسفرت الانتخابات، التي شهدت فسادا غير مسبوق حتى بالمعايير المصرية ــ تتضمن التقارير البريطانية عن الأساليب التي استخدمت لضمان التصويت لصالح الحكومة: تهديد الموظفين المحليين بالطرد إن فشلوا في الخروج بالنتيجة المرجوة، والاستبعاد القسري لمؤيدي الوفد من التصويت، وتسويد بطاقات التصويت الفارغة على يد منظمي الاقتراع ــ عن مجلس نواب أغلبيته من معارضي الوفد (٧٧ لليبراليين، و٨٤ للسعديين، و١٢ للوفد).[١٠٥]

وتعرض ائتلاف محمد محمود الوزاري المرة بعد الأخرى لتدخل الملك في شئون الحكومة.[١٠٦] وكان علي ماهر، رئيس البلاط الملكي، هو الشخصية المهيمنة على السياسة العليا في مصر في ١٩٣٨ و١٩٣٩. ويصف أحد التقارير البريطانية في مايو ١٩٣٨ الموقف السياسي في مصر، فيقول "على ضوء إذعان الجماهير للاختفاء الفعلي للوفد من البرلمان، يظل القصر، حتى هذه اللحظة، هو

الحكم في الموقف السياسي، وعلي باشا ماهر هو مــرادف القــصر اليــوم".[١٠٧] والدليل على السطوة السياسية لعلي ماهر هو اختيار الملك له من طــرف واحــد، وليس مجلس الوزراء، ليترأس الوفد المصري في مــؤتمر ســان جــيمس حــول فلسطين في أوائل ١٩٣٩. ومن الواضح أن تعيين ماهر تــم ضــد رغبــة رئــيس الوزراء محمد محمود الذي كان يرغب في رئاسة الوفد، ودون مناقــشته وإقــراره من جانب مجلس الوزراء.[١٠٨]وطوال تلك الفترة، كان يعتقد على نطاق واســع أن علي ماهر يسعى إلى تولي رئاسة الوزارة.[١٠٩] وهو ما فعله أخيرا؛ في أغــسطس ١٩٣٩. فمع تدهور حالته الصحية وأعبائه الوظيفية كرئيس للوزراء إلــى جانــب المشاحنات الحزبية وتدخل القصر، قدم محمد محمود استقالته وحــل محلــه وزارة برئاسة علي ماهر.[١١٠]

لم يكن القصر الملكي المصري قوة متراصة في أواخر الثلاثينيات. فالملــك فاروق ــ الشاب، المندفع، المدفوع جزئيا بالغضب من التوبيخ المتكرر من جانــب السفير البريطاني المتعجرف السير مايلز لامبسون (كــان فــاروق يلقبــه أحيانــا بـــ "البروفيسور لامبسون") ــ كان يتصرف أحيانا من تلقاء نفسه. وكان مستــشاره الرئيسي، رئيس الديوان الملكي علي ماهر، سياسيا ينتمي إلى المدرســة القديمــة. وكان هذا الرجل، البارع في المناورات السياسية، ذو الــصلات القديمــة بتجمــع الأحزاب غير الوفدية (أخوه هو علي ماهر، زعــيم الحــزب الــسعدي) وكــذلك بالحركات الأحدث خارج البرلمان والتي أصبحت قوة مؤثرة في مصر الثلاثينيات، قد بدأ كذلك في تكوين شبكة من المناصرين داخل الجيش المصري لضمان ولائــه للملك.[١١١] إلا أن سعي ماهر لشل يد الوفد حتى يفوز هو نفسه برئاســة الــوزراء بوصفه الأداة المفضلة لدى الملك كان يتسق إلى حد كبيــر مــع اللعبــة الــسياسية المصرية كما كانت منذ ١٩٢٣. وعلى الرغم من أنه لــم يــشغل منــصبا رســميا

في القصر، استمر المراغي، شيخ الأزهر، في تأييده العلني لدور أكبر للإسلام في مصر داخليا، كما كان من المؤيدين البارزين لتنصيب فاروق خليفة للعالم الإسلامي، وهو طموح سيضفي على الملك، في حال تحقيقه، هيبة كبيرة في الداخل. وكان هناك اتجاه ثالث أكثر راديكالية داخل تجمع القصر ممثل في محمد كامل البنداري. فبعد أن قضى مدة قصيرة كوزير للصحة في وزارة محمد محمود الأولى في أوائل ١٩٣٨، وخروجه من الوزارة بعد إعادة تشكيلها عقب انتخابات ١٩٣٨، بسبب شكوك محمد محمود في أنه رجل علي ماهر، عين البنداري على الفور مساعدا لمدير الديوان الملكي. وبينما كان ماهر يفكر في تعزيز سلطة الملك من خلال التلاعب والمحسوبية، والمراغي يفكر في الاعتماد على الإسلام بدلا من الأحزاب العلمانية، فكر البنداري في وسيلة من منظور جيلي وأيديولوجي. وباعترافه شخصيا بإعجابه بالأفكار التي تبنتها مصر الفتاة في أواخر الثلاثينيات [١١٢]. كان هو صوت القصر المنادي بالحاجة إلى تغيير سياسة مصر جذريا. وفي رؤية البنداري للمستقبل، فإن الوقت قد حان ليفسح الجيل الأكبر الذي فقد مصداقيته الطريق أمام الشباب المصري، ويتضمن ذلك منح الملك دورا أكبر في السياسة، وهو ما يتطلب بالمقابل تعديلات دستورية من شأنها تسهيل ممارسة حكم أكثر كفاءة [١١٣]. كما تتضمن أفكار البنداري لإعادة هيكلة الحكومة اهتماما أكبر بدور الإسلام في الدولة، وهو يتوافق في هذا مع أفكار الشيخ المراغي، وكذلك الحركات الجديدة التي ظهرت خارج البرلمان [١١٤]. وشهدت معظم الفترة من أوائل ١٩٣٨ وحتى أوائل ١٩٣٩ صراعا، بين علي ماهر "رجل الدم القديم" ومحمد كامل البنداري "رجل الدم الجديد" [١١٥] ، للفوز بأكبر قدر من ثقة الملك الشاب [١١٦].

وتشير التقارير البريطانية حول شعبية والنفوذ السياسي لكل من القصر والوفد في ١٩٣٨ و١٩٣٩، إلى تغير التوازن بين القوتين الرئيسيتين المتنافستين

على الهيمنة على السياسة المصرية. وطوال عام ١٩٣٨، كان الملك الشاب لا يزال يتمتع بشعبية شخصية كبيرة. وكان هذا، إلى حد كبير، ناجما عن شعور كثير من المصريين بخيبة الأمل من المشاحنات الحزبية المستمرة بين الأحزاب السياسية الشرعية. وحسب التقييم البريطاني لشهر أغسطس، فإن "لا مبالاة الرأي العام، اليوم، تجاه السياسيين وكليشيهاتهم، بلغت حدا جعل باستطاعة الملك فعل ما يحلو له في تعيين وصرف الوزارات" [١١٧]. إلا أن جذور شعبية الملك وبالتالي سلطته كانت سطحية. فتقييم شهر نوفمبر يشير إلى أن "الملك فاروق، رغم الرومانسية التي أحاطت بتنصيبه شابا وزواجه، لم يحظ بأي جاذبية حقيقية عند المصريين، بحكم كراهيتهم المتأصلة للأسرة الحاكمة الدخيلة ولحكم القصر.[١١٨] وبمرور الوقت، أدى تدخل الملك في الشئون العامة كذلك إلى رد فعل شديد، بنأي جزء من الجمهور المصري الواعي عن مساعي الملك لتوسيع سلطاته الدستورية. وبالنسبة للمتعلمين من أبناء الطبقة الوسطى، الذين يشكلون القوام الأصيل لحزب الوفد، كان الإصرار على توسيع سلطات الملك في ١٩٣٨-١٩٣٩ بمثابة اعتداء على الديمقراطية المصرية. وهكذا، يشير تقييم للمناخ العام في صعيد مصر في مارس ١٩٣٩ إلى" أن شعبية الملك فاروق لا شك قد تراجعت بشكل كبير"، وهو تراجع يعتبره التقرير في جانب منه "رد فعل طبيعيا من جانب الطبقة الوسطى المتعلمة من المصريين على توجهات جلالته الاستبدادية ... هناك فوق ذلك تخوف حقيقي بين الطبقات المتعلمة من سعيه نحو نوع أناني ومتعصب من الاستبداد يرمي إلى تمجيد أسرة محمد علي بدلا من خدمة مصالح مصر".[١١٩] ويشير تقرير مشابه عن المناخ العام في الوجه البحري في مايو ١٩٣٩ إلى عدم اكتراث، وليس عداء، بالملك فاروق: "لا يثير الملك، على ما يبدو، أي حماس شعبي هذه الأيام،

لكن ليس هناك ما يشير إلى تراجع شعبيته، باستثناء مديرية الشرقية" (حيث أدت قيادته المتهورة لسيارته إلى مصرع طفل).(١٢٠)

على عكس ضحالة جذور شعبية الملك، كانت جذور الوفد أكثر عمقا. وكان للانشقاق والاضطراب الذي شهده عام ١٩٣٧ أثره العكسي على موقف الحزب لكنه لم يعن بالضرورة أي زيادة في شعبية منافسيه. وكما يشير تقرير ديسمبر ١٩٣٧ عن المشاعر السياسية في وجه بحري، إلى أن "من المشكوك فيه أن يكون الوفد بقيادة النحاس قد خسر كثيرا من أرضيته، لكن ليس هناك، باستثناء المناطق المجاورة للقاهرة، ما يشير بقوة إلى أن ما خسره الوفد ذهب إلى أي من الأحزاب الأخرى".(١٢١) وفي صيف ١٩٣٨، أدت الخلافات بين الأحزاب المؤلفة للحكومة وتدخل الملك في شئون الحكومة إلى طفرة نسبية للوفد.(١٢٢) وفي نوفمبر، كان تقدير السير مايلز لامبسون هو "لم تتحول غالبية جماهير البلاد عن وفديتها. صحيح أن السياسة الخاطئة والإدارة السيئة من جانب النحاس ومكرم أبعدت قطاعا كبيرا من المؤيدين الأكثر تعلما، لكنهم لم يجدوا ما يجذبهم إلى الأحزاب غير الوفدية".(١٢٣) ويختتم السفير تقصيه عن المشهد السياسي في بدايات ١٩٣٩ بالقول "لقد فقد المصريون إيمانهم بالأحزاب السياسية، بما في ذلك الوفد، لكنهم لم يجدوا بديلا للوفد، الذي يظل بالنسبة لهم رمز وحصن انعتاقهم ... الجميع تقريبا يكرهون حكم القصر، لكن حماسهم للنظام البرلماني اختفى".(١٢٤) وبحلول منتصف ١٩٣٩، كان الوفد يجني ثمار هذا الإدراك المتزايد لطموحات الملك: "لم يضعف موقف الوفد في البلاد بشكل ملحوظ: عززت المخاوف من ديكتاتورية الملك ، ربما بصورة مؤقتة، الرغبة الشعبية في المزيد من الحكم الدستوري الحقيقي".(١٢٥)

ومسألة المدى الذي كان البلاط المصري يود توسيع سلطاته على حساب البرلمان والأحزاب في ١٩٣٨-١٩٣٩ مسألة محيرة. ومن المؤكد أنه كان هناك

افتراض عام في ذلك الوقت بأن هذا سيتحقق بالاستناد إلى شعبية الملك. وكما أبلغ إسماعيل صديق مسئولا بريطانيا في فبراير ١٩٣٨، فإن "هناك عاملاً من عوامل السياسة المصرية لا ينبغي التقليل من شأنه الآن وهو أن جلالته يرغب ويصر على لعب دور فعال في السياسة المصرية".[١٢٦] وفي منتصف ١٩٣٨، أشارت صحيفة المصري الوفدية إلى أن القصر اقترح تشكيل لجنة تحكيم لتحديد حقوق كل من العرش والوزارة بمقتضى الدستور.[١٢٧] ورفض رئيس الوزراء محمد محمود الفكرة.[١٢٨] وفي أغسطس ١٩٣٨، أثير نقاش عام حول إمكانية توسيع سلطات الملك على حساب البرلمان، عندما ادعت مجلة آخر ساعة الأسبوعية أنه نظرا لعدم الاستقرار الوزاري "ترى شخصية كبيرة في القصر أن أفضل سبيل هو تعليق البرلمان وترك الملك يحكم بنفسه". وعندما طالبت صحيفة المصري الوفدية بتوضيحات حول الاقتراح غير الدستوري، سارع مسئولو الحكومة بإصدار تصريحات تؤكد على احترام الملك لدستور ١٩٢٣.[١٢٩]

إن أفضل توثيق لبعد من أبعاد حملة القصر لتعزيز سلطة الملك هو ذلك المجهود المبذول لتعزيز سلطة فاروق من خلال استخدام الرموز والادعاءات الدينية. وقد تواصلت حملة "خلق هالة حول الملك فاروق" حتى ١٩٣٨ و١٩٣٩.[١٣٠] وفي المجال الخارجي، بذلت مجهودات واعية لتقديم فاروق بوصفه الشخص المناسب لتولي خلافة المسلمين. (كانت الخلافة العثمانية قد ألغيت على يد الحكم الجديد في تركيا في ١٩٢٤، وفشلت الجهود اللاحقة في العشرينيات للفوز بالمنصب من جانب عدد من حكام المسلمين، ومن بينهم فؤاد والد فاروق). وتصدى المراغي شيخ الأزهر لهذا المسعى. وفي خطبه ولقاءاته في أوائل ١٩٣٨، روج المراغي لأفكاره عن إحياء الخلافة في شكل حديث.[١٣١] وقدم المراغي أفكاره حول إحياء الخلافة للعديد من الحكام المسلمين الأجانب في ١٩٣٨،

كما ساعدت تلك البعثات التي أرسلها الأزهر إلى البلاد الإسلامية الأخرى في أواخر الثلاثينيات في الترويج للفكرة.(١٣٢)

ومن الواضح أن مناورة الخلافة كان لها تداعياتها في الداخل. ورصد السير مايلز لامبسون هدفين من وراء جهود الشيخ: "أولا، تقوية موقف الملك فاروق في مصر بحمله منصب الخليفة؛ وثانيا، نشر النفوذ المصري في البلاد العربية". ويرى لامبسون أن الهدف الأول "ربما كان الأكثر أهمية من وجهة نظر المراغي".(١٣٣) وكانت هناك جهود عديدة للترويج لفكرة تولي فاروق منصب الخلافة استهدفت الرأي العام المصري: هتاف أثناء صلاة الجمعة، وغالبا بتشجيع من الإمام المراغي، للملك ونعته بـ "أمير المؤمنين"، وهو تعبير يرتبط تقليديا بالخليفة؛(١٣٤) ألقى المراغي بيانا إذاعيا في ذكرى ميلاد الملك، دعا فيه إلى اتخاذ نظام الحكم في مصر وجهة أكثر إسلامية؛ وهو ما أثار مجددا مسألة السيطرة المزعومة للأقباط على الوفد (١٣٥) ؛ أشادت تصريحات زعماء مصر الفتاة بالملك باعتباره "أصلح" مرشح لإحياء الخلافة، وأعلنوا "إننا ندعو إلى أن تتزعم مصر العالم الإسلامي وأن يكون الملك خليفته".(١٣٦)

وقد بلغت الحملة من أجل تنصيب فاروق خليفة للمسلمين ذروتها في أواخر ١٩٣٨ وأوائل ١٩٣٩. وعند افتتاح المؤتمر البرلماني العالمي للبلاد العربية والإسلامية للدفاع عن فلسطين، المنعقد في القاهرة في أكتوبر ١٩٣٨، هتف الحضور (وكان يتألف إلى حد كبير من أعضاء الجمعيات الإسلامية المصرية) مجددا لفاروق "أمير المؤمنين".(١٣٧) وأعلن أحد التقارير عند انتهاء المؤتمر أن موضوع الخلافة نوقش في جلسات خاصة بين الوفود الإسلامية التي حضرت المؤتمر، واقترح أحد المندوبين عقد مؤتمر دولي لتنصيب الملك فاروق خليفة للمسلمين.(١٣٨) وفي يناير ١٩٣٩، بمناسبة التجمع الاحتفالي الذي أقيم بمسجد محمد

علي للوفود العربية المتجهة إلى لندن لحضور مؤتمر سان جيمس حول فلسطين، تولى الملك فاروق إمامة المصلين على عادة الخلفاء؛ وبعد الصلاة أشاد الحضور به وهتفوا "عاش الخليفة".(١٣٩) وكان من الملامح المشئومة لهذا الحدث حضور عدة مئات من ضباط الجيش بالمسجد، وأثار وجودهم المخاوف من احتمالات تسييس الجيش المصري كحليف للملك.(١٤٠) وكما كان الحال مع المؤتمر البرلماني العالمي في أكتوبر، تلا احتفالية المسجد في يناير الكثير من التعليقات الصحفية حول إمكانية عقد مؤتمر إسلامي لاختيار خليفة جديد.(١٤١)

وقد صاحب الضجيج المثار بسبب اقتراح تنصيب فاروق خليفة في أوائل ١٩٣٩ تأكيد الملك نفسه علنا على الحاجة إلى إعادة توجيه السلطة السياسية داخل مصر نفسها. وفي ٢٢ فبراير، وبمناسبة العام الهجري الجديد، هنأ فاروق شعبه بهذه المناسبة عبر الإذاعة المصرية. ويعكس البيان، الذي أذيع بينما كان علي ماهر في لندن، والذي يقال: إن فاروق كتبه بنفسه تحت إشراف البنداري، نفوذ غريم ماهر داخل معسكر القصر.(١٤٢) وعبر فاروق، الذي أكد أن "الثقة والإيمان" ضروريان للنجاح القومي، عن قناعته الشخصية بأن "شباب مصر يتقدم بثقة نحو المجد، وسيدون صفحة لا تنسى في تاريخ الأمة. إنهم هم الذين يحققون كل أحلام هذه الأمة العظيمة، مصر العظيمة والمجيدة. وتحقيق هذا الحلم يعتمد على الشباب وحدهم".(١٤٣) وسرعان ما أثار الخطاب التخمينات بأن القصر على وشك الشروع في إصلاح النظام البرلماني بطريقة تعزز من دور الملك الشاب في الحكم.(١٤٤)

وتمثل المبادرتان المزدوجتان في أوائل ١٩٣٩ ـــ التأكيد على أحقية فاروق في الخلافة ومناصرة الملك للشباب، ومنهم هو نفسه، كقوة لا غنى عنها في المستقبل ـــ ذروة جهود القصر لتعزيز دور الملك على حساب الأحزاب السياسية، وكذلك النظام البرلماني القائم. والأهم هنا هو أن المبادرتين قوبلتا برد فعل سلبي

من جانب أنصار مهمين. فقد غضب علي ماهر، الذي كان ينافس البنداري على أذن الملك والذي لم تبلغ أفكاره عن توسيع سلطات الملك المدى الذي بلغته أفكار البنداري، من تنامي نفوذ البنداري في القصر أثناء غيابه في لندن. وعند عودته من مؤتمر سان جيمس في مارس، أشار مصدر موثوق بالقصر على صلة بالبريطانيين إلى مواجهة غاضبة بين ماهر وفاروق حول خطاب فبراير، غضب أثناءها ماهر، و"اتهم البنداري بقسوة بالإيقاع بينه وبين الملك".(١٤٥) وهدد ماهر لاحقا بالاستقالة من منصبه كرئيس للبلاط. وربما لإدراكه حاجته إلى صلات ماهر وتكتيكاته الحاذقة في الحفاظ على وضعه على الساحة السياسية الداخلية، حل فاروق المسألة بإبعاد البنداري عن منصبه بالقصر وعينه سفيرا لمصر في بروكسل.(١٤٦)

كان طرد البنداري من القصر نهاية للجهود العابرة التي بذلها فاروق لتقديم نفسه كبطل لحركة الشباب ولإحداث تغيير أساسي في مصر. وعلى الرغم من أن فاروق ظل متعلقا بأفكار تعزيز سلطته في الداخل على حساب الأحزاب السياسية، فإنه فعل ذلك منذ تلك اللحظة بطريقة أكثر تقليدية (١٤٧). لكن انتصاره على البنداري، والمواجهة بشأن خطاب الملك في فبراير، أضعف موقف ماهر المساند لفاروق مؤقتا، وجعله يسعى لإصلاح علاقته برئيس الوزراء محمد محمود، وإعادة العلاقات مع الوفد.(١٤٨) وعلى عكس ما كان الحال عندما كان الوفد في السلطة في ١٩٣٦-١٩٣٧، كان القصر الملكي في قمة نفوذه في ١٩٣٨-١٩٣٩ وكان قوة سياسية تعاني من الانقسامات الداخلية التي أضعفت قدرته على توسيع سلطات الملك.

بحلول ١٩٣٩، كانت حملة الملك فاروق بوصفه المرشح الأمثل لإحياء الخلافة قد خفتت. وداخليا، التقت مع نقد ومعارضة كثير من مؤيدي النظام

الدستوري العلماني بالأساس. وكان التفكير في فاروق بوصفه خليفة للمسلمين، بكل ما يتضمنه من زيادة الدور الدولي وبالتالي إكساب الملك الهيبة في الداخل، لعنة على الوفد. وفي الصحافة، انتقدت صحيفة الجهاد الوفدية في افتتاحيتها التهليل لفاروق ووصفه بـ "أمير المؤمنين" وهاجمت "مسألة إحياء الخلافة" في مصر بوصفها "مناورة متعمدة لإلهاء المصريين عن المسألة الدستورية"، ولأنها "ستقابل بالريبة من جانب الدول الأخرى الناطقة بالعربية" (١٤٩). كذلك لم تجد فكرة خلافة فاروق ترحيبا من أحزاب مصر غير الوفدية، وخاصة الليبراليين والسعديين، التي تولت الحكم معظم فترات ١٩٣٨-١٩٣٩. وعبر رئيس الوزراء محمد محمود وعدد آخر من وزراء الحكومة، سرا، عن قلقهم من مناورة من شأنها إضعاف مجمل النظام البرلماني في مصر.(١٥٠) وعارضت الصحف المرتبطة بكل من الليبراليين والسعديين فكرة إحضار الخلافة إلى مصر عند طرحها في المؤتمر البرلماني العالمي في أكتوبر ١٩٣٨، ومرة أخرى عندما اجتمع الموفدون العرب إلى مؤتمر سان جيمس في القاهرة في يناير ١٩٣٩، معتبرين الخلافة مؤسسة لن تفعل أكثر من تحميل البلاد التزامات دولية غير ضرورية.(١٥١) وبعد احتفالية المسجد في يناير ١٩٣٩، التي هتفوا فيها للخليفة فاروق، والتي حضرها عددٌ من ضباط الجيش، استدعى رئيس الوزراء محمد محمود كبار الضباط، وتحدث إليهم عن ضرورة تفادي التورط في السياسة الداخلية (١٥٢). ورغم المنافسة السياسية بينهم، أكد زعماء أحزاب مصر الشرعية على تمسكهم بالنظام البرلماني الذي كانوا أكثر المستفيدين منه، ورفضوا زعامة الملك فاروق للعالم الإسلامي.

كما يبدو أن حاشية الملك لم يكن كل أفرادها شديدي الحماس لفكرة تولي فاروق الخلافة. ويبدو أن علي ماهر، بصفة خاصة، كان له تحفظات على مناورة الخلافة. وعلى الرغم من إعلان أحد المصادر الوفدية المعادية أن علي ماهر هو

"الراعي الرئيسي للفكرة"،[153] فإن الأدلة الأخرى تثبت أن الشيخ المراغي كان الملهم والمدافع الأول عن هذه الفكرة. ومن المؤكد أن الشيخ روج للفكرة علانية. ويشير أحد التقارير البريطانية إلى أن ماهرًا كان "قلقا، بالأحرى من حملة الشيخ المراغي الإسلامية"،[154] ويعزو عبد الرحمن عزام، زميل ماهر المقرب، فيما بعد، مبادرة الخلافة إلى المراغي، بينما يؤكد على أن "علي ماهر وغيره يواصلون جهودهم لكن أحدا منهم لم يأخذ المسألة على محمل الجد".[155]

كما قوبلت تطلعات فاروق إلى الخلافة بمعارضة دولية. ومنذ الشائعات الأولى عن نية القصر السعي من أجل فوز فاروق بالخلافة، تحدثت التقارير البريطانية عن احتمال معارضة الدول الإسلامية الأخرى، وتركيا والسعودية بصفة خاصة[156] . وفور الهتاف للملك بوصفه الخليفة عقب صلاة الجمعة في يناير ١٩٣٩، أصدرت الخارجية التركية بيانا أدانت فيه أي محاولة لإحياء الخلافة.[157] ومن بين الدول العربية، كان المندوبان السعودي واليمني في القاهرة في احتفالية يناير يشعران "بضيق كبير" بسبب الاحتفال، حيث شعرا بأن "مشاركتهما" تعرضت "للمناورة".[158]

لقد كتبت هذه المعارضة الداخلية والدولية نهاية حملة القصر المصري من أجل الخلافة. وخلال أيام معدودة من واقعة المسجد في يناير ١٩٣٩، أصدر سفير مصر في لندن نفيا رسميا يفيد بأن "مسألة تولي جلالته خلافة المسلمين غير محسومة"[159]. وتشير التقارير التي وصلت إلى البريطانيين بعد الواقعة إلى أن علي ماهر يشعر الآن بأن التطرق لفكرة تولي فاروق خلافة المسلمين "سابقة لأوانها" على ضوء العداء الذي قوبلت به.[160] وقد ماتت فكرة اختيار فاروق خليفة للمسلمين فعليا في أوائل ١٩٣٩.

ومن علامات محدودية تيار الرأي المحبذ للوسائل الأكثر ديكتاتورية لحكم مصر أنه لم يحدث تغيير ملموس في التوزيع الدستوري للسلطة بين البرلمان والملك قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية. وسرعان ما قوبلت مجس الملك المتردد في الاتجاه نفسه في منتصف ١٩٣٨ (عندما تقدم القصر باقتراح لتشكيل لجنة لإعادة تحديد سلطات الملك والوزارة) بالرفض من جانب الحكومة، ولم يعد إلى السطح قبل قيام الحرب. وكما سبق أن لاحظنا، فإن القلق العام في ١٩٣٩ من "اتجاهات الملك الاستبدادية" ومن "ديكتاتورية القصر" المحتملة، أسفر عن رد فعل عام محبذ للحكم الدستوري البرلماني.(١٦١)

ويبدو للوهلة الأولى أن استقالة محمد محمود في أغسطس ١٩٣٩ وحلول وزارة محلها برئاسة رجل الملك علي ماهر زاد من احتمال تقنين تعزيز الدور السياسي للملك. وقد ورد أقرب شيء لشرح مدى طموحات فاروق الاستبدادية مع اقتراب نهاية فترة بين الحربين في نقاش بينه وبين مسئول بريطاني في ٢٠ أغسطس، بعد يومين من تولي علي ماهر الوزارة.

قال الملك إنه رغم إعجابه المحدود بالديكتاتوريات الأوروبية، فمن المستحيل القول إن البلاد الديمقراطية تتمتع بكل المزايا. هناك بعض الأشياء الجيدة في كل نظام، وفي ظل الظروف الحرجة التي نشهدها، فمن الأفضل لمصر الابتعاد عن مثل تلك الإجراءات الديمقراطية التي ثبت عدم نفعها أو قابليتها للتطبيق واستبدالها بشيء مدروس كي "تتقدم".

لكن فاروق سارع بالإشارة إلى أن الأهداف المتخيلة للوزارة الجديدة ملائمة في نطاق التنافس السياسي بين الملك والأحزاب كما هي منذ بداية النظام البرلماني: "أصبح البرلمان (الذي يعني به جلالته، دون شك، مجلس الشيوخ الذي يسيطر عليه الوفد) مجرد جمعية للجدل ذات اتجاه واضح للاعتراض، وكثير من

الموظفين الدائمين لا يفعلون أكثر من قبض رواتبهم. وعلي ماهر باشا مصمم على أن يذيقهم طعم كوكتيله من خلال حفزهم على المزيد من الجهد النـشط والفعـال". وواصل الملك كلامه مطمئنا محاوره البريطاني بأن لا هـو ولا رئـيس الـوزارة الجديد يسعيان إلى القضاء على النظام البرلماني: "طلب مني جلالتـه ألا أصـدق الشائعات بـأن الديكتاتوريـة التـي تتحـدث عـن الـشروع فـي إقامـة نظـام ديكتاتوري".(١٦٢)

وأيا كان رأي فاروق في عدم ملاءمة النظام البرلمـاني القـائم، فقـد ظـل البرلمان يراقب أي حركة باتجاه أكثر استبدادا في الحكم حتى فـي وزارة ١٩٣٩-١٩٤٠ برئاسة علي ماهر. وكانت وزارة مـاهر فـي أغـسطس ١٩٣٩ مؤلفـة بالأساس من ٨ وفديين و٥ من السعديين. ولم تكن الكتلة السعدية في الوزارة، وهـم من الوفديين السابقين المتمسكين بتعهد الوفد التقليدي بـ "حرمة الدستور"،(١٦٣) مـن المؤيدين لفكرة مأسسة الاستبداد الملكي. وفي أكتوبر، انحسر مجددا احتمال تغييـر كبير عندما انضم الأعضاء الليبراليين ـ الأقل حماسة للدفاع عن سطوة البرلمـان وفي الوقت نفسه لا يساندون إحداث تغييرات دستورية كبيرة ـ إلى الوزارة. وكان مجلس الشيوخ، حيث احتفظ الوفد بالأغلبية، بمثابة عقبة أخـرى أمـام أي تحـرك باتجاه حكم أكثر استبدادا.(١٦٤) وجاءت إحدى علامات محدودية الاحتمالات الحقيقية لمزيد من الاستبداد في مصر مع نهاية الثلاثينيات، عنـدما انتقـد الملـك فـاروق الغاضب زعماء البرلمان مما رآه استقبالا فاترا لخطبة العرش السنوية في نـوفمبر ١٩٣٩، حيث اجتمع أعضاء من مجلـسي الـشيوخ والنـواب بـرئيس الـوزراء للاحتجاج على موقف الملك "غير الدستوري"؛ طمأنهم الأخير على الفور بأن ذلـك السلوك الاستبدادي لن يتكرر مرة أخرى.(١٦٥) وأخيرا وبحـسم، أصـبح احتمـال إجراء تغيير دستوري مقيدا بوجود بريطانيا في مصر، ذلـك الوجـود الـذي زاد

وتوطدت ركائزه في الشئون الداخلية المصرية مع اندلاع الحرب في سبتمبر ١٩٣٩. وكانت بريطانيا هي التي قامت في النهاية، في يونيو ١٩٤٠ عندما دخلت إيطاليا الحرب، بإخراج رجل الملك علي ماهر من الوزارة بسبب ميوله وعلاقاته الموالية لإيطاليا، الأمر الذي مكن من حكم مصر عبر وزارات موالية لبريطانيا طوال فترة الحرب.

وفي الختام، نرى أن القول إن أواخر الثلاثينيات شهدت تدهور الوفد وما ترتب على ذلك من تنامي سلطة الملك قول صحيح في عمومه لكنه في حاجة إلى التوثيق الملموس.[١٦٦] وبينما نجح الملك فعليا في التدخل بصورة أكثر مباشرة في إدارة النظام السياسي في ١٩٣٨-١٩٣٩ عما كان عليه الحال عندما كان الوفد في السلطة في ١٩٣٦-١٩٣٧، كان تلاعب الملك بالمنافسات الحزبية غير مسبوق؛ كان الملك فؤاد قد فعل هذا في عهده وحقق نجاحا كبيرا، خاصة في أوائل الثلاثينيات. وكانت مقدرة القصر على تشكيل مسار السياسة العليا في أواخر الثلاثينيات قائمة على مزيج من الحماس العام العابر لعاهل شاب لم يتلوث بعد واستياء عام من مشاحنات الأحزاب السياسية القائمة.

ولم يرق تدخل الملك في أمور الحكومة إلى حد التحكم والهيمنة على الحياة العامة الذي كان يحدث في الأنظمة الاستبدادية عبر المتوسط. ولم يكن الملك فاروق يمتلك روح القيادة والكاريزما الشخصية، أو الموارد المؤسسة على شكل حركة جماهيرية شديدة الولاء، المتوفرة للديكتاتوريات الأوروبية المعاصرة. ولا كان له، على ما يبدو، أجندتهم الأيديولوجية. وعلى الرغم من أن الشهادة بعد الواقعة تكون موضع شك، فإن الشخص الذي يعزى إليه صياغة الدوافع الأيديولوجية، محمد كامل البنداري،[١٦٧] يدعي لاحقا أنه لا هو ولا فاروق كانا يفكران من منظور فاشي عندما طرح الملك أفكاره حول الإصلاح الدستوري

وضخ "دم جديد" في الحكم في ١٩٣٩.[١٦٨] وميول فاروق الاستبدادية بحاجة إلى وضعها في حجمها الواقعي؛ الملك المصري الشاب لم يكن موسوليني أو هتلر. يضاف إلى هذا أن النمو التدريجي لسلطة الملك أدى بمرور الوقت إلى رد فعل عكسي تجاه قيام نظام استبدادي يهيمن عليه القصر في كيان مصر السياسي القائم على التعددية. وفي مواجهة احتمال تعزيز الملك لسلطته السياسية، زاد تمسك المصريين بسيادة الحكم البرلماني. كل هذا فرض قيودا مشددة على احتمالات أي تحرك باتجاه الاستبداد في مصر.

ويؤكد اجتماع تصاعد التنافس السياسي والأيديولوجي بين الديكتاتوريات الأوروبية والديمقراطيات الغربية من ناحية، وتطلعات القصر المصري لتطور نظام الحكم في مصر باتجاه أكثر استبدادا، على أن المفاضلة بين كل من الديمقراطية والديكتاتورية كانت مسألة حيوية بالنسبة للمصريين في أواخر الثلاثينيات. في تلك السنوات، كان لكل من السياق الخارجي (زخم لا يتوقف للنظم الفاشية دوليا) والداخلي (خيبة الأمل في الأحزاب السياسية القائمة والسعي الموازي من جانب القصر لتعزيز سلطته) أثره التراكمي. دوليا، كانت إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية، في ١٩٣٨-١٩٣٩، تحرزان النصر السياسي تلو النصر؛ كانت جاذبية الديكتاتورية كوسيلة لتحقيق نتائج مؤثرة في ذروتها. وغذت مثالب النظام البرلماني القائم الرغبة في إصلاح جوهري مركزه ملك يحظى بشعبية كبيرة آنذاك. ونظرا لاجتماع ثقل الاندفاع الفاشي على الساحة الدولية والتطلع إلى حكومة في الداخل أكثر كفاءة، اكتسب التساؤل عن أي النظم السياسية أفضل لمصر أهمية قصوى عند المهتمين بالسياسة من المصريين.

وشكل التوتر بين النظرية والواقع، بين القيم النبيلة السائدة في الرطانة السياسية وواقع النظام السياسي المتردي كما ظهر في الممارسة، إطارا للحوارات

المصرية حول الديمقراطية مقابل الاستبداد في أواخر الثلاثينيات. وفي حين كانت مزايا وعيوب الديمقراطية والفاشية بصورتها في الخارج هو الموضوع الظاهر للحوار المصري، كان السؤال الضمني هو عن مدى صلاحية الأوتوقراطية غير الليبرالية لمصر نفسها. فإذا كانت الديمقراطية البرلمانية بصورتها في مصر معيبة، فلماذا نبقي على هذا النظام؟ هل هناك نماذج أفضل يمكننا اتباعها؟ ما الذي يمكن أن تتعلمه مصر من نظم ديكتاتورية باطشة وفعالة على ما يبدو كتلك التي ظهرت في أوروبا؟ هل البديل الاستبدادي للديمقراطية النيابية أنسب للواقع السياسي المصري؟ وباختصار، هل الفاشية مقبولة وصالحة كي تحل محل الديمقراطية البرلمانية في مصر نفسها؟ على الصفحات التالية، نجد تفصيلا للإجابات المصرية عن هذه الأسئلة.

الجزء الثانى

الديكتاتورية مقابل الديمقراطية
فى الخطاب المصرى العام

مـــدخـل

المجال العام والخطاب العام في مصر بين الحربين

تطور الخطاب المصري المتعلق بالديكتاتورية والديمقراطية في إطـــار مجال عام يتسم بالنضج والجدية خاصة في فترة بين الحـــربين العـــالميتين. وبفضل انتشار الصحف المطبوعة، والمصرية منها بالأساس التي ازدهـــرت آنذاك، انخرط المجتمع المدني المتطور في عملية كان مـــن شـــأنها توســـيع وتعميق الحياة العامة والخطاب العام الدائر في إطارها.

وتعتمد أي مناقشة للحياة العامة والخطاب العام علـــى عمـــل باحـــث الاجتماع الألماني يورجن هابرماس والبحث في طبيعة المجال العـــام الـــذي أثاره في دراسات العلوم الاجتماعية والثقافية. ومنذ صدور دراسة هابرمـــاس المبتكرة "التحول البنيوي للمجال العام"، تعرضت نظريات هابرماس للتنقـــيح والمراجعة، حتى من قِبل هابرماس نفسه. ودراستنا النقدية للساحة المـــصرية العامة تستلهم فطنة هابرماس، وتستعين بالنقاشات الأكاديمية الخـــصبة التـــي ظهرت بعد كتابه. ونظرية هابرماس تتناول أوروبـــا بالأســـاس؛ مـــن هنـــا سنحاول بحذر وانتقائية تكييفها على ضوء تجربة مصر الفريدة.

في كتابه "التحول البنيوي للمجال العام"، يتحرى هابرمـــاس التطـــور التاريخي للمجال العام في المجتمع الأوروبي. والمجال العـــام عنـــده تقـــسيم تاريخي مرتبط بتطور المجتمع البرجوازي الأوروبي. وكان تركيزه منـــصبا على المجال العام كمجال اجتماعي وثقافي منفـــصل ومـــستقل عـــن الدولـــة

ومؤسساتها الرسمية من ناحية، مجال يحتل المساحة المتمددة بين الدولة ومؤسساتها من ناحية وبين المجال الشخصي للفرد والأسرة من ناحية أخرى. وحسب تعبيره، فإن "المجال العام البرجوازي يمكن اعتباره في المقام الأول مجالاً للأشخاص حين يتجمعون كجمهور؛ وهم سرعان ما يطالبون بتنظيم المجال العام من أعلى في وجه السلطات العامة نفسها، للدخول معها في حوار حول القواعد العامة التي تحكم العلاقات، مخصص بالأساس لكنه على صلة بمجال تبادل البضائع والعمل الاجتماعي". [١] وكان هابرماس يعتبر السمات الأساسية للمجال العام ـ العلنية، والوضوح، والتواصل، والتمثيل ـ تعبيرا عن الحداثة؛ وعليه، يكون المجال العام كيانا حديثًا بوضوح. [٢] وفي تحليله التاريخي، يرى هابرماس أنه مع مرور الوقت، وظهور مجتمع الجماهير وسياسة الجماهير، كان من شأن تتجير الثقافة أواخر القرن التاسع عشر وبصفة خاصة في القرن العشرين، والانتقال من الميديا المطبوعة إلى الإلكترونية والميديا المرئية الجماهيرية، تغير المجال العام بقوة (وبالتالي "تحول" اسمه "بنيويا")، وعانى "التفكك" و"الانهيار" التام في النهاية. [٣] ويرى هابرماس أن التحول مما يطلق عليه "الجدل الثقافي" إلى "جمهور مستهلك للثقافة" يعني "تفكك الحياة العامة البرجوازي". [٤]وكان منهجه، المستلهم من مدرسة فرانكفورت لأدورنو وهوركهيمر، متشائمًا تاريخيًا، إن لم يكن سوداويًا.

أثار كتاب هابرماس نقاشًا أكاديميًا عميقًا حول المجال العام والخطاب العام. وخلال العقدين السابقين بشكل خاص، تولى النقد التحليلي مراجعة وتوضيح حدود وسمات المجال العام. [٥] وأدى النقاش الأكاديمي للمجال العام إلى توسيع المفهوم من مجال محدد تاريخيا يتعلق بأوروبا إلى آخر قابل للتطبيق على المجتمعات الحديثة عموما. وبالتحرك إلى ما وراء السياق

الأوروبي الذي اهتم به هابرماس، أعادت نانسي فريزر تعريف المجال العام على النحو الآتي: "إنه يعد المسرح الذي ستجري عليه المشاركة السياسية في المجتمعات الحديثة بواسطة الكلام. إنه فضاء يتشاور فيه المواطنون في شئونهم العامة، وهو بهذا ساحة ممأسسة للتفاعل المنطقي. وهذه الساحة تختلف مفاهيميًا عن الدولة؛ إنها موقع لإنتاج وترويج خطابات يمكن أن تكون منتقدة للدولة بالأساس ". (٦)

إن النقاش الأكاديمي يكيف أو يعدل مفهوم الحياة العامة من جوانب مهمة. وهو يبين أن نموذج هابرماس لتدهور وتفكك المجال العام مغالى فيه. وأن هناك واقعًا مستمرًا وحيوية للمجال العام حتى في فترة "ما بعد البرجوازية"، لكنه كان مجالا مفتوحا وعلى اتصال بقطاعات المجتمع الحديث الأخرى. وبينما اختزل هابرماس الحياة العامة في كيان مفرد ومتجانس، يظهر الباحثون أنه مجموعة من المجالات أو مركب من مجموعة من المجالات العامة المختلفة توجد في نطاق مجتمع واحد. وتمييز هابرماس الحاد بين الدولة والمجتمع، وبين مؤسسات الحكم الرسمية والكيانات غير الرسمية أو غير الحكومية، مشوش. ففي الواقع التاريخي، تكون الحدود بين الرسمي وغير الرسمي أكثر مسامية ونفاذا. وبينما يرى هابرماس هذا التشوش بوصفه عملية تفكيك، ويرى نقاده أن هذا التشوش ضروري لطبيعة المجال العام، وجانب يمكنه من البقاء واستمرار تفاعله مع الدولة.

كان اهتمام هابرماس منصبا على المجال العام البرجوازي كما تطور في أوروبا. وباستخدام استنتاجات نقاده، نقترح إطارا يمكن فيه تطبيق مفهوم المجال العام على مصر وغيرها من مجتمعات الشرق الأوسط. (٧)

وبمعناه المعدل، فمن المؤكد أن المجال العام كما يراه هابرماس كان قائما في مصر في فترة بين الحربين. وبإعادة ضبط مصطلح هابرماس "المجال العام البرجوازي"، يمكننا تحديد المجال العام المصري المحدد بوصفه المجال العام للأفندية. فقد كان أفندية مصر أبرز طائفة اجتماعية تشارك في المجال العام المصري ــ هي التي أنشأته، وحافظت عليه، وشكلته، وأعادت تشكيله. وخلال فترة بين الحربين، لعب الأفندية دورا رئيسيا في إنتاج ونشر الخطاب العام لتلك الفترة.

وكانت كلمة أفندي، اليونانية الأصل، تستخدم في الدولة العثمانية للإشارة إلى موظفي الدولة. وفي القرن التاسع عشر، صارت تنطبق على "الرجال الجدد"، طائفة موظفي الدولة التي ظهرت نتيجة تحديث نظام محمد علي وخلفائه. وبمرور الوقت، أصبح يسري على الأعداد المتنامية من المصريين الذين ارتبطوا، بفضل التعليم والاحتلال، بالدولة الحديثة، الذين يشكلون جزءًا منها، والاقتصاد الحديث والمجتمع المتطور في مصر. وكانت كلمة *أفندي* التي تشمل هؤلاء، المقيمين بالأساس في المناطق الحضرية، من المهنيين (أطباء ومحامين) الذين تلقوا تعليما غربيا، والذين يعملون غالبا، وإن لم يكن دائما، في خدمة الدولة (موظفين ومهندسين ومدرسين)، ويتميزون بزيهم الغربي (المطربشين) عن (المعممين) التقليديين، بنية اجتماعية وثقافية تشير إلى التعليم والمهنة "الحديثة" وأسلوب الحياة واتجاه الحياة "الحديث" التي يتمتع بها من ينطبق عليهم اللفظ. [٨]

على عكس نموذج هابرماس للمجال العام البرجوازى الذي ظهر بعيدا عن الدولة وفي مواجهتها، لم تظهر الحياة العامة التي هيمن عليها الأفندية بعيدا عن الدولة. وبتطورهم إلى فئة اجتماعية خلال القرن التاسع عشر، مدَّ

الأفندية جذورهم في التعليم وخدمة الدولة. وحتى مع اتساع الفئة عبر الزمن، ظل كثير من أفرادها يشغلون أو يتطلعون إلى شغل المناصب الحكومية. وقد عمل كثير من الأفندية البارزين في الحكومة أو كانوا أعضاء بالأحزاب السياسية المتنافسة على السيطرة على الدولة. وتفاعل كثير من أفندية المجال العام مع مؤسسات ووكالات الدولة، وتعاونوا معها، واختلفوا أيضا معها.

وخلال فترة بين الحربين، قدم أفندية مصر صورة جماعية قوية للذات. وبمرور الوقت، اكتسب الأفندية وعيا ذاتيًا واضحًا بأنهم، أكثر من أي جماعة اجتماعية أخرى، ممثلون حقيقيون للجماعة الوطنية المصرية. هم، وهم وحدهم، الذين عبروا عن الصالح العام؛ هم، وهم وحدهم، الذين دافعوا عن المصالح المشتركة العامة للأمة. والشخصية الكاريكاتيرية المصري أفندي، التي ظهرت كثيرا في الإصدارات المصرية المرسومة في الثلاثينيات بوصفها "المصري العادي"، المعبر عن كامل الأمة، كانت الصورة النموذج التي تعكس ـ بقدر من التهكم والسخرية من النفس ـ الصورة الجماعية للأفندية. (٩)

وعلى الرغم من أن الأفندية لعبوا الدور الأساسي في تحديد محتوى المجال العام في مصر، لم يكن هذا الدور مقصورًا عليهم وحدهم. فالمجال العام بطبيعته شامل. وقد أسهمت الجماعات المتعلمة في المجتمع المصري في الخطاب المدني الذي تطور في إطار هذه الحياة: الأرستقراطية الزراعية، البرجوازية التجارية والمالية الوطنية (كانت قطاعات الاقتصاد الأخرى تهيمن عليها عناصر غير مصرية)، العلماء ذوو التعليم الديني، الطبقة الوسطى الحضرية الأكثر تقليدية من الحرفيين والتجار، وانضم عبر الزمن عدد محدود من ممثلي الجماعات الاجتماعية الأقرب إلى العامة

كالعمال. وانطلاقا من مصطلح نانسي فريزر، يمكن القول: إن هناك "دائما تعددية من المجالات العامة المتنافسة"، وإن التفاعل فيما بينها (الصراع والمواجهة وكذلك التفاوض والتسوية) كان من سمات الحياة العامة في مصر. كما كانت نانسي محقة في إشارتها إلى وجود "ساحات متضادة" داخل المجال العام، مجموعات تنتج وتنشر "خطابات متضادة" تتحدى الخطاب المهيمن وتجبره على مراعاة آراء الساحات التابعة. وفي التطبيق، اتسم التفاعل بين هذه الساحات المتضادة بـ "علاقات داخلية بين الساحات" إلى جانب "علاقات داخل كل ساحة". [١٠]

ومع زيادة أعدادهم تدريجيا وابتعادهم شيئا فشيئا عن الدولة، بلغ المجال العام لأفندية مصر مرحلة النضج في العشرينيات والثلاثينيات. وبعد أن كان مستقلا وتحركه دوافع داخلية، صار المجال العام مستوعبا ذاتيا إلى حد كبير ويتمتع بهوية مدنية واضحة. وكما هو الحال في نموذج هابرماس، حيث "كانت الصحافة هي أبرز مؤسسات المجال العام"،[١١] عبر المجال العام للأفندية عن نفسه من خلال صناعة شاملة للصحافة المطبوعة. وجعل الأفندية من الصحافة وسيلة الاتصال الجماهيري الرئيسية في مصر؛ سوقا للمعلومات العملية والمسرح الرئيسي للتعبير عن الرأي العام. وفي سنوات بين الحربين، كانت الصحافة (إذا استعرنا تعبير هابرماس) "منبرا للحوار النقدي العقلاني".[١٢] وفي ظل نظام ليبرالي برلماني حيث لم يخضع لقوانين مقيدة إلا فيما ندر، تمتعت الصحافة المصرية في فترة بين الحربين باستقلالية ملموسة عن سيطرة الدولة وبعيدا عن رقابتها. وعكس إنتاجها الضخم، الذي قدمته مئات الإصدارات، تنوعا ثقافيا كبيرا.

إلى جانب الصحافة، أسهم العديد من المؤسسات والمنظمات غير الرسمية في المجال العام المصري: جمعيات أهلية، مجموعات أعمال، نواد اجتماعية لخدمة مصالح واحتياجات شرائح مختلفة من المجتمع (الجاليات الأجنبية، الطوائف الدينية، النساء، الشباب، الفنانين والكتاب)، إلى جانب الجمعيات السياسية والثقافية والدينية. وكانت قنوات التعبير عن الرأي عديدة: المدارس، والمقاهي، والصالونات، والمسارح ودور السينما، والنوادي الاجتماعية من مختلف الأنواع. ومن الناحية الدينية، شارك المسلمون والمسيحيون واليهود؛ ومن حيث الجنس، بدأت النساء ينظمن أنفسهن ويلعبن دورا عاما؛ ومن ناحية الجنسية، أسهم الأهالي والأجانب على حد سواء؛ ومن ناحية الأجيال، أتيحت الفرصة للتعبير عن آراء كل المصريين شبابا وشيوخا. كل هذه الوكالات والمجموعات والهيئات الاجتماعية أسهمت في حيوية وقوة المجال العام في مصر العشرينيات والثلاثينيات.

لم يكن تزايد التواصل والمشاركة يعني "إصلاح العلاقات والآليات"، التي يؤكد هابرماس على حدوثها في أوروبا،[١٣] بل تعزيز أهمية الأفندية في المجال العام المصري. وتنامي المجتمع الجماهيري، والثقافة الجماهيرية، والإعلام الجماهيري في الثلاثينيات، كما يظهر من التوسع السريع في صناعة السينما، وظهور الإذاعة، وقدر أكبر من الحشد السياسي الجماهيري، لم يقوض التوجه الليبرالي لمجال الأفندية العام. وكان وكلاء الثقافة والسياسة الجماهيرية في الثلاثينيات في مصر من الأفندية بالأساس؛ وعزز تصدرهم لوسائل التعبير الجديدة تلك من هيمنة الأفندية على مجال عام يشهد التوسع، ومكنهم من فرض معاييرهم وتطلعاتهم على شرائح أوسع من المجتمع. وكان من شأن تنامي الميديا الجديدة واتساع أشكال التعبير السياسي توسيع وتعميق المجال العام للأفندية، والسماح للمزيد من الأفراد والجماعات بالمشاركة فيه.

والقول: إن المجال العام للأفندية بلغ ذروته في النصف الثاني من عقد الثلاثينيات موضع جدال. فوزارات "رجل القصر القوي"، إسماعيل صدقي، وكذلك استبدال دستور ١٩٢٣ الليبرالي بدستور ١٩٣٠ الأكثر استبدادا، فرضت قيودًا أكبر وبشكل مؤقت على الإعلام المصري. ومع سقوط وزارة صدقي في ١٩٣٣، وحلول وزارات أقل قمعا في ١٩٣٤-١٩٣٥، وخاصة بعد عودة دستور ١٩٢٣ وتوقيع معاهدة التحالف الأنجلو ـ مصرية في ١٩٣٦، الذي أسهم في انفتاح الحياة العامة، استعادت مصر قدرا أكبر من حيوية الإعلام وتنوعه. وقد دامت هذه اللحظة التاريخية حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩، والمسارعة بفرض الرقابة (إلى جانب نقص الورق أثناء الحرب) التي أعاقت بشدة تدفق وتنوع الآراء المختلفة المتداولة على ساحة المجال العام. ومن حيث تنوع واستقلالية التعبير، كانت أواخر الثلاثينيات من أوجه كثيرة العصر الذهبي للخطاب العام الطليق في مصر.

ويبدو أن "التحول البنيوي" للمجال العام للأفندية لم يحدث إلا بعد استيلاء الجيش على السلطة في يوليو ١٩٥٢. فبعد تحول مصر إلى جمهورية ثورية في الخمسينيات، وتبنيها رسميا لتوجهات اجتماعية واقتصادية اشتراكية في الستينيات، تدهور كثير من الهيئات والمؤسسات الليبرالية (الصحافة، والتعددية السياسية، والجامعة المستقلة، والاقتصاد الرأسمالي) أو انهارت. وبصفة خاصة، وضع التدخل الكبير من جانب الدولة في المجال العام، من خلال تأميم الصحافة المطبوعة والمرئية، نهاية المجتمع المدني والمجال العام الحر الذي ازدهر بين الحربين. وكان الزي هو رمز التحول: أصبح الطربوش، الدالة الأساسية على وضعية الأفندي، من المظاهر

الوضيعة للنظام القديم وسرعان ما استبدل به غطاء الرأس العسكري أو المدني.

وترمي دراستنا إلى تقديم فحص منهجي لأحد أهم جوانب الحياة العامة المصرية في لحظة تاريخية محددة. وتسعى إلى إعادة بناء الخطاب العام بشأن الديمقراطية والديكتاتورية الذي تطور أواخر الثلاثينيات، عندما استعاد المجال العام كامل حيويته. كما تناقش الأصوات المفردة وكذلك مدارس التفكير المعبرة عن الخطاب. وهذا الخطاب لم يكن الوحيد داخل المجال العام في ذلك الحين. فقد تشكل في إطار نسق متعدد من الخطابات المتداخلة، من بينها خطابات حول التوازن الأمثل بين التقليد والحداثة، ودور الدين في مصر الحديثة، وعلاقة مصر بالعالمين العربي والإسلامي، ووضع المرأة وحقوقها. وقد وفق علي الجندي في وصفه هذه الفترة من الجدل الفكري باعتبارها إحدى "المعارك الأدبية" ــ الخلاف حول المنظورات والتوجهات داخل كل من "المجال العام الأدبي" و"الساحة العامة السياسية"، حسب تعبير هابرماس.(١٤)

ومن بين الخطابات المتصارعة، كان لذاك المتصل بالديمقراطية والديكتاتورية عدة أبعاد. وباعتباره شبكة متباينة من المسائل والحوارات، فقد اتسم بتعددية الأصوات. وقد أسهمت وكالات مختلفة كثيرة في إنتاج ونشر آراء حول الحكم الاستبدادي، والروح العسكرية والفاشية من ناحية، والحكم البرلماني والديمقراطية والتعددية الثقافية من ناحية أخرى. ولم يكن هناك اتفاق على معاني وقيمة هذه المفاهيم المتعارضة في المجال العام للأفندية في الثلاثينيات. من هنا، فإن هذه الدراسة ستركز بشكل خاص على كيف قرأ أفراد ومجموعات مختلفة هذه المصطلحات في أزمنة وسياقات مختلفة. وكما

أنها ستتناول الطبيعة المتنوعة والتعددية لخطاب المجال العام فيما يتصل بالديمقراطية والديكتاتورية، وستحاول تحديد المواقف والاتجاهات السائدة التي تبناها المتحدثون المصريون بشأن المسألة الملحة الخاصة بالليبرالية مقابل الاستبداد في وقت كان الصدام فيه بين العقيدتين يشغل الناس في أرجاء العالم.

الفصل الثاني

خطر الفاشية كما تراه الصحافة اليومية

كانت الصحافة اليومية المصرية أكثر الوسائط تأثيرا في فترة بين الحربين. كانت الصحيفة اليومية هي الشكل السائد للثقافة المطبوعة، ومصدر القراءة الأكثر انتشارا للحصول على المعلومات والأعلى توزيعا. كان تأثير الصحافة اليومية في صياغة الخطاب العام أكبر كثيرا من تأثير صحف الرأي الأسبوعية والشهرية الكثيرة. وأتاحت الصحف اليومية للقراء المصريين تشكيلة من المعلومات عن مجموعة من الموضوعات أكبر من تلك التي وفرتها الدوريات المصرية الأخرى. كانت المصدر الأساسي الذي يوفر الأخبار المتصلة بمصر والعالم للمتعلمين من أبناء مصر. وفي فترة بين الحربين على وجه الخصوص، كانت الصحف اليومية المصرية الرائدة هي الصحف اليومية العربية كذلك حيث كانت توزع وتقرأ في البلاد العربية الأخرى. وبالإضافة إلى إسهامها في تشكيل المنظور المصري للأحداث الجارية، كانت واسطة عربية شاملة تؤثر على الرأي في أرجاء العالم العربي.

كانت المهمة الأساسية للصحف اليومية ملاحقة الأحداث الجارية بشكل عاجل. وعلى الرغم من نشرها من حين لآخر لمقالات تتناول موضوعا بعمق، كان تركيزها منصبا على تقديم تقرير سردي عن الأحداث الجارية. ولأنها تصدر بصورة يومية، كانت تغطيتها للأحداث الجارية أشمل من تلك

التي تقدمها الإصدارات الأقل انتظاما في الصدور. وكما هو الحال في كل الروايات، كانت تقاريرها وتعليقاتها عبارة عن بنى تحمل حتما علامة التوجه الأيديولوجي وقيم منتجيها. وتتبع تغطيتها للشئون الخارجية واستجابتها العاجلة لها يعطينا مؤشرا على كيفية فهم المصريين للسياسة المعاصرة، وبصفة خاصة التنافس السياسي والأيديولوجي بين ديمقراطيات أوروبا وديكتاتورياتها.

وسوف نقوم فيما يلي بفحص تغطية الشئون الخارجية من جانب أربع صحف يومية مصرية مهمة ــ الأهرام، والمقطم، والمصري، والجهاد ــ من الأزمة الإيطالية وحرب ١٩٣٥-١٩٣٦ وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩. والأهرام واحدة من أقدم صحف الشرق الأوسط، حيث صدرت بانتظام منذ ١٨٧٥. ويرى البعض أنها كانت أكثر الصحف تأثيرا في مصر والعالم العربي، في فترة بين الحربين. ومالك الصحيفة ومديرها هو عائلة تكلا، ذات الأصول اللبنانية وصاحبة الإقامة الطويلة بمصر، وكان ناشرها هو جبرائيل بشارة تكلا ومحررها أنطون الجميل. ولأنها لم ترتبط بأي من أحزاب مصر السياسية، كانت الأهرام منبرا غير حزبي، ومعتدلًا، وتقدميًا، تلاقى مع التطلعات الوطنية المصرية والعربية. وبفضل شمولية تغطيتها، ودقة تقريرها، ورصانة نغمتها، كانت الأهرام "جريدة مصر الأكبر"، كما وصفها تقرير بريطاني في أواخر ١٩٣٧. (١) وقد فاق توزيعها ما عداها من الصحف اليومية المصرية، حيث كانت توزع في ١٩٣٧ ما بين ٤٥-٥٠ ألف نسخة، وفي ١٩٤٤ وزعت الجريدة ١٥٠ ألف نسخة. (٢)

والمؤسسة اليومية التي سنتناولها في هذا القسم هي المقطم. وقد شغلت الجريدة، التي أسسها الصحفيان الشاميان يعقوب صروف وفارس نمر في ١٨٨٩، مكانا على حافة الصحافة اليومية المصرية من حيث الرؤية السياسية. وقد توجهت هذه الجريدة، التي كانت مساندة دائما لوجهة النظر البريطانية والتي كانت تبدي تعاطفها كذلك من حين لآخر خلال فترة بين الحربين مع مواقف القصر، وعبرت بصفة خاصة عن آراء الجالية الشامية الكبيرة والمؤثرة من المقيمين في مصر. ومع حلول فترة بين الحربين كانت الصحيفة قد حازت سمعة طيبة بفضل تحليلاتها الملموسة والجادة، وإن كانت باردة بشكل ما، للأحداث الجارية. وبسبب توجهاتها البريطانية المعروفة، في جانب منه، قدر توزيعها في ١٩٣٧ بما بين ٨-١٠ آلاف نسخة (وكان توزيعها قبل عقد مضى يقدر بـ ٢٥ ألف نسخة). كانت المسافة بينها وبين الأهرام شاسعة. [٣]

الجريدتان الأخريان كانتا أحدث وأكثر تحزبا. كانت الجهاد، التي تأسست في ١٩٣١، يملكها ويحررها محمد توفيق دياب. وفي أوائل ١٩٣٨، اشتراها الوفد واندمجت في صحيفة أخرى هي كوكب الشرق، وأصبحت تصدر كصحيفة مسائية باسم الوفد المصري. [٤] واستعادت اسمها القديم، الجهاد، بعد إفلاس الوفد المصري في ١٩٣٨، لكنها توقفت عن الصدور للأبد في نهاية سبتمبر ١٩٣٨. [٥] وتأسست جريدة المصري، الأصغر عمرًا بين الثلاث، في ١٩٣٦. وكان المؤسسون والناشرون الأوائل هم: محمود أبو الفتح ومحمد التابعي وكريم ثابت؛ والمحرر محمد الشافعي البنا. وفي فبراير ١٩٣٨، اشترى الحزب الجريدة، التي كانت وفدية منذ البداية، لتكون المعبر الرسمي عن الوفد (أول حالة لحزب يملك صحيفة ويديرها فعليا). [٦]

وبتوزيع يقدر بـ ٢٠ ألف نسخة في ١٩٣٧، و٢٥ ألف نسخة في ١٩٤٤، [٧] صارت معروفة لدى كثير من المصريين الذين كانوا لا يزالون على تأييدهم للتنظيم السياسي الأبرز. وحيث كان الوفد يمثل المعارضة السياسية للائتلافات الوزارية المؤيدة من الملك، يمكن اعتبار المصري المعبر عن آراء الحكومة الوفدية في ١٩٣٦-١٩٣٧ والصوت الأبرز للمعارضة المصرية في ١٩٣٨-١٩٣٩.

وبغض النظر عن توجهاتها السياسية المختلفة، كان محتوى هذه الصحف اليومية البارزة يعكس، من أكثر من جانب، آراء المركز الكبير للرأي العام المهتم. وقد عملت تلك الصحف، التي قامت كمشروع تجاري يهدف إلى تحقيق ما يكفي من الأرباح كي يستمر، في إطار السوق المفتوح وفقا للعرض والطلب. كان توزيعها وبقاؤها يعتمد على انسجام آرائها بشكل عام مع القراء والمعلنين. [٨]وقد دفعتها الحاجة إلى بيع جرائدها، مع عدم الابتعاد عن المعلنين، إلى تبني وجهة نظر معتدلة، مفهومة ومقبولة من جانب قطاع واسع من جماهير المستهلكين. ولأن الصحيفتين تملكهما وتديرهما عائلتان من أصل شامي، وظلتا تعتبران مهاجرتين رغم أنهم مواطنون مصريون ("أولئك الذين أصبحوا متمصرين")، كانت الأهرام والمقطم بصفة خاصة في وضع حساس جعلهما حذرتين سياسيًا، ومحايدتين ظاهريًا، و"موضوعيتين" في القضايا المثيرة للجدل. ومن ناحيتهما، اضطرت الجهاد والمصري، في الوقت الذي يعبران فيه عن المعارضة الوفدية في السياسة الداخلية المصرية، للرضوخ لمتطلبات العرض والطلب. وانطلاقا من عقيدتهما الوفدية بأن الحزب ليس منظمة حزبية وإنما ممثل الأمة المصرية كلها في سعيها إلى الاستقلال الوطني، سعتا كذلك إلى صف مواقف

ممثلي أطياف المعارضة الأوسع من قطاعات الرأي العام. والانتشار الواسع للأهرام والمصري، الأولى والثانية من حيث التوزيع بين الصحف اليومية المصرية أواخر الثلاثينيات، يقودنا إلى استنتاج أن كلتيهما تعكس بدقة موقف الرأي العام المصري من القضايا الدولية.

ومن منظار الصحافة اليومية، كان الحدث الحاسم الذي يعكس مواقف المصريين من الفاشية الإيطالية هو المواجهة والحرب بين إيطاليا وإثيوبيا في ١٩٣٦-١٩٤٥. ومن المنظور المصري، كانت "الأزمة الحبشية" أهم حدث دولي في منتصف الثلاثينيات. وخلال صيف وخريف وشتاء ١٩٣٥-١٩٣٦، تابعت الصحافة المصرية المواجهة بين إيطاليا وإثيوبيا على الساحة الدبلوماسية أولا، وفي ميدان القتال أخيرا. وأصيب الرأي العام المصري بالصدمة والإحباط من اعتداء إيطاليا على دولة أفريقية مستقلة وكذلك الوحشية التي ميزت الغزو الإيطالي لإثيوبيا وضمها إلى الإمبراطورية الإيطالية الجديدة. وقد ترك غزو إيطاليا واحتلالها لإثيوبيا أثره السلبي الدائم على الموقف المصري من نظام إيطاليا الفاشي. ونظرا لقرب مصر من ميدان المعركة وشعور المصريين بأنهم أصبحوا مهددين من الغرب والجنوب من إمبراطورية أوروبية قوية وعدوانية، توصل كثير من المصريين حينها إلى وجود خطر فاشي ملموس على مصر نفسها.

وتطورت تغطية المقطم بشكل كبير مع نشوب الأزمة بين إيطاليا وإثيوبيا في منتصف الثلاثينيات. وفي المراحل المبكرة من الأزمة، من خريف ١٩٣٤ وحتى ١٩٣٥، عبرت المقطم عن نقدها الحذر والمقيد لمناورات إيطاليا الدبلوماسية واستعداداتها للحرب. وعبرت أكثر من مرة عن أملها في إمكانية حل الصراع الوشيك بين الدولتين بالوسائل السلمية. وقالت

الصحيفة إن إيطاليا لديها ما يبرر رغبتها في المزيد من التوسع الاستعماري لتحقيق التوازن لوضعها على الساحة الدولية في مواجهة الدول الاستعمارية الأوروبية. إلا أنها ينبغي ألا تحقق تطلعاتها الاستعمارية على حساب سيادة واستقلال إثيوبيا، وهي عضو معترف به في عصبة الأمم.[٩] وكانت ترى منذ البداية أن إيطاليا ليس لها مصلحة في التورط في الحرب؛ وأن تهديدات موسوليني كان الهدف منها الضغط على المجتمع الدولي للاعتراف بحق إيطاليا في التوسع في شرق أفريقيا.[١٠] كما كانت الصحيفة ترى أن مصر يمكنها أن تلعب دور الوسيط بين الفريقين، وجلبهما إلى طاولة المفاوضات لتسوية الأزمة.[١١]

في صيف ١٩٣٥، ومع تعمق الأزمة الإيطالية ـ الإثيوبية، بدأت نغمة المقطم تتغير. وعلى الرغم من أنها استمرت تنادي بضرورة التوصل إلى تسوية وحل سلمي للخلافات بين إيطاليا وإثيوبيا، فإنها أصبحت أقل تسامحا مع وعيد موسوليني وتهديداته. ومع تصاعد المعارضة الدولية لمطالب إيطاليا، تحولت الجريدة إلى استنكار مطالب موسوليني بالتوسع الإقليمي، وبدأت ترى في طموحات إيطاليا الاستعمارية تهديدا للسلام العالمي. ودوليا، كانت المقطم ترى أن "إيطاليا معزولة"؛ وسلوك هذه الدولة العدواني جعلها على خلاف مع "إرادة العالم كله".[١٢]

وعندما نشبت الحرب بين إيطاليا وإثيوبيا، أنحت المقطم باللوم بوضوح على إيطاليا وموسوليني. ومع من أنها عبرت من حين إلى آخر عن اعتقادها بإمكانية التوصل إلى حل سلمي للأزمة الإيطالية ـ الإثيوبية ووقف الأعمال العدائية،[١٣] فقد استمرت في اتهام موسوليني بشن الحرب بالأساس لإظهار قوة الفاشية لصالح كل من الشعب الإيطالي والعالم.[١٤]وهي تصف

الحرب باعتبارها أكبر مثال على "الاستعمار الأبيض"، وترى أن الدافع وراء الحرب هو الرغبة الاستعمارية للاستيلاء على المواد الخام وغيرها من الموارد الاقتصادية، يضاف في حالتنا حيازة أراضٍ جديدة لتخفيف الضغوط السكانية داخل إيطاليا نفسها.[١٥]

وعلى عكس نقدها للاستعمار الفاشي ولموسوليني، عبرت المقطم عن تعاطفها التام مع القضية الإثيوبية. وكانت مساندتها للإثيوبيين، في جانب منها، تعبيرًا عن التضامن مع أشقاء مسيحيين شرقيين من جانب صحيفة يملكها ويديرها مسيحيون.[١٦] ورحبت الجريدة بفرض عصبة الأمم عقوبات جزئية على إيطاليا، وامتدحت الحكومة المصرية لدعمها العقوبات بتقييد نقل النفط عبر قناة السويس.[١٧] وأدانت الطبيعة العسكرية غير المكبوحة للعمليات العسكرية الإيطالية، خاصة "القصف الجوي لقرى ومدن عزلاء" و"إلقاء قنابل الغاز السام التي تنشر الموت والرعب"، ووصفتها بالبربرية.[١٨] وفيما يتصل بتأثير الحرب على مصر ومصالحها الوطنية، حذرت الصحيفة من احتمال أن يكون للحرب مضاعفاتها المباشرة على مصر، وحذرت إيطاليا من أي محاولة أو تحرك من شأنه الإضرار بمصادر نهر النيل في الحبشة؛ وأن مصر بحاجة لأن تأخذ استيلاء إيطاليا على النيل الأزرق مأخذ الجد، وبحاجة كذلك للعمل من أجل تأمين وحماية هذه المصلحة المصرية الأساسية.[١٩]

أتمت إيطاليا غزوها في ربيع ١٩٣٦، وانتقدت المقطم ما تم بعد ذلك من ضم الحبشة إلى الإمبراطورية الإيطالية. وتبنت الجريدة رفض الحكومة المصرية المبدئي الاعتراف بشرعية الضم.[٢٠] لكن مع تصالح المجتمع الدولي بالتدريج، خلال ١٩٣٦، مع الغزو الإيطالي وضم إثيوبيا، كيفت

موقفها على أساس أن التوسع الاستعماري الإيطالي في شرق أفريقيا صـــار أمرا واقعا. وبعد أن عبرت الصحيفة عن أملها في أن تكــون إيطاليـــا قــد أشبعت طموحاتها الاستعمارية، رأت الصحيفة أن من الضروري لمــصر أن تتبنى نهجا أكثر واقعية، وأن تتواءم مع الوضع الجديــد.(٢١) وفــي صــيف ١٩٣٦، هنأت الجريدة الوزارة الوفدية الجديدة برفع العقوبات الاقتصادية عن إيطاليا،(٢٢) وبعد ذلك، في سياق توقيــع معاهــدة التحــالف الإنجليزيــة ــ المصرية، دعت الحكومة المصرية إلى التسليم بــ "الوضع الحقيقي"، والعمل على تخفيف التوتر وتحسين العلاقات مع إيطاليا.(٢٣) وبالتوازي مع الموقــف بقبول سياسة الأمر الواقع التي فرضتها إيطاليا على الساحة الدولية، نــشرت الصحيفة في أواخر ١٩٣٦ سلسلة من المقالات المتعاطفة مع إيطاليا بتوقيــع مراسلها الدولي ثابت ثابت عن الإصلاحات الداخلية وإجراءات التحديث التي يقوم بها النظام الفاشي.(٢٤) على أن الواقعية لم تكن تعني تبرئة إيطاليا مــن العدوان على إثيوبيا. فحتى ١٩٣٧، استمرت المقطم فــي اعتبــار الغــزو الإيطالي لإثيوبيا غير مبرر وعنصريا، وترفض المبررات الإيطاليــة بــأن توسعها كان بسبب تدهور الأوضاع في البلاد، وتشيد بــإجراءات التحــديث التي كان قد شرع فيها الإمبراطور المخلوع هيلا سلاسي.(٢٥)

وعلى الرغم من قبولها تدريجيا بحقيقة العدوان الفاشــي النــاجح فــي شرق أفريقيا، فلم يتراجع قلق المقطم من الآثار السلبية المحتملة للطموحــات الإيطالية الدولية على مصر نفسها. كان مصدر القلق العاجل هو الخوف من أن يكون لإيطاليا تطلعات استعمارية للسيطرة على قناة السويس.(٢٦) وبــشكل أعم، حذرت الصحيفة من أن تكون الحبشة هي مجــرد بدايــة لطموحــات موسوليني، وأن نظامه الفاشي يرى في كل حوض المتوسط والشرق الأوسط

منطقة نفوذ وتوسع لإيطاليا.[٢٧] وقد تركت أزمة وحرب الحبشة في ١٩٣٥-١٩٣٦ أثرا لا يمحى على موقف المقطم من إيطاليا الفاشية والتداعيات المحتملة للطموحات الفاشية على مصر.

توازت تغطية الأهرام للصراع الإثيوبي مع تلك التي قدمتها المقطم. وكان للأهرام، أغنى صحف مصر اليومية في فترة بين الحربين وأفضلها تحريرا، مراسلون دائمون في العديد من العواصم الأجنبية، ومن بينها أديس أبابا؛ وكانت قادرة بالتالي على تزويد قرائها بمعلومات تفصيلية عن المواجهة التي نشبت في شرق أفريقيا. وخلال الشهور التي سبقت الحرب، أكدت الأهرام في تقاريرها على تعاطف مصر والمصريين مع شعب الحبشة. وأكدت أكثر من مرة على رغبة الحبشة في السلام، وحذرت من اندلاع حرب تسفر عن تدمير الحبشة المستقلة، وتؤثر تأثيرًا عكسيا على مصالح مصر الحيوية باستيلاء إيطاليا على منابع النيل.[٢٨]

ما إن بدأت الحرب، أعلنت الأهرام استنكارها لإيطاليا بوصفها المعتدي، وانتقدت عصبة الأمم لعجزها عن منع العدوان الإيطالي على دولة من أعضائها.[٢٩] ومحذرة مجددا من إمكان استخدام إيطاليا الفاشية لأراضيها في شرق أفريقيا، في حال انتصارها على الحبشة، نقطة انطلاق لمزيد من التوسع باتجاه وادي النيل، دعت الصحيفة مصر إلى الحشد من أجل الدفاع عن "المصالح الوطنية" في وجه أي عدوان إيطالي.[٣٠] لكن إذا كانت الحرب في شرق أفريقيا تشكل خطرا، فإنها تتيح أيضا فرصة؛ حيث ترى الأهرام أن على مصر أن تستفيد من توتر الموقف الدولي لإقناع بريطانيا العظمى بالتوصل إلى معاهدة تحالف مع مصر المستقلة، لتؤسس بذلك جبهة دفاع فعالة ضد العدوان الفاشي المحتمل.[٣١]

كان أكثر ما يقلق الأهرام هو طبيعة الحرب التي تشنها إيطاليا في إثيوبيا. ونددت الصحيفة أكثر من مرة بوحشية إيطاليا في قصف تجمعات المدنيين، وتدميرها للكنائس والمستشفيات وغيرها من المنشآت المدنية، وبحجم المعاناة الإنسانية التي كانت تسببها العمليات الإيطالية للسكان المدنيين في الحبشة.[٣٢]وفي الوقت الذي تشير فيه إلى أن الحملة الإيطالية تستهدف "استعباد شعب" الحبشة،[٣٣] ترى الأهرام أن انتهاك إيطاليا لقواعد الحرب يستوجب إدانة المجتمع الدولي. وانتهاك إيطاليا للمواثيق الدولية وعملياتها العسكرية البربرية يجعل من الصراع في شرق أفريقيا مشكلة دولية. ودعت الأهرام العالم المتمدن إلى الوقوف صفا واحدا في وجه الاستعمار الفاشي. وإذا لم يتم ردع العدوان الفاشي، فستدفع "الدول الصغيرة" الثمن الأكبر.[٣٤]

وعندما استكملت إيطاليا غزوها لإثيوبيا، أطلقت الأهرام على الدمار الذي لحق بالدولة الحبشية، تلك "الإمبراطورية الشاسعة" ذات التاريخ العريق والمجيد، "النكبة".[٣٥] وبينما كانت أكبر إدانتها موجهة بطبيعة الحال إلى إيطاليا، انتقدت الصحيفة كذلك تردد وعجز المجتمع الدولي، بقيادة بريطانيا العظمى وفرنسا، لتخليه عن الحبشة. وجاءت النتيجة المؤسفة للأزمة لتثبت أن العلاقات الدولية بحاجة إلى إصلاح. فالنظام العالمي الذي قام بعد الحرب العظمى شارف على نهايته بالفعل؛ ولم يعد لعصبة الأمم أي معنى. كانت النتيجة المأسوية للحرب الحبشية درسا للدول الصغيرة ـ ولم يعد ممكنا أن تثق الآن في عصبة الأمم وبقدرتها على الحفاظ على النظام الدولي.[٣٦]

وانتهت الأزمة الحبشية، وظلت الأهرام تهتم بشدة بإيطاليا وطموحاتها الدولية. وقد عبرت افتتاحياتها وتحليلاتها خلال أواخر ١٩٣٦ ومعظم ١٩٣٧ عن وجهات نظر متباينة تجاه إيطاليا وعلاقتها بمصر. ويبدو أن توقيع

معاهدة التحالف الأنجلو ــ مصرية في أغسطس ١٩٣٦، بموادها المتصلة بالإجراءات المتبادلة للدفاع، قد قللت من مخاوف المصريين من نوايا إيطاليا. وفي "عصر الاستقلال" الجديد، خففت الأهرام من تعاطفها مع الحبشة، وبحثت عن الطرق الكفيلة بتحسين العلاقات المصرية ــ الإيطالية. وأصبحت مقالات الجريدة تعبر عن حاجة مصر للتعامل على ضوء الحقائق الجديدة في القرن الأفريقي، والقبول بضم إيطاليا للحبشة كأمر واقع، وإعادة فتح القنوات الدبلوماسية والثقافية بين مصر وإيطاليا.(٣٧) وقد عزز "اتفاق الجنتلمان" في أوائل ١٩٣٧ بين بريطانيا العظمى وإيطاليا، وكذلك الموقف الدولي الأكثر هدوءًا في ١٩٣٧، من هذا الموقف.(٣٨) في الوقت نفسه، استمرت التعليقات على الموقف الدولي في أواخر ١٩٣٦ وطوال ١٩٣٧ تعبر عن تخوفها من احتمال أن يكون لإيطاليا الفاشية مخططات استعمارية للتوسع في البحر المتوسط والشرق الأوسط.(٣٩) وحسب أحد التعليقات، فإن طموح موسوليني يتمثل في جعل البحر المتوسط "بحرا إيطاليا مثل البحر الروماني".(٤٠) وإيطاليا الفاشية تقوض النظام العالمي في سبيل المجد الاستعماري. وقد أثبت تورط إيطاليا في الحرب الأهلية الإسبانية إلى جانب الوطنيين نواياها الحقيقية؛ فإيطاليا الفاشية كانت تعد العدة للحرب وليس للسلام.(٤١)

وتعكس افتتاحية في إبريل ١٩٣٧، بعنوان "إيطاليا والعرب: توجهًا جديدًا للسياسة الفاشية"، مخاوف الأهرام من إيطاليا في ١٩٣٧. يتعرض المقال لجهود البروباجندا الفاشية آنذاك لتقديم موسوليني وإيطاليا بوصفهما "أصدقاء للعرب والمسلمين". ويحذر المقال القراء من الانخداع بمثل هذه الدعاية الكاذبة. فرطانة موسوليني تنطوي على الخديعة. وأن سلوك إيطاليا

في ظل النظام الفاشي لا يحمل أي نوايا طيبة تجاه العرب والمسلمين، سواء بسلوكه الاستعماري في ليبيا أو بنواياه الاستعمارية المعلنة فيما يخص البحر المتوسط والشرق الأوسط. إلا أن الأهرام تمسكت بإمكانية حدوث تغيير في الموقف من إيطاليا. وأن على موسوليني تحمل عبء تقديم الدليل. كل شيء متوقف عليه. فإذا أثبتت إيطاليا أن تصرفاتها تتطابق مع تأكيد دعايتها بأنها "صديق العرب"، فسيوافق العرب بسعادة، ومن بينهم مصر، على التقارب والتعاون مع إيطاليا الفاشية.[٤٢]

وفي حين أصبحت نوايا إيطاليا وتصرفاتها موضوعًا رئيسًا للاهتمام في صحف مصر الرائدة في منتصف الثلاثينيات، حظيت دعاية ألمانيا النازية ــ الأبعد عن عالم البحر المتوسط والتي لم تكن عدوانيتها قد انكشفت بعد ــ باهتمام وتعليق أقل. ومن جانبها، نشرت المقطم عددا من الافتتاحيات والتعليقات التي تنتقد اندفاع ألمانيا نحو إعادة التسلح في ظل الحكم النازي، وكذلك عن النغمة الحربية التي تظهر في خطابات وبيانات هتلر من حين لآخر، والمخاطر المستقبلية من التوسعية في ظل النازي.[٤٣]وكانت نغمة القلق في افتتاجية مايو ١٩٣٥ التي تلخص السياسة الخارجية الألمانية معبرة: "تقوم الدولة الألمانية باستعدادات عسكرية ضخمة في محاولة لتحقيق طموحاتها في أوروبا واستعادة كل ما خسرته نتيجة الحرب الأخيرة، بوسائل القوة .... وهذا ما يسبب قلقًا كبيرًا اليوم في العالم كله".[٤٤]

لكن تحذيرات المقطم من مسار العسكرية الألمانية وسياستها الخارجية تحت حكم النازي في منتصف الثلاثينيات، تزامنت مع تقارير إيجابية عن الإصلاحات الاجتماعية الاقتصادية في إطار عملية تسعى إلى الإحياء القومي لألمانيا.[٤٥] وقدم تركيز النازي على تغيير المجتمع الألماني داخليا الدليل

على أن هتلر كان يركز على الشئون الداخلية، وهكذا لا تشكل ألمانيا خطـــرا على جيرانها أو على استقرار العالم.(٤٦)وتجسد سلسلة المقـــالات الحماســـية التي كتبها ثابت ثابت عن "ألمانيا اليوم" في ١٩٣٦، هذا المنظور المتعاطف. قدمت المقالات صورة إيجابية للنظام النازي وزعيمه، موضحة إنجازاته فـــي مجالات الإحياء الاقتصادي، والثقافي. وترى السلـــسلة أن هتلـــر وسياســـاته حظي بدعم الشعب الألماني.(٤٧) وحسب ثابت، فـــإن نجـــاح دورة الألعـــاب الأوليمبية في ١٩٣٦ كان دليلا على أن هتلر والنازية بث روحًا جديدة مـــن الثقة والفخار في الشعب الألماني.(٤٨)

أما الجانب الذي أدانته المقطم بشدة في السياسة النازية فهو عنـــصرية النظام الألماني ومعاداته للسامية. وبالنسبة للمقطم، فإن نظريات النازي عـــن العرق وجهوده لتطبيقها في الممارسة تشكل نقيصة كبيـــرة فـــي المـــشروع النازي تلطخ سمعة ألمانيا النازية. ومنذ ١٩٣٤-١٩٣٥، كانت المقطم تنتقـــد النظام النازي الجديد بسبب سياسته تجاه الطوائـــف الدينيـــة التـــي أضـــفت الشرعية على تهميش اليهود واضطهادهم، وأعلنت أن مقولـــة النـــازي: إن الجنس اليهودي الأدنى يفسد الجنس الألماني الأرقى ليس لها أســـاس فكـــري وغير مقبولة سياسيا حيث إنها موجهة ضـــد مـــواطنين ألمـــان يحترمـــون القانون.(٤٩) وعلى عكس العقيدة النازية، ترى الصحيفة أن اليهـــود الألمـــان قدموا إسهامات ضخمة لكل من الثقافة الألمانية والحضارة الإنسانية، ورفعوا اسم ألمانيا في العالم عاليا. من هنا، ينبغي رفض الأيديولوجيـــة العنـــصرية وسياسات معاداة السامية التي ينتهجها النظام النازي.(٥٠) وكان خير تجـــسيد لانتقادات المقطم للنازية مقالاً نشر في أغسطس ١٩٣٧، بعنوان "ألمانيا تطرد أصحاب الأنوف المعقوفة". ففي ألمانيا النازية، "أصحاب الأنوف المعقوفـــة"

موضع شك تلقائيا في أنهم يهود، ويفصلون بالتالي من وظائفهم، ويطـردون من مجتمعهم الوطني. وسياسة عنصرية كتلك التي يعتنقها النـازي، والتـي تعتبر الشكل معيارا وحيدا للألمانية الخالصة، غير عقلانية وغير متمدنة.[٥١]

وبصفة خاصة، كانت القوانين النازيـة التـي تمنـع زواج الآريـين بالساميين هدفا لغضب المقطم. وحتى قبل تبنيها القضية، أدانـت الـصحيفة مشروع "قانون جديد للدفاع عن الدم الألماني وشرفه"، وأقره الحزب النـازي رسميا في مؤتمره الذي عقد في سبتمبر ١٩٣٥، والذي يهـدف إلـى تنقيـة العرق الألماني بمنع العلاقـات الزوجيـة وغيـر الزوجيـة بـين الألمـان واليهود.[٥٢] وكان الشيء الأكثر فظاعة في نظر الصحيفة هو القانون النازي الصادر في ١٩٣٦، والذي يحظر الزواج بين الألمان وشعوب منطقة الشرق الأوسط، وهو قانون اعتبرته المقطم محاولة "لإبعاد الساميين (مـن ألمانيـا) وقطع أي صلة أو رابطة بينهم وبين الشعب الألماني".[٥٣] ومع نفي المفوضة الألمانية لحظر الزواج الآريـين والـساميين،[٥٤] فقـد واصـلت الـصحيفة معارضتها لأي تشريع من هذا النوع، "لأن المصريين والإيرانيين والعراقيين ليسوا آريين ، ولن يعترف بأي زواج بين مصريين وألمـان". وأنكـرت أن يكون لاعتقاد النازية الأصيل بتدني الساميين مقارنـة بـالآريين أي أسـاس علمي، وقلبت الطاولة بفخر مؤكدة أسبقية الساميين فـي تطـور الحـضارة الإنسانية:

من هم أولئك الآريون الذين جاءوا من أصول آرية؟ بشكل عام، فـإن الشعوب العربية والفارسية ـــ المصريين والعراقيين والسوريين والفلسطينيين والإيرانيين ـــ المفترض أنهم غير آريين هم الذين حققوا للعالم المدنية كمـا نعرفها. هذه الشعوب أضاءت طريق الإنسانية في الحيـاة، ومنهـا ظهـرت

الأديان السماوية الثلاثة، أديان يؤمن بها ما يسمون بالآريين. ما الذي يميز إذن هذه الشعوب الآرية عن غيرها من الشعوب ؟".(٥٥)

تماثلت تغطية الأهرام للتطورات الداخلية في ألمانيا تحت حكم النازية في منتصف الثلاثينيات مع تغطية المقطم. فكانت مثلها، تقدم من حين لآخر صورة إيجابية لعمليات التغيير الوطني، والإصلاح، وإعادة التأهيل التي يقوم بها النظام النازي، وتقدم النازية بوصفها حركة ألمانية أصيلة تهدف إلى تحقيق التطلعات القومية للشعب الألماني. وكانت الإجراءات الداخلية للرفاه الاجتماعي وتحسين الأوضاع الاقتصادية تحت حكم النازي في منتصف الثلاثينيات تقدم أحيانا بوصفها خطوات ضرورية لتحسين حياة الشعب الألماني.(٥٦)وشأن المقطم، أثارت دورة الألعاب الأوليمبية في ١٩٣٦ الإعجاب بالمسابقة وبإنجازات "ألمانيا الجديدة".(٥٧)

على أن سياسة ألمانيا النازية الخارجية كانت أكثر ما يقلق الأهرام. وفي هذه الناحية، كانت تغطية الأهرام أكثر سلبية. وكان الاتجاه السائد في التعليق على أطماع ألمانيا الدولية وتصرفاتها هو تصوير هتلر والنازية كقوة تهدد وتقوض استقرار العالم؛ وتهدد من ثم السلام العالمي. واعتبرت الأهرام انسحاب ألمانيا النازية من عصبة الأمم، وإعادة عسكرة منطقة رينلاند، ودعمها لفرانكو والوطنيين في إسبانيا بمثابة انتهاكات للنظام العالمي؛ اعتبر اندفاعها في النهاية نحو إعادة التسلح وزيادة قواتها العسكرية علامة على أن ألمانيا النازية دولة عسكرية تعد لإشعال صراع عسكري لتعويض هزيمتها في الحرب العظمى.(٥٨) وقد تأكدت نواياها العدوانية بمطالبتها باستعادة المستعمرات الألمانية في أفريقيا وآسيا، وكذلك بتأكيدها على حق توحيد الألمان في دولة أكبر.(٥٩) وكانت الصحيفة داعمًا ثابتًا للمعسكر الليبرالي

الديمقراطي، وتعبر عن دعمها الحازم للنظام العالمي الذي قام بعـد الحـرب العظمى. واعترضت الصحيفة أكثر من مرة على الإسـتراتيجية الخارجيـة للديكتاتورية النازية، التي تنوي في رأيها التوسع الإقليمي، وغـزو المجـال الحيوي لألمانيا، والهيمنة على العالم في النهاية.[٦٠]

بحلول ١٩٣٧، اعتبرت الأهرام تحالف ألمانيا مـع إيطاليـا الفاشـية ودعمها للقوات الوطنية في إسبانيا عملا أقرب إلى تحالف معادٍ للديمقراطية، وائتلافًا للقوات المراجعة العدوانية يشكل تهديدًا مباشرًا للاسـتقرار والـسلام الدوليين: "هكذا نرى أن (أنصار القوة) يتوقون إلى شن الحرب لكي يحققـوا أهدافهم وهواجسهم، وكذلك تأسيس نظام عالمي جديد علـى هـدى مبـادئهم وتعاليم زعمائهم، في حين يتطلع (أنصار السلم) إلى تحقيق العدالـة وتقويـة أسس السلام والانسجام بين بني البشر".[٦١] ووصف صلاح الـدين الـشريف السلوك الدولي والمناور والمتلاعب لألمانيا النازيـة فـي سـبتمبر ١٩٣٧، بالقول: إن "المكيافيلية تحكم العالم". وبعد استعراض شريف للساحة الدوليـة في أواخر ١٩٣٧، توصل إلى أن "المكيافيلية نجحت فـي إثـارة *(التعـصب الجنسي الذميم)*. إنها تحول الثقافة الإنسانية إلى ثقافـة شـوفينية لا تعـرف رابطة إلا رابطة الأمة وحدودها". ولم يكن أكبر الأخطـار التـي تفرضـها المكيافيلية الجديدة يطال الدول الكبرى، بـل الـدول الـصغيرة والـضعيفة. ورطانة موسوليني وهتلر العسكرية والاستعمارية تمهد الأرض للاعتداء على "شعوب العالم الصغيرة".[٦٢] وبشكل عام، رأت الأهـرام أن سياسـة هتلـر وموسوليني الخارجية الاستفزازية إنما ترمي إلى تقويض النظام العالمي الذي قام بعد الحرب، وهو ما اعتبرته أكثر الجوانب سلبية في النظام النازي.

في البداية، اتخذت الأهرام موقفا مختلفا عن موقف المقطم بالنسبة لعنصرية النظام النازي الجديد ومعاداته للسامية. ففي تقرير عن قوانين نورمبرج المعادية لليهود التي صدرت في ألمانيا في ١٩٣٥ ومحاولتها لإبعاد اليهود من الاقتصاد الألماني والحياة الثقافية الألمانية، انتقدت الصحيفة النظام لإقصائه المهنيين اليهود عن المؤسسات العامة مثل المحاكم والجامعات والخدمات الطبية. لكنها بينما تشير إلى أن مواطنين يهودًا ألمانًا يحترمون القانون صاروا ضحية بدون وجه حق بسبب "القمع والضغوط والظلم المفروض على أصحاب الأنوف المعقوفة" التي تعرضوا لها نتيجة سياسات النازي، يرى التقرير في ذلك التشريع العنصري "إضافة طبيعية للثورة النازية الكبرى في ألمانيا".[٦٣] ويحدد تقرير حول قوانين نورمبرج، بطريقة محايدة، الغرض من القوانين في "الدفاع عن نقاء الجنس الألماني والدم الألماني"، ويرى أنها تعيد تحديد وضع اليهود في المجتمع الألماني.[٦٤] وكان تأكيد النازي على تفوق الجنس الآري هو أكثر الأشياء عدوانية من وجهة نظر الأهرام. وفي تعليق لها في ١٩٣٧ على علاقات النازي بالفاتيكان، رفضت "الفكرة الجرمانية" التي يروج لها النظام النازي، والتي بمقتضاها تحتل العنصرية الآرية والتفوق فعليا محل المسيحية كنظام فعال للإيمان عند الألمان. وكان أثر تأكيد النازي على فكرة التفوق الآري سلبيا بلا جدال، فهي "تقسم الأجناس الإنسانية بقسوة بادعائها أن الشعب الألماني هو الشعب الوحيد المتفوق، والمختار".[٦٥]

وبينما تجسدت الصورة الصارمة لإيطاليا الفاشية ونواياها الدولية خلال ١٩٣٥-١٩٣٦ نتيجة للأزمة والحرب الإثيوبية، كان عاما ١٩٣٨-١٩٣٩ حاسمين في بلورة الموقف المصري من النازية الألمانية. واجتمعت

ثلاثة أحداث كبيرة في ١٩٣٨ بادر بها النظام النازي – خارجيا، ضم ألمانيا للنمسا في الربيع وأزمة الصيف الممتدة حول مصير تشيكوسلوفاكيا في اتفاقية ميونيخ؛ وداخليا، بلغت إعدامات النازي لليهود قمة بربريتها في ريشكريسالناشت الألمانية في نوفمبر – اجتمعت لترسم صورة لنظام فاشي قاسٍ بطبيعته، وتوسعي لا يلين، ويشكل تهديدًا واضحًا لاستقرار العالم وسلامه. وقد تعززت هذه الصورة بقوة في ١٩٣٩، بالمزيد من التوسع الألماني في تشيكوسلوفاكيا وأخيرا بإثارتها حربًا عالمية نتيجة مطالباتها الإقليمية في بولندا.

ويظهر قلق الأهرام من الأطماع الدولية للنظام النازي في رد فعل الصحيفة تجاه ضم النمسا إلى الرايخ الثالث في مارس ١٩٣٨. وفي فبراير، نشرت الصحيفة عدة تقارير عن تجاوزات النازي في مسألة النمسا ونفوذ ألمانيا المتنامي في أراضي جيرانها من خلال قوات شبه نازية.[٦٦] واحتلت أخبار استيلاء ألمانيا على النمسا ودخول هتلر والتوغل في أرجاء البلاد في منتصف مارس الصفحة الأولى.[٦٧] وربطت الافتتاحية التحليلية للأهرام بين ضم النمسا وأطماع ألمانيا التاريخية في أوروبا. فألمانيا الهتلرية تتبنى الآن "سياسة القوة" لإحياء الأمة الألمانية وإنقاذها من الإذلال الذي عانت منه بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى. وتلخص الصحيفة خطة هتلر الأساسية لألمانيا في الخارج على النحو التالي: "التحلل من معاهدة فرساي؛ وثانيا، استعادة بحر سار؛ ثالثا، ضم النمسا إلى ألمانيا؛ رابعا، استعادة ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا، التي تضم نحو ثلاثة ملايين من الألمان؛ خامسا، استرداد المستعمرات الألمانية التي تقاسمها المنتصرون بعد الحرب". الهدفان الأولان تحققا بالفعل؛ والثالث كان في طريقه للتحقق؛ قالت الصحيفة إن الأهداف

الأخرى كذلك في متناول يد هتلر، بفضل زخم نجاحاته السابقة. وأصبحت الأهرام ترى في العدوانية الدولية للديكتاتوريات الأوروبية خطرًا على استقرار العالم وسلامه، خطرًا يهدد مصر بصورة أكثر من مباشرة. وكانت قناة السويس " هي طريق ألمانيا إلى بعض مستعمراتها، تمامًا مثلما هو طريق إيطاليا إلى إثيوبيا والصومال". وهكذا، فإن أزمة السياسة الأوروبية التي تبدو في الأفق سيكون لها تداعيات محددة على مصر. واستدعى الأمر تحديدا تحسين استعدادات الدفاع البحري ضد أي عدوان محتمل. وبشكل أعم، كان تحقيق الوحدة الوطنية في ظل التوتر الدولي أمرا ضروريا: "يجب أن نوحد القوى، ونجمع شمل كل مصادر القوة في البلاد حتى تتمكن مصر من إعلان استقلالها الوطني وتقرير وضعها الجغرافي ضمن حدود واضحة".(٦٨)

في أواخر الثلاثينيات، كان معلق الأهرام محمد زكي عبد القادر دائم التحذير من الخطر العالمي للفاشية، وداعيًا إلى اصطفاف المصريين خلف المعسكر الديمقراطي. ودعت الأزمة المنذرة حول النمسا عبد القادر إلى تأمل الفروق بين الديمقراطية والديكتاتورية. وكان من الواضح أن تردد الديمقراطيات الغربية، وقيودها كانت ميزة في صالح "الديكتاتور" هتلر، وزادت من نهمه لمزيد من التوسع. واعتبر أن الضعف الراهن للديمقراطية أمام الديكتاتورية نابع من انفتاحها وتعدديتها، وتسامحها مع الاختلاف، وتصادم المصالح الشخصية والحزبية، وميلها إلى "الخطابات العقيمة والثرثرة". بالمقابل "تتمثل ميزة الديكتاتورية في أنها تنطلق نحو هدفها كالسهم"، مع وضع قرار تحديد الهدف وتوجيه السهم بيد ديكتاتور. وإذا ما انتصرت الديكتاتورية على الديمقراطية، يتوقع عبد القادر "مأساة للعالم كله".

وإذا لم تتمكن البلاد الديمقراطية من إيجاد وسيلة لوقف صعود الديكتاتوريين، فستسيطر القوة والعنف على الشئون الدولية: "إذا وقع العالم تحت نفوذ هتلر وموسوليني وفرانكو وأمثالهم، فسوف يتقهقر بشكل مريع نحو العصور المظلمة عندما كانت الفروسية العسكرية هي القانون والحرب رمزًا للمجد". وفي مواجهة هذا التهديد، تحتاج البلاد الديمقراطية إلى إيجاد وسيلة للتصدي لهتلر ووقف مسيرة غزوه. ودعا عبد القادر المعسكر الديمقراطي، ومنه مصر، إلى إعلان عزمه وتصميمه على الدفاع عن القيم الديمقراطية "من أجل إنقاذ ميراث ثقافي كبير انتقل إلينا عبر الأجيال السابقة".[٦٩]

بحلول منتصف ١٩٣٨، أصبحت جريدة المصري على يقين من طغيان ألمانيا النازية في الداخل وأطماعها التوسعية في الخارج. وانتقدت مقالات في جريدة الوفد الرئيسية سياسات النازي الداخلية والخارجية على حد سواء. وركز استعراض، نشر في يونيو، للتاريخ الأوروبي المعاصر "من سراييفو ١٩٢٤ إلى فيينا ١٩٣٨" على دور العناصر الموالية للنازية داخل النمسا نفسها في تسهيل "الغزو الألماني وضم النمسا إلى الرايخ الثالث" [٧٠]. وينسب مقال نشر في يوليو، يشرح "كيف صعد هتلر خطوة بخطوة"، إلى هنريش هيملر دورا رئيسًا في تقدم هتلر في العشرينيات وفي تعزيز السلطة النازية داخل ألمانيا عن طريق العنف. وقدمت الجريدة تفصيلا لاعتماد النازي على الترويع والعنف وسفك الدماء لتمهيد الطريق أمام هتلر ليصبح فوهرر الرايخ الثالث مطلق السلطة. [٧١] ويوضح تقرير آخر "الحلم النازي بألمانيا الكبرى في وسط أوروبا" الذي يتضمن ضم كل المناطق الناطقة بالألمانية. فحسب منظور النازية التوسعي، كان سكان وسط أوروبا الناطقين بالألمانية يشكلون جزءا من الجنس الألماني المقدر لهم تاريخيا أن

يندمحوا في "دولة ألمانية أكبر". واستطلعت المصري آراء الخبراء الذين توقعوا أن "شهوات ألمانيا" لن تقف عند حد التوسع في وسط أوروبا، بل ستمتد إلى البلقان ومن هناك "ستقوم بنشر النفوذ الثقافي والاقتصادي الألماني في الشرق الأوسط". ومن المحتمل أن تشكل النازية تهديدا طويل الأمد لاستقلال البلاد العربية، ومن بينها مصر".[٧٢]

اعتبرت المصري سياسات النازي العنصرية جانبًا آخر سلبيا ومشئوما من جوانب النظام الديكتاتوري القائم في ألمانيا. وخلال صيف ١٩٣٨، تكررت تغطية أوضاع اليهود المتدهورة في ألمانيا. وكتبت الصحيفة عن تصاعد إعدامات اليهود، وركزت على أزمة اليهود الألمان المتعلمين من أبناء الطبقة الوسطى ممن يتمتعون بالتعليم العالي وأكبر قدر من المهنية، الذين فقدوا مناصبهم وممتلكاتهم": "لكل هذا، يستحيل عليهم العيش والعمل في ألمانيا النازية".[٧٣] وفي تعليقه على مؤتمر إيفيان الذي كان يسعى إلى إيجاد حل لمشاكل المهاجرين اليهود المتفاقمة وفشل، تعاطف المقال مع مصير "مئات الآلاف من يهود أوروبا" الذين صاروا مشكلة عالمية رئيسة.[٧٤]

ومقابل نقد المصري للنظام النازي في أوروبا كان هناك دفاع موازٍ عن الديمقراطية في مصر. وبوصفها صحيفة الوفد، كانت المدافع العنيد عن سيادة البرلمان في الداخل. وخلال ١٩٣٨ و١٩٣٩، شككت العديد من المقالات في شرعية الوزارات الائتلافية بين الليبراليين والسعديين برئاسة محمد محمود التي حكمت مصر منذ طرد الوفد في أواخر ١٩٣٧، وقدمت الوفد بوصفه حارس الديمقراطية في مصر. واتهمت كلاً من القصر والوزارة القائمة، التي تحكم بدعم من القصر، بتقويض الديمقراطية في مصر بتلاعبهما بالسلطات الدستورية للملك، إلى جانب الحيل الانتخابية والمناورات

البرلمانية من جانب الأحزاب غير الوفدية، لتخريب الديمقراطيـــة وتهمـــيش إرادة الشعب المصري. ومن وجهة نظـــر المـــصري، فـــإن وزارة محمـــد محمود، المستندة إلى أغلبية برلمانية ملفقة، لا تمثل الشعب المصري؛ "وحده الوفد الذي يمثل الشعب المصري". وكان شعار سعد زغلول "الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة" الشعار الأيقونة الذي استخدمته الجريدة في دفاعها عن الديمقراطية في البلاد. (٧٥) وبالنسبة للمصري، كان الدفاع عن الديمقراطيـــة في مصر جزءًا لا يتجزأ من النضال دفاعًا عن الديمقراطية في العالم.

حظيت ثانية المبادرات الألمانية الدوليـــة الرئيـــسية فـــي ١٩٣٨، أي حملتها العدوانية التي كللت بالنجاح لدمج المناطق الناطقـــة بالألمانيـــة مـــن تشيكوسلوفاكيا إلى الرايخ الثالث، بتغطية عالمية كبيرة من جانب الـــصحافة اليومية المصرية في صيف وخريف ١٩٣٨. ومن جانبها، كانت "المـــصري" صلبة في عدائها لأطماع ألمانيا الإقليمية ومطالباتها بمنطقة التـــشيك. ومنـــذ ربيع ١٩٣٨، تعاطفت "المصري" في تعليقاتها مـــع شـــكاوى التـــشيك مـــن العدوان الألماني، وتهديد سيادة البلاد كما رأينا في تحريض ألمانيا في مسألة سوديتنلاند. (٧٦) وعبرت عن تأييدها لحكومة براغ، متبنية الرأي القائـــل: إن إذعان التشيك للمطالب الألمانية سوف يؤدي إلى المزيـــد مـــن المبـــادرات الألمانية تجاه الأقليات الألمانية في شرق أوروبا، وهو ما من شأنه تقـــويض التسويات الإقليمية التي أعقبت الحرب الأولـــى. (٧٧) كمـــا تناولـــت أعمـــال التخريب الألمانية الرامية إلى "تقويض جمهورية تشيكوسلوفاكيا الديمقراطية"، وقالت: إن ادعاءات ألمانيا بإساءة التشيك إلـــى النـــاطقين بالألمانيـــة غيـــر مبررة.(٧٨) وبينما ساندت المقاومة التشيكية ضد المطالب الألمانيـــة، كانـــت "المصري" متشككة في دعم الديمقراطيات الغربية. وفـــي يونيـــو، امتـــدحت

الصحيفة سياسة التفاوض التي انتهجها رئيس الوزراء البريطاني نيفيل شامبرلين ووصفتها بـ "الواقعية" و"الإيجابية" في ضوء انهيار ترتيبات الأمن المتبادلة التي أقرتها عصبة الأمم التي صارت سيئة السمعة. وبينما تعاطفت الجريدة مع سياسة شامبرلين بشكل عام، عبرت أيضا عن أملها في أن تتفهم بريطانيا التهديد العسكري المحتمل الذي يفرضه هتلر عليها وعلى العالم الديمقراطي(٧٩). لكن بعد شهر من هذا، تبنت الجريدة وجهة النظر القائلة: إن سياسة شامبرلين التفاوضية بدأت تستنفد الغرض منها وأصبحت تؤدي إلى نتائج عكسية. وقد قادها تضامنها الوطني مع التشيك، "تلك الأمة العنيدة الأبية المحفور استقلالها في روح شعبها"، إلى التعبير عن قلقها من أنه لو لم تتخذ بريطانيا العظمى موقفا حاسما أمام ألمانيا، ستضطر تشيكوسلوفاكيا للتسليم بالمطالب الألمانية وتفقد بذلك استقلالها. ومستشهدة بأعضاء معارضة الحكومة البريطانية، أعلنت المصري أن السياسة السلمية بكل تضحياتها كانت "سياسة خاطئة"، وتحتاج إلى مراجعة أساسية حتى لا تلقى تشيكوسلوفاكيا مصير النمسا، التي أصبحت الآن "من التاريخ".(٨٠)

في أغسطس وسبتمبر ١٩٣٨، كانت أخبار الأزمة التشيكية تحتل الصفحة الأولى من جريدة الجهاد. ويعلن أحد المانشيتات الرئيسية "الأزمة التشيكوسلوفاكية تشكل خطرا على سلام أوروبا" (٨١). وفي نهاية أغسطس، اعتبرت الجهاد مسألة سوديتنلاند مجرد جزء من مخططات هتلر التوسعية في أوروبا. وترى الجريدة أن نظام هتلر والنازية في ألمانيا قد يشن الحرب في أواخر ١٩٣٨. ومن جانبه، كان جيش ألمانيا الجرار والمسلح تسليحا جيدا يتطلع إلى ميادين القتال ليثبت قدرته وعزمه. إن هتلر "بحاجة إلى انتصارات عسكرية جديدة" لتهدئة جنرالاته وإبهار الأمة الألمانية بقيادته.

"لا شك أن غزو تشيكوسلوفاكيا، في حال تم بسرعة، سوف يضفي الشرعية على جيش ألمانيا الجديد، وهو ما يشغل جزءا كبيرا من نوايا هتلر. أضف إلى هذا أن النازيين على قناعة بأن النصر العسكري في قلب أوروبا سيثير الحمية الوطنية في الداخل ويقدم ألمانيا كقوة لا تقهر". وهكذا، اعتبرت الجهاد مسألة سوديتنلاند مجرد ذريعة من جانب هتلر، ومرحلة من مراحل تحقيق خطته الطموح لغزو أوروبا. (٨٢) وانتقدت الصحيفة مطالب هتلر التي لا تنتهي في تشيكوسلوفاكيا ودعمت الجهود اليائسة التي يبذلها الرئيس إدوارد بنيز لتلبية مطالب ألمان سودتن للحفاظ على سلامة الأراضي التشيكوسلوفاكية. (٨٣)

وعبرت تعليقات الأهرام أثناء الأزمة التشيكية عن دعمها للمعسكر الديمقراطي في مواجهته مع المعسكر الديكتاتوري. وتقدم افتتاحية في أوائل سبتمبر، عن "أزمة الديمقراطية وواجبنا في تجنب نتائجها"، دفاعا مستميتا عن الحكم البرلماني في وجه التهديد الاستبدادي، وتدعو إلى تعزيز الروابط بين مناصري الحكم البرلماني في أنحاء العالم. (٨٤) وفي استعراضه للتوتر بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا حول سوديتنلاند، يرى محمد زكي عبد القادر أن جذر المشكلة يكمن في القومية الحصرية والعنصرية التي تتفشى في العالم الآن. في الأزمة الحالية، طالب هتلر بضم ألمان سوديتن إلى "وطنهم الأكبر" بينما قاومت القيادة التشيكية "باسم القومية التي تربط ألمان سوديتن بأرض واحدة والتي تنسبهم إلى أمة واحدة". ويشعر عبد القادر بالأسف لأن "القومية صارت اليوم على كل لسان". وهو يرى أن مقولة الجنس بصفة خاصة ستقود العالم إلى حافة الحرب. "يجعل هتلر من الجنس أساس الوحدة. والأمة عنده يمكن أن تتألف من جنس واحد فقط". وهكذا قام بطرد اليهود من ألمانيا

بينما يصمم على تجميع الألمان "من كل مكان ومنطقة" في ألمانيا. ويرفض عبد القادر الربط بين الجنس والأمة، مشيرا إلى وجود بلاد متعددة الأجناس مثل بلجيكا وسويسرا، وبصفة خاصة الولايات المتحدة لنفي أي صلة بين الجنس والأمة. ونظرا لتعقيد توزيع الأجناس على مستوى العالم، فإن الإصرار على الأساس الجنسي للأمة سوف يقود إلى حرب عالمية. والقومية العنصرية مفارقة تاريخية في العصر الحديث، حيث يشكل العالم وحدة اقتصادية واحدة وأممًا بحاجة إلى النظر إلى ما وراء حدودها والأفق الضيق الذي يفرضه الجنس. (٨٥)

عقب توقيع معاهدة ميونيخ، توصلت الأهرام إلى عدد من الدروس الواجب استخلاصها من الأزمة حول سوديتنلاند. أهمها يتعلق بالانهيار الواضح لتسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى الموقعة في فرساي وغيرها من معاهدات ما بعد الحرب، وعدم ملاءمة الترتيبات والآليات الدبلوماسية الحالية، مثل عصبة الأمم، لحل النزاعات الدولية الكبرى. ومؤسساتيا، كان المطلوب نظامًا دوليًا جديدًا، يشمل محكمة دولية قادرة على حل النزاعات بطريقة سلمية. والأكثر عمقا وإلحاحا هو روح دولية جديدة لمعالجة النزاعات الدولية، روح تبتعد عن "السياسات المكيافيلية" التي سادت في ميونيخ. (٨٦)

وركز تناول عبد الله حسين لأزمة ميونيخ على الدروس المستفادة للأزمة بالنسبة لدول صغيرة مثل مصر. ويلقي حسين بالجانب الأكبر من اللوم على النتائج البائسة التي ترتبت على ميونيخ بالنسبة لفرنسا وبريطانيا العظمى، وحليفهما الاتحاد السوفيتي لتدويلها ما كان فعليا مسألة بين "تشيكوسلوفاكيا وبعض مواطنيها". فالتدويل كان خطأ، أعطى الشرعية لتدخل

ألمانيا في تشيكوسلوفاكيا، التي دفعت وحدها ثمن الحفاظ على السلام العالمي. وبالنسبة لحسين، كان أحد الدروس المستفادة من ميونيخ هو أن الدول الصغيرة مثل مصر لا يمكن أن تثق في الدول الكبرى؛ لأن "الدول الكبرى تحقق مصالحها بالتضحية بمصالح الدول الصغيرة". وبشكل أعم، يتوصل حسين إلى أن على مصر أن تتفادى بشدة التورط في أي صراع ما دمت مصالحها غير مهددة بشكل مباشر، وطالما أنها لا تدرك الثمن النهائي الذي عليها دفعه. (٨٧)

وفي أوائل نوفمبر، تعود افتتاحية الأهرام مرة أخرى إلى أسباب ونتائج الأزمة الدولية حول سوديتنلاند التي سبق أن حُلت في ميونيخ. فقد خلق مؤتمر ميونيخ "عالما جديدا" اتحدت فيه ألمانيا وإيطاليا، "الدولتان المستبدتان والديكتاتوريتان"، في كتلة موحدة خرجت منتصرة على الدول الديمقراطية المنافسة. وانتقدت الافتتاحية بشدة سلوك حكومتي فرنسا وبريطانيا العظمى في ميونيخ. فقد أخفقت فرنسا في إدراك أن المسألة لم تكن مجرد مصير سوديتنلاند، بل تتعلق بالأحرى بمسألة "سلامة وأمن الوطن الفرنسي". أما بريطانيا، فلم تكن ببساطة مستعدة، عسكريا أو معنويا، للحرب. وبينما تعاطفت الافتتاحية مع تعهد شامبرلين بالحفاظ على السلام، لم يكن الحال كذلك مع الموقف الذي اتخذته بريطانيا العظمى في ميونيخ والذي وصفته الصحيفة بـ "الاسترضاء والتراجع والاستسلام" أمام هتلر. ورأت الأهرام في سياسة الاسترضاء التي اتبعتها الدول الغربية في ميونيخ، وتضحيتها بسلامة الأراضي التشيكوسلوفاكية "على مذبح السلام"، كانت خطأ أضفى الشرعية على اتجاه خطير في السياسة الدولية يتقرر النجاح فيه بترويع القوي للضعيف. وعبرت الافتتاحية عن شكوكها في أن معاهدة

ميونيخ "كانت انتصارا لأنصار السلام"، كما قدمها شامبرلين للعالم. فالمنتصر في ميونيخ كان "الاستبداد النازي"؛ وعلى الجانب الآخر، "قاست الديمقراطيات "الهزيمة".(٨٨)

واستطردت الافتتاحية لتربط بين أزمة ميونيخ ومصر والشرق الأوسط. فالصراع حول تشيكوسلوفاكيا كان جزءًا من صراع طويل المدى بين الاستبداد والديمقراطية. وتوقعت أن فرنسا وبريطانيا العظمى لن تترددا في دخول الحرب عندما تدركان مدى خطورة التهديد النازي على النظام العالمي. وفي الحرب الوشيكة، يجب على مصر والعالم العربي الوقوف إلى جانب الديمقراطيات التي ترتبط بها بمعاهدات حاليا: "على الشعوب العربية أن تدرك أن تقوية حلفائها واجب نظرا لقوة *الفريق الأوتوقراطي*". لكن في الوقت الذي دعمت فيه الأهرام الدول الديمقراطية في مواجهة الدول الديكتاتورية، لم يكن دعمها مطلقا. ففي عالم ما بعد ميونيخ، "حيث تدمر البلاد الديكتاتورية العالم القديم، وتخلق عالما جديدا"، يمكن أن يتحول المشرق العربي إلى جبهة في حال اندلاع الحرب. ومن الضروري أن تقوي البلاد الديمقراطية علاقاتها بالعرب. وهذا يعني منحهم "حرية حقيقية واستقلالاً حقيقيًا" حتى تضمن دعمهم الصادق في نضال الديمقراطيات ضد الأوتوقراطية.(٨٩)

بحلول أواخر ١٩٣٨، كانت الأهرام متشائمة بشكل واضح من مسار الشئون الدولية. واعتبرت تعزيز الصلات بين ألمانيا وإيطاليا واليابان في كتلة المحور، التي يعتمد كل أعضائها "سياسة القوة والعنف في العالم"، يشكل تهديدا "لمصير الإنسانية". وفي حين أن أطماع ألمانيا النازية الإقليمية تهدد سلام أوروبا "في الشمال"، لم يشبع نظام إيطاليا الفاشي أطماعه الإقليمية بعد

"في الجنوب" (أي البحر المتوسط). وفي هذا الصراع بين الديكتاتوريات والديمقراطيات، وقفت الصحيفة بحزم مع المعسكر الأخير. وعند مراجعة التطورات الرئيسية خلال الأعوام القليلة الماضية ــ غزو إيطاليا لإثيوبيا واحتلالها؛ غزو اليابان واحتلالها لمعظم الصين؛ ضم ألمانيا للنمسا وسوديتنلاند ــ كان موقف الأهرام هو أن "البلاد الديكتاتورية نشرت حكمها في ثلاث قارات، وليس أمام البلاد الديمقراطية إلا اللجوء إلى القوة لوقف هذه الهيمنة".[٩٠]

ولم تفعل التطورات التي كانت تجري في ألمانيا نفسها أكثر من تعزيز تشاؤم الأهرام. وانتقدت الصحيفة المعاملة القاسية التي يعامل بها الرايخ الثالث اليهود، معتبرة إياها ذلة جديدة في سجل إعدام ألمانيا "مواطنين يهود ألمان أبرياء"، وعبرت عن تعاطفها مع "المأساة المروعة" التي حلت بيهود ألمانيا. وعبرت الأهرام عن خشيتها من أن يكون "طرد اليهود من ألمانيا" قد أصبح سياسة رسمية وثابتة للنظام النازي. ومضت الافتتاحية تكرر رأي الصحيفة بأن المحور الألماني الإيطالي الجديد كان شؤما على مصر. والنظامان يتطابقان تقريبا في ديكتاتوريتهما في الداخل، واتباع سياسة خارجية أصيلة في عدوانيتها؛ ومزيج الديكتاتورية في الداخل ورغبتها في التوسع يجعلان من قوتي المحور مصدرًا للخطر".[٩١]

وفي تقييمه لألمانيا النازية وزعيمها في أعقاب ضم النمسا ومؤتمر ميونيخ ومذابح اليهود، قدم محمد زكي عبد القادر الفوهرر بوصفه ديكتاتورًا مهووسًا من ناحية بإبادة اليهود من الوجود، لا في ألمانيا وحدها بل في كل مكان من أوروبا؛ ومن الناحية الثانية توسع ألمانيا إقليميًا في أوروبا أولا لتنطلق بعد ذلك نحو أفريقيا وآسيا. وكتب عبد القادر عن هتلر يقول "شهية

الديكتاتور لا حدود لها". ووصف موسوليني بأنه "ديكتاتور من الصنف نفسه"، وهو مثل هتلر، يعتمد على "حكم القوة، ويستخدم السلاح" لتحقيق أهدافه. وكان كلا الديكتاتورين يشكل خطرا على سلام العالم.(٩٢)

وعند مراجعتها لأحداث السنة السابقة في بداية ١٩٣٩، اعتبرت الأهرام معاهدة ميونيخ "مقدمة لشيء خطير" وضع قواعد جديدة تنذر بالشؤم لإدارة العلاقات الدولية في المستقبل. وكانت سابقة ميونيخ، التي شهدت "الاستسلام أمام القوة كوسيلة لتفادي الحرب والتحايل على التعهدات التي تأسست من خلال المعاهدات والاتصالات بين الدول، أسوأ المبادئ ويستوجب أكبر إدانة". وأن "كل ما هو مسموح به، وكل ما هو قانوني" في مجال العلاقات الدولية كان مستمدا مما رشح في ميونيخ. وبريطانيا العظمى وفرنسا بحاجة لأن تستبدلا سياسة الاسترضاء التي اتبعتاها في ميونيخ بموقف حازم في وجه الخطر الفاشي والنازي. فسياسة الاسترضاء تلك التي اتبعتاها لها أيضا مخاطرها. وطالما استمر المعسكر الديمقراطي في التقهقر و"العمل وفق رغبات أعدائه، فمن المتوقع أن يدخل في مرحلة ضعف خطرة تنتهي فيها حريات البلاد الحليفة أيضا". لم تضمن معاهدة ميونيخ تحقيق السلام، بل "كان شبح ميونيخ؛ شبح الحرب" يدق أبواب العالم.(٩٣)

في ١٩٣٩، تكاثف القلق مما يجري على الساحة الدولية واحتمالات الصدام العسكري بين البلاد الديمقراطية والديكتاتورية في أوروبا. وهناك تطوران دوليان حدثا في أوائل ١٩٣٩ ـ انتصار الوطنيين في إسبانيا على الجمهوريين الذي أصبح واضحا في غزو الوطنيين لبرشلونة في يناير، وضم ألمانيا ما تبقى من تشيكوسلوفاكيا من طرف واحد في مارس ـ عززا من تحذيرات الأهرام والمصري من خطر الفاشية على الليبرالية الديمقراطية

واستقرار العالم. من جانبها، نبهت المصري إلى أن انتصار فرانكو والوطنيين، كان هزيمة للديمقراطية. وقد شارك الديكتاتوريون الآخرون، وعلى رأسهم هتلر وموسوليني، من خلال الدعم الذي قدموه لفرانكو، في الهجوم على الديمقراطية في إسبانيا. وانتقدت الجريدة "الخلاف بين البلاد الديمقراطية" حول الحرب الأهلية الإسبانية، وأشارت إلى أن انتصار الوطنيين كان دليلا على أن المعسكر الاستبدادي "يحقق النصر تلو النصر" في حين أن "الديمقراطيات الغربية، خاصة إنجلترا وفرنسا، عالقة في الوحل". وعلى المستوى المفاهيمي، كان انتصار الوطنيين في إسبانيا "انتصارًا آخر للفاشية ... ولذلك يحمل معنى كبيرًا من الوجهتين السيكولوجية والدعائية"، معنى له تداعياته السلبية على مصر والبلاد العربية و"غيرها من الدول المتوسطة والصغيرة" التي تواجه أيضا خطر العدوان والتوسعية الفاشية.[٩٤]

لم يشكل تحرك ألمانيا العدواني التوسعي التالي، عندما ابتلعت ما ابتلعته من تشيكوسلوفاكيا في مارس ١٩٣٩، مفاجأة للأهرام. وفرضت الحساسية تجاه خطر قيام ألمانيا أكبر على العالم نفسها على تعليق الصحيفة: نتيجة لضم تشيكوسلوفاكيا، تقوم الآن "أمام أعيننا" ألمانيا الأكبر". فألمانيا، بشعبها الذي يقدر بتسعة عشر مليون نسمة، أصبحت الآن أكبر دولة في أوروبا. إن "ألمانيا التي تزيد من عدد سكانها، وتزيد بذلك من قوتها، وتعزز من نفوذها، وتوسع آفاق أطماعها، لابد أن تتقدم أيضا بالمزيد من المطالبات في مستعمراتها خارج أوروبا. وفي داخل القارة، لم يكن للأهرام أدنى شك في أن لدى جيران ألمانيا، وتحديدا بلجيكا وهولندا في الشمال الغربي والمجر

ورومانيا في الجنوب الشرقي، سببًا للذعر من احتمال ضم حدودها. فالنظام النازي لن يهدأ قبل أن يضمها في نطاق ألمانيا الأكبر كذلك.(٩٥)

وإلى جانب إدانة ضم ألمانيا ما تبقى من تشيكوسلوفاكيا كدليل على أن "شهية هتلر لا تعرف حدودا"، استمرت تعليقات المصري على الموقف الدولي في أبريل ١٩٣٩ في تقديم ما اعتقدت أنه ترياق التهديد النازي القائم للنظام العالمي. "إن الرد الحقيقي والفعال" الذي على البلاد الديمقراطية أن تقوم به هو الاستعداد العسكري والتسلح. وانطلاقا من بيان أحد الزعماء البريطانيين بأن "من الضروري أن تقوى بريطانيا للحيلولة دون العدوان وهزيمته". قالت "المصري": إن توسيع القوات المسلحة البريطانية خطوة ضرورية لإقامة "جبهة قوية ضد فرض التسلط بالقوة".(٩٦) وكانت الجريدة تتابع عن كثب عملية بناء القوة العسكرية الجارية في البلاد الديمقراطية والديكتاتورية على حد سواء في ١٩٣٩، وعبرت أكثر من مرة عن اعتقادها بأن زيادة الاستعدادات العسكرية في المعسكر الأول هي الوسيلة المؤكدة لردع المزيد من العدوان والحيلولة دون اندلاع الحرب. وشفعت تأييدها للاستعداد العسكري من جانب البلاد الديمقراطية بمطالبة بريطانيا أكثر من مرة بتعزيز قوة مصر العسكرية بتزويدها بالأسلحة الحديثة حتى تتمكن من الوقوف إلى جانب المعسكر الديمقراطي في مقاومته للتوسعية الفاشية.(٩٧)

وكما كان الحال في ١٩٣٨، واصلت المصري الجمع بين دعم الديمقراطية في الخارج والمطالبة بعودة حكومة ديمقراطية فعالة في مصر. واستمرت في تقديم رئيس الوزراء محمد محمود في صورة الديكتاتور الذي يخرب الديمقراطية المصرية للإبقاء على حكومة غير ممثلة لإرادة الشعب في السلطة. وعلى عكس محمود، كانت تقدم مصطفى النحاس زعيم الوفد

بوصفه حارس الديمقراطية، والزعيم الذي يحترم الدستور والذي يعد وقتها الشخصية الرئيسية المعارضة "للديكتاتور محمد محمود"، الذي يتصرف بطريقة موسوليني وهتلر وستالين. ورأت في خطوات الوزارة لـ "كبح حرية التعبير وحرية الصحافة"، "مأساة للصحافة ولحرية التعبير"، وأن سياسة كهذه تهدد بتقويض واحدة من ركائز الديمقراطية في مصر.(٩٨)

وفي افتتاحيتها تعليق على الغزو الإيطالي لألبانيا في أبريل ١٩٣٩، رأت أن "من الصعب للغاية تصديق" الادعاء الإيطالي بأن "المصالح الإيطالية كانت مهددة في ألبانيا"، واعتباره مبررا كافيا لغزو واحتلال البلاد، ورأت أن السبب الحقيقي للغزو هو أن "النظام الإيطالي اعتقد أن من الضروري تحقيق نجاح ملموس لتعزيز هيبته الدولية في عيون الشعب الإيطالي، الذي أصبح يعتقد أن ألمانيا وحدها "هيالتي" استفادت من سياسة المحور"، بعد توغل هتلر الأخير في تشيكوسلوفاكيا. وأيا كان الدافع، رأت الأهرام في التحرك الإيطالي مجرد تطور آخر "يهدد السلام العالمي".(٩٩)وتوسع محمد زكي عبد القادر في تقدير السبب المحتمل. وفي تحليله لـ "سيكولوجية الديكتاتور"، يرى عبد القادر أن دافع الغزو كان داخليا أكثر منه خارجيا؛ وهو إجراء الغرض منه تعزيز وضع موسوليني في الداخل بالتأكيد على "سيطرته على الروح المعنوية للشعب". فالغزو يعني "إلهاء الشعب الإيطالي بمجد زائف ووهم الإمبراطورية الأثير لديهم". كان موسوليني أسير منافسة غير متكافئة مع زميله الديكتاتور هتلر. والفرق بين "ما حصل عليه موسوليني وما حصل عليه هتلر" لم يكن في صالح موسوليني. وعلى الرغم من أنه جاء إلى السلطة قبل هتلر بوقت طويل، فإن انتصاراته على الساحة الدولية تتضاءل أمام انتصارات هتلر. وهكذا، قرر انتهاز المبادرة، وحيث إنه لا يستطيع أن

ينافس بريطانيا العظمى في السيطرة على البحر المتوسط أو السيطرة على قناة السويس، وحيث إنه "لا مفر من التحرك؛ التحرك في أي اتجاه"، اختار موسوليني "أصغر البلاد وأضعفها"، ألبانيا، لإعلان قوة العسكرية الفاشية. وبالنسبة لعبد القادر، كان الهجوم الإيطالي على الأضعف درسًا لمصر كذلك.[١٠٠]

في أبريل ١٩٣٩، كانت أطماع موسوليني في البحر المتوسط جرس إنذار للأهرام، تماما كما كان الحال بالنسبة لهتلر في وسط أوروبا. وأشار تعليق على خطاب أخير لموسوليني، شريك هتلر في "محور الديكتاتورية"، إلى أنه "يدعم سياسة هتلر لاستخدام القوة في تحقيق الأهداف والرغبات السياسية". يضاف إلى هذا أن الجوار الجغرافي جعل النوايا التوسعية لإيطاليا الفاشية خطرا أكثر مباشرة على مصر نفسها: "تتركز مطالب إيطاليا في حوض البحر المتوسط، وموسوليني يطالب بالاستحواذ على هذا الحوض بالكامل". وفي تقدير الأهرام، كان الخطر الذي يشكله الاستعمار الإيطالي على مصر وغيرها من دول شمال أفريقيا العربية حقيقيا. واعتبرت الصحيفة التهديد الإيطالي لقناة السويس، ذلك الموقع الاستراتيجي للسيطرة على البحر المتوسط، يشكل خطرا على مصر بصفة خاصة. وعلى ضوء توجه خطر التوسعية الإيطالية إلى مصر، دعت الأهرام مصر إلى "تعزيز سلاحها الدفاعي ... حتى تفهم الدولة المغامرة (إيطاليا) أنها تواجه قوة حقيقية".[١٠١]

ورأت الأهرام الكثير من الأسباب للتشاؤم من الموقف الدولي في صيف ١٩٣٩. فهي لم تستطع تصور حل سلمي للصراع الياباني – السوفيتي على منشوريا، حيث تغلغلت اليابان عميقا في الصين وما ترتب على ذلك من مخاوف روسية بشأن المصالح السوفيتية الاستراتيجية.[١٠٢] ولم

يكن الموقف في إسبانيا فرانكو أفضل: فعليا، أصبحت إسبانيا جزءا من "المحور الديكتاتوري" وأصبحت بمثابة نكسة أخرى لقضية الديمقراطية في أوروبا.[١٠٣] وكانت المحادثات غير المنتظمة بين البلاد الديمقراطية الغربية والاتحاد السوفيتي، الرامية إلى إيجاد رادع فعال للتوسع النازي بصفة خاصة، تراوح مكانها، ولا تقدم الكثير لتحقيق ردع فعال لتهديد هتلر.[١٠٤] وفيما يخص مصر، اعتبرت الأهرام ما أسمته "الرغبة الإيطالية للهيمنة على البحر المتوسط" تهديدا للبلاد. كانت إيطاليا تحاول استغلال موقعها المتوسط في حوض البحر المتوسط لتحقيق الهيمنة السياسية والإستراتيجية على هذا البحر. وقد دُشن أسطولها البحري الحديث لتحقيق سيطرة ملموسة على البحر المتوسط والشرق الأوسط في حال نشوب الحرب. وحذرت الصحيفة من أن "الموقف في الشرق الأوسط يزداد حدة يوما بعد يوم". ودعت بريطانيا العظمى وفرنسا إلى الوجود عسكريا للدفاع عن البحر المتوسط، تلك المنطقة بالغة الأهمية بالنسبة للدول الديمقراطية الغربية، لتفادي خطر سيطرة إيطاليا عليه.[١٠٥]

مع تقدم عام ١٩٣٩، أبدت الصحافة اليومية المصرية اهتماما خاصا بالمطالبات الألمانية في بولندا، وبالذات مطالبتها بضم دانزيج إلى ألمانيا.[١٠٦] وبحلول شهر يوليو، تنبأت الأهرام بأن "مشكلة بولندا" يمكن أن تشعل حربا أوسع: كانت دانزيج "مصدر الخطر الذي يهدد أوروبا بحرب دموية".[١٠٧] وجاء تعليق الجريدة على الأزمة الألمانية ـ البولندية متعاطفا مع الموقف البولندي، حيث أوضحت أن "العالم كله يعرف أن ألمانيا هي وحدها صاحبة المصلحة في العدوان"، وأكدت أن "بولندا تضع ثقتها فيما ستقدمه البلاد الديمقراطية من دعم".[١٠٨] وعند استعراضها لتنامي النفوذ

والتحريض الألماني من خلال تكوين وحدات نازية شبه عسكرية "أكبر من الجيوش النازية في النمسا أو سوديتن" ومؤلفة من سكان المدن الناطقة بالألمانية، توصلت الصحيفة إلى أن هدف ألمانيا هو نزع السيطرة البولندية على دانزيج من الداخل، وهو ما يشبه كثيرا ما سبق وفعلته في النمسا وتشيكوسلوفاكيا.[١٠٩] وعلى الرغم من أن الصحيفة كانت تأمل في التوصل إلى حل عبر التفاوض، فقد شككت في احتمالات التوصل إلى حل سلمي لمشكلة دانزيج. فرغم رغبة الطرفين الأساسيين المزعومة في التوصل إلى حل، "حتى الآن لم يتم أي إجراء (بشأن المفاوضات) لأنه لا أساس لهذه المفاوضات". وكانت تشك، فوق هذا، في أن هتلر يتظاهر بالبلادة في مسألة دانزيج والحقيقة أن لديه "نوايا خفية" لحل مشكلة دانزيج بالقوة.[١١٠]

كما كانت "مشكلة دانزيج"، بالنسبة للمصري، مصدر قلق دوليًا كبيرًا في منتصف ١٩٣٩. ونشرت الصحيفة تقارير منتظمة عن حرب الأعصاب الدولية المتصاعدة حول الوضع في دانزيج. واعتبارا من ربيع ذلك العام، بدأ كتّاب الصحيفة يرون الموقف على النحو الآتي: ألمانيا تطالب بضم المدينة إلى الرايخ الثالث، والبولنديون يصرون على أن دانزيج جزء لا يتجزأ من بولندا، وأن وقوف بريطانيا وفرنسا بجانب بولندا يفتح الأفق أمام حرب أوروبية عامة. وأوضحت الجريدة أنه بعد نزع ألمانيا سلاح تشيكوسلوفاكيا وغزو إيطاليا واحتلالها ألبانيا، فإن على البلاد الديمقراطية الغربية أن تتصدى بحزم وإلا وقعت بولندا وغيرها من دول وسط أوروبا وشرقها تحت السيطرة الفاشية أو النازية. وكانت وجهة نظر المصري هي أن "بريطانيا لن تدع ألمانيا تسيطر على أجزاء أخرى من أوروبا"، وفرانكو أيضا "سيساعد بولندا في حالة الحرب".[١١١] وتوقعت الجريدة أن "مصير بولندا لن يكون

مثل مصير تشيكوسلوفاكيا".(١١٢) وتوقعت أنه نظرا لتعنت ألمانيا في وضع دانزيج وعزم بولندا المعلن للدفاع عن ملكيتها للمدينة، "فالحرب قادمة لا محالة".(١١٣)وبينما كانت متابعة الصحيفة لتطورات المواجهة الممتدة حول دانزيج تتسم إلى حد كبير بالواقعية، أشادت افتتاحياتها بـ "شجاعة بولندا وصبرها أثناء الأزمة"(١١٤) وعبرت عن تضامن مصر مع بولندا بوصفها "دولة صغيرة" تقع تحت ضغط ألمانيا "التي تفوقها كثيرا من الناحية العسكرية".(١١٥) وشككت في مزاعم هتلر بأنه "يريد دانزيج ولا يريد الحرب"،(١١٦) وأشارت إلى أنه بينما يتطلب إحلال السلام تخلي هتلر عن مطالبته بدانزيج، فإن ذلك سيكون صعبا على زعيم "لنظام ديكتاتوري" مثل ألمانيا النازية.(١١٧)

وصاحب تغطية المصري لاحتمالات قيام حرب نتيجة المواجهة حول دانزيج دعوتها إلى تكثيف التسلح من جانب البلاد الديمقراطية. وأكد أحد المانشيتات أن على بريطانيا العظمى "التسلح لإجبار بقية العالم على احترامها".(١١٨) وهذا أمر ضروري على ضوء الاستعدادات العسكرية الجارية في كل من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، وتعزيز التحالف العسكري الذي يربط الدولتين آنذاك، و"الروح العسكرية" التي تسيطر على تصرفات ألمانيا.(١١٩)

وبحلول أغسطس ١٩٣٩، كانت الأهرام والمصري على قناعة بحتمية نشوب الحرب. وحسب إحدى الافتتاحيات بعنوان "أغسطس ١٩١٤ وأغسطس ١٩٣٩!"، فإن "أشباح الحرب تروع الجميع". والحرب العامة ستصيب العالم بدمار لا حد له وستسبب مأساة. ونظرا للثقة المحدودة في قدرة زعماء العالم على وقف قطار الحرب، ناشدت الافتتاحية ضمير

الشعوب المستنيرة في كل مكان حشد الرأي العام العالمي ضد الحرب، على أمل أن يكون بإمكان الحشد من أسفل تفادي دمار القطار الذي تقف زعامات العالم أمامه عديمة الحيلة[١٢٠]. إلا أنه مع "وجود ١٢ مليون جندي مسلح على أهبة الاستعداد للحرب"، انحازت افتتاحية لاحقة للرأي القائل: إن الحفاظ على السلام مسألة بعيدة المنال.[١٢١] وحمّلت الأهرام أنصار هتلر والنازي في دانزيج المسئولية عن تدهور الموقف. ولم يعد ثمة سبيل للحفاظ على السلام: المفاوضات البريطانية ــ الفرنسية ــ الروسية لتشكيل جبهة معادية للنازي لا تحرز تقدما، والجهود الأمريكية للدعوة إلى حل عن طريق إرسال الرسائل إلى العديد من زعماء أوروبا لم يكن لها أثر على الوضع المتوتر.[١٢٢]

واتخذت المصري موقفًا مشابهًا من الوضع الدولي المتدهور في أغسطس ١٩٣٩. وتأسفت الجريدة أكثر من مرة من أنه على ضوء تعنت ألمانيا الذي لا يتزحزح في دانزيج والتحريض الذي تمارسه ألمانيا ضد الحكومة البولندية داخل المدينة، فإن الجهود الدولية للتوصل إلى حل سلمي للأزمة باءت بالفشل.[١٢٣]وحاولت إحدى الافتتاحيات استخدام تبريزات هتلر للمطالبة بدانزيج ضده. فكما حدث في وقت سابق مع سوديتنلاند التشيكية، تحاول حكومة ألمانيا تبرير مطالبتها بدانزيج على أساس أن المدينة جزء من مجال ألمانيا الحيوي. وترى المصري أن لمنطق نفسه "من الطبيعي أن ينطبق على بولندا كذلك؛ وأن إصرار الحكومة (البولندية) الحالية على بقاء دانزيج بولندية يمكن تبريره وفق مبدأ المجال الحيوي لبولندا". واستطردت الصحيفة قائلة: إن المسألة الحقيقية ليست دانزيج وإنما "وحدة أراضي بولندا" المؤسسة على المعاهدات الدولية الموقعة بعد الحرب العالمية الأولى. وكما كان الحال في تشيكوسلوفاكيا، وحتى تحقق ألمانيا مطامعها الإقليمية، "يجب

أن تختفي بولندا من خريطة العالم". وهذا هو هدف هتلر الحقيقي. وكانت النتيجة التي توصلت إليها الافتتاحية محزنة؛ فالحرب تبدو السبيل الوحيد لحل المسألة.[١٢٤] وإذا ما قامت الحرب، كما تفترض الصحيفة، فلن تقتصر على ألمانيا وبولندا وحدهما؛ ولجوء ألمانيا لاستخدام القوة العسكرية ضد بولندا سيقود الديمقراطيات الغربية إلى التدخل إلى جانب بولندا، وهو ما سيؤدي إلى حرب أوروبية شاملة.[١٢٥]

وكان للإعلان المفاجئ عن التوصل إلى معاهدة عدم اعتداء بين ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي أواخر أغسطس وقع الصاعقة على المصريين؛ "أغرب الأحداث وأكثرها إثارة للخوف في هذه الفترة"، كما عبرت المصري. كانت التداعيات مميتة بالنسبة لبولندا ولقضية السلام: في حين أن بريطانيا العظمى وفرنسا أبعد جغرافيا من أن تساعدا بولندا في حالة وقوع هجوم ألماني، فإن هتلر نجح بضربة واحدة في تحييد روسيا وجيشها الجرار. فقد مهدت المعاهدة الطريق للهجوم الألماني على بولندا.[١٢٦] كما رأت المصري في توقيع معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي "حدثا مفاجئا ومثيرا للدهشة"، لكنها توقعت "أن المعاهدة لن تغير من العون الذي تقدمه إنجلترا وفرنسا لبولندا".[١٢٧] وقبل أيام قليلة من بدء الغزو الألماني لبولندا، توصلت الأهرام إلى أن أعصاب هتلر القوية كسبت حرب المناورات السياسية ضد خصومه الديمقراطيين ضعاف الإرادة: كانت "حربا من نوع جديد ابتدعه هتلر، تماما كما سبق واخترع النظام النازي".[١٢٨]

عشية الحرب العالمية الثانية، توصلت كل من الأهرام المستقلة والمصري الوفدية إلى قناعات راسخة حول طبيعة النظامين الأوروبيين الفاشي والنازي. ومن جانبها، ركزت الأهرام على ثلاثة اختلافات رئيسية

بين النظامين السياسيين المتنافسين. الاختلاف الأول ـ والأكثر أهمية بالنسبة للمراقبين في بلد حديث الاستقلال ومتأجج الوطنية مثل مصر ـ هو العدوانية الخارجية والرغبة في التوسع التي أظهرتها إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية، وكذلك احتمال تهديد الاستعمار الفاشي لمصر بشكل مباشر. وكان الثاني هو الشمولية داخل النظامين الفاشيين، وانتهاكهما للقيم الليبرالية والإنسانية عن طريق قمع حرية التعبير والتعددية السياسية والاحتجاجات الشرعية في الداخل. والثالث ـ يتصل بالنازية بصفة خاصة ـ هو القومية الشوفينية والعنصرية التي تعني البربرية في الداخل، وانتهاك حقوق الآخرين في الخارج.

وتوسعت افتتاحية الأهرام في مايو ١٩٣٩ في السمات الرئيسية الثلاث للحركات الفاشية الأوروبية المعاصرة. الأول هو الاستعمار، استعمار أكثر شراهة وخطورة من القوى الاستعمارية المتخمة، بريطانيا العظمى وفرنسا. وقارنت الافتتاحية بين ما أسمته "القومية الديكتاتورية" في ألمانيا وإيطاليا وبين "القومية الديمقراطية" كما نراها في الدول الديمقراطية الغربية مثل بريطانيا العظمى وفرنسا. فالقومية الديمقراطية، كما ترى الافتتاحية، معتدلة ومنفتحة وإنسانية. قومية راسخة في القيم العليا؛ قيم الحرية والمساواة والتسامح، التي ترى نفسها جزءا من النظام العالمي التعددي لأسرة واحدة من الأمم المتساوية، لا تعلو فيه أمة على غيرها. أما تلك القوميات التي ظهرت نتيجة "عقدة النقص" فهي مختلفة كلية. وقد برز هذا النوع من القومية في الدول القومية الأحدث التي كانت قد تشكلت نهاية القرن التاسع عشر والتي عانت مشاعر النقص نتيجة عدم تمتعها بممتلكات استعمارية. وكانت إيطاليا وألمانيا المثال لتلك "القوميات الديكتاتورية". وعلى عكس القوميتين

البريطانية والفرنسية اللتين أشبعتا أطماعهما الاستعمارية بحيازة مستعمرات كبيرة، واستطاعتا من ثم أن تكونا هادئتين ومعتدلتين في سلوكهما الدولي، كانت تطلعات إحياء الإمبراطوريتين الألمانية والإيطالية مشوبة بإحساس بالنقص القومي. وهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى والأزمة العميقة التي غرقت فيها إيطاليا بعد الحرب لم تفعل أكثر من تكثيف الشعور بالنقص، وأسفرت في الداخل عن صورة قومية ذاتية مجروحة لضحية لا بد أن تنتقم لنفسها بأي وسيلة ممكنة. هذه المشاعر كانت جذرا للحاجة السيكولوجية القوية التي تدفع كلاً من هتلر وموسوليني للتوسعية العنيدة، "لغزو المجالات الحيوية"؛ ومن ثم توسيع الحدود الإقليمية لألمانيا وإيطاليا. كما أوضحت الطبيعة المتطرفة للقومية الألمانية والإيطالية، والنهم والشراهة للإشباع المادي عبر التوسع. والقوميات الديكتاتورية المعاصرة، بحكم طبيعتها، استعمارية حتى النخاع، وهي حركات يحركها هاجس "التوسع الاستعماري". تلك القومية الاستعمارية "لا تؤمن بحقوق الآخرين"، وتمارس بدلا من ذلك "سياسة ترويع" البلاد الأضعف لإرضاء الحاجة الملحة إلى التوسع.(١٢٩)

يتصل الملمح الرئيسي الثاني لـ "القوميات الديكتاتورية" بسياساتها الداخلية. هذا الملمح هو إصرارها على السيطرة التامة على المجتمع المدني وتقديس الأمة وزعامتها على حساب حقوق الأفراد. وأوضحت الافتتاحية كيف نجح النظامان النازي والفاشي الشموليان في "تحويل الفرد إلى ذرة بلا إرادة". وحللت الافتتاحية "الإرهاب الداخلي" الذي كان يفرضه النظام النازي على الألمان عبر العنف وإرهاب قوات أمنه الخاصة. ففي سبيل إعلاء "إرادة الأمة"، مُحيت "إرادة الفرد". كما أشارت إلى العلاقة التي لا تنفصم بين القمع في الداخل والعدوان في الخارج، مؤكدة أن غرض الأول هو تسهيل الأخير.

وانعكس الشعور بالنقص الذي يسم السياسة الخارجية الفاشية على الداخل، ومحق الأفراد وتجنيدهم جميعا في خدمة الدولة. وتحت حكم النظامين النازي والفاشي في ألمانيا وإيطاليا، "تتنازل الأمة عن حرياتها الاقتصادية والمجتمعية وتقبل بحقيقة أن عليها أن تقاتل بكل ما أوتيت من قوة لتحقيق الهدف (القومي)". وهكذا، تجاهد خطب هتلر الديماجوجية لتسخير الأمة الألمانية لخدمة رسالة المجد القومي، بينما أعلن موسوليني من جانبه أن "عشرات الملايين من الإيطاليين مستعدون لحمل السلاح والقتال من أجل إمبراطوريتهم". وكلا الزعيمين قاد أمته، حسب رأي الأهرام، إلى الإيمان الكاذب بـ"قوة الدولة وعظمتها المؤكدة، وقدراتها الفائقة، وتفوقها على غيرها من الدول القومية" لتخفيف مشاعر النقص القومية.(١٣٠)

كانت العنصرية ثالثة سمات "القوميات الديكتاتورية". فهذا النوع من القومية مولع بـ"(فضائل الجنس) التي "تمجد الجنس وتضع نفسها جنسا فوق ما عداه من الأجناس". وهذه السمة تنطبق بالأساس على ألمانيا النازية.(١٣١) ولإيمانه بأن الجنس الألماني يسمو على كل الجناس الأخرى، كان النظام النازي متعطشا لتحقيق لا التوسع الجغرافي وحده بل أيضًا المجال الحيوي الجنسي، القائم على فكرة وجود جنس ألماني مقدر له أن يسود على الأمم الأخرى.(١٣٢)

وبينما تشابكت، في جانب منها، مع وجهة نظر الأهرام النقدية في الاستعمار الفاشي والنازي، والشمولية، والعنصرية، جاءت نبرة المصري الوفدية مختلفة بقدر ما في إجمالها للمسائل الأساسية المتصلة بالمواجهة بين الديمقراطية والديكتاتورية. وركزت افتتاحية في يوليو ١٩٣٩ على تحديد موقف مصر وغيرها من البلاد العربية التي كانت "تناضل من أجل تحررها

الوطني" من الهيمنة البريطانية والفرنسية وضرورة "مشاركتها في الصراع بين الديمقراطية والديكتاتورية زمن الحرب". وعلى الرغم من أن المصري رأت في موقف بريطانيا العظمى وفرنسا موقفا استعماريا، وعلى الرغم من تأكيدها على شرعية النضال المصري والعربي من أجل الاستقلال، فإنها اعتبرت البلاد العربية جزءا من المعسكر الديمقراطي في مواجهته مع الشمولية والتوسعية الفاشية. وكانت إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية غير مقبولتين كحليفتين لمصر والعالم العربي في كفاحهم من أجل الحرية. واتفقت الصحيفتان تماما في نظرتهما السلبية للطابع العدواني والاستعماري للفاشية والنازية. وأشارت الافتتاحية إلى أنه لا يمكن تبرئة بريطانيا العظمى وفرنسا تماما مما يجري على الساحة الدولية؛ كانت استعماريتهما إحدى مثالبهما. إلا أنه لم يكن من الممكن أن نتعلم من بلد مثل إيطاليا أو ألمانيا معنى احترام المعاهدات الدولية أو حقوق البلاد الصغيرة. فإيطاليا، غزت الحبشة بوحشية، "وهي عضو في عصبة الأمم"، ومهدت الطريق أمام هتلر لابتلاع النمسا وساعدت ألمانيا في تدمير تشيكوسلوفاكيا، العضو الآخر في عصبة الأمم "التي لا يمكن أن ينازع أحد في استقلالها". كما غزت إيطاليا ألبانيا "دون مبرر". وعقائديا، كان النازيون الألمان أسوأ حتى من الفاشيين الإيطاليين في موقفهم من العرب، وخاصة الأمم السامية "التي وضعها هتلر في الدرك الأسفل من الأجناس الإنسانية".(١٣٣)

واستطردت الافتتاحية لتحذر العرب كافة من تصديق الدعايات الفاشية والنازية التي تدعي مساندتهم للحصول على استقلالهم. ونظرا للسجل الاستعماري للنازية والفاشية، فإن استعمارهما أكثر سوءا من استعمار بريطانيا أو فرنسا الديمقراطيتين: "إذا كانت بلاد المشرق العربي لا تريد أن

تحكمها البلاد الديمقراطية ... فليس معنى هذا أنها ستوافق على أن تستعبدها البلاد الديكتاتورية".(١٣٤) وبالنسبة للمصري، وكذلك الأهرام، فإن مقولة "عدو عدوي صديقي" لا تسري هنا. ولم يتغير موقف العداء هذا من الاستعمار الفاشي، الذي ظهر بوضوح في الصحافة اليومية المصرية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية، بقيام الحرب.

وكصحيفة معبرة عن الوفد، كانت المصري أكثر تركيزا على حاجة مصر إلى الارتباط بالبلاد الديمقراطية. وبوصفه الحركة السياسية المهيمنة في فترة بين الحربين، والحزب الذي خرج منتصرا من عدد قليل من الانتخابات البرلمانية الحرة نسبيا، كان الوفد مدافعا ثابتا عن دستور ١٩٢٣ ونظام الحكم البرلماني الذي أقامه في مصر. وهناك مصلحة سياسية واضحة في دفاع الوفد عن الحكم الدستوري وسيادة البرلمان: التطبيق الكامل للنظام البرلماني يضمن سيطرة الحركة السياسة.

ونجد في المصري تعبيرا عن التزام الوفد الوجودي بالديمقراطية. وفي افتتاحية نشرت في أعقاب اندلاع الحرب، تقدم الصحيفة صيانة الديمقراطية بوصفها المسألة الأساسية في الحرب، والعامل الحاسم في تحديد موقف مصر من الصراع. فـ"الديمقراطية هي المثل الأعلى لقوات الحلفاء، حلفاؤنا الذين يحاربون طغيان هتلر"، كما قالت الصحيفة. وكانت تلك حقيقة ذات أهمية قصوى للمصريين، ذلك الشعب الذي كافح قديما وحديثا من أجل "حكم ديمقراطي يوفر له حرياته وحقوقه". إن المصريين ديمقراطيون بطبيعتهم: "المصريون اليوم مع قوات التحالف جسدا وروحا من أجل حماية الديمقراطية لأنهم ديمقراطيون بطبيعتهم". وكان انتصار البلاد الديمقراطية على هتلر أمرا ضروريا للحفاظ على الديمقراطية في مصر وفي كل مكان من العالم.

وأشادت الافتتاحية بإنجلترا وفرنسا لحفاظهما على الدستورية و"احترامهما للحياة البرلمانية" حتى في ظل أوضاع الحرب الصعبة، وأشارت إلى أن المصريين بحاجة أيضا لأن "يحترموا الدستور المصري ... والحكم البرلماني" في زمن الحرب. "الحكومات البرلمانية وحدها لها الحق في القول: إنها تدافع عن الديمقراطية وتحارب (النازية والهتلرية)".[١٣٥]

الفصل الثالث

سـخـريـة وإرهـاب

الفاشية والنازية فى الرسوم الكاريكاتيرية

في فترة بين الحربين، أصبح التعليق المصري على المسائل المعاصرة مصحوبا بالصور والرسومات إلى جانب الكلمات. وكانت الصور الفوتوغرافية والرسوم الكاريكاتيرية جديدة نسبيا، لكن تأثيرها كشكل للتعبير عن الرأي السياسي كان في تزايد. وكانت الدوريات الرئيسية تنشر من حين لآخر رسوما تعبيرية تتصل بالأمور الجارية، ومنها ما يتضمن تعليقا على الحكم الديمقراطي مقابل الحكم الاستبدادي. لكن الرسومات التعبيرية في صحف الرأي المصرية اليومية والأسبوعية والشهرية كانت ظلا للكلمات المكتوبة، ومعنى إضافيا للتعليق يهدف إلى التعبير عن الآراء المصوغة في شكل نص.

وبينما كانت المواد المرئية هامشية في الصحف الرئيسية، فإنها كانت جزءا لا يتجزأ من الدوريات التي استخدمت الرسوم كوسيلة أساسية لها. وكانت المجلات المصورة جنسًا صحفيا فريدًا يهدف منذ البداية إلى أن يكون واسطة للتواصل عبر استخدام الصور الفوتوغرافية والرسومات والكاريكاتير. وقد بدأت الدوريات المصورة، التي كانت تصدر أسبوعيا عادة، الظهور في سوق الاستهلاك الثقافي في أواخر القرن التاسع عشر.

ومع اتساع دائرة الرأي العام المصري الواعي سياسيا في ظل الملكية البرلمانية، شهد هذا الجنس التطور والازدهار السريع فيما بين الحربين العالميتين. وبحلول الثلاثينيات وعلى خلفية الأزمة السياسية والاجتماعية والتغير الاجتماعي والثقافي السريع، بلغت الدوريات المصورة آفاقا جديدة من الشعبية والتوزيع. ومن جنس هامشي، تحولت إلى واسطة رئيسية لتشكيل الثقافة السياسية في مصر والتعبير عنها. وشأن صحف مصر الرئيسية، لم تكن الصحف المصورة مصرية حصرية بل عربية كذلك، توزع وتباع في كل مكان من المشرق العربي. (١)

كانت الصور والرسوم التعبيرية عنصرا مهما في ثقافة مصر المطبوعة الحديثة، عنصرا ذا تأثير اجتماعي يفوق أثر الكلمة المكتوبة. ويقال: إن الصور والرسوم التعبيرية حققت جمهورا أكبر من جمهور الصحف التي تصوغ آراءها بالنصوص المكتوبة بالأساس. ولأنها "مقروءة" من المتلقي المتعلم والأمي على حد سواء، احتلت الصور الفوتوغرافية والرسوم الكاريكاتيرية مكانا مناسبا بين الثقافة المطبوعة والشفاهية. كانت الصور الفوتوغرافية والرسومات والكاريكاتير وسيلة اتصال تعطي تعبيرا مكثفا عن وجهة النظر السائدة حينها؛ ومن دون مناقشة الآراء المقدمة من خلال الصور التعبيرية، سيكون فهمنا للخطاب العام للمرحلة ناقصا.

كان الكاريكاتير بصفة خاصة شكلا فعالا لتوصيل الرأي السياسي. وكانت هناك شخصيات أساسية تعبر عن شرائح المجتمع المصري ـ "المصري أفندي" يعبر عن المثقفين، والطبقة الوسطى غربية التعليم؛ "ابن البلد" للتعبير عن الشرائح الأكثر محافظة، وغالبية الشعب ـ إنها تستخدم لتقديم تعليق بالتصوير والرسم على الأمور الجارية. وكانت معظم التعليقات

المكتوبة لتوضيح الكاريكاتير وتوسيع معناه تكتب بالعامية وليس بالعربية الفصحى. ومن خلال استخدام شخصيات شعبية وملاحظاتهم الثاقبة واللاذعة، كانت وجهات النظر بشأن المشكلات المعاصرة تنتقل إلى شرائح أعرض من الجمهور المصري مقارنة بتلك التي تعتمد على فصاحة الكتابة. وعلى الرغم من أن المستهلكين الأميين كانوا يحتاجون وسيطا من المتعلمين يقرأ لهم التعليقات المصاحبة للكاريكاتير وفك شفرة المعنى الكامل، فإن مثل هؤلاء المستهلكين الأميين للثقافة المطبوعة أمكنهم، بفضل مساعدة المتعلمين، التواصل مع الخطاب السياسي لذلك الزمن. فقد أدخلت الرسومات والرسوم الكاريكاتيرية جمهورًا غير المتعلمين إلى عالم السياسة.

وسنتناول في هذا الفصل الصور الفوتوغرافية ورسوم الكاريكاتير التي نشرت في الدوريات الأسبوعية الثلاث ــ المصور وروزاليوسف والإثنين والدنيا ــ وقد ظهرت كل من المصور وروزاليوسف في منتصف الثلاثينيات، حيث صدرت الأولى عن إمبراطورية النشر (دار الهلال) التي كانت تملكها عائلة زيدان في ١٩٢٤، والثانية أسستها الممثلة روز (فاطمة) اليوسف في ١٩٢٥. وسرعان ما أصبح لهما تأثيرهما في سوق النشر المصري، بعد أن بلغ توزيع كل منهما ٢٠ ألف نسخة في أواخر العشرينيات.[٢] واحتل الكاريكاتير، وبصفة خاصة الإبداعات البصرية لرسام الكاريكاتير البارز رضا، مكانة رئيسية في روزاليوسف. واعتمدت المصور على الصور الفوتوغرافية بالأساس، وكان الكاريكاتير مجرد ملحق لآراء معبر عنها بالأساس بالنصوص المكتوبة والصور الفوتوغرافية. وتغير خط الصحيفتين الأسبوعيتين في الثلاثينيات. فروزاليوسف التي صدرت أساسا لمساندة الوفد، اختلفت مع قيادة الحزب في ١٩٣٥ وتبنت موقفا معاديا بشدة

للوفد. وكانت النتيجة أن عانت المجلة تدهور عوائدها من الإعلان وكذلك شعبيتها، خاصة عند عودة الوفد إلى الوزارة في ١٩٣٦-١٩٣٧؛ يشير تقرير بريطاني عن عام ١٩٣٧ إلى أن توزيع روز اليوسف تضاءل حتى وصل إلى ٣٥٠٠-٤٠٠٠ نسخة، وارتفع في ١٩٤٤ إلى ٧٠٠٠-٨٠٠٠ نسخة. [٣] ونجحت المصور، الأكثر تحفظا من الوجهة السياسية، في الحفاظ على شعبيتها خلال سنوات ما بين الحربين وخلال سنوات الحرب. ويقدر تقرير بريطاني توزيعها بين ٢٤و٢٦ ألف نسخة في ١٩٣٧؛ و٦٠ ألف نسخة في ١٩٤٤. [٤]

وكانت أكثر المجلات المصورة الثلاث شعبية في أواخر الثلاثينيات الاثنين والدنيا، التي أصدرتها دار الهلال في ١٩٣٤. وكانت الصور والرسوم الكاريكاتيرية فيها أبرز من شقيقتها المصور، حيث كانت تحتل الغلاف الأمامي والخلفي وكذلك الصفحات الداخلية للمجلة. وفي النهاية، حققت الأسبوعية الجديدة نجاحا تجاريا ضخما. ويقدر تقييم لعام ١٩٤٤ توزيع الإصدارات الأسبوعية بنحو ٩٠ ألف نسخة، يوزع ربعها خارج مصر. [٥] وأكثر من أي صحيفة أخرى، جسدت الإثنين والدنيا الأعراف البصرية للكاريكاتير السياسي المصري. وكان رسام الكاريكاتير سانتس أبرز رسامي دار الهلال؛ كانت أعماله تحتل مكانة بارزة على صفحات الإثنين والدنيا.

وفيما يلي من صفحات، سنركز بصفة خاصة على التجليات البصرية كأحد أشكال التعبير عن الموقف المصري من الفاشية والنازية. وكانت الاعتراضات البصرية على الفاشية والنازية تظهر من حين لآخر بالمجلات الثلاث مع نهاية الثلاثينيات. صور تعبر عن القيم الاستبدادية مقابل القيم

الليبرالية، التناقض بين الثقافة السياسية الاستبدادية والوحدوية والثقافة السياسية التعددية والديمقراطية، وتقارن بين طبيعة الاستعمار الإيطالي والألماني المحتمل والاستعمار البريطاني والفرنسي. وفي الرسوم الكاريكاتيرية بصفة خاصة، كان هناك تشابه بين الصور المتعددة التي تتناول هذه الموضوعات في الدوريات الثلاث. وسواء من ناحية الشكل، وتكوين الصور الموجودة في الرسم الكاريكاتيري، وشكل نقطة استشراف الموضوع، أو المحتوى والمعنى المتضمن في الصورة، يمكننا رصد خطاب كاريكاتيري مشترك. والتشابهات بين الشكل والموضوع تفوق الاختلافات. وحقيقة أن الرسام (سانتس) نفسه كان يرسم العديد من الرسوم الكاريكاتيرية التي ظهرت في المصور والإثنين والدنيا توضح ذلك التشابه بين دوريتي دار الهلال. ورغم تميزها من حيث التحرير، كان كاريكاتير روزاليوسف مشابها أيضا لذلك الذي كان يظهر في منافستيها الأكثر شعبية.

إن اهتمامنا بالمضمون يفوق اهتمامنا بالشكل. والتعبيرات البصرية التي ظهرت في المجلات الأسبوعية الثلاث في نهاية الثلاثينيات كانت كلها معادية بحسم وثبات للفاشية والنازية. وكانت من حين لآخر تستهين بزعماء وسياسات كل من النظامين الديكتاتوريين، وتدين شموليتهما في الداخل وكذلك توسعيتهما في الخارج. في الوقت نفسه ، عبرت رسوم المجلات الثلاث عن ارتباطها الضمني وميلها للديمقراطية وللحفاظ على الثقافة الليبرالية والتعددية السياسية في العالم وكذلك في مصر والشرق الأوسط. وكما هو الحال في التعبير عن الاستبداد والليبرالية بالكتابة، كان هناك جانب يستحق الذكر هو الحركية البصرية بين الساحة الداخلية والخارجية، بين تناول الأحداث في أوروبا وتلك التي تقع في مصر. وكان تصوير الفاشية والنازية مرتبطا

ارتباطا وثيقا بالموقف من تطورات السياسة الداخلية المصرية، وكذلك التداعيات المحتملة لانتهاك الفاشي لمصالح مصر القومية. وبينما كان الموضوع الواضح للتعبير البصري خارجيا، كان مرجعها الضمني في أحيان كثيرة هو ما يجري في مصر.

إلى أي مدى يمكن اعتبار هذه التجليات البصرية تعبيرا عن الآراء المصرية الأوسع حول موضوع الديكتاتورية مقابل الديمقراطية؟ وافتراضنا فيما يلي هو أن العلاقة بين الإنتاج والاستقبال جدلية. وكما هو الحال في النص المكتوب، كانت صورة الواقع التي تُقدم في شكل بصري تنمو بفضل قارئ مفترض ومراعاة استجابات المستهلكين التي تتلقاها المجلات. وبينما لم يكن هناك ارتباط مباشر بين النجاح التجاري لأي صحيفة وبين تعبير مضمونها بأمانة عن الرأي السائد في مسألة ما، إلا أننا نعتقد أن شعبية مجلات مصر المصورة تسمح لنا أن نستنتج أن تعبيرها البصري عكس المواقف السائدة بين الجمهور المصري الذي استمر يشتري هذه المجلات والذي يفترض إلى حد ما أنه كان مؤيدا لمواقف هذه المجلات فيما يتصل بمسألة الديمقراطية مقابل الفاشية.

***

إن صورة الإنسان موضوع طبيعي للكاريكاتير السياسي. وفي مصر، كما في كل مكان آخر، كانت السمات الشكلية والفردية للديكتاتورين الفاشيين، بنيتو موسوليني وأدولف هتلر، مخزونا ثريا من الخصائص الجسدية التي استغلت في التأكيد والمبالغة والاستهانة بهما. واستغلت الرسوم الكاريكاتيرية المصرية الصور التقليدية للدونتشي والفوهرر، تلك الصور الأيقونية التي تكرر ظهورها المرة تلو الأخرى. وكان موسوليني يظهر غالبا بزيه شبه

العسكري، وهو يرتدي قميصا أسود، وبنطلونًا أبيض ضيقًا، وحذاءً أسود برقبة، والقبعة المميزة للفاشية؛ وكان يظهر أحيانا بالزي العسكري الإيطالي. كان الدوتشي، الذي يظهر عادة كشخص مهيب يحمل وجها متوعدا، يقدم جسده بحجم مبالغ فيه لخلق الانطباع بضخامة جسده. وكان هتلر أيضا يظهر عادة بزي شبه عسكري أو عسكري، وشعار حزبه النازي (الصليب المعقوف) على كم سترته. كان رأسه يظهر عاريا عادة، ما يسمح لرسام الكاريكاتير بإبراز التسريحة المميزة للزعيم الألماني. كانت الصور التقليدية لوجه هتلر غير مغرية، تظهر بالأساس عيونا شريرة ماكرة غائرة ومتجهمة. وعلى عكس موسوليني، كان هتلر يقدم كشخصية مهندمة. وعلى الرغم من التقليل من شأنه، فقد كان ينظر إلى هتلر بوصفه الخطر الأكبر؛ رجلاً مثيرًا للسخرية لكنه بالغ الخطورة.

كانت التعبيرات البصرية عن الزعيمين الفاشيين تحوي رسائل خطر وتهديد عامة، إلى جانب أخرى تحمل السخرية والتهريج. فمن ناحية، يظهر موسوليني وهتلر كديكتاتورين طاغيين وحشيين، قاسيين لا يعرفان الرحمة في الداخل، وداعيتي حرب متعطشين للغزو والتدمير في الخارج. وفي الوقت نفسه، كانا يقدمان كشخصيتين تاريخيتين مبهرتين، وحتى جذابتين. وفي رسومهما، نجد خليطا من المجازات؛ مجازات للوحشية السوقية والحمقاء والهمجية المفعمة بالرطانة، وجنون العظمة اللاعقلاني المسكون برؤى العظمة، والمقامر النزوائي المتهور الذي يلعب بالنار ويغامر بتدمير العالم. ومجتمعة، خلقت هذه السخرية نهاية متفائلة؛ برغم الخطر المحتم الذي يشكله الزعيمان ونظاماهما، فإن الإنسانية المستنيرة ستجد وسيلة في النهاية لهزيمة هؤلاء المهرجين وإنقاذ الإنسانية من جنون عظمتهم.

إن معظم التيمات التي ظهرت في تغطية الصحافة المصرية للأزمة والحرب الإثيوبية في ١٩٣٥-١٩٣٦ ــ وصف إيطاليا الفاشية بالمعتدي بسبب توسعها الاستعماري الموجه إلى الحبشة؛ الاشمئزاز من الوحشية التي نُفذ بها الغزو الإيطالي للحبشة؛ إدانة إيطاليا بسبب لجوئها إلى الحرب سعيا وراء مجدها القومي؛ الخوف من خطط إيطاليا الفاشية الخفية للمزيد من التوسع في أجزاء أخرى من أفريقيا، ومن بينها مصر ــ كانت حاضرة في أشكال بصرية في الرسوم الكاريكاتيرية التي نشرت في مجلات مصر المصورة في الفترة من ١٩٣٥إلى١٩٣٧. وفي معظم هذه الأعمال، كانت شخصية موسوليني ــ التي سبق أن قدمت بالفعل على هيئة حيوان ضارٍ ضخم ــ بمثابة تجسيد لإيطاليا الفاشية وسياساتها الخطيرة للعسكرة والتوسع. وهكذا، ومنذ منتصف الثلاثينيات، أصبحت الصورة السلبية للفاشية الإيطالية ولموسوليني معتادة في دوريات مصر المصورة.

كانت التعبيرات البصرية المعادية للفاشية وموسوليني، بعد تصاعد الأزمة بين إيطاليا وإثيوبيا وتحولها إلى حرب بينهما، هي القاعدة منذ ١٩٣٥. وهكذا، يستنكر كاريكاتير نشر في المصور في سبتمبر ١٩٣٥ نوايا الاستعمار الفاشي برسم شخصية موسوليني وهو يرتدي الزي الفاشي شبه العسكري (مع الحذاء ذي الرقبة والقميص الأسود والبنطلون الأبيض الضيق) ويمد ساقيه بعدوانية من البحر المتوسط باتجاه البحر الأحمر والقرن الأفريقي. كانت صورة موسوليني شريرة بكل تأكيد؛ العينان مركزتان بشدة على هدفه، تلمعان بقوة، ويداه مشدودتان كما لو كان يستعد لتسديد ضربة. رجله اليمنى ترتكز على البحر المتوسط؛ وتظهر اليسرى على هيئة حذاء برقبة مكتوب عليه كلمة إيطاليا، يدوس على الحبشة، ويدهس في طريقه

حمامة السلام. ويشير التعليق المصاحب ببساطة: "موسوليني يدوس برجله على حمامة السلام". والرسم يحمل معنى مزدوجًا: الأول، لا شيء يمكن أن يوقف غزو إيطاليا لإثيوبيا، والثاني، أن مصيرا مماثلا قد ينتظر مصر في المستقبل. [٦] (انظر الشكل ٣-١)

ويقدم كاريكاتير في الإثنين والدنيا الشهر التالي موسوليني الشره، يرتدي هذه المرة الزي العسكري، وهو يتناول فطيرة على شكل الحبشة. وبجانبه، الإمبراطور هيلاسلاسي على ما يبدو وأسد يهوذا يستجدي الزعيم الفاشي ألا يستمر في محاولته لابتلاع بلده. ويتجاهل موسوليني المصرُّ على استكمال الفطيرة، مناشدات ممثلي الحبشة. والرسالة واضحة: موسوليني سيستمر في عدوانه حتى يحقق هدفه باستكمال غزو الحبشة. [٧]

شاركت روز اليوسف في جوقة الإدانة البصرية لمشعل الحرب الفاشي في ١٩٣٥. ويقدم كاريكاتير نشر في الشهر نفسه موسوليني، بالزي العسكري مرة أخرى، وهو مدجج من رأسه لإصبع قدمه بأدوات الحرب (مدفع ودبابات وطائرة وسفينة حربية)، في طريقه لحضور احتفال في ذكرى الهدنة. وبينما كان التعليق أسفل الرسم: "حفل تذكاري عالمي في ذكرى توقيع الهدنة؛ حضرته أيضا إيطاليا، يا أخي، وشاركت فيه"، كان هناك آخر يسخر من العسكرية الفاشية بإعلانه أن "السنيور موسوليني يتجه إلى القداس مزينًا برموز السلام". وبالنسبة لموسوليني والفاشية كانت "شارات السلام" ترسانة من أسلحة الدمار موجهة إلى خصم أكثر ضعفا وبدائية. [٨]



شكل (٣-١) "موسولينى يدوس بقدمه على حمامة السلام".

المصور، ٦ سبتمبر ١٩٣٥، الغلاف.

وتعبر رسوم كاريكاتيرية أخرى نشرت في منتصف الثلاثينيات عن الفكرة التي ترى أن تدهور العلاقات الدولية الناجم عن الأزمة الإيطالية الحبشية يشكل تهديدا لمصر أيضا. وفي أوائل ١٩٣٦، نشرت الإثنين والدنيا كاريكاتيرًا يصور بريطانيا العظمى، ممثلة في جون بول، يضرب بمطرقة على سندان يحمل وجه موسوليني. لكن كل ضربة على سندان/ وجه موسوليني كانت ضربة موجهة إلى مصر، تمثلها خريطة عند قمة السندان. فقد كان على مصر، العالقة بين مطرقة بريطانيا وسندان إيطاليا، أن تدفع ثمن العداء المتنامي بين القوتين العظميين بسبب الأزمة الحبشية. [٩] وعندما أتمت إيطاليا غزوها للحبشة، لجأت الصحيفة مرة أخرى إلى استلهام الطهي لانتقاد الأعمال الإيطالية. فبينما يلتهم الحبشة، المقدمة في الرسم على هيئة سندوتش ضخم، يظهر الدوتشي ممسكا بزجاجة نبيذ ماركة "بحيرة تانا". ويظهر التعليق موسوليني وهو يحدث نفسه قائلا: "ها أنا ألتهم الحبشة؛ فهل سيسمح لي كذلك بشرب البحيرة؟". وبعد نجاحه في التهام الحبشة، تقدم الأطماع الاستعمارية لإيطاليا الفاشية باعتبارها تهديدا لموارد النيل، مصدر حياة لمصر. [١٠]

حتى بعد حل الأزمة الحبشية، ظلت التعبيرات المعادية للفاشية الإيطالية وموسوليني تظهر في صحافة مصر المصورة. وفي بداية ١٩٣٧، نشر كاريكاتير في المصور يستطلع آفاق العام المقبل يقدم صورة متشائمة بتصويره حمامة السلام على هيئة طائرة تسقط القنابل فوق مدنيين مجهولين (ربما في الحبشة أو إسبانيا). ولا يتفاعل التعليق المصاحب كثيرا بالعام الجديد: "في ١٩٣٧، أصبحت حمامة السلام قاذفة قنابل تنشر الدمار والموت". [١١] كما قللت المصور من شأن جهود إيطاليا لتقديم نفسها بوصفها

صديقًا للعالمين العربي والإسلامي. وعلى خلفية استكمال بناء طريق ساحلي من طرابلس في ليبيا إلى حدود الحبشة وزيارة موسوليني بهـذه المناسـبة، علقت المجلة منتقدة جهود الدعاية الإيطالية الراهنة. يظهر موسوليني في لقاء على ظهر الخيل بينه وبين أحد مشايخ البدو. وبينما يمسك موسـوليني بعلـم مكتوب عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ويهتف "يا عرب أنـا حـامي الإسلام"، يرد العربي ردا صادما "معاذ الله ... حامي الإسلام هـو الله جـل جلاله" ويشير إلى موسوليني بالخروج مـن المنطقـة.[١٢] وبحلـول ١٩٣٧، كانت صورة إيطاليا كمصدر تهديد لمصر ولمنطقة الشرق الأوسط ولـسلام العالم عملة سائدة في الكاريكاتير السياسي المصري.

في ١٩٣٨-١٩٣٩، أصبح هتلر وألمانيا النازية يقدمان في المجـلات المصورة المصرية بوصفهما التهديد الأكبر للاسـتقرار العـالمي. حينهـا، أصبحت مناورات هتلر التوسعية الرامية إلى إقامة ألمانيا الكبرى في وسـط أوروبا، أكثر من أطماع موسوليني الاستعمارية في حوض البحر المتوسـط وأفريقيا، المصدر الأساسي للقلق والكاريكاتير. الكاريكاتير يعكـس الواقـع: حيث إن هتلر استولى بسرعة على مركز الصدارة في الساحة الدوليـة مـن موسوليني المهمش، فإن الخطر الحقيقي على العالم يأتي مـن جانـب هتلـر والتوسعية النازية بينما يأخذ دور موسوليني ونظامه الفاشي فـي التـضاؤل ليصبحوا أتباعا ناقمين على آلة النازي الحربية.

وافتتحت الإثنين والدنيا العام ١٩٣٨ بتنبؤ متشائم لمـا يخبئـه العـام الجديد. يصور كاريكاتير على الغلاف الخارجي موسـوليني، يكـشف عـن أسنانه وعيناه تلمعان، وهو يهدد جون بول (بريطانيا العظمى)، وامرأة شـابة تمثل مصر. وسؤال مصر القلق لجون بول ــ "متى سأجد الراحة والرخاء؟"

ـ يعكس شعورا مصريا محددا تجاه العام االمقبل . لكن رد جون بـول لـم يكن مطمئنا بحال: "عندما تختفي أشباح الحرب من الأفق!".(١٣)

وعكست رسوم كاريكاتيرية أخرى في بـدايات ١٩٣٨ العلاقـة بـين الحركات الفاشية الأوروبية والتطورات الداخلية في مصر. وكـان الـشارع المنقسم، بين القمصان الخضر شبه العسكرية التابعة لمصر الفتاة والقمـصان الزرقاء الوفدية الأحدث في الظهور، بمثابة مشكلة نظـام عـام فـي ١٩٣٦ و١٩٣٧، مشكلة كانت بحق أحد أسباب خـروج وزارة مـصطفى النحـاس الوفدية نهاية العام. ويظهر كاريكاتير نشر في مجلة روز اليوسف المعارضة للوفد موسوليني وهتلر أمام النحاس الغاضـب وهمـا يخلعـان قميـصيهما احتجاجا على الحل المحتمل للمنظمات المصرية شـبه العـسكرية، ويرسـم علاقة بين شبه العسكرية الفاشية في الخارج وشبه العسكرية شـبه الفاشـية، مثل القمصان الزرقاء الوفدية، في الداخل.(١٤)وعندما قام الائتلاف الـوزاري المناهض للوفد برئاسة محمد محمود في مارس بحـل جميـع مجموعـات الشباب المصرية شبه المسلحة، نشرت الإثنين والدنيا كاريكاتيرًا يظهر رئيس الوزراء وهو يأمر بحظر الملابس شبه العسكرية "الملونـة" بينمـا يحـاول موسوليني المقدام تفادي الحظر بالتساؤل سـاخرا: "هـو القمـيص الأسـود ملون؟".(١٥) وفي كلا الرسمين، كان استلهام جماعات مصر شبه العـسكرية للفاشية مسلما به، وكان سلوكها المتعنت والمعادي للديمقراطية محل الإدانة.

حظي التوتر الممتد في أوروبا حول تشيكوسلوفاكيا في صـيف ١٩٣٨ بتعليق مجلات مصر المصورة أكثر من مرة. فنشرت الإثنين والدنيا العديـد من الرسوم الكاريكاتيرية حول الأزمة التشيكية. أحدها في سبتمبر، ويظهـر فيه جحا وحماره يرتديان أقنعة الغاز، تعبيرا عن الخـوف مـن احتمـال أن

تؤدي المواجهة حول مصير سوديتنلاند إلى قيام حرب يمكن أن تشكل تهديدًا لمصر.[١٦] وفي وقت لاحق من الشهر، عشية مؤتمر ميونيخ، نشر كاريكاتير آخر يظهر نيفيل شامبرلين في هيئة رجل إطفاء يحاول إطفاء حريق يهدد العالم كله. وكانت نبوءة الأسبوعية المتشائمة: "لا يمكن إطفاء النار".[١٧] وفور انتهاء مؤتمر ميونيخ، ظهر كاريكاتير يصور حمامة منزوعة الريش تقدم في طبق على مائدة الغداء ومعها التعليق الآتي: "عصبة الأمم ليس لديها ما تفعله لحمامة السلام الآن لأن الدول نزعت كل ريشها. فهل تُطهى وتؤكل في النهاية؟"، كما عبر الرسم عن الاستياء من سياسة الترضية التي انتهجتها الدول الديمقراطية الغربية في ميونيخ.[١٨] وفي كاريكاتير آخر بالعدد نفسه من الإثنين والدنيا، تظهر مجموعة من الكلاب، يرتدي أحدها قناع الغاز. وعندما يخبرونه أن "القوى العظمى اتفقت على منع نشوب الحرب" ويمكنه بذلك رفع القناع، يرد ساخرا "أنا جاهز لكل الاحتمالات".[١٩] وبعد ذلك بأسبوع، يصور كاريكاتير آخر امرأة بالغة الأناقة، تمثل الإنسانية، تضع غصن زيتون على مائدة أمام الموقعين الأربعة على اتفاقية ميونيخ (هتلر وموسوليني وتشامبرلين ودالادييه)، والديكتاتوران يرتديان ملابس عسكرية بينما يرتدي الآخران ثيابا مدنية. والتعليق المصاحب، يسخر من معاهدة ميونيخ التي تم التوصل إليها مؤخرا متسائلًا: "والآن بعد أن أنقذتني من الحرب، ألا يمكن أن تحضر لي ثوبا أنيقا؟".[٢٠]

كانت روزاليوسف أكثر صراحة في نقدها لما حدث في ميونيخ. وكانت المجلة، في أغسطس، قد أعادت نشر أحد رسوم الكاريكاتير نقلا عن الصحافة الأوروبية ومعه تعليق بالعربية "اليانصيب الدولي، أو الحرب الاستعمارية". ويظهر موسوليني وهتلر في الرسم وهما يديران عجلة اليانصيب التي كتب عليها حروف كلمة حرب. ومن جانبه، أعرب موسوليني

عن أمله في الفوز "بسواحل البحر المتوسط وتونس وإسبانيا". أما أطماع ألمانيا الاستعمارية فكانت "تشيكوسلوفاكيا، المستعمرات الألمانية، دانزيج". وأعلن تعليق المحرر العربي المصاحب للصورة أن سياسة الديكتاتورين تمثل "مقامرة خطيرة ستنزل بالبعض خسائر كبيرة".[٢١] وفي رسم نشر الشهر التالي، عندما تصاعدت الأزمة حول سوديتنلاند ولاحت أفق حرب محتملة، يظهر وجها هتلر وموسوليني وقد احاطت بهما المدافع الثقيلة، وهما يشرفان على وادي النيل بينما ينظر الجمهور المصري نحوهما بتوجس. النهر نفسه يفيض على ضفتيه، كما هو الحال عادة في فصل الصيف. وكما يشير التعليق المصاحب، فإن البلاد كانت تواجه تهديدين في سبتمبر ١٩٣٨: "تواجه مصر اليوم خطرين ــ خطر الحرب وخطر الفيضان".[٢٢]

في الثاني من أكتوبر، وفور انتهاء مؤتمر ميونيخ، لم يترك كاريكاتير غلاف روزاليوسف الذي يصور تشيكوسلوفاكيا وقد ضُحي بها "على مذبح السلام" أدنى شك في استياء المجلة من الصفقة التي تمت في ميونيخ. ثلاثة أشخاص يرتدون الزي الكهنوتي يقفون وراء المذبح: "الأب جون بول" (كبير أساقفة التشيك؟) يبكي على التضحية بتشيكوسلوفاكيا؛ موسوليني يضحك برقة وهتلر مسلح بسيف، يستعد لذبح الخروف على المذبح.[٢٣] ويصور كاريكاتير آخر في العدد نفسه هتلر، بزيه العسكري المعتاد وابتسامة جزلة، يشعل فتيل قنبلة عليها علامة الصليب المعقوف، يحيطه جمهرة من أبناء العديد من الجنسيات وبينهم المصري أفندي، كممثلين للإنسانية جمعاء، يشاهدون بخوف. وكانت الطبيعة المغامرة لسلوك الديكتاتور النازي أثناء الأزمة التشيكية جلية واضحة في التعليق: "اشمعنى هتلر هدم الهيكل على نفسه وعلى أعدائه؟ ... يعني هو أحسن مني؟!".[٢٤] (انظر الشكل ٣-٢)



شكل (٣-٢) على وعلى أعدائى

الهر هتلر: إشمعنى شمشون هدم الهيكل على نفسه وعلى أعدائه ... يعنى هو أحسن منى

وهناك كاريكاتير آخر نشر عقب مؤتمر ميونيخ مباشرة يظهر مدفعية عدد من دول العالم المعادية للفاشية وعليها شارات بلادهم ـ روسيا (دب)، بريطانيا العظمى (جون بول)، فرنسا (ماريان)، تشيكوسلوفاكيا (جندي بخوذة)، مصر (المصري أفندي) ـ موجهة نحو هتلر وموسوليني، المحاطين أيضا بالمدافع، يستحق الملاحظة لوضع مصر ضمن معسكر البلاد الديمقراطية وإشارته إلى أن سياسة التشدد، لا الترضية، كانت مطلوبة لمواجهة التهديد الفاشي لسلام العالم واستقراره.[٢٥] وبعد ذلك بأسبوع، ومع ابتلاعه لسوديتنلاند فعليا، قدمت روزاليوسف هتلر على هيئة عفريت. فكاريكاتير الغلاف يظهر الزعيم الألماني، مرتديا زيه الأسود، يلعب بكرة أرضية كما لو كانت لعبة طفل. وكانت خلفية الرسم بائسة، ليلة مظلمة إلا من عدد قليل من النجوم ترسل أنوارها. كان الرسم يظهر بشكل واضح خوف روزاليوسف من عدوانية النازي: "لا حدود لأطماع هتلر؛ العالم مثل كرة في لعبة بيد عفريت".[٢٦]

واستمر خطر الاستعمار الفاشي الإيطالي على مصر بصفة خاصة موضوعا مكررا للتعليق البصري في صحافة مصر الأسبوعية. وسخرت رسوم روز اليوسف الكاريكاتيرية في أواخر ١٩٣٨ من تطلعات موسوليني لتوسيع نفوذ إيطاليا في أفريقيا. وكان أحدها في ديسمبر تعليقا على الشائعات التي سرت وقتها بسعي حكومة إيطاليا لتوقيع معاهدة عدم اعتداء مع مصر. يظهر الرسم رئيس الوزراء محمد محمود حائرا بين جون بول وموسوليني، يسأل المصري أفندي رأيه؛ وينصحه الأخير بالحذر والتريث قبل اختيار إحدى الدولتين المتنافستين في البحر المتوسط.[٢٧] وفي كاريكاتير نشر

في أوائل ديسمبر يظهر موسوليني، ""الغراب الإيطالي"، كنقيض لحمامة السلام. ويظهر الكاريكاتير المصري أفندي في حوار مع موسوليني، يسخر من زعم الدوتشي بأنه صديق العرب والإسلام. وكان نص التعليق المصاحب: "الفورين تلغراف تزعم أن السيد موسوليني قرر ضرورة تعليم اللغة العربية في إيطاليا، وأنه أمر بتعيين معلمين إيطاليين بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة)". ولأنه لم يقتنع بكلام موسوليني المعسول، جاءت إجابته لاذعة، "ممكن تعمل فيَّ جميل ــ خليك بعيد عني، وما تحاولش تقنعني مثل غراب ماكر. لقد حصلت بالفعل على الكثير عندما اعترفنا بضم إثيوبيا. أشعر كأني أتوارى من الشعور بالخزي".(٢٨)

مع نهاية ١٩٣٨، كانت الأطماع التوسعية للديكتاتورين الفاشيين موضوعا للكاريكاتير في كل من روزاليوسف والإثنين والدنيا. نشرت الصحيفة الأولى كاريكاتيرًا يصور موسوليني وهتلر وقد فردا ساقيهما بطول ساحل البحر المتوسط، ويقتربان من قناة السويس من جهة الغرب، بينما يلوح المصري أفندي غاضبا بعصاه في اتجاه الديكتاتورين ويعلن بتحد، "أنا صاحب القناة وحاميها. وأي حد هايجرؤ يخطي خطوة زيادة هايضطرني أضربه واكسر راسه. ما عنديش سلاح تاني!!؛ عبر الرسم عن قلق مصر من مصير القناة، وقرر الدفاع عنها، وفي الوقت ذاته عن الضعف العسكري الحالي، أمام أي عدوان محتمل.(٢٩) وكان التهديد الإيطالي لوحدة البلاد العربية في شمال أفريقيا وسلامة أراضيها هو الذي لفت انتباه الإثنين والدنيا. ويصور كاريكاتير ظهر مع نهاية العام موسوليني الشره، وهو يأكل بنهم قناة السويس وتونس، اللتين تظهران على هيئة أطعمة فوق طبق، وهو يتأفف

من المعارضة الدولية لخططه التوسعية على عكس خطط هتلر: "كل طبق يطبخه هتلر يأكل الناس. فلماذا لا يطبخ أحد طبقي أو يأكله؟".[٣٠]

كانت النوايا الاستعمارية في البحر المتوسط مصدر قلق دائمًا للدوريات الأسبوعية الثلاث في ١٩٣٩. واستخدمت الإثنين والدنيا صورة فوتوغرافية ثابتة من فيلم حديث عن التاريخ المصري لتحذير المصريين من الأطماع الاستعمارية لإيطاليا، والحاجة إلى الحذر من تملق إيطاليا. وتظهر الصورة المستبد مارك أنطونيو يناشد كليوباترا الممانعة؛ التعليق المصاحب يغير أسماء الشخصيتين إلى مصر وموسوليني. وردت كليوباترا/ مصر على دعوة مارك أنطونيو/ موسوليني ـ قولي نعم ـ استجيبي لمغازلتي وسنعيد عصر أنطونيو وكليوباترا (الذهبي)" ـ بأن أشاحت بوجهها عن أنطونيو وأجابت بحسم "بربك! انس! عموما نحن في عام ١٩٣٩".[٣١]ويكرر كاريكاتير نشر في روزاليوسف التحذير من التهديد الإيطالي لسيطرة مصر على قناة السويس. ويستخدم الرسم، الذي يظهر موسوليني وهو يتفاوض مع رئيس الوزراء البريطاني نيفيل شامبرلين حول مسألة مرور إيطاليا في قناة السويس، شخصية المصري أفندي للتعبير عن خوفه من أن تتوصل الدولتان إلى اتفاق بشأن القناة من خلف ظهر مصر، "صاحبة القناة". من جانبه، يبدو شامبرلين في الرسم متفهمًا للسيادة المصرية على القناة. ويوجه شامبرلين كلامه إلى موسوليني: "صاحب القناة هنا وعلينا أن نستمع إلى رأيه في الموضوع".[٣٢] وعبرت المصور عن تخوفها من تهديد إيطاليا لقناة السويسعبر كلمات رئيس تحريرها، فكري أباظة، الذي وجه رسالة إلى موسوليني ينبهه فيها إلى أن "مصر هي صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة بشأن

قناة السويس". وكانت إحاطة الإمبراطورية الإيطالية الجديدة في أفريقيا بمــصر من الغرب، بطول الحدود الليبية، والآن من الجنوب، بغزوها الحبشة المتاخمــة للسودان، مصدر قلق عميقًا لوطني مصري مخلص مثل فكري أباظة. [٣٣]

***

على إثر تجدد العدوانية الدولية من جانب الدولتين الفاشيتين في ربيــع ١٩٣٩ ـ باستيلاء ألمانيا على جزء كبير من تشيكوسلوفاكيا فــي مــارس، وغزو إيطاليا وضمها ألبانيا في أبريل ـ ظهر العديد من التعبيرات البصرية عن إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية باعتبارهما خطــرا علــى ســلام العــالم ومصر. من جانبها، رأت روزاليوسف في ابــتلاع ألمانيــا لتــشيكوسلوفاكيا خطوة إضافية في التوسع والغزو النازي. وفي أحد الرســوم الكاريكاتيريــة بعنوان "بين براثن الغول"، يظهر هتلر في هيئة شــخص متــوحش ذي أذرع ومخالب طويلة، وفم ذي أنياب، وهو يميل على تشيكوسلوفاكيا المدمرة، التي تظهر على هيئة فتاة بريئة. وعلى تساؤل الفتاة المرعوبة، "يا تــرى أنــا أول الضحايا ولا آخرها؟"، "بالعكس يا عزيزتي، انتي ابرتيــف الــضحايا!" [٣٤] (انظر الشكل ٣-٣)



شكل (٣-٣) بين براثن الغول

التشيك: يا ترى أنا "أول" الضحايا ... ولا آخرها!.

الهر هتلر: بالعكس يا عزيزتى .. انتى "ابرتيف" الضحايا!!.

وهناك بشكل خاص كاريكاتير نشر في الصحيفة بعد ذلك بأسابيع قليلة يظهر هتلر وموسوليني، "المحور الجديد"، يحييان عزرائيل، ملـــك المـــوت. يحتل الوجه الشيطاني لعزرائيل، الذي يرتدي عباءة بيضاء لا يظهـــر منهـــا سوى جمجمته وهو يمسك بالمنجل، مساحة الرسم؛ ويقف موسوليني وهتلـــر المتضائلان ويؤديان التحية بامتنان لسؤاله "إيه رأيكـــم فـــي عقـــد معاهـــدة بيننا إحنا التلاتة .. ونسميها محـــور "بـــرلين ــ رومـــا ــ عزرائيـــل؟".[٣٥]
(انظر الشكل ٣ – ٤)



شكل (٣-٤) محور جديد؟!

عزرائيل: ايه رأيكم فى عقد معاهدة بيننا إحنا التلاتة ..

ونسميها محور "برلين. روما. عزرائيل"

في ١٩٣٩، لم يعد الكاريكاتير المصري يرى إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية بوصفهما قوتين متماثلتين تشكلان تهديدًا متساويًا للسلام. ولاشك أن هتلر كان يعتبر أكبر قوة وأكبر تهديد لاستقرار العالم. وقد اتضحت الفكرة في كاريكاتير بروزاليوسف، يجمع بين شخوص موسوليني وهتلر وفرانكو الذي انتصر مؤخرا في إسبانيا. والرسم، بإظهاره الديكتاتورين الإسباني والإيطالي، وهما يتسابقان ليكونا أول من يهنئ هتلر بمناسبة استيلائه أخيرًا على تشيكوسلوفاكيا، يعترف بتصدر هتلر للعالم الفاشي.[٣٦]وفي كاريكاتير آخر في روزاليوسف، يظهر هتلر العملاق يقف بجانب موسوليني ذي الحجم الأصغر، الذي يناديه بـ "بني"، بينما يحملق الديكتاتوران في الأهداف المحتملة للعدوان مثل باريس ولندن وبولندا ورومانيا وهولاندا، ويرصد تبعية موسوليني الواضحة لهتلر في المحور بينما يستبعد أي شك في النوايا العدوانية للديكتاتورين الأوروبيين. [٣٧] وتوصلت الإثنين والدنيا إلى الشيء نفسه تقريبًا بالنسبة للنظام المقلق في المحور في كاريكاتير يظهر هتلر وموسوليني على مائدة غداء عليها خريطة أوروبا، مقسمة إلى قطع جاهزة للأكل. وبينما تغرس يد هتلر اليسرى الشوكة في تشيكوسلوفاكيا ويده اليمنى ترش من ملاحة صلبانًا معقوفة على وجبة التشيك، يظهر موسوليني المستاء وهو يشكو "والله عجايب، اللي أنا ديكتاتور قبلك بسنوات وقاعد أتفرج على الأكل وأنت بتاكل كل حاجة ولا تشبعش أبدا". [٣٨] (انظر الشكل ٣-٥)



شكل (٣-٥) موسلينى: والله عجايب اللى أنا ديكتاتور قبلك بسنوات وقاعد اتفرج على الأكل وأنت بتاكل كل حاجة ولا تشبعش!

ولم يمض وقت طويل قبل أن يشبع موسوليني نهمــه بغــزو ألبانيــا. وقوبلت هذه المحاولة الفاشية بالازدراء من جانب صحف مصر الأســبوعية المصورة. ويرسم كاريكاتير قاسٍ في "الإثنين والــدنيا" موســوليني مفتــول العضلات، نصف عارٍ، بكرش ضخم، ويحمل امرأة مذعورة تمثــل ألبانيــا وهو يحاول تهدئتها بقوله "تعالي يا حبيبتي أحضنك لأني مشتاق". ولا تتــرك إجابة ألبانيا أدنى شك في أن مودة موسوليني لم تكن متبادلة: "مــن فــضلك نزلني، كفاية، أنا باموت!!".[٣٩](انظر شكل ٣-٦) وفي كاريكاتير تالٍ، تظهر ألبانيا في صورة طفلة ملقاة عند قدم موسوليني فوق حلبة ملاكمة والدوتشي، الذي يرتدي الزي الفاشي المعتاد، يعلــن بفخــر"النــصر!" علــى خــصمه الطفلة[٤٠].



شكل (٣-٦)

موسلينى: تعالى يا حبيبتى أحضنك لأنى مشتاق

ألبانيا: حاسب شوية .. بتعصرنى هاتطلع روحى.

إلا أنه برغم عدوانية إيطاليا في ألبانيا، رأت روزا اليوسف في هتلر، وليس موسوليني، المحرك الذي كان يجر العالم نحو الحرب في منتصف ١٩٣٩. ويقلل أحد رسومها من محاولة إيطاليا وقتها لتقليد التوسعية الألمانية من خلال مغامرتها الألبانية. يظهر موسوليني المرتعد وهو جالس فوق ظهر هتلر، الذي يظهر هنا بوصفه "الأسد النازي"، ويوضح التعليق المصاحب أن "اللي سايق الأسد، واللي بيحاول يغرس الخوف في الناس، خايف جدا بس مش باين عليه!". ويقف المصري أفندي في ركن من الرسم، يستمتع بالمشاهدة، ويعبر عن شفقته تجاه موسوليني عديم الحيلة.[٤١] كذلك، واصلت المجلة تأكيدها على أن التهديد الآني على أمن مصر في ١٩٣٩، يأتي من جانب إيطاليا لا ألمانيا. ففي أبريل، نشرت كاريكاتيرًا يحمل عظة للداخل والخارج على حد سواء، يظهر فيه رئيس الوزراء محمد محمود في هيئة "المارشال محمد محمود باشا"، بعد تعيينه حاكما عسكريا إيطاليا لمصر بعد غزو إيطاليا للبلاد، وهو يتلقى توبيخ المستبد موسوليني بوصفه نائبه في مصر على تراخيه ويأمره بالتفاني في إدارة مصر الواقعة تحت الاحتلال الإيطالي.[٤٢]

كان تحرك العالم بعناد نحو المواجهة المسلحة موضوعا مطروقا في الإثنين والدنيا في ربيع ١٩٣٩. ويظهر مونتاج لمجموعة من الصور حذاء برقبة فاشي أسود يدوس على البشرية الممثلة في الصورة بوجوه لجنسيات مختلفة. وينبه التعليق إلى: "قوى الطغيان تتحرك فوق رءوس البشر".[٤٣] وتظهر صورة فوتوغرافية نشرت في أبريل هتلر متجهم الوجه وهو يقود دبابة، ومدافعها الأربعة موجهة مباشرة إلى المشاهد. ويقلل التعليق أسفل الصورة من شأن تأكيدات هتلر العابرة عن نواياه السلمية: "خطاب الأسبوع؛

ورا الميكروفون (مدفع)". [٤٤] وفي هذا الموقف الحـــرج، أنحــت الــصحيفة باللوم على ضعف دفاعات دولة مصر، وقالت إن رفـــع جاهزيـــة الجـــيش المصري واجب وطني. ونشرت الصحيفة على غلاف أحد أعدادها صـــورة لأربعة جنود مصريين يطلون بقلق من خلف كوم من شكاير الرمـــل. يقـــول التعليق المصاحب، "يا ربي، لغاية دلوقت بنتدرب على حرب كلام، ودلوقـــت عاوزين نستعد لحرب المدفع والطيارة". (٤٥) بعد ذلك بـــشهر، يبـــين رســـم بعنوان "شبح الحرب" مرة أخرى الرأي المصري الذي يرى أن التهديد الآني لسلام العالم يأتي من ناحية الديكتاتور الألماني لا الإيطالي. يظهـــر الرســـم هتلر وموسوليني يرفعان نموذجا من الخشب يرتـــدي زي فـــارس تيوتـــوني عملاق، مسلح ويضع خوذة استعدادا للمعركة. وبينما كان تصريح هتلـــر ــ "طول ما شبح الحرب حاضر نقدر نعمل اللي إحنا عايزينه وما حدش يقـــدر يقف في طريقنا" ــ يشير إلى استخدامه المفرط للتلـــويح بـــالحرب لتحقيـــق أهدافه، تضمن رد موسوليني ــ "صح، بس لوسمحت خللي بالك إن المـــسألة ما بقتش جد!" ــ قدرا أكبر من الحذر تجاه شريكه في المحور[٤٦].

وعبر كاريكاتير وافتتاحيات صحيفتي دار الهلال؛ المـــصور والإثنـــين والدنيا، في يوليو وأغسطس ١٩٣٩، الشهرين السابقين على اندلاع الحـــرب، مرارا عن الرأي المصري السائد الذي يرى أن هتلر والنظام النـــازي فـــي ألمانيا هما اللذان يقودان العالم نحو الصراع العـــسكري. وهكـــذا، يـــصور فوتومونتاج، نشر في المصور في يوليو بعنوان "بطولـــة المحـــور: اللعـــب بالقنابل"، هتلر واقفا على كرة أرضية وهو يلعب بعدد من القنابل وموسوليني في الخلفية، فوق حصان، يحيي زميله الديكتاتور مظهرا خضوعه. والعناوين على القنابل ــ دانزيج والبلقان في شرق أوروبا، وقناة السويس وتونس فـــي

البحر المتوسط، والممتلكات الاستعمارية الألمانية السابقة ــ تعكس نهما عالميا للعدوان والتوسع من جانب الديكتاتور النازي وشريكه الإيطالي الأصغر. (٤٧) وفي أواخر يوليو، أعادت المصور نشر كاريكاتير نقلا عن صحيفة فرنسية يصور هتلر يضغط على زر في صندوق مكتوب عليه "دانزيج". وعندما يفعل هذا، ينفتح الصندوق فجأة وتخرج منه امرأة تشير للفوهرر بحربة، مجبرة إياه على التراجع. ويحمل التعليق المصاحب ــ "عفريت العلبة: إذا تجرأ هتلر وضغط زر دانزيج، فسيفاجأ بمنظره المخيف" ــ وهي رسالة طمأنة بأن العالم الديمقراطي يستعد الآن لمقاومة العدوان الألماني. (٤٨)

وهناك تعليق مصاحب على الصفحة نفسها يتهم هتلر بأن لديه نوايا توسعية في دانزيج وعبرت عن قناعتها بأنه "على ضوء تصميم بولندا على الدفاع عن حقوقها المشروعة"، فإن على بريطانيا العظمى وفرنسا الوقوف إلى جانب بولندا وإجبار هتلر على التراجع عن مطالبه. (٤٩)

كما قدمت الإثنين والدنيا دانزيج في منتصف ١٩٣٩ بوصفها "بؤرة الخطر في أوروبا". ومثل المصور، كانت تعليقات المحرر تضع مسئولية أزمة دانزيج على عاتق ألمانيا وتبرر رفض بولندا مطالب ألمانيا النازية. (٥٠) وهناك كاريكاتير يقول التعليق المصاحب له "شبح نابليون في القرن العشرين، أو لماذا تدافع بريطانيا وفرنسا عن مصالح بولندا"، يظهر هتلر وهو يرتدي زيًا نابوليونيًا مع صليب معقوف على كمه، يحملق في خريطة لغزوات نابليون الأولى، حيث تماثل تماما أطماع الفوهرر الألماني في القرن العشرين أطماع إمبراطور فرنسا في القرن التاسع عشر، في حين تفيد أن أطماع هتلر الاستعمارية، مثل سابقه إمبراطور فرنسا، مآلها الفشل. (٥١) وفي

يوليو، نشر كاريكاتير آخر بعنوان "حمامة السلام في قبضة الشيطان"، يظهر حمامة السلام وهي ترتعش بيد جندي يكشر عن أنيابه. (٥٢) وجاء ضم تركيا للإسكندرونة، التابعة لسوريا تحت الانتداب، في صيف ١٩٣٩، ليخلق مجالا للتعليق البصري على التوتر بين هتلر وموسوليني بعد أن ظهر أن هتلر يتقدم من نصر إلى نصر مخلفا موسوليني وراءه. وفي يوليو أيضا، نشر كاريكاتير يظهر ظل تركيا وهو يجري، حاملا لواء الإسكندرونة بعد سرقته من سوريا: فوق الرسم، يظهر رأسا هتلر وموسوليني وهما يناقشان استيلاء تركيا على الإسكندرونة. كانت ملاحظة هتلر على التحرك التركي — "هم ما يعرفوش إن حق الضم محفوظ باسمي؟" — تنتقد في الوقت نفسه ضم تركيا لمنطقة عربية وتؤكد على النوايا التوسعية الراسخة لألمانيا النازية. (٥٣)

أثار توقيع معاهدة عدم الاعتداء الألمانية — السوفيتية في أغسطس ١٩٣٩ فزع المجلات المصورة المصرية. وصارت صورة ستالين في الكاريكاتير المصري تعادل في سلبيتها صورة هتلر. وما إن أسفرت الترتيبات فعليا عن اقتسام بولندا بين الألمان والسوفيت، قدمت المصور "الشيوعية" في صورة ستالين رث الثياب، بذقن غير حليق وعين حولاء، يمسك بين أسنانه بسكين ضخم يقطر منه الدم. (٥٤) من جانبها، عبرت الإثنين والدينا عن رأيها بأن الحلف السوفيتي الألماني لن يدوم طويلا. ويظهر أحد رسومها بعد بدء الحرب ستالين وهو يضع أنف جلاد حول عنق هتلر. ويصور سؤال هتلر — "إيه نوع الحبل اللي بتلفه حوالين رقبتي؟"، ورد ستالين عليه "دا حبل التحالف والصداقة؛ إزاي نبقى أصدقاء من غيره؟" — أن ستالين لا يقل خداعا عن شريكه الألماني في العدوان. (٥٥)

كان من شأن اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩، تكاثف التصوير المعادي للنازية الألمانية في المجلات المصورة المصرية. وكانت كل التعليقات المكتوبة والرسوم في بداية الحرب تلقي باللوم على هتلر وألمانيا، وتضع مصر ضمن التحالف الذي يقاوم النازي، وتتحلى بالتفاؤل بتوقع انتصار المعسكر الديمقراطي على العدوان الألماني في بولندا. وجاء التأكيد على مكان مصر ضمن المعسكر الديمقراطي في كاريكاتير على غلاف لروز اليوسف نشر في سبتمبر. في الرسم، نرى هتلر يحمل مسدسين وهو يسحق بقدميه الإنسانية التي تعاني. وعند حافة الرسم، يحاول معارضوه الديمقراطيون ـ جون بول وماريان والمصري أفندي ـ مقاومة هتلر بالنبابيت. ويؤكد التعليق ـ "التاريخ يعيد نفسه: نهاية هتلر على إيد الديمقراطية" ـ أن مكان مصر الطبيعي هو بين الحلفاء، وأن البلاد الديمقراطية الغربية ستخرج منتصرة في النهاية. [٥٦]

وكان توقع الإثنين والدنيا في البداية مماثلا، يتنبأ بانتصار مقاومة الحلفاء للعدوان الألماني. وفي كاريكاتير نشر في أوائل سبتمبر، تظهر بولندا وألمانيا وبريطانيا العظمى في هيئة ثلاث أسماك قرش، سمكة صغيرة تعبر عن بولندا، وأخرى أكبر لألمانيا، والثالثة لبريطانيا العظمى وهي الأكبر. وعندما يحاول القرش الألماني المفترس ابتلاع بولندا الأصغر، يستعد القرش البريطاني الأكبر حجما لابتلاع ألمانيا قبل أن تتمكن من استيعاب بولندا. وردا على قول ألمانيا المتهور لبولندا ـ "أنا ناوي أبلعك، إيه رأيك في كده؟" ـ تقول بولندا "سيبني وبص وراك" ـ [٥٧] حتى عندما كانت الحرب الألمانية الخاطفة على وشك أن تحرز نصرا عسكريا، نشر كاريكاتير في

منتصف سبتمبر يعبر عن التفاؤل ويتنبأ بفشل هتلر في بولندا، وبتقديمه وجه هتلر وهو يحاول ابتلاع بولندا لكنه يعجز عن ذلك فيقطعهـــا ليمتلـــيء فمـــه بشرائح خبز صغيرة بعد عجزه عن ابتلاعها كاملـــة لكبـــر حجمهـــا، يعبـــر التعليق عن رأي كان غير واقعي وقتها يرى أن شهية ألمانيا تفوق قـــدراتها: "مش قادر يبلعها".(٥٨)

الفصل الرابع

المثقفون المصريون والفاشية

١ـ الفاشية في الوطن: رفض الشمولية والعنصرية

يركز هذا الفصل وما يليه على مواقف المثقفين المصريين من الديمقراطية والديكتاتورية كما عبرت عنها الصحف المصرية الرئيسية. ويستعرض الآراء التي عبر عنها المثقفون الذين شاركوا في الدوريات الثقافية الأربع البارزة الصادرة بالعربية ــ الهلال والمجلة الجديدة الشهريتين والرسالة والثقافة الأسبوعيتين ــ ويقدم فهما شاملا لمواقف النخبة المثقفة المصرية من المواجهة بين المبادئ الليبرالية والاستبدادية للتنظيم السياسي.

كان خطاب المثقفين أساسيا في مجال الثقافة المطبوعة في مصر. وتعززت أهميته في الخطاب العام بفضل حرية الرأي والتعبير الواسعة نسبيًا التي سادت فترة بين الحربين في مصر. وقد سمح هذا المناخ المواتي بتطوير خطاب مستقل إلى حد كبير. وكان المثقفون المصريون، الذين يجسدون قيم "العصر الليبرالي"، يتمتعون بالرصيد الرمزي الذي يعزز مكانتهم في المجتمع والتأثير فيه. وكانت آراؤهم في القضايا المعاصرة معلومة جيدا، تعكس فهما عميقا لآليات مجتمعهم إلى جانب معرفة وثيقة بالمجتمع والثقافة والسياسة الأوروبية. وفي معظم الحالات، كانت تضيف إلى الساحة العامة منظورات إنسانية وتعددية وليبرالية. ويعتبر كثيرون خطابهم المحلي جزءًا لا يتجزأ من خطاب الحداثة الشامل. ولكل هذه الأسباب، تشكل

الآراء التي قدمها هؤلاء المثقفون المصريون في صحف الـرأي الجوانـب الأكثر تأمليـة وتبـصرًا واسـتقامة للـرأي التـي ظهـرت فـي المجـال العام المصري.

كانت الهلال الأكثر هيبة وتأثيرا بين الصحف المصرية في تلك الفترة. وقد ظلت المجلة، التي أسسها المهاجر اللبنـاني جـورجي زيـدان وتـولى تحريرها بعد وفاته نجلاه إميل وشكري، واحدة من أهم صحف الرأي باللغـة العربية على مدى عدة عقود. وبتوزيعها المنتظم لنحو ٢٠ ألفًا إلى٣٠ ألـف نسخة من كل عدد خلال سنوات بين الحربين، كانت بمثابـة منبـر شـهري عربي إلى جانب كونه مصريا. [1] وشارك في تحرير صـفحاتها المثقفـون المصريون وغيرهم من المثقفين العرب؛ وكانت تبـاع فـي أرجـاء العـالم العربي. وعلى الرغم من أن ملاكها ومديريها كانوا من المسيحيين، فقد أسهم كثير من الكتاب المسلمين في تناولها الشهري للمـسائل المعاصـرة. وعلـى عكس غيرها من الصحف التي سنتناولها فيما سيلي مـن صـفحات، كـان لاستخدامها الصور والرسوم من حين لآخر أثره البصري والنـصي علـى حد سواء.

ومن الناحية الأيديولوجية،عبرت الهـلال عـن المنظـور الليبرالـي والغربي الذي صار يميز كثيرًا من أفراد النخبة المصرية منذ بدايات القـرن العشرين. وإضافة إلى محاولتها جعل قارئها على علم بشئون الساعة وكـذلك التطورات الاجتماعية والثقافية والفنية والعلمية عبر العالم، اهتمت الـصحيفة اهتماما كبيرا بتراث مصر العربي والإسلامي. كان هدفها الضمني هو الجمع بين الأفكار والممارسات الحديثة من ناحية، والميراث الثقافي العربـي مـن ناحية أخرى. ونظرا لأنها كانت صحيفة يملكها ويديرها مسيحيون في وسـط

إسلامي بالأساس، كان محرروها يتبعون إستراتيجية حذرة وحكيمة لنشر آراء معتدلة بشكل عام في القضايا الخلافية، ويدعون لذلك إلى موقف ثقافي عام مشترك للوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء. إلا أنه في صحيفة كانت نتاجا لثقافة النخبة الغربية في مصر أوائل القرن العشرين، كانت الآراء المنشورة بالمجلة تدعم دائما القيم الليبرالية والحداثة الاجتماعية. (٢)

كانت الأسبوعيتان، الرسالة والثقافة، أحدث عمرا على الساحة الثقافية المصرية. وكانتا تماثلان الهلال من حيث الانتشار والتوزيع. ومثل الهلال، كانتا تقدمان محتوى واسعًا ومتنوعًا، وتتضمنان مقالات عن الشئون الجارية، والاتجاهات الاجتماعية، والأحداث الثقافية. وكانت الرسالة متماثلة مع الهلال بوجه خاص في اهتماماتها العربية، وكانت تنشر كتابات للمثقفين العرب إلى جانب المصريين، وتسعى وراء القارئ في كل أرجاء العالم العربي. لكن بينما كانت الهلال تعمل منذ عقود، كانت المجلتان نتاجا واضحا للثلاثينيات، وعكستا التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدها عقد الثلاثينيات. بشكل عام، بينما عبرت الهلال عن المثقفين من الجيل المصري والعربي القديم، غالبا ما عبرت الرسالة والثقافة عن المشاعر وحاولت تلبية التطلعات الثقافية للجيل المتعلم الأصغر من الأفندية الذين أصبحوا قوة اجتماعية وثقافية بارزة بحلول الثلاثينيات. كانت المساهمات التي تنشرها المجلتان بشكل عام أقل غربية وأكثر محافظة من تلك السائدة في الهلال، تتبنى إحياء التراث العربي ــ الإسلامي كبديل للتقليد المصري والعربي للغرب ككل.

تأسست مجلة الرسالة في ١٩٣٣ لصاحبها ومديرها أحمد حسن الزيات. وتحت إدارة الزيات، تبنت المجلة موقفا ثقافيا عربيًا ــ إسلاميًا يناسب الجيل الجديد من المتعلمين المصريين والعرب. وقد شجعت القومية

المصرية والهوية الثقافية العربية على حد سواء. وفي حين لم تعاد دمج عناصر الثقافة الغربية في الثقافة المصرية والعربية الحديثة، أعطت إسهاماتها بشكل عام اهتماما كبيرا لإصلاح وإحياء التراث الأصيل كركيزة أساسية للفكر العربي المعاصر وممارساته [٣]. وبسعيها لتوسيع دائرة قرائها من المتعلمين أصحاب التوجهات الثقافية المماثلة سريعا، حققت المجلة نجاحا تجاريا مؤثرا. ومع نهاية الثلاثينيات، بلغ توزيع الدورية الثابت نحو ٢٠ ألف نسخة؛ وحتى ٤٠ ألفا من نسخ الأعداد الخاصة التي تتناول موضوعات بعينها. [٤]

وكان أول ظهور لمجلة الثقافة في يناير ١٩٣٩. وكانت تصدر رسميا عن لجنة التأليف والترجمة والنشر التابعة لوزارة المعارف. وكان رئيس تحريرها، الذي يحدد نبرتها، هو أحمد أمين، المؤرخ والمترجم والناقد. ومن حيث المحتوى، كانت الثقافة ترى نفسها صحيفة مهمتها تشجيع الثقافة "الشرقية" بشكل عام. وكانت "الشرق" تعتبر، ذلك التوصيف الفضفاض أحيانا الذي يشير إلى العالم العربي لكنه يعني في أحيان أخرى وحدة أشمل تضم حضارات شبه القارة الهندية وشرق آسيا، كيانا ثقافيا فريدا يحتاج إلى التناغم مع الثقافة الغربية الحديثة. كما كانت الثقافة أكثر انفتاحا نسبيا على التأثيرات الأوروبية مقارنة بالرسالة. وكما صاغه أمين، فهدف المجلة هو تزويد القراء "بأجمل إبداعات العقل الشرقي والغربي في مجالات العلم والأدب والفن والسياسة والمجتمع". [٥] وخلال عام من صدورها، كانت المجلة توزع ٢٠ ألف نسخة من كل عدد. [٦]

واحتل سلامة موسى ومجلته "المجلة الجديدة" مكانا فريدا في الخطاب الثقافي المصري خلال الثلاثينيات. أسس موسى، محرر الهلال على مدى كثير من سنوات العشرينيات، المجلة الجديدة في ١٩٢٩. وكان للمجلة تاريخ

نشر حافل في أوائل الثلاثينيات، حيث منعت خلال معظم سنوات حكم رجل مصر القوي المستبد إسماعيل صدقي. وقد انتظم صدورها وبلغت ذروة تأثيرها في منتصف وأواخر الثلاثينيات. وفي ١٩٤٢، أوكل موسى تحرير المجلة إلى آخرين؛ وتوقفت المجلة عن الصدور في ١٩٤٤. (٧) وتقديرات توزيع المجلة غير متاحة.

كان سلامة موسى، القبطي المولد والاشتراكي الفابي العقيدة، مؤيدًا بارزًا لتنويعات الاشتراكية غير الماركسية التي كانت تستهوي بعض شرائح النخبة المصرية في فترة بين الحربين. وقد كانت المجلة الجديدة، المعبرة عن توجهه الشخصي، تعد التعبير الأمثل عن العلمانية المصرية في الثلاثينيات. كانت المجلة مناهضة بلا هوادة للمحافظية، وداعية إلى التحديث الجذري. وكانت صفحات المجلة الجديدة تناصر الديمقراطية البرلمانية في وجه الأوتوقراطية الملكية، وتنادي بالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي للقضاء على الارتباط بين الثروة والامتياز الذي يميز المجتمع المصري، ودعت إلى تقبل التكنولوجيا والعلم كأساس للتقدم، ونبهت إلى حاجة مصر إلى الابتعاد عن الممارسات الاجتماعية والثقافية التي عفا عليها الزمن وتبني القيم والعادات الملائمة للعصر الحديث. وإلى جانب رسالتها التحديثية نجد مزاوجة بين دولة قومية مصرية صرفة، وعلمانية ووعد بضمان نجاح الدولة المصرية القومية الجديدة التي قامت عقب ثورة ١٩١٩.

كانت الآراء التحديثية لموسى ومجموعة المثقفين التي التأمت حول صحيفته في الثلاثينيات تجتذب بصفة خاصة جماعتين؛ إحداهما مجموعة منتقاة من قدامى الليبراليين المصريين، مثل موسى، نتاج التغيير الاجتماعي على الطراز الغربي في أوائل القرن، والذين يشاركونه النظرة الغربية التي

تعبر عنها المجلة الجديدة. والأخرى طبقة المتعلمين والمهنيين المتنامية من الشباب المصري الذي أصيب بخيبة الأمل في أحزاب الجيل القديم السياسية الغارقة في الصراعات الحزبية غير المجدية، وإن كانوا لا يميلون للبديل الأكثر راديكالية الذي تتبناه الحركات الأحدث خارج البرلمان، مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة، واجتذبها لذلك نزوع المجلة نحو الإصلاح العلماني.(٨)

واجتذب نهج المجلة الجديدة العلماني المتشدد المصريين سواء من المسلمين أو المسيحيين أو اليهود، الذين وجدوا أن تقاليدهم الدينية الموروثة لا تتناسب مع القيم التي تشربوها من الوسط الثقافي المبالغ في غربيته في فترة بين الحربين. بالمقابل، لم تجتذب الصحيفة كتلة أصحاب الميول الأكثر تقليدية من المصريين. والنتيجة أن خطاب المجلة الجديدة المميز كان ظاهرة اجتذبت قطاعًا محدودًا من القراء مقارنة بالهلال والثقافة.

وقد أسهمت المجلات الثلاث في نشر الخطاب المصري حول الديمقراطية مقابل الديكتاتورية بطريقتين؛ الأولى من خلال نشر مقالات تحليلية تسعى إلى استكشاف الجوانب العديدة لنظامي الحكم الليبرالي الديمقراطي والاستبدادي بالشكل الذي تطورتا به تاريخيا في الغرب وبصورتهما الراهنة. وكانت المقالات التي تقدم تقييما شاملا لموضوعات مثل النظام البرلماني بصورته في البلاد الديمقراطية الغربية، والنظامين الفاشي والنازي الحاكمين حينها في إيطاليا وألمانيا، والجذور التاريخية ومقتضيات كل منهما، والسمات العامة ومزايا حكم الحزب الواحد مقابل التعددية، ومبادئ الحرية الفردية مقابل الشمولية، وغيرها من الموضوعات ذات الصلة مثل القومية والعنصرية، تظهر بكثافة في الصحف الأربع على

حد سواء. وكان الملمح المشترك بين هذه التعليقات التحليلية على التطورات في أوروبا هو مدى ملاءمة هذه المفاهيم والتيارات السياسية الأجنبية لمصر المعاصرة وللعالم العربي ككل.

كانت الوسيلة الثانية التي عبرت بها المجلة عن الديمقراطية والأوتوقراطية هي التقارير الإخبارية والتعليقات على الأحداث المعاصرة في أوروبا والعالم. وشأن غيرها من الصحف التي كانت تصدر حينذاك، كانت صحف الرأي تتابع الأحداث الجارية عن كثب، وتغطي التطورات الرئيسية والأزمات خلال الأسبوع أو الشهر. وهكذا كان التوتر المتصاعد بين المعسكرين الفاشي والديمقراطي أواخر الثلاثينيات ـ الأزمات الدولية في ١٩٣٥-١٩٣٦ حول الحبشة، وفي الفترة من ١٩٣٨-١٩٣٩ حول النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا، وتورط أوروبا تدريجيا في الحرب أواخر ١٩٣٩ ـ موضوعا رئيسيا للاهتمام والتعليق. وشأن المقالات التحليلية الأكثر انتظاما في الصحف، كانت تلك التقارير والمناقشات تتناول الأحداث الجارية من حين لآخر من منظور تداعياتها على مصر والعالم العربي.

وسيتناول نقاشنا تحليلات وتعليقات صحف الرأي على الأزمة العالمية عند اندلاعها في أواخر الثلاثينيات من منظور تأثيرها على المنطقة. ويبين هذا الفصل كيف رأى المثقفون المصريون الجذور التاريخية الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية وسماتها، خاصة تفسيراتهم للجذور الفلسفية والظرفية للفاشية المعاصرة، وتقييمهم لمزايا وعيوب النظام الديمقراطي مقابل الشمولي للحكم، وما توصلوا إليه من نتائج عن الزيف الفكري والشر الأخلاقي للعنصرية النازية. والفصل التالي يتعرض للطريقة التي فسر بها المثقفون المصريون التحركات الدولية للدول الفاشية، وتهديد استقرار العالم، وكذلك

مصر الذي يمثله الاستعمار والعدوان الإيطالي والألماني، ويناقش الإجراءات الواجب اتخاذها لمقاومة انتشار الشمولية والعنصرية والتوسعية الفاشية.

كان الخطاب الثقافي حول هـذه المـسائل يتـسم بـأكبر قـدر مـن الاستمرارية. وساد المنظور المعادي للفاشية الذي تطور في بدايـة وأواخـر الثلاثينيات، كرد فعل إلى حد كبير لصعود النازية في ألمانيا، الخطاب الثقافي مع نهاية الثلاثينيات. وعلى أي حال، أصبح رفض المثقفين لكل من الفاشـية الإيطالية والنازية الألمانية هو السائد بمرور الوقت. وبينما كان هناك تعبيـر من حين لآخر عن الإعجاب بما اعتبر "إنجازات" داخلية للنظام الشمولي في البلدين أوائل العقد، حيث حقق نجاحهما الواضح في إخراج مجتمعيهما مـن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية واستعادة الحيوية القومية والهيبـة والقـوة ، أظهر المثقفون المصريون، مع قرب انتهاء الثلاثينيات، تعاطفا محدودا للغاية مع السياسات الداخلية والخارجية للدولتين الفاشيتين على حد سـواء. ومـع مرور الوقت، أصبح الجانب الأسود للنظامين داخليا، واعتمادهما على القمـع والإرهاب، وخاصة تهديد استقرار وسلام العالم الواضح في خططهما للتوسع الخارجي، الموضوعات السائدة في تحليلات الفاشية والنازيـة التـي قـدمها المثقفون المصريون.

شرح جذور الفاشية وصعودها

كانت الجذور الفكرية للفاشية وظروف نشأتها موضع الاهتمام الرئيسي للمثقفين الذين يكتبون في مجلة مصر الثقافية الأولى، أي الهلال. ما المصادر الفلسفية والأيديولوجية للعقيدة الفاشية؟ ما الملابسات التاريخية التي أسـهمت في نجاح الحركتين الفاشيتين في إيطاليا وألمانيا في الوصول إلـى الـسلطة؟

وفوق كل شيء، كان السؤال: هل تنذر الموجة الفاشية بزوال الديمقراطية الليبرالية كنظام فعال لحكم مجتمع حديث كمصر في طور التأهيل؟

إجمالا، أقر المثقفون المصريون بأن الفاشية، كعقيدة وممارسة، ليست مجرد نتيجة أو إعادة إنتاج للحكم الأوتوقراطي التقليدي، وإنما نتيجة لعملية تحديث سريع للمجتمع الأوروبي جرت على مدار القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولأنهم مثقفون، فقد ركزت كتاباتهم بصفة خاصة على الطريقة التي استجاب بها فلاسفة أوروبا مع الحداثة وكيف حاولوا أن يضفوا عليها أشكالاً جديدة للمعنى. وكان جانب كبير من بؤرة اهتمامهم يتصل بالعلاقة بين الزعيم والجماهير. وكان افتراضهم أن المفهوم الجوهري للفاشية عن الزعيم المطلق كان ظاهرة حديثة صحيحا، ارتبط بشدة بظهور المجتمع الجماهيري المعاصر، وبينوا كيف مهدت التغييرات الشاملة في بنية المجتمع الناتجة عن التصنيع والحضرنة والتعليم ونمو الإعلام الجماهيري السبيل أمام نجاح الفاشية. وعلى الرغم من أن موضوعهم الظاهر كان مناقشة الفاشية في البلاد الأوروبية، فإن كثيرا من تحليلاتهم كان يتعرض ضمنا لمصر والعالم العربي الذي كان يشهد عمليات شبيهة، ويتوقع من ثم أن تتبع مسارا مشابها للتطور السياسي. وهكذا، كانوا يكتبون عن الفاشية في ألمانيا أو إيطاليا، وعينهم غالبا على مستقبل مصر والشرق الأوسط.

ويقدم مقالان لعلي أدهم في ١٩٣٨ تحليلا شاملاً لإسهامات العديد من المفكرين الأوروبيين المبدعين حول المركب المعقد من الأفكار التي دعمت ظهور المذهب الفاشي المعاصر. ويرد أدهم جذور الفاشية الإيطالية، النموذج الأصلي للفاشية، أولا وأخيرا إلى كتابات توماس كارليل ونيتشه. وحسب أدهم، فإن رأي كارليل في دور البطل في التاريخ وحديث نيتشه عن الإنسان

الأعلى والسوبرمان هو الذي قدم القوام الأيديولوجي للفاشية والنازية. وكان أدهم على علم تام بأن لا أحد من الفلاسفة توقع ظهور شخصيات تاريخية كموسوليني وهتلر تجسيدا لبطلهم التاريخي أو السوبرمان؛ ما حدث هو أن الفاشية والنازية كيفتا أفكارهما، وجعلتاها أساسا لمركزية القائد في الشمولية الحديثة.

كان كارليل نقطة البدء لفهم الفاشية الحديثة. وأعلن أدهم أن "الأساس الذي أقام عليه كارليل فلسفته كان الأساس نفسه الذي قامت عليه الفلسفة الفاشية". كانت نظرية كارليل عن الأبطال والبطولة هي التي قدمت الأساس المنطقي للديكتاتورية الشمولية. ويرى أدهم أن كارليل يفترض أن غالبية البشر غير قادرين على فهم تعقيدات الحكم. "معظم الناس عاجزون عن حكم أنفسهم بشكل مستقل"؛ إنهم بحاجة إلى زعماء يفكرون نيابة عنهم، ويوجهونهم ويقودونهم. وبالنسبة لكارليل، فإن "عبادة الزعيم والبطولة تشكل سمة أساسية وحاجة للروح الإنسانية". وعلى الرغم من إشارة أدهم إلى أن نوع البطولة والزعامة التي تصورها كارليل كانت مختلفة كليا عن تلك التي كان يبديها هتلر أو موسوليني، فإن كارليل يقدم بشكل غير مباشر الأساس المفاهيمي للحكم المطلق للزعيم ـ البطل الذي يستطيع إخضاع الجماهير لإرادته؛ "وهذا تحديدا هو أساس الفاشية".[٩]

كان إسهام أفكار نيتشه عن دور التسلط وعبادة الفرد في ظهور الفاشية الحديثة واضحا جليا. ومن أهم إسهامات نيتشه إضفاء الشرعية على تقويض الديمقراطية الليبرالية بالفاشية. فهو يرى أن الديمقراطية "تخنق مشاعر الناس وتسلبهم حيويتهم"، تهدئهم بأفكار جذابة لكنها خادعة عن "الحرية، والمساواة، والأخوة"، تقضي على تلقائية المشاعر بقمعها غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية. كان نيتشه يدعو إلى تحرير التلقائية الإنسانية وتعزيز شهوة

السلطة، وهو ما سيتحقق على يد الإنسان الأعلى (السوبرمان). ومفهوم نيتشه لـ "الإنسان الأعلى" نجده في الأساس الفكري والمعنوي لظهور الديكتاتورية الفاشية. وبينما فهم نيتشه السوبرمان باعتباره مثالا لما يمكن تحقيقه في المستقبل البعيد، كان "تأثير فلسفة نيتشه" في التطبيق "مختلفا تماما عما انتواه نيتشه". كان إسهام نيتشه في الفاشية المعاصرة مباشرا: "كل ديكتاتور يعتبر نفسه سوبرمان نيتشه".[١٠]

في مقال آخر، ينسب أدهم للمفكرين الأوروبيين الآخرين كذلك إسهامهم في الفاشية الحديثة. فجورج ويلهلم فريدريش هيجل، الذي يعتبر الدولة "ظل الله على الأرض"، طور مفهوم الدولة ليعتبرها القوة الأعلى في التاريخ وبناء عليه يمكن اعتباره نبي الدولة الشمولية. وتشكل أَمثَلة يوهان جوتليب فيختة للأمة الألمانية الأساس الفلسفي لعبادة الأمة والولع بالمجد القومي الذي نراه واضحا في الفاشية. واعتبر أدهم أن لجورج سوريل على وجه الخصوص تأثير كبير على موسوليني والفاشية الإيطالية. وتعد نظرة سوريل إلى الجماهير بوصفها مجرد قطيع يتوق إلى قائد وتنبيهه إلى "عامل الأسطورة" في حشد الجماهير إسهاما حاسما في الفاشية. غرس سوريل في الفاشية الإيمان بأن الأسطورة ، وليس العقل أو العلم، هي التي تحفز الهمم وتغير المجتمع. ويضفي سوريل أيضا الشرعية على "بطولة العنف" و"الثورة العنيفة" كوسيلة لتغيير النظام السياسي والاجتماعي.[١١]

وكانت فلسفة هنري برجسون الحدسية تمثل عند أدهم أحد المصادر الفكرية البالغة التأثير في الفاشية. ففي مقابل العلم والعقلانية، دعى برجسون إلى الحدس والغريزة كقوى أساسية لتفكير وعمل الإنسان. كانت الدوافع الحدسية والعقل الباطن، الحركة الديناميكية لـ "الهمة الحيوية"، هي محركات

التقدم الإنساني. وكما يرى أدهم، فإن تمييز هذه الفلسفة للحدس واللاعقلانية يشكل تحديا خطيرًا للديمقراطية: الديمقراطية تقوم على "التقدم التدريجي والثابت، على المجهود المنظم، بينما تعتمد فلسفة برجسون على "الوثبة المباغتة والتطور المفاجئ". أضف إلى هذا أن برجسون، شأن فلاسفة عصره، كان يفترض أن المجتمع الجماهيري الحديث يتألف من "غوغاء جاهلين ولا عقل لهم" يجب أن تقودهم قيادة وهبت قوة معنوية فطرية، والقدرة على المناورة بالأسطورة. ولكل هذه العوامل، توصل أدهم إلى أن نظرية برجسون عن العقل والحدس معادية لليبرالية والديمقراطية. كما أدرك الصلة المباشرة بين برجسون من جهة وموسوليني والفاشية الإيطالية من جهة أخرى. ووجد في انتقاد برجسون، مثل سوريل، للماركسية صلة فكرية إضافية. وكلاهما عارضا ما اعتبراه المادية الجدلية المجردة الماركسية، وآمنا بدلا منها بأن "الزعيم الممتاز" هو محرك مسيرة التاريخ، قوة قادرة على إشعال "ثورة بقفزة واحدة مؤثرة"، وبذلك تحطم نظام باليا وتقيم آخرا جديد مكانه. (١٢)

وأخيرا، يضيف أدهم فيلفريدو باريتو، "صديق سوريل ومعلم موسوليني"، لإسهامه الحيوي في عقيدة الفاشية الإيطالية. كان مفهوم باريتو عن "الصفوة المختارة" نقيضا للديمقراطية حيث يرى أن بصيرة الزعيم والإيمان العميق بأنه وحده الذي يعرف إرادة الشعب وإلى أين يقوده، وهو وحده من ثم المخول بالحكم.

القيادة الفعالة لا تقررها الانتخابات الديمقراطية بل الاختيار الذاتي والتصميم الشخصي. والجماهير تقبل بمثل هذه الزعامة لقدرة القائد على إقناعهم، من خلال الدعاية الحاذقة، بأنه ينقذهم من أزمة ويقودهم إلى حالة

من الأمن والرخاء. وبالنسبة لأدهم، فإن رؤية باريتو المعادية للديمقراطيــة، عن "الصراع الثابت والدائم بين الصفوات المختارة، هي النظرية التي قامــت على أساسها مدرسة موسوليني الفاشية".(١٣)

وفي تعرضهم لصعود الفاشية المعاصرة، كان المثقفون المصريون من النخبة يعبرون أحيانا عن خشيتهم من المجتمع الجماهيري الحديث والثقافــة الحديثة، وهو الاتجاه الذي تسير فيه مصر بعناد. وفي مقال بالهلال في ربيع ١٩٣٨، يرد عبد الرحمن صدقي نجاح الحركات الفاشية الأوروبية إلى قيــام المجتمع الجماهيري الحديث والجوانب الفطرية للجماهير التي تــشكل أكبــر عناصره الاجتماعية. وبسبب العدد الكبير من المشاركين، فإن الجماهير فــي المجتمعات الحديثة، بطبيعتهم، يشكلون قطيعا منقادا وغير ناضــج سياســيا. ويشير عنوان مقال صدقي إلى أن "الجمــاهير مثــل الأطفــال". وباتبــاعهم غرائزهم الأساسية بصورة عمياء، تعبد الجماهير القوة وتفتنها استعراضــات البطولة. ولأنهم عاطفيون ولا عقلانيون في تنــاولهم للأمــور الاجتماعيــة، يفتقدون إلى الحس النقدي ويسهل إثارتهم من جانب الــديماجوجيين ورجــال الدعاية "الذين يعرفون كيف يجذبونهم باللغة التــي يفهمونهــا". ونظــرا لأن "روح القلق والخوف تسيطر عليهم"، يميلون للخضوع والانقياد فــي أوقــات الأزمات. وهكذا، لم يكن من الممكن "نجاح الفاشية فــي إيطاليــا" و"ســهولة قبولها في ألمانيا" دون الطبيعة الطفولية للجماهير. وقــد ظهــر موســوليني للإيطاليين كقائد حازم يعلن عدم خوفه من فرض إرادته على الأمة؛ ويظهــر هتلر في كتابه "كفاحي" إدراكا حادا بروح القطيع التي تتسم بهــا الجمــاهير الألمانية، ثم أنه استغل بمهارة لغة بــسيطة وتفاهــات ليــضمن خــضوعهم

لزعامته. ونظرا للتربة الخصبة التي يوفرها المجتمع الجماهيري الحديث، حذر صدقي من الخطر الدائم الذي يشكله نمو الديكتاتورية الشمولية. (١٤)

وعلى نفس المنوال، يعتقد إبراهيم المصري أن الجماهير الحديثة "لا تلتفت إلى الثقافة أو التفكير العقلاني". ما يجتذب الجماهير هو ثقافة التسلية واللهو الجماهيرية، ثقافة "التخيلات والحماقة التي تشوش على العقل، العديمة الفائدة". والجماهير، التي تزدري الثقافة الرفيعة في مجتمعاتها، تتجاهل كتابات النخبة المتعلمة. ويظل الإنتاج الثقافي الرفيع مجالا لجماعة معزولة من المثقفين؛ لا تصل إلى الجماهير أو تؤثر فيهم. وهذا الوضع المؤسف ليس قاصرا على المجتمعات الأوروبية وحدها، بل ينطبق كذلك على مصر المعاصرة. ومرة أخرى، يعتبر المجتمع الجماهيري الحديث أرضا خصبة للاعقلانية والديماجوجية، ومن ثم للفاشية. (١٥)

وفي مناقشاتهم لظهور الفاشية في أوروبا، لم يتجاهل المثقفون المصريون السياق الزمني الذي ظهرت فيه الموجة الفاشية. وبشكل أكثر إلحاحا، اعتبرت الفاشية نتاجا للصدمة الكبيرة التي خلفتها الحرب العالمية الأولى وما أعقبها. وبالنسبة لمحمد حسين هيكل، كانت الديكتاتورية المعاصرة ظاهرة قاصرة على "الأمم الضعيفة" التي خرجت مهزومة ومنكسرة من كارثة الحرب العظمى. ومستشهدا بإيطاليا وألمانيا والاتحاد السوفيتي، يرى هيكل أن الفاشية والنازية والشيوعية تؤدي مؤقتا وظيفة إيجابية، بتقديمها وسيلة للتغلب على الخلل النفسي والبنيوي الذي سببته الحرب. بالنسبة لهذه الدول، كانت النظم الديكتاتورية توفر القدرة والحركية اللازمة لإعادة التأهيل الاقتصادي والاجتماعي وكذلك استعادة العزة القومية وروح الفخار. بالمقابل، فإن "الأمم القوية" كبريطانيا العظمى وفرنسا التي

خرجت من الحرب منتصرة استطاعت أن تحتفظ بحكومات ديمقراطية قوية ومصحة ونظم سياسية قوية وفاعلة قادرة على تأمين الاستقرار. وبينما يعبر هيكل عن تعاطفه الواضح مع تلك "الأمم القوية" ونظمها البرلمانية الفاعلة التي يعتقد أن على مصر الاقتداء بها، إلا أنه يرى الديكتاتورية ملائمة بصورة مؤقتة لـ "الأمم الضعيفة" التي تطورت في ظل مسار تاريخي أكثر تعثرا. (١٦)

وبالنسبة لنيقولا تكلا، لم يكن ظهور الفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا وليد صدفة أو اعتباطيا. ففي كلا البلدين، اكتسبت الديكتاتورية الشعبية عندما اعتُبرت الديكتاتورية السبيل الوحيد للخروج من حالة الأزمة العميقة. لكن حداد، مثل هيكل، رأى في الديكتاتورية المعاصرة حالة مؤقتة وانتقالية قائمة في ظروف فريدة وستفسح في النهاية الطريق للديمقراطية الحديثة. ولا كانت الديكتاتورية الترياق الممكن الوحيد لأزمة بنيوية. فالديمقراطية في الولايات المتحدة، كما يرى حداد، تعد نموذجا نقيضا مفضلا لديكتاتورية ألمانيا النازية. في الولايات المتحدة، ورغم الأزمة الاقتصادية الحادة، تعافت الأمة المتحدة بالوسائل الديمقراطية. في هذا البلد صاحب الديمقراطية الراسخة، ثبت أنه "لا حاجة لأي قدر من الديكتاتورية" لحل الأزمة الحادة. كان النموذج الأمريكي هو الذي يجب على المصريين الاقتداء به. (١٧)

وفي مقال نشر في ١٩٣٨، يقدم عبد الرحمن صدقي شرحا لمسألة الأسباب الوقتية للديكتاتورية يحمل نغمة متفائلة. وهو يرى أن التفكك الاقتصادي، والتشوش الثقافي، والصدمة النفسية التي أصابت البلاد الأوروبية في أعقاب الحرب العظمى خلقت "جو أزمة مأساوية". وبينما تعتبر الديمقراطية البرلمانية شكلا مناسبا للحكم في أوقات السلم، إلا أنها أثبتت

عجزها عن إدارة أزمة ما بعد الحرب. وفي أوقات كثيرة، أثبتت الأحزاب البرلمانية وممثلوها في التجمعات البرلمانية المنتخبة عجزها عن انتشال مجتمعاتها من الضائقة الاقتصادية والغضب الاجتماعي. يضاف إلى هذا أن كثيرا من المؤسسات البرلمانية لوثها الفساد، والتشاحن والانتهازية بتقديم المصالح الحزبية على الصالح العام. وقد اهتز الإيمان بالديمقراطية الليبرالية مع توصل قطاع كبير من جمهرة المتعلمين إلى أن "البرلمانات مزعجة، ومؤسسات صاخبة لاجدوى منها".[١٨]

وأدت "أزمة البرلمانية" هذه بالمقابل إلى أزمة أكبر، أي "أزمة الديمقراطية". في تلك البلاد التي فشلت فيها المؤسسات الديمقراطية في الوفاء بالمطالب الجديدة التي تواجههم، "حدثت مراوحة بين شكل أو آخر من الديكتاتورية". وفي ظروف كهذه، "حلم الناس برجل عظيم" يعدهم بالخروج من الأزمة. وفتح عجز الحكومات الديمقراطية عن التعامل مع الأزمة البنيوية غير المسبوقة الباب أمام الديكتاتورية. حتى الناس الذين كانوا يعارضون في السابق أشكال الاستبداد أو الطغيان ينسون الآن عيوب الحكم التسلطي ويسارعون؛ بسبب "صدمة الحرب الطويلة المروعة"، لاعتناق الديكتاتورية كحل لمشاكلهم. كما أن للديكتاتورية جاذبيتها لجماعات اقتصادية محددة أصبحت تدعم الديكتاتورية لأنها تعتقد أن الحكم الشمولي سيحمي مصالحهم الاقتصادية، ويضمن الاستقرار، ويحول دون صعود الاشتراكية والشيوعية. لكن ما حصلوا عليه كان شكلا من الديكتاتورية أكثر مغالاة من أرستقراطيات الماضي. وأفسحت الديمقراطية الليبرالية المفككة الطريق أمام الحكم المطلق لديكتاتور فرد تتركز بيده كل السلطات "بلا حدود أو عوائق". فقد مهد التطلع إلى مخلِّص الطريق لطغيان الفرد.[١٩]

كذلك حدد المثقفون المصريون الخوف من الشيوعية كعامل حاسم أسهم في ظهور الفاشية. وحسبما أشارت افتتاحية الهلال في مارس ١٩٣٩، في مجرى الحديث عن الفاشية الإيطالية، "من المستحيل فهم الفاشية إذا لم نفهم أن هذه المدرسة الاقتصادية والثقافية كانت محض رد فعل عنيف على الموقف العنيف الذي كان قائما قبلها، أو قل إنها قوة راديكالية متطرفة ظهرت لتحارب قوة راديكالية متطرفة مثلها". ورأت المجلة أن "الثورة الفاشية" في ١٩٢٢ في إيطاليا كانت رد فعل مباشرًا على "الثورة الشيوعية" في روسيا ١٩١٧. فقد ركبت الفاشية موجة "الخوف الكبير" من الشيوعية. وحللت الافتتاحية الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي عانت منها إيطاليا بعد الحرب، والجوع والبطالة واليأس الذي ساد البلاد، باعتبارها الظروف التي سهلت استيلاء الشيوعيين على الحكم. وأدى هذا الموقف بالمقابل إلى رد فعل على شكل رغبة في إيجاد زعيم قوي يمكن أن يضمن "ألا تفوز الشيوعية بالحكم" في إيطاليا. ثم جاء موسوليني والفاشيون، الذين أجادوا استغلال الخوف من الشيوعية للانطلاق نحو السلطة. وخلق موسوليني، الذي وعد بأن يكون سدًا أمام الشيوعية، حالة استنفار قومي جعلت المؤسسة الليبرالية وكثيرًا من أفراد النخبة السياسية في البلاد يقبلون بصعود الفاشي إلى السلطة، رغم رفضهم أساليبه الفاشية. وكانت النتيجة "غزو موسوليني لروما" بمساعدة القوى الوطنية ووسط هتافات الجماهير.[٢٠]

وبشكل عام، اعتبر المثقفون المصريون النازية حصيلة نفس العمليات التاريخية التي شهدتها إيطاليا. كانت أزمة المجتمع الألماني بعد الحرب الأولى، وضعف حكومة فايمر، والتضخم المريع والانهيار الاقتصادي، والحيرة الأيديولوجية إلى جانب ظهور الثقافة الشعبية والسياسة الشعبية، وما

ترتب على ذلك من التطلع إلى الزعيم المخلِّص، كانت كلها عمليات جـرت بالتوازي مع ما يحدث في إيطاليا ومهدت الطريـق أمـام سـيطرة الفاشـية الإيطالية. لكن المحللين رصدوا أيضا جوانب اجتماعيـة وثقافيـة وسياسـية للسياق الألماني والتراث التاريخي الألماني الذي يرون أنـه سـهَّل للنظـام النازي الديكتاتوري الهمجي السيطرة على البلاد مع نهاية الثلاثينيات. وهـم يشيرون إلى أن لألمانيا تراثًا استبداديًا واضحًا مهد الطريـق أمـام صـعود النازية. أضف إلى هذا أن ألمانيا لها تراث أيديولوجي من العنصرية ومعاداة السامية يساعد في تفسير ظهور الحركة النازية واكتساب التنويعـة الألمانيـة من الفاشية مسحة مميزة ومضللة.[٢١]

وفي مقال نشر بعد اندلاع الحرب بوقت قصير، يكمـل علـي أدهـم تحليلاته السابقة عن جذور الفاشية الإيطالية، بالإفاضة فيما اعتبره الملامـح الأساسية للثقافة السياسية الألمانية التي يرى أنها أسهمت في نجاح النازيـة. وكان الميل الألماني لـ "تمجيد وتقديس السلطة" أحد هذه الملامح، وهو مـا يعتبر مكونا ثابتا في الشخصية القومية الألمانية. وهو يضيف إلى هذا الميـل الألماني إلى اعتبار "الدولة غاية قصوى". وقد قدم فيخته وهيجل و"المستشار الحديدي" أوتو بسمارك، كل بطريقته، الأساس الفلسفي والعملي لعبادة الدولـة القومية. فقد ولدت الإمبراطورية الألمانية التي أسسها بسمارك في ١٨٧١ في الحرب، وكان لها منذ نشأتها ميل عسكري. كانت العسكرية مكونـا أساسـيا للدولة الألمانية الحديثة. كما أن هذه الدولة الجديدة هي التي دشنت النمـوذج الألماني القومي المتطرف لألمانيا الكبرى، وكذلك سيادة الثقافة الألمانية على العالم. وحسب أدهم، فإن قادة ألمانيا يعتقدون أن "هذه الثقافة لن يكتـب لهـا الهيمنة على العالم بالإقناع والدعاية وحدهما. فقد أثبتت انتصارات ألمانيا في

الحرب أن القوة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه الأهداف". ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، أصبح هذا النموذج العسكري راسخًا في العقلية القومية الألمانية، يهيئ الأمة لقبول النازية وصعودها.[٢٢]

كانت السمة الألمانية القومية الأخرى، والتي تتصل بقوة بتركيز الألمان على السلطة، هي التأكيد الألماني على النظام والانضباط. ويرى أدهم أن الألمان يعتقدون أنه "لا يمكن أن تكون هناك سلطة بدون نظام أو انضباط؛ من هنا فإن النظام في جوهره ألماني!". وهذا يقود بالمقابل إلى عبودية الألمان لمفهومي الواجب والطاعة. وبين الألمان، حل "الواجب" محل "الحق" كمحدد للسلوك. وكان الملمح الآخر الموازي عند أدهم للشخصية القومية الألمانية هو الميل إلى "ازدراء العاطفة". فالألمان يكتمون مشاعرهم الطبيعية، خاصة مشاعر التعاطف، واستبدلوا العاطفة بالالتزام المفرط بالواجب. وهذه القابلية هي التي قادت الألمان إلى القبول بـ "الحكم الشمولي"، وغذت العقلية العسكرية التي قادتهم إلى التسامح مع استخدام "القوة المطلقة دون قيود، قوة الغزو والسيطرة، المجردة من أي عاطفة"، وولدت بذلك التطلع إلى "تنظيم العالم" على الطراز الألماني.[٢٣]

كان أدهم على قناعة بأن مفهوم "الثقافة" بوصفه "الجهد المبذول لتعليم الشخص" كيف يكون منسجما مع الإنسانية بتهذيب وتنقية مشاعره والارتقاء بأفكاره"، اختفى تماما في ألمانيا النازية. وبعد أن كانت رائدة الثقافة العالمية في الماضي، وأمة قدمت للعالم "أبطال الفلسفة والثقافة، وأعمدة الفكر والعلم، وعباقرة الفن والموسيقى، تدنت ألمانيا اليوم لتصبح دولة البربرية الثقافية. ألمانيا اليوم هي دولة مفهومها للثقافة "يجرد الإنسان من إنسانيته، ويحرمه من احترامه وحريته، ويحوله إلى عبد لما تسميه الفلسفة الألمانية الدولة".

وهدف "هذه الثقافة للاعتماد على الدولة" هو "أن يكون "الإنسان بربريًا متعلمًا". وبالنسبة لأدهم، كانت ألمانيا الحديثة "دولة جامحة لا تسيطر على مشاعرها، ونواياها شريرة، دولة لا تعرف سوى القوة والمزيد من القوة". وعندما كتب بعد نشوب الحرب مباشرة، توقع أدهم فشل اندفاع ألمانيا للهيمنة على العالم. وتماما، مثلما سقطت الدولة الآشورية القديمة بسبب "وحشيتها وإرهابها"، ستسقط ألمانيا حتما.[٢٤]

تقييم الشمولية الفاشية مقابل الديمقراطية الليبرالية

تناول العديد من مساهمات الهلال والمجلة الجديدة والرسالة والثقافة في أواخر الثلاثينيات مزايا وعيوب كل من الديمقراطية الليبرالية مقارنة بالتسلطية الفاشية. وبشكل كبير كانت كتاباتها داعمة للديمقراطية. وبينما تشير أحيانا إلى الإنجازات المادية للفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا، كان موقف كُتَّابها النهائي هو أن الاستبداد السياسي والطغيان الثقافي لهذين النظامين يفوق ما تحقق من نجاح اقتصادي واجتماعي.

كان ما عبر عنه سلامة موسى وصحيفته التحديثية "المجلة الجديدة" استثناء جزئيا من هذا التعميم. فقد كانت آراء موسى الشخصية في الفاشية والنازية نابعة من أن موسى كان اشتراكيا، وجلُّ همه نشر المبادئ الاشتراكية كركيزة أساسية لإعادة بناء مصر اقتصاديا واجتماعيا. وكانت عملية التحديث واضحة في ذهنه: ميكنة الزراعة، وتصنيع الاقتصاد الحضري، وصياغة النظامين الاقتصادي والاجتماعي على أسس علمية، وثورة تكنولوجية في كل مناحي الحياة، كدعم مسبق لتكثيف علاقة مصر اللاحقة بتدفق المعارف من مجتمعات غرب أوروبا الأكثر تقدما. وحسب

رأي موسى، فإن مصر المتقدمة والحديثة يجب أن تدار بواسطة الطبقة الوسطى الجديدة من علماء ومهندسين وفنيين ومديرين. وبالنسبة لموسى، كانت الدولة هي الأساس، وأحيانا الوكيل الوحيد للتغيير والإصلاح والتقدم. إنه لا يؤمن بأن تغييرا على هذا النطاق يمكن أن يتحقق دون تدخل الدولة. فمهمة الدولة هي بناء اقتصاد حديث تديره طبقة المهنيين لإقامة مجتمع الرفاه الذي سيوفر شبكة الأمان الاجتماعي التي سترعى كل شرائح الشعب.[٢٥]

وحتى يمكن تأسيس دولة تعمل كأداة فعالة للتغيير والتحديث، كان موسى على مدى فترة طويلة من الثلاثينيات مستعدا للتخلي أحيانا، وبقدر، عن القيم الليبرالية وحرية التعبير. وفي سياق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية في الثلاثينيات، التي عانت منها مصر، شأن دول أخرى من دول العالم، بدت ليبرالية القرن التاسع عشر الكلاسيكية، بالنسبة إليه، تنطوي على مفارقة تاريخية. كان موسى مقتنعا بأن المجتمع الحديث والاقتصاد الحديث لن يقوم في مصر دون تولي الدولة الكثير من السلطات وتدخلها الكبير في توجيه التطور الاجتماعي والاقتصادي. وأعلن أن نظام المستقبل سيكون "نظاما اشتراكيا" تقوده "حكومة من المتخصصين" تعيد صياغة الحياة المصرية على أسس حديثة، من خلال سلطة الدولة.[٢٦]

وعندما يتوجه بنظره إلى الخارج، كان موسي يجد، في البداية، في الاشتراكية القومية الألمانية نموذجا جذابا بسبب اشتراكية الدولة، وهو ما رآه مناسبا للأزمة العالمية في الثلاثينيات. وكان موسى مفتونًا بشكل خاص بالمزج بين الوطنية والاشتراكية في الاشتراكية الوطنية الألمانية، وبقدرة النظام الفاشي على الجمع بين الوطنية والاشتراكية في عملية ديناميكية لتدشين ثورة وطنية واشتراكية في ألمانيا. كانت دولة النازي تظهر في

التطبيق تدخل الدولة البنّاء في الاقتصاد والمجتمع والثقافة. وكانت ألمانيا النازية تقدم الدليل على إمكانية فرض النظام الاشتراكي في كل مجالات الحياة، بسرعة وفعالية.[٢٧]

كان موسى متحمسا لما رآه يحدث في ألمانيا في منتصف الثلاثينيات. وعلى الجانب النفسي، كانت استعادة مجد الأمة واحترام الذات، وحشد سكان ألمانيا لتنفيذ مشروعات الإحياء الوطني الكبيرة، والتعهد بدور أساسي للشباب في إقامة ألمانيا الجديدة، كلها إنجازات مؤثرة.[٢٨] ومن خلال التصنيع المتسارع، والحد من البطالة، وزيادة إنتاجية الاقتصاد، وإنشاء مرافق نقل حديثة، كان هتلر يتجه نحو "الاستقلال المطلق" في المجال الاقتصادي.[٢٩] وكان على رأس قائمة نجاحات الاشتراكية الوطنية ذلك الاستيعاب السريع للعلم والتكنولوجيا من جانب الصناعة الألمانية، وتصنيع منتجات محسنة تتراوح بين الأدوات المنزلية الحديثة والأسلحة المتقدمة. كان التصنيع السريع وقيام جهاز إداري كفء على يد النظام النازي يعني وظائف للطبقة الجديدة من المهنيين المتخصصين الذين يعتبرهم موسى القيادة الطبيعية للمجتمع الحديث. وبفضل هذه النخبة الجديدة من المهنيين، حققت ألمانيا قفزات سريعة باتجاه أن تصبح مجتمعًا اشتراكيًا متقدماً. في الوقت نفسه، كانت الصناعة النازية تنتج سلعا رخيصة ومنتجات للجماهير، وتحقق ارتفاعا عاما في مستويات معيشة الألمان.[٣٠] كما عبر موسى عن إعجابه بأجندة النازي التعليمية التي تربط بين التوسع في التعليم الابتدائي والثانوي مع نشر القيم الوطنية بين الجماهير. هذا التعليم الجديد كان يعد جيلا من الشباب الألماني المستعد للاصطفاف في سبيل الإحياء الوطني والتضحية من أجل الأمة. كان موسى غيورا من حماس الشباب الألماني، واستعدادهم لإطاعة زعيمهم

الكاريزمي وبذل كل مستطاع لدعم الأهداف الوطنيـــة.[٣١] وكمثـــال للحـــشد الناجح للشباب، امتدح موسى تشجيع النازيين للرياضة. فقد زاد إدراك أهمية الأنشطة البدنية تحت حكم النازي، وتحسنت اللياقة البدنية والمعنوية للألمـــان بفضل الإدمان الجماهيري للرياضة. وشأن غيره من المعلقين المصريين في منتصف الثلاثينيات، رأى سلامة موسى والمجلة الجديدة في استـــضافة دورة الألعاب الأوليمبية في برلين ١٩٣٦، ألمانيا المتفائلة والمفتولـــة العـــضلات، التي كانت تتشكل نتيجة للثورة التي قامت بها الاشتراكية الوطنية.[٣٢]

في منتصف الثلاثينيات، لم يكن سلامة موسى غافلا عـــن حقيقـــة أن إنجازات النازية تحققت بفضل ديكتاتورية النظام وقمعه. ولم يكن موقفه مـــن طغيان النازي متماسكا دائما. وكان ينطوي على تناقضات داخلية أحيانا. فمن ناحية، يرى أن الثورة الاجتماعية، على النطاق الذي حققه النازيون، لم يكـــن ممكنا أن تتم دون دولة مركزية قوية تقود التقدم.[٣٣]ومن ناحية أخرى، يرى أن الجانب العدواني للنظام النازي في الحياة اليومية للشعب الألمـــاني كـــان مشروعا في مرحلة التكوين الحاسمة من الثورة الاجتماعية فقط؛ ومـــا إن يقـــوم المجتمع الاشتراكي وتستكمل مؤسساته، يجب أن تبدأ مرحلة أكثر تقدما تتنـــازل فيها الدولة عن سيطرتها على المجتمع، وتتحول إلى نظام أكثر تعدديـــة يـــديره نظام برلماني ديمقراطي. من هذا المنظور، أمكن لموسى أن يمتـــدح النمـــوذج "الاشتراكي الديمقراطي" ممثلا في "العهد الجديد" للرئيس روزفلت في الولايـــات المتحدة كنموذج للتنظيم الاجتماعي، على مصر أيضا أن تحتذيه.[٣٤]

وبشكل عام، كان موسى أقل حماسا لنقل الجوانب الديكتاتورية للدولـــة النازية إلى مصر. وظل يضع نفسه ضمن المعسكر الـــديمقراطي الليبرالـــي، ومناصرا للنظام البرلماني الدستوري في مصر.[٣٥] وبينما كان يـــشيد غالبـــا

بما اعتبره إنجازات اقتصادية واجتماعية للاشتراكية الوطنية الألمانية، كــان على دراية أيضا بأن جانبا كبيرا من الدينامية الصناعية والتكنولوجيــة التــي تحققت على يد النازي كان موجها نحو التسلح العسكري وإنتاج أسلحة حديثة للحرب. حتى الإنجازات التكنولوجيا المدنية للنظام كانت ذات حدين: "نفــس تلك السيارة الرخيصة (فولكس فاجن)، التي صنعتها ألمانيــا لخدمــة عمــال وفلاحي ألمانيا في زمن السلم، سوف تكون في خدمة الدولة الألمانيــة فــي زمن الحرب".[٣٦]

بمرور الوقت، أصبحت آراء موسى أقل انحيازا للفاشية. وفي مقــالين نشرا بالمجلة الجديدة أوائل ١٩٣٨، أعاد طرح مسألة الحكــم الــديمقراطي مقابل الديكتاتوري في السياق المتغير لأواخر الثلاثينيات. وفي مقال مــارس ١٩٣٨، المعنون "ألمانيا بعد خمس سنوات" نجد تقييما مختلفا لمنجزات النظام الاشتراكي الوطني ومثالبه في ألمانيا بعد خمس سنوات في الحكــم.[٣٧] كمــا يعتبر المقال شهادة شخصية يعيد فيها موسى، الذي كان متحمسا للنازية فيمــا سبق، تقييم الظاهرة بأسوب أكثر هدوءا.

وقد ظلت آراء موسى في السياسات الاقتصادية والاجتماعيــة للنظــام النازي إيجابية في أوائل ١٩٣٨. وفي المجال الاقتــصادي، أشــاد بتــوفير النازي للوظائف لملايين الألمان، مع زيادة الناتج القومي الإجمــالي ورفــع مستوى معيشة الشعب، وتشجيع المزيد من تصنيع الاقتصاد الألماني، ووضع ألمانيا على طريق الاستقلال الاقتصادي. وفي المجــال الاجتمــاعي، أشــاد موسى بتحسين الوضع الاجتماعي والمادي للعمــال الألمــان فيمــا وصــفه بـــ "دولة الرفاه النازية". وبعيدا عن خلق فرص عمل جديدة، ضمن النازيون أجرا عادلاً للعمال، وشرعوا في مشاريع إسكان جديــدة، ووضــعوا بــرامج

للرفاه الاجتماعي لتوفير الحاجات الأساسية للأعضاء الأكثر فقرا في المجتمع الألماني. وذهب اهتمام النازي إلى أبعد من توفير الاحتياجات المادية للسكان: شملت برامج الرفاه لألمانيا النازية إشراف الدولة على برامج الترفيه وعطلات الجماهير. ومن الناحية المادية، لاشك أن النظام الاشتراكي الوطني قد أسهم في ازدهار حياة ملايين الألمان.(٣٨)

على أن الإنجازات المادية كانت وجها واحدا من العملة النازية. وكان من الضروري مقارنة تحسين الأوضاع الاقتصادية والسياسية في ألمانيا تحت حكم النازية مقابل استبداد النظام السياسي. وهنا، كان رأي موسى أن النازيين قضوا على المجتمع المدني المفتوح الذي كان قائما في ألمانيا حتى ١٩٣٣. ومع تنامي سيطرة الدولة على الاقتصاد والمجتمع، "تقلصت الحريات وصارت محدودة بشكل متزايد". وصارت حرية الصحافة شيئا من الماضي؛ ولم يعد باستطاعة المعلمين التعبير عن آرائهم بحرية في فصول الدراسة؛ وكان انتقاد النظام علنا أمرا مستحيلا في ألمانيا النازية. وعند المقارنة، توصل موسى انطلاقا من ميوله الليبرالية إلى أن الطغيان السياسي للنازية فاق إنجازاتها المادية: "إذا كنت ممن يثمنون الحريات الفردية وتؤمن بقيمة الحرية ــ حرية التفكير في الأدب، والأخلاق، والفلسفة، والدين ــ فلاشك أنك ستنفر من هذا النظام الذي يدعم الكفاءة الاقتصادية على حساب الحرية أو، بتعبير آخر، يضحي بالأخيرة من أجل الأولى".(٣٩)

وفي مقال نشر الشهر التالي حول "مشاكل الشباب المصري"، تناول موسى المبادئ الديمقراطية مقابل الديكتاتورية من حيث ملاءمتها لمصر نفسها. كان المقال داعما للديمقراطية بشكل كامل. وبالنسبة لمصر، التي تتحاور حاليا بشأن هويتها القومية، وتستوعب الحداثة في السياق، كان موسى

مقتنعا بأن الديمقراطية الليبرالية هي الشكل الأفضل للحكم. كان تفسيره وظيفيًا، انعكاسا لالتزامه الشخصي بتحديث المجتمع المصري. وكان السماح بمشاركة تنويعة واسعة من الجماعات في الخطاب الوطني، وحكومة برلمانية تمثيلية هو السبيل لضم المزيد والمزيد من السكان في الحياة الوطنية؛ ومن ثم تشجيع تبني قطاعات أوسع من المجتمع للأفكار والممارسات الحديثة. رأى موسى في الليبرالية مركبًا من الحرية والتقدم، ومنظومة قيم تتيح الحرية السياسية، وتعزز في الوقت نفسه الإصلاح الاجتماعي. وفي نظرته بالغة المثالية، قدم موسى ليبرالية القرن التاسع عشر الأوروبية كنموذج ضمن حماية الحريات المدنية في نفس الوقت الذي عملت فيه من أجل التحسن الاقتصادي والاجتماعي. الليبراليون "نشروا للمرة الأولى برامج للإصلاح الاجتماعي، وهم الذين جعلوا التعليم شاملا ومتاحا للجميع". وعملت الليبرالية باسم الضعيف: لتحسين دخول العمال وكبار السن، والحماية ضد البطالة والإجازات المرضية، وتعزيز سلطة العمال من خلال تأسيس النقابات العمالية، والتأمين الصحي على العاملين. كما شجعت الحركات الليبرالية التسامح الديني، وتقبل العلم وتطويره، والتوصل إلى تقنيات جديدة. كل فضائل الحداثة هذه تنبثق من الليبرالية. وهكذا، وبدلا من استعادة أي شكل عفا عليه الزمن من الحكم الاستبدادي الذي "لا يختلف بحال عن طغيان المماليك أو الحكام الشرقيين الطغاة"، علينا "نشر التعليم الديمقراطي وغرس مبادئ الليبرالية في مصر.[٤٠]

وبدلا من تقديم النماذج الاستبدادية بوصفها وسيلة ضرورية للتغيير والتقدم الاجتماعي، كما كان يفعل أحيانا في الماضي، أصبح سلامة موسى يرى أن النظام الليبرالي هو الأفضل لتحديث مصر. نظم الحكم الليبرالية

وحدها هي التي يمكن أن تقيم دولة رفاه حديثة يمكنها تحسين حياة كل المواطنين دون التضحية بالحرية السياسية. وانتهى موسى إلى أن مصر تحتاج لنظام سياسي ديمقراطي يعمل من أجل النهوض بالضعفاء وفي الوقت نفسه يشجع مبادرات الطبقة الوسطى، ويحد من قدرة الطبقة الحاكمة على تعطيل حرية الآخرين. هذا النظام الليبرالي المستنير من شأنه تخفيف الضغوط الاجتماعية وتفادي القلاقل الاجتماعية والصراع الطبقي في مصر. وحده تحسين حياة المصريين الذي يمكن أن يحول بين تحول الشباب نحو الأشكال السياسية الراديكالية التي يمكن أن تقوض الحرية الشخصية.[٤١]

مع نهاية ١٩٣٨، كان موسى يتبنى إطارا مفاهيميًا جديدًا، هو الدولة الأوتوقراطية، لفهم الفاشية كنظام سياسي. وقادته حساسيته العالية تجاه الجوانب القمعية والاستبدادية للحكم النازي إلى نبذ، مرة وإلى الأبد، نظرته السابقة إلى الاشتراكية الوطنية الألمانية كحكم يعمل على إقامة نظام اشتراكي تقدمي. ومن هذه النقطة فصاعدا، أصبح مفهوم الشمولية هو مفتاح فك شفرة جوهر النازية عند موسى والمجلة الجديدة.

وفي مقال نشر في ديسمبر ١٩٣٨، يقارن موسى بين النظامين المختلفين جوهريا للحكم اللذين قاما في القرن العشرين: "الدولة الجامعة" و"الدولة الديمقراطية".[٤٢] الدولة الديمقراطية نظام سياسي ليبرالي يقوم على مجتمع مدني حيوي. وما يميز الدولة الديمقراطية هو محدودية نطاقها وسلطتها، وعملها في ظل قيود يفرضها الدستور، وتختار قيادتها السياسية عبر انتخابات حرة حيث يتنافس أكثر من حزب واتجاه. وكانت بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة أمثلة الدولة الديمقراطية المعاصرة. في مقابل هذا الشكل من الحكم، تقف "الدولة الجامعة" ذات الزعيم الواحد

والحزب الواحد، وحيث تقمع التعددية بواسطة وكالات الدولة، ويخضع فيها المجتمع المدني للحزب والزعيم والدولة.(٤٣)

حدد موسى الملمح الذي يميز نظام الاستبداد مقابل النظام الديمقراطي بدرجة السيطرة التي يمارسها كل منهما على المجتمع. فالدولة الجمعية تفرض سلطتها المطلقة التي لا ينازعها فيها أحد على جميع مجالات السياسة والمجتمع والثقافة. النظم الشمولية أو الأوتوقراطية، أو الجمعية حسب تعبير موسى، "تتعهد بمركزة سلطتها وحكم كل شيء والتغلغل في كل شيء. ووظائف الحكومة وأدوارها مركزة حصريا بيد الدولة. والفرد يُبتلع بفعل آليات الدولة". التعليم، الصحافة المطبوعة، المشروعات التجارية والصناعية، جمعيات المجتمع المدني المتعددة: كلها تتحكم فيها دولة تتدخل في كل شيء و"يراقب وكلاؤها كل حركة وتصرف". وعلى عكس الدولة الشمولية، فإن الدولة الديمقراطية "لا تهيمن على (كل مظاهر الحياة) ولا تركز السلطة بيد الحكومة. في البلد الديمقراطي، توجد السلطة الحاكمة بيد الأفراد. وقوة الدولة مرتبطة بالسلطة التي يحددها لها الأفراد". في الدولة الديمقراطية، يتمتع المواطنون "بحياة خاصة ممتلئة" بعيدة عن تدخل الدولة ووكالاتها (٤٤).

وقد شارك الكتاب الآخرون في المجلة الجديدة سلامة موسى آراءه السلبية في الفاشية الأوروبية مع اقتراب الثلاثينيات من نهايتها. ففي مقال بعنوان "الديمقراطية والديكتاتورية"،(٤٥)يدعم رشدي سعيد الديمقراطية بكل قوته. وبينما يشير سعيد إلى أن للدول الديمقراطية قيودها وعيوبها، إلا أنه يشعر بأن الأنظمة الديكتاتورية أسوأ بكثير. وبعد استعراض التطور التاريخي للديمقراطية منذ اليونان القديمة وحتى العصر الحديث، يتوصل سعيد إلى أن الحكم الديمقراطي الذي يحترم ويضمن ثقافة التعددية السياسية

هو النظام السياسي الطبيعي للمجتمعات الحديثة المعقدة ذات الرأي العام المتنوع والمركب. على الجانب الآخر، كانت الديكتاتورية ظاهرة انتقالية ترتبط بالمجتمعات التي تواجه أزمات. وعلى القائلين إن الانتشار الحالي للأنظمة التسلطية يشير إلى فشل الديمقراطية، يرد سعيد بأن تطلع الإنسان إلى التحرر والحرية يؤكد أن "الديمقراطية لن تفشل أبدا".[٤٦]

واستعان سعيد بالحياة الثقافية تحت حكم النازي كدليل أساسي على شرور الديكتاتورية. وأشار إلى أن ما يفعله النظام النازي لا يوصف إلا بـ "تدمير الثقافة الألمانية"، ووصف هتلر ووزير دعايته جوبلز بـ"حراس سجن الثقافة"، التي وضعت سياستهما الأدب الألماني والمسرح، والسينما، والموسيقى، والسينما في "سجن ثقافي". لقد حول النازيون الثقافة إلى دعاية مجندة لخدمة الدولة. وتوازى مع هذه الهيمنة الثقافية على الشعب هيمنة النظام على أبدان الألمان. وبينما كان جوبلز هو "وكيل الإرهاب الفكري"، كان هرمان جورنج "وكيل الإرهاب البدني" الذي يشرف على استخدام النظام للسجن والنفي والعنف لإذلال الألمان. وفوق وكالات السيطرة والهيمنة هذه تقف عبادة شخصية الفوهرر: "طاعة الأمة وعبوديتها للفوهرر تامة، وتقديس أفكاره وآرائه ملزم للأمة".[٤٧]

كانت تعليقات الهلال والرسالة حول مزايا الديمقراطية مقابل الفاشية في أواخر الثلاثينيات بالغة السلبية بصورة واضحة فيما يتعلق بكل أشكال الفاشية. وركز كتاب مختلفون نقدهم على جوانب مختلفة من الفاشية والنازية. وحظيت أساليب النازية بصفة خاصة بالقدر الأكبر من نقد علي أدهم. وباستخدامه تعبير "المكيافيلية" لوصف أسلوب النازي، حمّل أدهم أفكار وقضايا نيقولو مكيافيللي وكتابه "الأمير" قيمة أكبر من قيمتها الحقيقية؛ لكن

لاشك أنه عني بالتعبير الإدانة التامة. كان أدهم يعني بالمكيافيللية نوعًا جديدًا من السياسة يقوم على التلاعب، وازدراء الحقيقـــة، والانتهازيـــة القـــصوى، سياسة تهيمن عليها القوة المحضة. كل الأساليب مشروعة فـــي المكيافيلليـــة، بما في ذلك استخدام القوة، من أجل إنجاز الأهداف النازية الرافـضة للقـــيم الليبرالية والشاملة. وحسب أدهم، انتقلت المكيافيللية الأصلية كما وردت فـــي كتاب الأمير وصُقلت عن طريق أفكار هيجل عن عبادة الدولة، وســـوبرمان نيتشه، والسياسة الواقعية عند بيسمارك، وبلغت أوج توحـــشها فـــي القـــرن العشرين على يد النازية وهتلر. والمكيافيللية النازية تعني سياســـات "عبـــادة وتمجيد الدولة" و"انتصار الحكم الديكتاتوري المطلق"، والتي تهدد فـــي حـــال عدم التصدي لها بـــ "تحطيم الحضارة وإحالتها إلى ركام وخرائـــب". ودعـــا أدهم في ١٩٣٦ القوى الديمقراطية إلى الدفاع عن الحضارة الإنسانية أمـــام المكيافيللية الهدامة. ويتطلب الإبقاء على المدنية نفسها استعادة القيم الإنسانية، وتدعيم الديمقراطية، وتعزيز التفاهم بين الـــشعوب، والـــرفض التـــام لـــــ "المكيافيللية الفجة والعنيفة". (٤٨)

كانت هيمنة الفاشية على الحياة الثقافية وما صـــاحبها مـــن إعـــدامات للمثقفين مصدرا خاصا للقلق عند الكتاب الذين نشروا مقالاتهم في المجلتـــين. وفي مقال نشر في الهلال عام ١٩٣٧، ينعـــي إبـــراهيم المـــصري طمـــس الحريات الفردية وقمع التعبير في ظل النظم الديكتاتورية. ففي الدول الفاشـــية المعاصرة، تم إسكات أي حركة منتقدة أو معارضة بواســـطة آلـــة الطغيـــان الرهيبة. وفي ظل الديكتاتوريات، فقد المثقفون علة وجـــودهم؛ فـــي إيطاليـــا وألمانيا، أُعدم المثقفون، حَمَلةُ الأفكار الحرة والحقيقة العلمية، أو طُـــردوا، أو استوعبوا في آلية الدولة المشئومة، وأُجبروا على خدمتها رغم إرادتهم. فـــي

تلك البلاد، أصبحت النخبة الثقافية، شأن سائر الشعب، قطيعا يعيش في "معسكر كبير" تحت إمرة الدوتشي أو الفوهرر.[٤٩]

خصصت الهلال افتتاحيتها في نهاية ١٩٣٨ لما أطلقت عليه "مآسي الحرية في العصر الحديث". وتحدثت الافتتاحية عن عمليات إعدام وطرد المثقفين الليبراليين التي شهدتها ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وإسبانيا فرانكو، وأن الليبراليين في البلاد الثلاثة "اضطروا للهرب إلى الحرية في المنفى". واعتبرت الافتتاحية ألمانيا النازية أكثر قامعي المثقفين قسوة، وبلدا لم يعد يسمح بأي مساحة لحياة ثقافية مستقلة. وطالت الإعدامات الجميع بغض النظر عن ديانتهم: ضمت قائمة "المطرودين" و"الهاربين" علماء وكتابًا وفنانين وموسيقيين، يهودًا وغير يهود. اضطر ألبرت أينشتاين وإميل لودفيج وتوماس وهنريش مان، ومئات غيرهم من المنارات الثقافية إلى الفرار من "نظام يقمع الأصوات المعارضة ويصادر حرية التفكير"، لا "في المجال السياسي وحده، بل في كل مجالات الإبداع الثقافي، في الأدب والتاريخ والفن والفلسفة". وبينما تشير إلى معاناتهم من الأوضاع القمعية التي يعيشون في ظلها وإبعادهم عن بلادهم، أشادت الافتتاحية ببطولاتهم لاختيارهم أن يظلوا شعلة الإبداع الثقافي في المنفى.[٥٠]

كما أدانت الرسالة كذلك السياسات الثقافية للنظام النازي. وكمنبر ثقافي يعتمد على حرية التعبير، كان من الطبيعي أن تقف الصحيفة ضد ما اعتبره أحد كتابها، محمد عبد الله عنان منذ ١٩٣٥ بـ "الطغيان الشامل" المتأصل في الفاشية.[٥١] وهكذا، تستنكر افتتاحية نشرت في العام نفسه ما أسمته "إعدام الصحافة الألمانية في ظل الإرهاب الهتلري".[٥٢] وفي مقال سابق لعنان، يشير إلى أن النازية "تقتل الصحافة الألمانية". فالخطاب الحر للصحافة

الألمانية العظيمة يشكل عائقا أمام تعزيز سلطة النازي؛ لهذا، استأثر النظام بالسيطرة على نشر المعلومات. وبقمعه حرية الصحافة عن طريق إغلاق بعض الصحف، أو شراء أسهم فيها أو تأميمها، ونفي المعارضين من صحفييها، ضمن هتلر السلطة المطلقة على المجال العام، وأزاح كل صوت معارض، وفرض الحقيقة التي يقدمها النظام بوصفها الحقيقة الوحيدة. وحسبما يرى عنان، كان القضاء على حرية الصحافة وفرض "صحافة نازية" مذعنة مأساة. وعبر هذا، أظهر هتلر مستوى من الإكراه والعنف "أقوى وأكثر إثارة للفزع من ذلك الذي مارسته الديكتاتوريتان الفاشية والبلشفية".(٥٣)

تواصلت إدانات السياسات الثقافية النازية في الرسالة على مدار عقد الثلاثينيات. وحسب صياغة إحدى الافتتاحيات في منتصف ١٩٣٩، فإن "النازية بطبيعتها تقف على طرف نقيض مع حرية التعبير والرأي؛ إنها تقوم على قاعدة القوة". وعلى الرغم من إعلان دعاية النازي الكاذبة نجاح النظام في "إزالة الخطيئة وتحرير الوعي الإنساني"، فإن الواقع يشير إلى أن "هذه الديكتاتورية تحط من قيمة الإنسان". وبطمس استقلالية الفرد والتضحية به على مذبح الدولة، كانت سياسات النازي تدمر الوعي الإنساني.(٥٤)

كان كتَّاب الرسالة يدركون بشكل خاص القوة الفتاكة للدعاية في العالم الحديث. وعبرت المجلة أكثر من مرة عن انتقادها لاحتكار الدولة لإنتاج الثقافة ونشرها في ظل النظم الفاشية. وكان المثل الأول دور جوزيف جوبلز ونفوذه داخل النظام النازي. لقب الرجل نفسه واسم وزارته، وزير الدعاية ووزارة الدعاية، يحمل تضمينات سلبية. جوبلز أحال الثقافة الألمانية إلى ثقافة عسكرية، تحول الفنانين إلى جنود مجبرين على التفكير والعمل والإبداع حسب توجيهات وزير الدعاية. كل العمل الإبداعي في ألمانيا أصبح

في خدمة الدولة والديكتاتورية النازية. وفقد الفنانون استقلالهم وحريتهم في تقديم إبداعاتهم الفنية المستقلة؛ أصبح هدفهم الوحيد هو إرضاء حاجات الدولة وجهاز دعايتها.[٥٥]

وأكدت تعليقات لاحقة حول الحرية الثقافية نشرت في الرسالة على أنه في عالم تأتي فيه "٩٠٪ من معلوماتنا من الكلام المكتوب"، ومما نستوعبه "بعيوننا"، فإن مصادرة الدولة الشمولية لكل وسائل طباعة وتوزيع المعلومات المطبوعة عمل غير مسبوق وخطير. ولم يؤد ظهور الإذاعة ونشر المعلومات "عبر الأذن" إلا إلى إحكام سيطرة الدولة على الثقافة، حيث أصبحت الواسطة الجديدة أكثر عرضة لتحكم الدولة.[٥٦] أما النظم الديمقراطية فتلجأ إلى لا مركزية توزيع المعلومات بوضع هذه الوظيفة بأكثر من يد. بالمقابل، سخرت الديكتاتوريات، "(بقوة ووحشية)"، كل وسائل الاتصال المطبوعة والمذاعة واستخدمتها "لترويج دعايتها بين الجماهير".[٥٧] ووزارة جوبلز للدعاية "تتحكم وحدها بشكل مطلق في كل وسائل الدعاية والاتصال"، من خلال سيطرتها على "ما لا يقل عن ثلثمائة صحيفة" في أرجاء ألمانيا والبلاد التي ضُمت مؤخرا، وعن طريق "جيش من الصحفيين" منتشرين في أنحاء العالم. وتمارس الحكومة الألمانية رقابة صارمة على كل كلمة مطبوعة أو مذاعة في ألمانيا. وبالإضافة إلى الإعلام، تسيطر الديكتاتورية النازية على كل مستويات التعليم في الرايخ الثالث، وتتولى تشكيل القيم التعليمية وتشرف على طريقة نقلها إلى الجيل الأصغر من الألمان. وسيطرة النظام المطلقة على كل مصادر المعلومات والمعرفة تفرض على المجتمع الجماهيري الدعاية الديماجوجية للدولة الفاشية.[٥٨]

ونجد تعبيرا بليغا عن نفور المثقفين المصريين من الشمولية الثقافية الفاشية في مقال لطه حسين نشر في أوائل ١٩٣٧. في المقال، يوضح طه حسين وجود فارق ثقافي بين "(الأدب الفاشي)" و"(الأدب الشيوعي)" في الديكتاتوريات المعاصرة في إيطاليا وألمانيا والاتحاد السوفيتي، و"(الأدب الديمقراطي)" في البلاد الديمقراطية الغربية. ففي ظل الشمولية القمعية التي تسم الثقافة الفاشية، يضطر الكتاب والفنانون أن يبدعوا لتمجيد أهداف وطنية "خارج ذواتهم" محددة ومقررة من جانب الدولة الشمولية. وتنسحب الشخصية الإبداعية للفنان إلى الداخل عندما تواجه بـ "سلطة الزعيم الأوحد، السوبرمان"، الذي يفرض ذوقه الفني ومتطلباته الفنية بالقمع والإرهاب. وفي ظل نظم كهذه، أمام الروح المبدعة أحد اختيارين: إما المنفى، أو تسخير موهبتها الإبداعية لخدمة الدعاية الرسمية وديماجوجية الدولة. وانتقد طه حسين الديكتاتوريات المعاصرة على إعدامها المثقفين وإخضاعهم وما يترتب على ذلك من تدمير للتعبير الإبداعي الحر. في ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، كما قال، "يفكر الناس ويبدعون على الطريقة التي يوجههم إليها هتلر وموسوليني ليفكروا ويبدعوا". النظم الشمولية تمحو فردية المثقفين. "إنهم يعيشون مثل مجتمع من الحشرات. وعليهم التصرف مثل نمل في عش أو مثل نحل في خلية".(٥٩)

كانت مقولة طه حسين واضحة: فقط في ظل الديمقراطية هناك إمكانية لإضفاء التعبير الإبداعي الكامل على الروح الإنسانية. فقط في البلاد الديمقراطية، حيث حرية الفرد تمثل قيمة سامية، يستطيع الفرد التعبير عن شخصيته دون إملاء من خارجه، ويمكن للثقافة والأدب والفن أن تتطور وتزدهر. الديمقراطية هي النظام الوحيد الذي يحقق التوازن بين الفرد

والمجتمع واحتياجات المجموع. فقط في "(البيئة الديمقراطية)" يمكن للـروح الإنسانية أن تقدم إبداع فلسفيا أو علميا أو فنيا.(٦٠)

وكان الفرق بين وضع المرأة في النظامين الديمقراطي والشمولي نقطة إضافية لصالح الديمقراطية. وفي مقارنته في ديسمبر ١٩٣٨ بـين الـدولتين الديمقراطية والاستبدادية، يستخدم سلامة موسى وضع المرأة كمثال للفجـوة بين نوعي الدولتين. وهو يظهر رفض الدولة الشمولية للحرية الفرديـة فـي تعاملها مع المرأة. فالحكم النازي في ألمانيا كان نظاما ذكوريا شوفينيا يقمـع المرأة ويهمش دورها بتقييد دخولها جهاز الدولة. ويقارن موسى مرة أخـرى بين هذا وبين الولايات المتحدة: "النساء في الولايات المتحدة شخصيات حـرة تماما؛ ويمكن أن تصبح المرأة أستاذة في الجامعة، أو قـسًا فـي الكنيـسة، أو تنتخب كعضو في البرلمان".(٦١)

وفي تعليق بالرسالة في ١٩٣٩، هناك انتقاد مماثل لحالة "النساء فـي ظل الديكتاتورية".(٦٢) وشأن موسى في المجلة الجديدة، قدمت الرسالة وضـع المرأة تحت حكم النظم الفاشية والنازية كتمثيـل أمـين للطبيعـة الذكوريـة للفاشية. وحيث إن الفاشية والنازية "تقومان على القوة البدنية، يبقـى وضـع المرأة ثانويا دوما، وتحت سيطرة الرجل الذي يذهب إلى الحـرب وسـاحات القتل". النساء في إيطاليا الفاشية ليس لهن إلا وظيفة واحدة "إنتـاج الـذكور وخدمتهم في زمن الحرب". واستشهدت المجلة بقول موسـوليني "إذا سُـمح للنساء بدخول ساحة الانتخابات سيضحك العالم مني"، وعلقت بـأن القـوانين تنحاز ضد المرأة في المجال التشريعي. ووضع المرأة تحت حكـم النـازي مهين كذلك. "النظام النازي يعامل النساء بغلظة وينتهكهن. والمرأة الألمانية، شأن أختها الإيطالية، تخضع لحكم الطغيان". والقوانين الوحشية تعادي المرأة

وتؤيد سيادة الذكر. وفي ألمانيا النازية، "مكان المرأة أولا وقبل كل شيء هو البيت". ويعدد المقال مجموعة من المساوئ المفروضة على المرأة تحت حكم النازي، من بينها تهميشهن في الخدمات الحكومية واستبعادهن من المناصب العامة. والفرص التعليمية المتاحة أمام النساء في ألمانيا تتقلص، إلى جانب تخصيص حصص محدودة لهن في الجامعات. وعندما تستبعد النساء من المجال العام، فلابد أن ينتشرن في الأعمال الخدمية الوضيعة. وترى الرسالة أن وضع المرأة تحت حكم الفاشية أسوأ من الوضع الذي كانت عليه في العصور الوسطى.[٦٣]

ونجد أكثر التقييمات شمولا لمزايا وعيوب الشمولية مقابل الديمقراطية عند عبد الرزاق السنهوري. والسنهوري واحد من أشهر قضاة مصر. نشر السنهوري، فرنسي التعليم، والذي شغل عمادة كلية الحقوق المصرية لفترة قصيرة، والقاضي بالمحاكم المختلطة، وأحد مؤسسي الحزب السعدي، مقالين في الهلال يشرح فيهما كيف أنه من الأفضل "منح حق التعبير عن الرأي للأمة".[٦٤] وتتصل المسألة التي يتناولها اتصالا مباشرا بتحليلنا حيث إن أحد مزاعم الحركات والنظم الفاشية هو أن الديمقراطية فشلت في توفير تعبير حقيقي عن إرادة الأمة بينما نجح الحكم الشمولي من جانبه في ذلك. كان السنهوري يشير بحق إلى المسألة الرئيسية في تلك الأيام، والتي وإن كانت مسألة أوروبية إلا أنها تمس مباشرة مسألة شكل الحكم في مصر. كان السنهوري يقدم اعتراضا ضمنيا على تلك الأصوات المصرية التي كانت تنتقد النظام البرلماني في مصر في أواخر الثلاثينيات باعتباره عديم الجدوى، وتستنكر وجود أحزاب سياسية غارقة في ترسيخ الانقسام، والتي كانت ترى أن إرادة الشعب المصري ومصالحه يمكن تحقيقها بأفضل صورة عن طريق الزعامة الشمولية لحاكم تقي مثل الملك الشاب فاروق.

وكغيره من المثقفين المصريين، كان السنهوري على دراية تامة بأزمة الديمقراطية العالمية وقتها، حيث تقوم الحركات المتطرفة كالفاشية والشيوعية بـ "استبدال النظم الديمقراطية بنظم ديكتاتورية". واستخدام الفاشية ظاهريا لإجراءات ومؤسسات ديمقراطية، كالدساتير والبرلمانات والانتخابات، كانت، كما يؤكد، مجرد ستار دخان يخفي طغيانا جديدًا من النوع الأكثر تصلبًا وشمولية. ويؤكد السنهوري أن "الديكتاتورية الفاشية تقوم على حكم الفرد القوي الذي يتحكم في كل الأمور". الفاشية لا تسمح بالتعددية أو المعارضة أو الاحتجاج؛ و"سواء كانت صادقة وقادرة أو فاسدة وكاذبة، فهي لا يمكنها البقاء دون لجم أصوات المعارضة والقضاء عليها". ما يميز الديمقراطية هو أنها "تتسامح مع وجود كيانات معارضة تمارس النقد". بالمقابل، فإن التعددية في البلاد الديمقراطية، ووجود أكثر من حزب سياسي والتنافس بينها في الانتخابات، هو الذي يضمن التعبير عن رأي الأمة ويقرر سلطتها في شئون الدولة. وزعم الفاشية تمثيل الإرادة الشعبية كان مخادعا. في الديكتاتوريات الفاشية، الحاكم هو الذي يقرر رغبات الأمة دون سؤال الشعب عن رغباته. وفي الحقيقة، "الديكتاتورية الفاشية تلغي رأي الأمة". فالنظم الفاشية تمثل رأي الحاكم الذي يزعم اعتباطيا، ودون تبرير، أنه يعرف إرادة الأمة ويمثلها. وبالنسبة للسنهوري، "مازال النظام الديمقراطي هو أفضل النظم التي عرفها الإنسان، وأكثرها ملاءمة".[٦٥]

ووجد أحد المعلقين المصريين سابقة تاريخية للنازي في إسبرطة القديمة. وفي مقال بالهلال في يناير ١٩٣٩، يرى إبراهيم المصري أن "مبدأ الحكم المطلق للدولة، وإضعاف الفرد داخلها" هو "مبدأ إسبرطي" وكل ما فعله النازي هو إحياؤه. وحلل المصري تفصيلا ما اعتبره توازيا نازيا مع

الإسبرطيين جعل من ألمانيا "مجتمعا عسكريا استبداديا" شبيها.[٦٦] كان تحليل المصري النقدي شاملا. وكانت الفاشية تقوم أساسا على القوة، وإسكات كل الأصوات المعارضة من خلال عسف الدولة، والسجون، أو الموت. وليس للأقليات القومية أو الدينية أي مساحة للعيش في ألمانيا النازية؛ ومصيرهم "الطرد أو النفي". كان يحكم ألمانيا نظام شمولي " تشرف الدولة فيه على كل شيء، وتتحكم في كل كبيرة وصغيرة، في جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية، وكل تفاصيل حياة الأفراد". وكانت القوة الاستبدادية للدولة تقوم على قواتها العسكرية والبوليسية، تعززها جهود الدولة لبث الروح العسكرية في المجتمع والثقافة. وكل أبناء وبنات الأمة الألمانية جنود يخضعون لنظام الدولة وخدمة أهدافها. والدولة النازية الاستبدادية تحط من شأن النساء وتقمعهن تماما كما كان حالهن في إسبرطة. وعبادة الذكر والبطولة الذكورية همشت النساء في ألمانيا النازية؛ كان دورهن ومصيرهن محصورا في "الإنجاب لتوفير أكبر عدد من الرجال الأصحاء" للدولة. وتماما كما كان الحال في إسبرطة، حيث "تصبح الأمة معسكرات عسكرية، يصبح الشعب ككل جيشا"، لذا "في البلاد الديكتاتورية الجديدة، كل الجهود والقوى تُحشد لتحويل الأمة إلى معسكرات حربية والشعب الثمل والمتحمس، الذي أدمن الديماجوجية، إلى جيش". إجمالا، كانت الدولة النازية الشمولية عند المصري تحديثا لإسبرطة القديمة.[٦٧]

لكن رغم كتالوج الشرور هذا، ختم المصري مقاله بملحوظة إيجابية. فقد انتهت قصة إسبرطة نهاية مؤسفة، بالفشل والهزيمة. ويطرح المصري سؤالا بليغا على قرائه: "ما الذي تبقى من إسبرطة؟. أي فائدة عادت على العالم من ثقافة إسبرطة؟". وكانت إجابته مقتضبة: "لا شيء!". فعلى عكس غريمتها أثينا، التي تمثل قيم التنوير والديمقراطية، لم تقدم إسبرطة "علما أو

فنا"، وإنما "مجرد تجربة لحكم المحاربين يقوم على القوة والقـوة وحـدها". تركت أثينا للأجيال التالية كراهية الحرب، وجعلـت الإنـسان يتطلـع إلـى "انتصار العدل ومساعدة الضعيف وإغاثته". أما عن تراث إسبرطة، فـ "كـل ما تعلمناه منها نوع من البطولة مشوش وسلبي، مناقض للعقـل والمنطـق، بطولة تؤله الألم والموت الإنساني، بطولة تمتلئ فخرا، وتزدهر عندما تنشر الرعب من الجوع، والمعاناة، والموت!". ومثلما فشلت إسبرطة واختفت دون أن تترك أثرا إيجابيا، ستسقط الشمولية النازية وتصبح نسيا منسيا.[٦٨]

كان المثقفون المصريون حساسين تجاه الفرق بـين إيطاليـا الفاشـية وألمانيا النازية. وفي مقال بالرسالة في ١٩٣٩، يقدم محمـد لطفـي جمعـة تحليلا للفروق بين الفاشية والنازية. يرى جمعة أن النازيـة "ليـست تقليـدا للفاشية ولا هي نوعًا منها". فعلى الرغم من أن النظام النازي فـي ألمانيـا، شأن الفاشيين في إيطاليا، ظهر بالتحالف مع البرجوازية الصناعية والماليـة، وكان يبذل جهودا جبارة للإصلاح الاجتمـاعي الـداخلي كنقـيض للخطـر الشيوعي، إلا أنهما يختلفان كثيرا في أهدافهما النهائية. النازية في ألمانيا لـم تكن مثل الفاشية في إيطاليا. ففي إيطاليا، تلك الدولة التي خرجـت منتـصرة من الحرب العالمية الأولى لتواجه أزمة داخلية في أعقاب الحـرب، كانـت المسائل الطاغية التي تحرك الفاشية داخلية. بالمقابل، كانت توجهات النازيـة في ألمانيا خارجية. كانت الأجندة النازية الأساسية هي "الدفاع عـن الـوطن أمام الأعداء الخارجيين وتحريره من قيود معاهدة فرسـاي. كـان الهـدف الأساسي للسياسة الخارجية للنازية هو تحقيق الهيمنة الدولية فـي أوروبـا. الهدف الرئيسي للنازية الهتلرية، وهو تعبير متكرر في الخطاب المـصري، هو "ألمانيا أكبر ومجد الرايخ الثالث".[٦٩]

وعلى الرغم من الخلاف في التوجه الخارجي، فإن جمعة يرصد تشابهات كثيرة في توجهاتهما الداخلية. وهنا، يتوازى نقده مع نقد غيره من المثقفين من حيث تأكيده على مهاجمة الفردية تحت الحكمين الفاشي والنازي. ويرى جمعة أن كلا النظامين يتعهد بإقامة ديكتاتوريتين غير مسبوقتين في قوتهما وقمعهما والحفاظ عليهما. النظامان "ابتلعا حقوق الأفراد، وجعلا من الدولة هدفا أسمى، حتى إن كان هذا يعني التمييز ضد الفرد والتضحية به على مذبحها". وفي الديكتاتورية النازية بوجه خاص، كانت إرادة الأفراد والجماعات "خاضعة لإرادة الزعيم، واندمجت شخصياتهم في شخصية الزعيم الذي يجسد الإرادة العامة". وبينما لم تكن النازية نسخة طبق الأصل من الفاشية، إلا أن كلتا الحركتين أقامت دولة بوليسية شمولية من نوع جديد تماما مكرس لسحق الفرد وإخضاعه للنظام.(٧٠)

كانت تقييمات الفاشية الإيطالية سلبية بقدر تلك الخاصة بالنازية الألمانية. وعند مراجعة افتتاحية ١٩٣٩، لصعود الفاشية في إيطاليا ومناقشة الحزب الفاشي في السلطة، اعتبرت النظام الفاشي نظاما شموليا دمر الديمقراطية الإيطالية:

"الحركة الفاشية في جوهرها حركة تدعو إلى تدمير النظام البرلماني والمبادئ الديمقراطية التي سادت في أوروبا في القرن التاسع عشر. إنها حركة للتركيز التام للسلطة والقوة بيد الدولة، والقضاء على حرية الفرد واستيعابه في الدولة، ولوضع كل السلطات التنفيذية بيد زعيم الدولة. وهذا ما يحدث في إيطاليا بالفعل.(٧١)

وهناك افتتاحية لاحقة بالهلال في مايو ١٩٣٩، تتناول تدشين المجلس الفاشي الأعلى، يمثل نقدا مميزا للعلاقة بين وضع الحزب والدولة تحت حكم

الفاشية.[٧٢] وتلقي الافتتاحية الضوء على الفروق بين وضع الحزب الفاشي في إيطاليا والأحزاب السياسية في النظم الديمقراطية. ففي إيطاليا المعاصرة، كان الحزب الفاشي "مؤسسة فريدة ... في الحقيقة أشبه بكنيسة مؤلفة من جماهير المؤمنين التي تخضع خضوعا أعمى وتامًا لرئيسها، وتحديدا لموسوليني". الحزب الفاشي أشبه بمنظمة دينية. وفي هذا الصدد كانت مبادؤه أشبه ببنود دينية لها الأولوية على متطلبات الفرد. ويتطلب النظام الفاشي "الطاعة التامة للدوتشي، طاعة تحول دون أي جدل أو معارضة"، من جانب أتباعها. الحزب "يخلق لكل المواطنين عقيدة دينية ودينًا واحدًا يؤمن به الجميع"[٧٣]

كان لهذا العرض المفصل لطبيعة النظام الفاشي هدف تعليمي: إثبات أن الفاشية خلقت شكلا جديدا من الديكتاتورية يتحلى بقوة قمع غير عادية للفرد. والخطيئة الأساسية لهذه الدولة الشمولية هو "سحق الفرد" بدرجة غير مسبوقة في التاريخ. وفي استعراضها لشرور النظام الإيطالي ـ "الطاعة العمياء، الإنكار المطلق لحرية التفكير، عبادة شخصية الزعيم، التضحية بجميع حقوق الفرد ورغباته وتدعيم عظمة الجماعة وتعزيز نفوذها وسلطتها وسيطرتها ـ ركزت الهلال بصفة خاصة على خسارة الفرد لاستقلاليته تحت حكم الفاشية. ففي إيطاليا الفاشية، لم يكن للفرد أي أهمية:

الفرد يضحي بحريته، وتحديدا، حقه في التفكير حسبما يشاء؛ إنه يعطل قدرته على التعبير عن أفكاره وعن انتقاد الحكومة، وحقه في تسيير أموره الخاصة ... إنه يضحي بكل شيء من أجل صالح الدولة الذي يفوق أي مصلحة أخرى. أن تكون فردا يعني الإيمان الديني الكامل بالدولة وبأن الزعيم الذي على رأسها معصوم من الخطأ، تماما مثلما يؤمن الكاثوليك بالكنيسة والبابا الذي يعتني بها، ويحكمها في الوقت ذاته.[٧٤]

وعند المقارنة بين الفاشية الشمولية والديمقراطية، كانت الديمقراطية بصورتها في "البلدين الديمقراطيين، فرنسا وإنجلترا"، هي الشكل الأفضل للحكم. وميزة الديمقراطية أنها تقوم على إعاقة سلطة الدولة، بتفكيك مركزية السلطة على الوكالات المستقلة، وعلى إعطاء الأولوية للفرد على الدولة. الحكومات الديمقراطية تحترم حقوق الفرد، وتقدر التعددية الأيديولوجية والسياسية، وتسمح بحرية التفكير والتعبير، وتحرص على انسجام الساحة السياسية حيث تتيح للأحزاب التعبير عن قطاعات ومنظورات مختلفة. وبملاحظة كيف استجابت الديمقراطيتان البريطانية والفرنسية للخطر والأزمة، توصلت الهلال إلى أنهما عرفتا كيف تتعاملان مع الضغوط عبر عملية حكيمة من اختبار الذات وإصلاحها من خلال المؤسسات البرلمانية التمثيلية. وهذا يضمن تبني البلاد الديمقراطية معايير إصلاحية فقط بعد حصولها على إجماع ودعم عام واسع. وعندما كان على النظام الديمقراطي تعزيز سلطات جهاز الدولة لمواجهة الخطر أو الأزمة، فعل هذا بشكل مؤقت فقط، مع تعهد واضح بأن إجراءات الطوارئ "سوف تنتهي عندما يزول الخطر وتعود البلاد إلى شكل الحكم السابق". والأنظمة الديمقراطية، في حال أديرت بصورة صحيحة، تقدم دليلا حاسما على أن الأزمات الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، وبغض النظر عن شدتها، لا تتطلب الديكتاتورية للوصول إلى حل مُرضٍ. وهكذا، لم تكن الأزمات القومية سببا "لاستدعاء المخلص الجبار" لتولي كل السلطات السياسية. كانت الهلال على قناعة بأن النظام الديمقراطي يمتلك الوسائل اللازمة للتعامل مع الأخطار والأزمات، كما تضمن في الوقت الذي تحافظ فيه على الاستقرار حقوق الأفراد وعدم استبعاد الدولة لهم.[٧٥]

واعتادت الهلال بشكل دوري عمل حوار شامل يطرح محرروها خلاله سؤالا على عدد من الشخصيات البارزة المصرية، وتنشر آراءهم على صفحاتها. وكانت علامة على قدر الجدل المثار في مصر حول الاستبداد مقابل الديمقراطية مع نهاية عقد الثلاثينيات، حيث طرح حوار المجلة في عدد فبراير ١٩٣٩، في وقت كانت فيه مبادرات القصر الهادفة إلى تعزيز سلطة العرش المصري محل نقاش مكثف، السؤال: "هل ستنجح الديكتاتورية عندنا؟".[٧٦] وكان السؤال المحدد الذي طرحته المجلة ـ "هل الديكتاتورية العادلة والمستنيرة أفضل للبلاد العربية وتشكل ضمانة لسعادتها، أم أن الديمقراطية الصحيحة أكثر فائدة وأكثر دواما؟" ـ مهمًا لأنه كان يعني ضمنيا أن بعض أشكال الحكم التسلطي قد تكون أفضل من الديمقراطية. وكانت آراء الشخصيات البارزة الثلاث ـ أحمد لطفي السيد، رئيس الجامعة المصرية؛ عباس محمود العقاد، الشاعر والناقد وعضو البرلمان وقتها عن الحزب السعدي؛ عبدالحميد سعيد، الناشط الإسلامي المحنك، ورئيس جمعية الشبان المسلمين، وعضو البرلمان عن الحزب الوطني ـ جديرة بالاهتمام. وتشير إجاباتهم المتنوعة إلى أنه بينما كان النفور من الديكتاتورية الشمولية الفاشية أو النازية هو القاعدة، فإن بعض الأصوات كانت منفتحة على إمكانية وجود أشكال تقدمية من الاستبداد تناسب المشرق العربي.

وعندما تناول لطفي السيد، عميد الليبرالية المصرية في العقود الأولى من القرن العشرين، إمكانية ظهور "ديكتاتور مستنير" في العالم العربي، لم ير أي إمكانية لأن "ينجح" أي شكل تقدمي من الحكم الاستبدادي "أو يكون ذا نفع لمصر أو أي من بلاد المشرق العربي". وهو يرى أن "الديكتاتور المستنير" لا يمكن أن يظهر إلا في مجتمع مستقر، وناضج، وراسخ، على

عكس الحال في بلاد العالم العربي التي لا تزال تعاني التخلف والانقسامات الاجتماعية الداخلية وعدم الاستقرار السياسي. وبصورة أكثر عمومية، عبر لطفي عن وجهة النظر التي كانت ترى أن "الديمقراطية، رغم كل عيوبها، أفضل من الديكتاتورية". فالديمقراطية، محدودة النطاق والتي تحترم حقوق الفرد، "هي الأقل ضررا في كل أشكال الحكم". وتنبأ لطفي بمستقبل ديمقراطي لمصر والعالم العربي، ودعا المصريين والعرب في كل مكان لتصحيح مثالب الحاضر في نظمهم البرلمانية "حتى يمكنهم الاستمتاع بالديمقراطية الحقيقية"، التي تعتبر السبيل الوحيد في رأيه للحداثة والرفاه الاقتصادي والثقافي.(٧٧)

أما عباس محمود العقاد فكان رافضا كلية لاحتمال نجاح أي شكل استبدادي للحكم في مصر أو العالم العربي. والتفرقة بين الديكتاتورية "المستنيرة" وغيرها من أشكال الديكتاتورية لا معنى له عند العقاد. فالديكتاتورية هي الديكتاتورية، أينما ومتى وجدت. واستشهادا بألمانيا وروسيا في فترة ما بعد الحرب كأمثلة واضحة للقوة التدميرية لنظم الحكم الاستبدادية، يرى العقاد أن النظم الديكتاتورية لم تجلب سوى الخراب والدمار للشعوب التي حكمتها. والديكتاتورية عنده نظام عابر وغير طبيعي للمجتمعات الإنسانية عموما وللحديثة منها خصوصا. والديمقراطية هي شكل الحكم الأفضل للعصر الحديث ولمواجهة التحديات التي تفرضها الحداثة. والديكتاتورية تمثل التخلف والماضي، وبذلك تشكل تحديا للتقدم الإنساني. كانت تمثل انحرافا حتى في الغرب؛ "لن يقدر للديكتاتورية النجاح والاستمرار في البلاد الغربية، وستهزم حتما في رأيي في المستقبل القريب". وبالعودة إلى مصر والعالم العربي، أكد العقاد أنه إذا أراد العالم العربي أن

يتقدم ويدخل العصر الحديث، فلا خيار أمامه سوى اختيار الديمقراطية والابتعاد عن الديكتاتورية. كان ذلك بحق المسار الذي يراه يحدث حينها: "كل خطوة في محاولاتنا للتقدم تسعى وتأمل في اقترابنا من الديمقراطية، وإبعادنا عن الديكتاتورية". ويلخص العقاد موقفه المؤيد للديمقراطية بإعلانه أن "الديكتاتورية لن يقدر لها النجاح في بلاد المشرق (العربي) إلا إذا كانت هناك حاجة إليها؛ لكننا حتى اليوم نرى أن إشباع حاجات هذه البلاد يمكن أن يتحقق فقط عن طريق الحكومات الديمقراطية القائمة فيها".[٧٨]

وخصص عبدالحميد سعيد، الأكثر محافظة من لطفي السيد والعقاد والخصم العنيد للاستعمار الغربي، مساهمته في الحوار لسياق نضال كل من العرب والمسلمين للانعتاق من الاستعمار وجهودهم لتحقيق التقدم والحداثة. وهذه الأجندة مزدوجة الأهداف تتطلب "أفرادًا ومؤسساتٍ كفؤًا لقيادة هذه الجهود وتحقيق نتائج مثمرة بأسرع ما يمكن وبأقل الإجراءات". ويرفض سعيد إمكانية أن يكون "الحاكم المستبد المحب للخير" هو أفضل من يسهل "إحياء الشرق". ولم تحو إجابته محددات لكيفية تطبيق الحكم المستبد المستنير في مصر أو العالم العربي. كان ما يهمه هو النتائج وليس الشكل: "لا أدعو إلى الديكتاتورية، بل أدعو إلى الإحياء أيا كان النظام السياسي الذي سينجح في تحقيقه".[٧٩]

بعد شهر من ذلك، قدم الشاعر عبدالرحمن شكري للندوة مقالا يحمل العنوان نفسه. وهو يرى في بقاء الديمقراطية شرطا في أوضاع وتجارب معينة وأن الديمقراطية، في ظروف خاصة في حياة الأمة، هي الشكل الأنسب للحكم. وعلى عكس العقاد، لا يعتبر شكري الديكتاتورية انحرافا عن الحداثة. وبينما يرفض الشكلين الفاشي والنازي للحكم الشمولي، لا يرفض

شكري كل أشكال الحكم الشمولي. وهو يرى أن الحكم الاستبدادي المعتدل، الذي يطلق عليه (الديكتاتورية الشعبية)، القائم على الإجماع الشعبي والمقبول من الشعب، يمكن أن يكون مفيدا للأمة. وفي أوضاع فريدة معينة، يمكن للحاكم المستبد دفع تقدم وتحديث الأمة. ويستشهد شكري بمحمد علي، الرجل الذي "أسس مصر الحديثة"، كمثال للحكم الاستبدادي المفيد. وكمثال حديث، يذكر تركيا تحت حكم أتاتورك، "على الرغم من أنه من الخطأ استخلاص استنتاج عام منها بأن كل أمة يمكنها الاستفادة من نظام ديكتاتوري مثل الذي كان في تركيا". لكن في معظم الأوضاع التاريخية، حيث لم تكن هناك حاجة إلى قيادة مستبدة، كانت الديمقراطية هي الاختيار الأفضل. وعند تعرضه للحالة القائمة في مصر والعالم العربي، كان رأي شكري أنه ليست هناك "ضرورة تاريخية" للديكتاتورية في الوقت الحالي.[٨٠]

كان القبول بإمكانية الاستفادة من ظهور الحكم الاستبدادي في العالم العربي محدودا في أوساط المثقفين المصريين في ١٩٣٩. ومع استمرار بقايا إعجاب بالإنجازات الداخلية للنظم الفاشية من جانب البعض، فإن المعارضة للاستبداد غير المحدود الذي يسم الفاشية كان الاتجاه السائد بين المعلقين المصريين. وهكذا، رفض أحمد حسن الزيات، في عدد مايو ١٩٣٩ من مجلة الرسالة هتلر والنازية كنموذج محتمل لمصر، رغم تعبيره عن قدر من الإعجاب بنجاح هتلر في تحقيق الكثير من أهداف الحركة النازية. وقدم الزيات عرضا إيجابيا إلى حد كبير لما اعتبره إنجازات هتلر. فداخليًا، حقق هتلر الاستقرار لألمانيا، ومكن البلاد من التغلب على الحرمان الاقتصادي والمذلة الإنسانية في فترة ما بعد الحرب، وفعل هذا "في خلال ستة أعوام ونصف العام فقط". وعلى الساحة الخارجية، نجح هتلر في تجاوز شروط

تسوية فرساي بعد الحرب وحقق انتصارات دولية، من بينها ضم النمسا ومن بعدها تشيكوسلوفاكيا، وكل هذا "دون ثورة ولا حرب".(٨١) لكن عندما ينتقل الزيات إلى مسألة إن كان ديكتاتور متطرف كهتلر يمكن أن يكون نموذجا محتملا لمصر، كانت إجابته بالسلب. فهو يرى أن "الزعيم الذي نحتاج إليه حقا يجب أن يتمتع بالقدرة على القيادة وليس التحكم، وأن يكون مستعدا للتشاور، وألا يكون حكمه تعسفيا، وأن ينفتح على النضال والتضحية لا الاستعباد والأنانية". كما يؤكد الزيات، الأكثر تدينا من كثير من المثقفين المصريين، أن الإسلام يشكل عقبة أمام تبني الفاشية. "الرجل الذي نريده زعيما لنا، ولكل بلد صديق في الشرق، لا يمكن أن يكون طاغية لأنه مؤمن ... مسلم، والإسلام شريعة الحرية للإنسان والشورى في أمور الحكم". فالنموذج الفاشي، كما يجسده هتلر تحديدا، لا يناسب البلاد الإسلامية.(٨٢)

ونجد مثالا للمنظور المناهض للاستبداد الذي يسم المثقفين المصريين في مقالين نشرا في الهلال في يونيو ١٩٣٩. في مقال يحلل "المدارس الاجتماعية" الرئيسية التي تتنافس فيما بينها وقتها للسيطرة على العالم، يكرر العقاد اتفاقه التام مع الديمقراطية، ويرى أن الديكتاتورية ليست بديلا قابلا للتطبيق في الشرق الأوسط أو أي مكان آخر. وبطرح سؤاله على قرائه عما إذا كانت النظم القطبية ستبقى في ظل الصدام الذي يبدو محتما بينها، لا يرى العقاد أي مستقبل للديكتاتورية التي تعتبر "ظاهرة مؤقتة بطبيعتها". فالديكتاتور الفرد لا يعيش للأبد، وحيث إن الديكتاتور لا يترك مكانه بسهولة لديكتاتور آخر، فـ "لا استمرارية" للديكتاتورية. والأهم، أن أمة لن توافق على الديكتاتورية المطلقة، التي يُتجاهل فيها الفرد، طويلا. فالأمم لا يمكن أن تقبل أن تكون أسيرة الإثارة الديماجوجية للأبد؛ الشعوب لن "تضحي وتعاني

المصاعب من أجل هدف تسعى الديكتاتورية إلى تحقيقه والذي في سبيله توجه كل الآمال والتطلعات" إلى أجل غير مسمى. وبغض النظر عن نجاحها أو فشلها، فإن عمر الديكتاتورية قصير.[٨٣]

ويعتقد العقاد أن الديمقراطية وحدها هي التي ستبقى بعد الصراع العالمي المقبل. فعلى عكس الديكتاتورية، تتيح الديمقراطية "الاستمرارية، والاستقرار، والبقاء". وأخطاء الديمقراطية "أخطاء إنسانية"، مشاكل في إدارة المؤسسات الديمقراطية؛ ومن ثم يمكن تصحيحها، وليست "أخطاء متأصلة" كتلك التي تميز الديكتاتورية. الديمقراطية منفتحة دائما على الإصلاح والإحياء. وعلى عكس الديكتاتورية المعصومة، التي لا تعترف بالخطأ بطبيعتها، تعترف الديمقراطية بعيوبها وتصححها. الديمقراطية هي النظام الوحيد الذي يمكنه التعامل بطريقة ناجحة مع التوترات بين الطبقات، والأزمات الاقتصادية والاجتماعية، والذي يقدم الحلول التي تفيد الأمة ككل. ويختتم العقاد بالقول إن "اتجاهنا الواضح هو أن الديمقراطية ستسود مستقبلا بين كل شعوب المعمورة". و"العقل الإنساني يمكنه تخيل بقاء الديمقراطية بعد الديكتاتورية والشيوعية، لكنه لا يستطيع تخيل بقاء الديكتاتورية والشيوعية بعد الديمقراطية". وبالنسبة للعقاد، كان انتصار الديمقراطية مسألة مؤكدة طالما ساد العقل الإنساني.[٨٤]

وعلى المنوال نفسه، يرى نيقولا حداد في الديكتاتورية الفاشية نظاما يقضي على حرية التعبير وحرية الفرد، ويقمع المجتمع المدني بقسوة. وفي ألمانيا بصفة خاصة، تحت حكم "نظامها النازي العسكري"، يعتبر الفرد أشبه "بجندي في زمن الحرب ... يقف متأهبا لإطاعة أوامر الفوهرر طاعة عمياء". في ألمانيا النازية، الفرد محروم من كل الحقوق المدنية: "لا حرية

في العمل على الإطلاق، ولا حرية للتعبير أو التفكير. إنه أداة في مصنع الرايخ الثالث، وتحديدا أداة عبادة وثنية للحكم الهتلري، الذي يتصرف ويعمل، رغم إرادته، في كل ما تحدده له الحكومة المسيطرة". وفي دولة الرايخ الثالث البوليسية، كان الإنسان مستعبدا، تخضع كل تحركاته وأعماله للرقابة. النظام النازي "يضغط بشدة على الحرية الشخصية ... ضغطاً بلغ درجة غير مسبوقة في أي مكان أو زمان".[٨٥]

لم تكن الديكتاتورية عند حداد، شأنه شأن العقاد، بديلا للديمقراطية. وبينما كانت النظم الديكتاتورية "تحول حياة الأمة إلى وسائل لتحقيق الهدف؛ الأمة موجودة تحديدا لخدمة الحكومة، فإن النظام الديمقراطي، بالمقابل، يجعل من الحكومة وسيلة للعمل من أجل الأمة وحياتها، وهدفه هو تحقيق الرفاه لهذه الأمة، فالحكومة موجودة تحديدا لخدمة الأمة". الديمقراطية هي الشكل الوحيد للحكم الذي يحمي حقوق الفرد، ويملك آليات تحد من تحكم الحكومة في الفرد وتضمن من ثم حريته واستقلاله. وفي مقال في منتصف ١٩٣٩، يتنبأ حداد بأن "النظام الديكتاتوري لن يدوم طويلا". وهو يشبه الديكتاتورية بـ "حمى مفاجئة وزائلة"، مرض عابر سيشفى منه المجتمع في النهاية، ثم يعود إلى الديمقراطية وثقافة الحرية السياسية.[٨٦]

نقد عنصرية النازية

على الرغم من الطبيعة الشمولية المشتركة بين الحركات الفاشية الأوروبية، وكذلك العديد من أنظمتها التي استقرت أخيرا، فإنها تختلف في عدة جوانب مهمة. فالدولة الفاشية الأبرز، دولة النازيين في ألمانيا، كانت تتسم بصفة خاصة في جوهرها بالعنصرية عقائديا، ومعاداة السامية في التطبيق. وأكثر من أي حركة

فاشية أخرى في القرن العشرين، حولت النازية نظرية الجنس من فكـرة أكاديميـة مجردة إلى أجندة فعالة تسعى إلى تطبيقها هنا والآن. وبتسليح القوميـة بسلاح العنصرية، رسخت النازية النزعة العنصرية الألمانية، وعدم التسامح مع الآخرين، والعدوانية في الداخل والخارج. ولم يكـن مـن الممكـن أن يتجاهـل المثقفـون المصريون الأفكار العنصرية وسياسة معاداة السامية التي تغلغلت فـي النسخة الألمانية من الفاشية المعاصرة عند تقييمهم للنازية.

وعند تقييم العنصرية النازية، عبر سلامة موسى والمجلـة الجديـدة مـرة أخرى عن موقف أكثر تعاطفا من صحف الرأي الأخرى. كـان سـلامة موسـى متفردا بين المثقفين الليبراليين المصريين البارزين، وطوال معظم عقد الثلاثينيـات تبنى موسى العناصر الأساسية للعنصرية النازية ومعاداة السامية. كانـت مفـاهيم التفوق والتدني العرقي، وضرورة التطهير العرقي والفصل بالتـالي علـى أسـاس الجنس، وكذلك افتراض الهندسة العرقية من خلال اليوجينيا عنصرا إيجابيـا فـي تحقيق الإصلاح الاجتماعي، كما عبر موسى مرارا على صفحات المجلة الجديـدة. وكان قبول موسى بالفكر العنصري نابعا من إيمانه بقوة علم اليوجينيا الجديد. وكما يشير فرنون إجر، كان موسى مفتونا منذ وقت مبكـر باليوجينيـا. وانطلاقـا مـن فرضية أن العوامل الجينية والبيولوجية حاسمة في التطور الإنساني، كـان موسـى يؤيد هندسة التحسين البيولوجي للكائن الإنساني عبر الاستيلاد الانتقـائي والفـصل العرقي الدقيق. وعبر التخطيط وتطبيق التجانس وتهجين الأفراد بأرومـة جنـسية متفوقة، وفي الوقت نفسه تقليل أو تفادي خلط الأرومة العرقية الأعلـى بـالأدنى، يعتقد موسى أن بالإمكان إنتاج كائنات إنسانية أكثر صحة ولياقة وعالية التطـور. ونظرًا للطبيعة العلمية والتكنولوجية المعقدة للحداثة، كان يعتقد بحق بأن ذلك النوع من الهندسة الوراثية كان ضروريا لإنتاج كائنات إنسانية قادرة على التعامـل مـع العلوم والتكنولوجيا الحديثة.[٨٧]

وبالنسبة لمصر نفسها، شجع موسى الزواج المتبادل بين المصريين المحليين والمصريين المقيمين في أوروبا بهدف تحسين المستوى العام لـذكاء المـصريين، ورفض الزواج المتبادل بين المصريين والـشعوب ذات البـشرة الداكنـة الـذين اعتبرهم جنسًا أدنى من شأنه إذابة السمات العرقية الأعلى للمصريين.[٨٨]وبـالنظر إلى الخارج، امتدح موسى النظام النازي لتطبيقـه قـوانين جنـسية مثـل تعقـيم المجرمين، والمنحرفين اجتماعيا، وأصحاب العيوب الخلقية. كما اعتبر الإجراءات النازية الرامية إلى منع الزواج بين الألمان الآريـين والـشعوب الأدنـى جنـسا، كاليهود. كان هدف هتلر بتنقية الجنس الألماني لتقويته جديرًا بالتقدير؛ لأنـه دفـع أجندة الاشتراكية الوطنية لتحقيق الثورة الاجتماعية في ألمانيـا قـدما.[٨٩] وعنـد الإشارة إلى مشروعات اليوجينيا الأخرى في السويد وسويسرا والولايات المتحـدة، لاحظ موسى أن النازيين لم يكونوا أول من حاول تطبيـق علـم اليوجينيـا علـى المجتمع؛ لكنها كانت آنذاك المثال الأكبر لـ "اليوجينيا الإيجابية". ومن خلال حـشد موارد الدولة وعبر التخطيط والإشراف الدقيق، تمكن النازيون من مأسسة تحـسين النسل في ألمانيا وإعلان نتائجها الإيجابية.[٩٠]

وإلى جانب الاستيلاد الانتقائي، يعتقد موسى أن فصل الأجناس المختلفة كان ضروريا لتحسين الجنس. وهو يفترض أن الأجناس المختلفـة كيانـات بيولوجيـة متباينة ذات سمات ثقافية وفسيولوجية مختلفة يمكن عزلها وتحديدها. والفصل بـين هذه الكيانات المميزة كان ضروريا لتطبيق علم اليوجينيا تطبيقا سليما. فقـط، بعـد تطهير وتنظيف جنس ما من التلوث الذي أصاب أرومته بأجناس غريبـة، يمكنـه تحقيق إمكانياته وقدراته بالكامل. إن اختلاط الأجنـاس المختلفـة، مثـل "الأسـود بالأبيض والأصفر بالبني"، يؤدي في أفضل الأحوال إلى "(الخلـط الـسيئ) بـين الأجناس حيث يتلوث الجنس الأسمى بالجنس الأدنى؛ ومن ناحية أخرى، كان النقاء

العرقي هو السبيل إلى تحقيق تفوق أصيل للجنس الأعلى تطورا. وانطلاقا من هذا المنظور، اعتبر موسى سياسات النازي الجنسية نموذجا يجب أن تحذو البلاد الأخرى، ومن بينها مصر، حذوه.(٩١)

وامتد قبول موسى بالعنصرية النازية في منتصف الثلاثينيات ليشمل معاداة النظام للسامية. وهو يرى أن عداء النازي لليهود كان له ما يبرره. فاليهود عنصر دخيل على المانيا ينبغي عزله والتخلص منه؛ كان من الضروري تطهير ألمانيا من سكانها اليهود الغرباء للحفاظ على الصفات الأسمى للجنس الآري وتنقيتها. وهكذا، كانت الإجراءات المعادية للسامية التي اتخذها النازيون مقبولة إلى حد كبير من جانب موسى كجزء من مشروعهم للتحسين والتطهير العرقي.(٩٢) وتبريرا لتبنيه معاداة النازية للسامية، كان موسى يردد أحيانا صدى النمط السائد لمعاداة السامية تجاه سيطرة اليهود المزعومة على الاقتصاد الألماني، مؤكدا أن "اليهود يتحكمون في البورصة، والنظام القضائي، ونقابة المحامين، والصحافة، والمسرح".(٩٣) وسواء على المستوى النظري أو العملي، لم تنتقد المجلة الجديدة عنصرية النازي ومعاداته للسامية قبل ١٩٣٨.

ويكمن تفسير تسامح سلامة موسى في البداية مع معاداة النازي للسامية، في جانب منه، في خلفيته القبطية وفكرة الهوية الفرعونية للمصريين التي تحظى بجاذبية خاصة عند أقباط مصر. فقد كان أحد مكونات فكرة الفرعونية التي ترى أن المصريين أمة تاريخية لها أصولها العرقية وشخصيتها القومية المستمدة من مصر الفرعونية هو الإيمان بالتركيب العرقي غير السامي للشعب المصري. وحيث إنهم يفترضون أن الأصول القومية المصرية تكمن في الجنس الفرعوني غير السامي، كانت معاداة النازي للسامية غير مناسبة شخصيا لمؤيدي مصر الفرعونية. كذلك لم تكن معاداة النازي لليهودية موضع اهتمام كبيرًا، حيث كان المصريون "شعبًا فرعونيًا" مختلفًا عن "شعب موسى".(٩٤)

تطور رأي سلامة موسى والمجلة الجديدة في عنصرية النازي ومعاداته للسامية بشكل كبير بمرور الوقت. فبحلول ١٩٣٨-١٩٣٩، بدأت شرور العنصرية النازية تحظى بمزيد من اهتمام المجلة الجديدة. وقد حوى مقال موسى، "المانيا بعد خمس سنوات" في مارس ١٩٣٨، نقدا سلبيا لسياسات النازي الدينية وعدائه للسامية. وبالنسبة للسياسة الدينية، أصبح موسى الآن يرفض "التخريب الروحي والمؤسسي" للكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية، والذي كان ناجما عن جهود النازي لإخضاع المؤسسات الدينية في ألمانيا للدولة النازية. رفض موسى مزاعم النازي بأنه يخلق دينا جديدا يدور حول عبادة الطبيعة والجنس والتاريخ القومي. وهو يدين "الدين الوطني الألماني"، الذي كان إعلاؤه "للبيولوجيا والبيئة" لمرتبة المبادئ الأساسية "بدعة" تتناقض تماما مع كلية التوحيد. وبينما كان يرى في السابق استخدام النازي لرمزية الألحادية الجديدة في التمثيل الذاتي القومي، أصبح ينتقد اعتماد النازي على أساطير ألمانيا ما قبل المسيحية. وهو يرى أن الدين بطبيعته ليس قوميا: كان تقديس النازي للدم الآري والجنس الآري لا دينيًا بالأساس. وعلى المسوى العملي، صار موسى يشجب سياسة معاداة اليهود التي ينتهجها النظام النازي منذ استيلائه على السلطة. فقد قادت مقولة التفوق الجنسي الآري النظام النازي إلى تكثيف عمليات إعدام اليهود بصورة تفوق ما ساد عادة في المجتمعات المسيحية. وكما كان الحال تأسيسا على ما اعتبر فروقًا بيولوجية ثابتة بين الألمان الآريين واليهود، كان تمييز النازي ضد اليهود وإعدامهم "تعصبًا عنصريًا" يفوق في ظلمه "التعصب الديني" التقليدي. وفي هذا الصدد، كان موسى مؤمنا بأن الدين القومي الألماني الذي طرحه النازيون أداة، الهدف منها خدمة مقولاتهم العنصرية الأساسية، وحشد الدين لخدمة العنصرية.[٩٥]

على أننا نجد في هذا النقد الجديد لنظرية الجنس النازية بقايا تأثير للفكر العنصري في كتابات سلامة موسى أواخر الثلاثينيات. وشهدت افتتاحية أخرى

للمجلة الجديدة بعد ذلك بشهور قليلة تكرار محرر المجلة قبوله ببعض الفذلكات المعادية للسامية.(٩٦) وفي مثال كلاسيكي لإدانة الضحية، أنحى موسى في استعراضه التاريخي لمعاداة السامية بالقدر الأكبر من اللوم على استمرارية الظاهرة على اليهود أنفسهم. وعند مناقشة فرار اليهود من مصر القديمة، يعبر موسى عن استياء وطني مصري من دعاة الفرعونية من صورة قدماء المصريين في الرواية التوراتية للخروج؛ حتى الدعاية النازية المعادية للسامية "لم تصل إلى مستوى أوصاف (الاضطهاد الفرعوني لليهود) في القصة التوراتية". وهو يرى أن الذاكرة التاريخية اللاحقة لليهود استخدمت الخروج استخداما ذرائعيا. ولأن اليهود اعتبروا أنفسهم طائفة دينية من خلال ذاكرتهم التاريخية للعزلة والاضطهاد الجماعي، كانوا مسئولين جزئيا عن بقاء معاداة السامية في العصر الحديث. وحيث إن اليهود أنفسهم أكدوا على تميزهم كشعب، فليس من حقهم الشكوى إذا استمر النازي في اعتبارهم هكذا. وقبل ظهور العقيدة العنصرية النازية بوقت طويل، "جعل اليهود من الدم اليهودي أساسًا للانتماء إلى طائفتهم الدينية". فما تبناه النازي كان ببساطة "المبدأ اليهودي الكلاسيكي" للتميز البيولوجي؛ "موقفًا جامدًا فيما يتصل بتفوق الجنس اليهودي، الذي لا يمكن أن ينتمي إليه غير اليهود". وكان من شأن استبدال العنصرية اليهودية بالعنصرية النازية توصل موسى إلى أن الحل الصحيح للمسألة اليهودية هو الفصل بين اليهود والألمان. فمن حق كل منهم التمسك بمبادئه الخاصة بالنقاء العرقي. قدم موسى الفصل العنصري بوصفه سياسة تقدمية. وفي عصر القوميات المتميزة، تكون "الفوضى" هي النتيجة لخلط الأجناس؛ الشعب الذي لا يمكنه الحفاظ على سماته العرقية والعنصرية "يبدو متحضرا من الخارج، لكنه من داخله يكون (همجيا)". وفصل الألمان عن اليهود، وبالتالي كان "التأكيد على قدرة كل منهم على الحفاظ على دمه"، حلا تقدميا يضمن مستقبل كل جماعة عرقية.(٩٧)

ويتواصل عرض موسى لمعاداة السامية المعاصرة في ألمانيا النازية إلى حد اتهام اليهود بالمغالاة الدولية لما يلقونه من معاملة على يد النظام النازي. وكان الغرض من هذه الرطانة المبالغة واضحا؛ كانت مصممة لتقديم اليهود كضحايا و"إقناع العالم المستنير بالحاجة إلى توفير وطن يلجأ إليه المهاجرون اليهود ضحايا الإعدام". واستنكر موسى "الدعاية اليهودية العالمية" لاستحضار وضع اليهود في ألمانيا لدفع أجندة استعمار فلسطين. وكان الفلسطينيون هم ضحايا العداء النازي للسامية.(٩٨)

وعلى الرغم من تعاطفه مع قضيتهم، فإن حداثته المتصلبة قادته إلى انتقاد عرب فلسطين. ففي المقال نفسه، يؤكد موسى على التخلف التكنولوجي لعرب فلسطين مقارنة بالدينامية الاقتصادية والتقدم الذي يظهر بوضوح في أوساط الطائفة الصهيونية في فلسطين. ولا يرى موسى أن الفشل النسبي للفلسطينيين أمام الاستعمار الصهيوني كنتيجة للاستعمار الصهيوني، بل نتيجة لبنيتهم الاجتماعية التقليدية والمنافسات الانقسامية في صفوف النخبة الفلسطينية. وهو يرى أن الفلسطينيين لا يمكنهم شن نضالهم العادل والانتصار على الاستعمار الصهيوني ما لم يواجهوا تحديات الحداثة، ويتبنوا إصلاحا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا شاملا. وبنبرة أبوية مميزة، يدعو موسى الفلسطينيين إلى التعلم من النماذج الخارجية مثل بنك مصر في مصر وحتى من خصومهم الصهاينة في فلسطين. وهكذا، كان موقف موسى من المسألة اليهودية متباينا: بينما يبرر جزئيا إعدام اليهود القائم على أساس عنصري في ألمانيا ويعبر عن تعاطفه مع عرب فلسطين، يبدي كذلك إعجابه بالحداثة التي يراها في الصهيونية، والتي كانت نفسها رد فعل لمعاداة السامية. (٩٩)

لم يصل قبول سلامة موسى الجزئي بالتفكير الفاشي حد تبني المفهوم النازي لتفوق الجنس الآري. وفي سبتمبر ١٩٣٨، وردا على سؤال أحد القراء :

"ما مصدر تعبير آري، ومن هم الآريون؟"، شرحت المجلة الجديدة بوصفها تعبيرًا لغويًا يشير إلى عائلة اللغات الهندو أوروبية أكثر منه تعبيرًا يميز مجموعة بيولوجية. وتضيف الإجابة إن "رجال الدعاية الألمان غيروا معنى كلمة آري لتشير إلى جنس بعينه". كان هذا تسييسًا غير علمي لعلم اللغات (الفيلولوجيا)؛ "معنى الكلمة اليوم اجتماعي – سياسي أكثر منه علميًا". وضمنيا، ليس لمفهوم تفوق الجنس الآري أي أساس علمي؛ كان أسطورة صنعتها العقيدة النازية.(١٠٠)

مع تصاعد عمليات إعدام اليهود في أوروبا خلال ١٩٣٨، بدأت المجلة الجديدة تتبنى موقفا نقديا من العنصرية بصورتها في الدولتين الفاشيتين. وتشير افتتاحية عدد نوفمبر ١٩٣٨ إلى أنه على الرغم من أن هذه السياسة موجهة فعليا ضد سكان البلاد اليهود، فإنها تسري نظريا على كل "الأجناس الأدنى". وعند تناول النقطة الخاصة بحظر الزواج بين الإيطاليين و"رجال من أمهات من الجنسين الحامي والسامي أو غيرهما من الأجناس غير الآرية"، أوضحت الافتتاحية للقراء أن إيطاليا الفاشية تعتبر المصريين والعرب من جنس أدنى.(١٠١) وهناك مقال آخر بالعدد نفسه من المجلة ينتقد تبسيط آراء هتلر ذات المرجعية البيولوجية عن الجنس. فشعار "دم واحد لأمة واحدة" يشير إلى أن ألمانيا النازية لن تستريح قبل أن توحد كل الألمان، "شعب من دم واحد" في "دولة من دم واحد". وهذا الإصرار النازي على وحدة الجنس له تداعياته المخيفة؛ فعليا، يضفي الشرعية على غزو مناطق كثيرة من أوروبا مستقبلا سعيا لدمج كل الألمان في الرايخ الثالث. ولم تكن العنصرية النازية معادية للسامية فقط؛ إنها تحمل معها أيضا الرغبة في التوسع الاستعماري.(١٠٢)

كان الكتاب الآخرون بالمجلة الجديدة أكثر عداء من سلامة موسى لنظرية معاداة السامية وتطبيقها على حد سواء. ويقدم ميشيل عبدالأحد في مقال بعدد

فبراير ١٩٣٩ بعنوان "اليهودي المتجول" لقراء المجلة عرضا نقديا واضحا لمعاداة السامية بصورها المختلفة.(١٠٣) وفي عرضه التاريخي، يميز بشدة بين إعدامات اليهود قبل العصر الحديث ووضعهم الحرج في القرن العشرين. وبينما كان التمييز ضد اليهود في أوروبا العصور الوسطى اقتصادي الطابع بالأساس، كانت معاداة السامية النازية والفاشية ذات دوافع أيديولوجية. كما كان شاملا في مداه، يرقى إلى الحرب الشاملة على اليهود بهدف تطهير أوروبا من وجودهم. ويؤكد تحليله للحركات المعادية للسامية في أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين على أن القومية الحديثة أضفت على كراهية اليهود التقليدية ملمحا قاسيا، ناتجًا عن معاداة السامية الممنهجة والوحشية في ألمانيا وإيطاليا. وكان الرد اليهودي على معاداة السامية الحديثة ـ الصهيونية وجهودها لإيجاد وطن قومي دائم "لليهودي التائه والمتجول" ـ بالنسبة لميشيل رد فعل مشروعًا على معاداة السامية الجديدة والأكثر فتكا.(١٠٤)وعلى عكس سلامة موسى، يرفض الأساس الفكري للدعاية المعادية للسامية التي يروج لها النازيون. ويرى أن الأدبيات المعادية للسامية التي تخبر الألمان أن اليهود "يدنسون شرفكم، ويحطون من دينكم، ويدمرون كنائسكم، ويخربون ثقافتكم، ويلوثون نقاء جنسكم النبيل"، وإن كان لها تأثيرها في السياق الألماني، "لا أساس لها على الإطلاق". ويعتقد أن الدعاية الحقيرة للنازيين التي تستغل "العقلية البدائية للجماهير" لم تكن جريمة في حق اليهود" من الوجهة الفكرية، بل "جريمة في حق العلم وحق البشرية والمدنية".(١٠٥)

كان نقد كُتَّاب الرسالة والهلال الليبراليين لعنصرية النازي ومعاداته للسامية أكثر تماسكا. وقد استغلوا معايير ديانات التوحيد والقيم الليبرالية للتنوير لمواجهة ما اعتبروه هرطقة وبربرية النظرية العنصرية النازية وممارستها المعادية للسامية. فقد تعززت العنصرية النازية وزادت بسبب ارتباطها بنظام شمولي يمتلك سلطة

مطلقة على المجتمع. وأضفت الصلة بين الديكتاتورية والعنصرية على النظام النازي وحدانية متوحشة.

وتناولت مقالات الرسالة خلال النصف الثاني من الثلاثينيات أكثر من مرة موضوع العنصرية النازية. وكان هناك إجماع على أن (العنصرية أو الجنسية) أبرز ملامح أيديولوجية النازي وسياسته. وكما كان الحال مع شمولية النازي، تصدر محمد عبد الله عنان كتاب الرسالة في إدانة العنصرية النازية. وبالنسبة لعنان، كانت الشمولية والعنصرية السمتين المحددتين للنظام النازي. "لقد طورت الاشتراكية الوطنية الألمانية (النازية أو الهتلرية) الشكل الأحدث من الديكتاتورية الذي ينتهج العنف الممنهج وقمع الحقوق والحريات المدنية. على أن أهم سماتها ومبادئها الأكثر تميزا هي عقيدتها العنصرية، أو أيديولوجية الأصول والدم". وبتركيزه بصفة خاصة على العنصرية النازية، يرى عنان في عنصريتها وسلوكها عودة إلى "(الوثنية البربرية)". وبمراجعة النظرية العنصرية النازية تمهيدا لنفيها، يقيم عنان المحاولة النازية لتقديم أساس علمي وحقيقي لمعتقداتهم العنصرية. وكانت محاولات ترتيب الأجناس هرميا، مع "وضع الجنس الألماني كأسمى الأجناس وأكثرها نبلا"، لا أساس لها على الإطلاق. ونظريات مثل هذه، تفتقد إلى أي أساس علمي، يمكن أن تبقى على المستوى النظري؛ لكنها في ألمانيا كانت موضع التطبيق الممنهج في الحياة اليومية. وتمثل الأثر الأوضح لنظريات النازي في إعدام اليهود. وكان هدف النازي هو تطهير ألمانيا من الساميين الدخلاء. ويمضي تحليل عنان قدما فيشير إلى أن معاداة النازي للسامية يمكن ممارستها ضد "الساميين الشرقيين"، ومنهم العرب. ففي نظرية النازي العنصرية، كل غير الآريين "(أجناس منحطة)" مآلها الخضوع والتسخير لصالح الجنس الآري الأعلى. نظرية النازي العنصرية تنكر ببساطة أي إسهام سامٍ في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ.[١٠٦]

كان العداء الأيديولوجي للسامية وسياسات النازي المعادية لليهود موضع إدانة الرسالة. وفي ١٩٣٥ نشرت المجلة مقالا حول مزاعم النازي بتوصل علماء الطب اليهود إلى وسائل ميكروبيولوجية الغرض منها تدنيس "الدم الألماني النقي"، أدانت قوانين النازي التي ترمي إلى حماية الألمان من مثل هذا التلوث البيولوجي، ووصفتها بأنها "قوانين زائفة، ومتطرفة، لا تكشف فقط خيالاً عنصريًا بل تلطخ كذلك سمعة العلم والحقائق العلمية الفعلية".(١٠٧) وشددت المجلة على موقفها الرافض للنظرية العنصرية بالاستعانة بآراء خبراء الخارج. وعند تغطيتها لنتائج بحث أجراه متخصصون أكاديميون في فرنسا عن التطور الإنساني وسؤال "هل يمكن إثبات وجود أجناس نقية، ومميزة، ومعزولة كحقيقة بيولوجية علمية"، عرضت لتقييمهم السلبي للنظرية العنصرية. وحسب التقرير، كان هناك إجماع علمي على عدم وجود جنس نقي في الواقع. وأشارت، فوق هذا، إلى أنه على ضوء أولئك المفحوصين فإن "كل الأجناس البشرية متساوية، وأن المزج العرقي والاستيلاد المختلط يمكن أن يحسن ويعزز بالفعل النوعية الجينية. فلم تكن لنظرية النازي عن الجنس أي أساس علمي فحسب بل، في بعض الأحيان، كان العكس صحيحًا: المزج العرقي يحسن الصفات الوراثية للكائنات البشرية.(١٠٨) وتوصلت الرسالة في ١٩٣٨ إلى أن "فكرة التقسيم الجنسي بين آريين وساميين باطلة، وتفتقد أي أساس علمي، وليس لها أصل في الواقع الإنساني". ونظرًا للتطور التاريخي المعقد للجماعات الجنسية، "اختلطت وامتزجت الأجناس والشعوب بعضها ببعض" على مر الزمن إلى حد أنه كان من المستحيل فيه تحديد أي جنس نقي أو إثبات تفوقه على غيره من الأجناس. ومحاولات النازي لتحديد موقع الموطن الأصلي والحدود الإقليمية الحالية للآريين خاطئة من أساسها؛ كان من المستحيل عمليا ربط منطقة ما بجنس بعينه. "هذه فكرة غبية لا أساس لها إلا في عقل (مستعمر ماكر أو متعصب حاقد) ملؤه الكراهية".(١٠٩)

وعند شرح التداعيات المحلية للنظرة العنصرية النازية لقرائها، أكدت المجلة أنها تضفي تفوقًا تاما وأبديا على "الجنس الألماني، الآري، الشمالي" على كل الأجناس الإنسانية الأخرى. وتصنيف النازي للجنس السامي بالذات كجنس أدنى تشويه جماعي لكل الشعوب السامية، ومن بينها العرب والمصريون. وهذه النظرية النازية للجنس نُشرت وغُرست في عقول الألمان عبر أجهزة دعاية النظام، وأصبحت بذلك منظورا شعبيا يتبناه معظم الألمان. وفي السياق، أصبحت ألمانيا "مهد التعصب الجنسي" و"مهد الخصومة السامية".(١١٠) وعلى الرغم من أن النظرية العنصرية النازية تعد خرافة، وتجليًا غير عقلاني للقومية الشوفينية لا صلة له بالعلم، فقد اعتبرت المجلة "روح النظام النازي" دليلا على خطر العنصرية النازية "على كل الشعوب السامية الشرقية".(١١١)

كما تعرضت السياسة العملية النابعة من النظرية العنصرية لنقد مشابه. وأدان مقال في يناير ١٩٣٨ جهود النازي لتطهير ألمانيا من اليهود، "وإعدامهم، ومصادرة أملاكهم، وطردهم وحصد أرواحهم".(١١٢) ومن جانبه، وصف أحمد حسن الزيات سياسات النازي التي "تطرد اليهود من بلادهم وتسلبهم ممتلكاتهم" بـ "اللاإنسانية والانحراف عن المدنية" (١١٣). كما أشار إلى الآثار المؤسسية السلبية للسياسة النازية المعادية للسامية. وفي افتتاحية عدد نوفمبر ١٩٣٦، أدانت المجلة محاولات النظام النازي لتطهير النظام القضائي الألماني من النصوص القانونية التي كتبها اليهود. وبعد أن اشارت إلى مساهمة القضاة اليهود الحيوية في صياغة القانون المدني الألماني الحديث، رأت المجلة أن "استبعاد المؤلفات اليهودية في القوانين الألمانية" سوف يؤثر على تماسك القانون، ويسهل خضوعه لأهواء الديكتاتورية النازية. وسخرت الرسالة من محاولة "تطهير اليهودية" من المصنفات القانونية الألمانية كجهد متوازن "لبدء عصر جديد في التأليف القانوني، وأن الذهن

الآري يجب عليه أن يعرب عن عبقريته ونقائه في هذه المؤلفات". والحقيقة أنه لولا إسهام اليهود لصار حال النظام القانوني الألماني مؤسفا.[١١٤]

وفي النهاية، أصبح كتاب الرسالة يرون العنصرية النازية نتاجًا حتميًا للتاريخ الألماني والشخصية القومية الألمانية. وبالنسبة للألمان، كان الجنس، وليس اللغة أو التاريخ أو الثقافة أو الإقليم، هو المحدد للهوية القومية الألمانية؛ كانت الأمة الألمانية الحديثة "نتاج الجنس الجرماني الآري"[١١٥]. ومع تطورها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حفرت الأمة الألمانية الحديثة في حمضها النووي الطموح "لتحقيق أحلام ألمانيا العظمى القوية" التي تقوم على "نقاء الجنس الألماني".[١١٦] وبالإضافة إلى افتراض وجود جنس ألماني نقي وحقه في الوحدة، تتضمن النازية أيضا الفكرة الأساسية المتأصلة عن تفوق الجنس الآري. كان "تفوق الجنس الجرماني — الآري وتفوقه على غيره من الأجناس الإنسانية في كل المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية" مبدأ متأصلا بعمق في الهوية الجماعية الألمانية.[١١٧]

لكن العنصرية الحديثة لم تكن اختراعا ألمانيا محضا. وعلى المستوى الفكري، عزت الرسالة إلى إرنست رينان وتمييزه الفج بين سمات الآريين والساميين دورا أساسيا في إلهام معاداة السامية الحديثة. واستولى هتلر على مفهوم رينان عن "تقسيم الكائنات الإنسانية إلى آريين وساميين"، وفكرته عن أن الساميين هم نقيض الآريين. وبينما كان الآريون جنسا إنسانيا نقيا، خلاقا ومتفوقا بطبيعته، فإن الساميين هجين مشوه ومنحط ومتدن. ولكي نحافظ على النقاء والتفوق الآري، ينبغي استئصال البذرة السامية من المجتمع الآري. وأكدت المجلة على أن ما كتبه هتلر في "كفاحي" هو الذي حول معاداة السامية إلى مقولة سياسية وبرنامج للعمل. كتاب "كفاحي" هو الذي حول عنصرية رينان إلى أجندة سياسية "تعطي الشعب

الألماني وحده حق الزعامة والقيادة؛ لأنه شعب بالغ الإبداع، بينما لم يبدع اليهود والساميون أي شيء".[١١٨]

ومع نهاية الثلاثينيات، كان رئيس تحرير الرسالة، أحمد حسن الزيات، يرفض العنصرية النازية رفضا لا لبس فيه. وعلى خلفية الأزمة التي أدت إلى ميونيخ في سبتمبر ١٩٣٨، افترض الزيات وجود علاقة لا تنفصم عراها بين العنصرية والاستبداد المطلق الذي يسم النازية. وأكد أن نظرية الجنس النازية جردت الكائن الإنساني من "الدين، والمدنية، والفلسفة"، وجعلته يفقد إحساسه بالانتماء للإنسانية. وبافتقادهم الله، تحول الناس إلى "لغة القوة، حتى ساد بينهم منطق الذئاب، و(عصبية الجاهلية)". ومع استبعاد الرادع الإخلاقي، عززت العنصرية من اندفاع النازية نحو الشمولية، وأضفت عليها المصداقية والحيوية. وقد سهلت مقولة النازيين إنهم يحكمون شعبًا مميزًا وموحدًا عرقيًا اندفاعهم الديكتاتوري وإخضاع المجتمع لـ "طاغية الجنس المختار". ومضى الزيات، وفي ذهنه الأزمة التشيكية، ليؤكد على أن هتلر يصدِّر النهج العدواني والطغيان للنازية، ويفرضه على الخطاب العام للعلاقات الدولية.[١١٩]

وتناولت مناقشات ما أطلق عليه "(مذهب العنصرية الألماني)" في الهلال المصادر الفكرية للعنصرية النازية، إسهامات الرواد مثل جوبينو، وفاجنر، وتشامبرلين، الذين وضعوا الأسس النظرية للمقولات النظرية التي تسربت إلى كتاب هتلر "كفاحي".[١٢٠] وإلى جانب هذا الأساس العنصري، أضاف مزيج تراث نيتشه وبسمارك "عبادة القوة التي أصبحت عاملا أساسيا في الفلسفة الألمانية والفكر الألماني".[١٢١] وكان بسمارك بصفة خاصة "هو الذي وحد ألمانيا بالحديد والنار، والذي قدم نموذج الدولة مطلقة القوة والعدوانية التي كان يقلدها هتلر".[١٢٢]

في أواخر الثلاثينيات، كان عبد الرحمن صدقي ناقدا عنيدا للعنصرية النازية. وفي تعليقه في الهلال في ١٩٣٧ على موضوع النازية، رفض صدقي رفضا تاما الادعاء النازي بتفوق الجنس الآري ودوره الرائد المزعوم في تطور الحضارة الإنسانية. وفي تفنيده للمزاعم النازية، يرى صدقي أن الحضارة ظهرت وتطورت عبر جهد مشترك وإسهام كل المجموعات العرقية. فمن المستحيل استبعاد دور جنس بعينه في تطور الحضارة؛ ينبغي فهم هذه العملية باعتبارها نتاجا للتعددية العرقية والثقافية، وثمرة للتفاعل الإنساني الدائم والحفز المتبادل. كما تتطلب الديمقراطية الحديثة والتقدم، كما يرى صدقي، تعاون ومشاركة كل الأجناس في السعي نحو تطور وتحسين الحضارة.[١٢٣]

وفي مقال نشر في منتصف ١٩٣٩، يوسع صدقي نظرته السلبية للعنصرية النازية. كانت العنصرية، في رأيه، مكونًا أساسيًا للنظام النازي في ألمانيا؛ "ألمانيا النازية تقيم إحياءها على العنصرية"، كما يؤكد عنوان مقاله. والنظرية النازية عن الجنس، كما يراها صدقي، تقوم على فكرة الجنس، وكذلك وجود فروق جوهرية بين الأجناس المختلفة. وهي تفترض أن السمات الفسيولوجية والسيكولوجية لكل جنس إنساني يمكن تحديدها وتأكيدها علميا. الجنس هو أساس الثقافة المتميزة للجماعة القومية. فالهوية القومية والفكر والثقافة والنظام السياسي تنبع كلها من خصوصيات الجنس؛ وعليه، فإن أي كلام عن "وحدة الجنس الإنساني" لا أساس له على الإطلاق. والحقيقة أنها "فرضية حمقاء"، فالأجناس منفصلة ومتميزة، ولا يمكن الخلط بينها.[١٢٤]

وإلى هذه الضرورة العرقية، أضافت النازية فكرة الترتيب الهرمي للأجناس التي ترى أن بعض هذه الأجناس متفوق وغيرها متدنٍ. وتحديدا، تفترض العنصرية النازية تفوق أجناس "الشمال الأبيض" وتدني أجناس "الجنوب الصفراء

والسوداء". وفي داخل المجموعة العرقية الشمالية، كان الجنس الآري هو الأفضل، حيث يجسد أفضل وأعلى الصفات الجنسية. وأخيرا، تفترض العنصرية النازية إمكانية التلوث العرقي، الذي "يهدد باختلاط الجنس الراقي بدم الجنس الأدنى"، الذي يؤدي إلى "انحطاط وتدهور" الأرقى على يد الأدنى. وهذا يعني أن الجنس الآري الشمالي الأسمى لا ينبغي أن يختلط بالجنس السامي الجنوبي الأدنى ذي المنشأ الشرق أوسطي. كان الفصل العنصري ضروريا، وفي حالة الدنس، كان التطهير ضرورة في العقيد النازية العنصرية. ولم يكن لدى صدقي أدنى شك في أن عقيدة النازي العنصرية كانت "(أسطورة)". لكن بفضل النازي، كانت أسطورة ذات تأثير كبير حينها. فقد سخر النظام النازي في ألمانيا سلطة الدولة لعبادة أسطورة تفوق الجنس الآري. وفي ألمانيا الهتلرية، "هذا الدم النقي هو أهم شيء، ولا يفوقه شيء في أهميته"؛ الحقيقة أن "عملية تنقية الدم الجرماني هي منصة الحكم النازي، وأولى مهامها وآخرها".(١٢٥)

ويوصِّف إبراهيم المصري طبيعة "الدولة النازية العنصرية بطريقة مختلفة بعض الشيء. فالعنصرية النازية الحديثة، في رأيه، تتناقض تناقضا حادا مع الإنسانية المعادية للعنصرية التي نجدها في الديمقراطية الليبرالية. وبمراجعة تطور ما يسميه "المدرسة الإنسانية" من العصر اليوناني ــ الروماني الكلاسيكي، مرورا بالنهضة ووصولا إلى العصر الحديث، يحلل المصري الخطر الذي تشكله العنصرية المعاصرة على التقاليد الإنسانية. ولم يترك أدنى شك في أن العنصرية النازية على عداء تام مع الإنسانية الليبرالية. وبألفاظ معادية تماما، يعلن المصري أن الهدف الأسمى للنازية وهتلر هو "تأسيس دولة مترامية الأطراف، مخيفة، وشوفينية، نقية الدم ومؤلفة من جنس واحد، سينتشر نظامها السياسي في إمبراطورية شاسعة أقرب إلى معسكرات حربية كبيرة تضم شعوبًا وضيعة أدنى،

تعاملها الإمبراطورية بتسامح شرط أن تتنازل عن حريتها الشخصية للنخب الحاكمة". وبالنسبة للمصري، كانت العنصرية النازية أداة في خدمة الدولة وسعادتها، ملحقة بـ "الروح العسكرية النازية، وهي عقلية تتسم تحديدا بالإخلاص والانضباط، وتقديس الطاعة، وعبادة القوة والمجد العسكري".(١٢٦)

وحلل مقال علي أدهم في الهلال التطور التاريخي للعقيدة العنصرية.(١٢٧) وبعد استعراض المراحل المختلفة لتطور الفكر العنصري في القرن التاسع عشر، يضع أدهم "النظرية الألمانية المعاصرة التي يدعمها النازي، نظرية تفوق الجنس الآري"، في قمة التطور النظري والعملي للعنصرية النازية. لقد استكمل النازيون نظرية الجنس وهاهم يطبقونها كسياسة عملية بواسطة أجهزة الدولة الألمانية. بالنسبة للنازي، كان الألمان الأكثر أصالة لتمثيل الجنس الآري وتفوقه العرقي على غيره من الأجناس؛ "هذا الشعب هو المثال الأسمى للثقافة الرفيعة في العالم المتحضر وأسمى نتاج قدمته الحضارة الإنسانية منذ أقدم العصور وحتى الآن". وبفضل التفوق المتأصل للآريين، فإن هدف الدولة النازية هو "الحفاظ على الشعب الآري كشعب نقي خال من أي عيوب أو أي من ملوثات الاختلاط الجنسي".(١٢٨)

كان هدف أدهم من تحليل العنصرية الحديثة، التي تصاعدت مع ظهور النازية، هو كشف الفقر النظري للعقيدة العنصرية وكذلك التأكيد على الخطر الذي تمثله على الإنسانية. وأنكر واقعية التفكير العنصري، ورفض رفضا تاما احتمال وجود نقاء بيولوجي أو أجناس مميزة. وبالاستعانة بالنظريات المناهضة للعنصرية كما فصلها العلماء الرواد التي ترى أن "الشعوب والأجناس متساوية، ولا يسمو أي منها على غيره"، حاول أدهم دحض ادعاء النازي التفوق الآري. فالجنس الإنساني وحدة واحدة، وكيان بيولوجي مفرد رغم جوانب التنوع الثقافي والتراثي الذي يضربُ بجذوره في بيئات طبيعية وتجارب تاريخية مختلفة.(١٢٩)

هل العنصرية جزء لا يتجزأ من القومية الحديثة؟

بالنسبة لأدهم، كانت القومية والعنصرية مفهومين غير مناسبين، فالظروف التاريخية، وليس العرق، هي أساس القومية؛ "الأمة وحدة سياسية تقوم على مكونات متشابهة تنمو وتتطور في بيئة مشتركة، تخلقها قوة العوامل الاقتصادية واللغوية والصلات الدينية، أو بالتماسك الجماعي في وجه الغزو أو لصد عمل عسكري أو عدوان اقتصادي". وتشمل المكونات الإضافية للقومية "موقعًا جغرافيًا محددًا وذكريات تاريخية مشتركة". القومية لا تنبع من البيولوجيا، بل "تتألف من تشكيلة من الشعوب والأجناس". ومن حيث قيمتها، كانت القومية ملمحا إيجابيا وضروريا للعصر الحديث، بينما كانت العنصرية ملمحا سلبيا وهداما. وهو يرى أن القومية بطبيعتها نقيض العنصرية. القومية ظاهرة أصيلة مرتبطة بالحداثة، التي ترتبط شعوب العالم عن طريقها بحدود إقليمية كي تبقى وتزدهر. أضف إلى هذا أن القومية تفترض وجود "عائلة من الأمم"، وتكوين عادل تستعين فيه كل أمة مميزة بمخزونها التاريخي والثقافي الخاص لتقديم إسهامها المميز في الحضارة الإنسانية عامة. في المقابل، تفترض العنصرية "تفوق أمة واحدة وتدني سائر الأمم". وبافتراضها وجود هيراركية للأجناس، تتكر العنصرية وتهدد وحدة الإنسانية. وبتأكيده مرة أخرى على أن النظرية العنصرية لا أساس لها على الإطلاق، وتفتقد أي أساس تجريبي، يواصل أدهم إدانته للعنصرية بوصفها نظرية زائفة وضارة؛ "إنها (أسطورة من الأساطير)، أسطورة وخرافة تعمل كغطاء يخفي الأهداف السياسية، وكذلك نوع من الدعاية لحفز وإشعال العواطف القومية وشحذ الروح الوطنية". ودعا قراءه إلى تبني تحليل عقلاني من أجل "تقوية الاتجاه الإنساني" والبحث التجريبي القائم على الدليل الموضوعي، وعدم تصديق "الأكاذيب

الأسطورية". كانت دعوته موجهة إلى "تقوية الاتجاه الإنساني" بين شعوب العالم كسلاح لمحاربة "أسطورة العنصرية".[١٣٠]

كان المثقفون الذين شجبوا العنصرية النازية على دراية تامة بأنها بينما تدين نظريا كل غير الآريين، وتصنفهم في منزلة متدنية في هرم الأجناس، كان اليهود الهدف الأكبر للعقيدة العنصرية النازية. وقد فهموا بوضوح أن معاداة النازي للسامية، على الرغم من استهدافها ظاهريا كل "الساميين"، فإنها كانت موجهة بالأساس ضد اليهود. وكما صاغها عبد الرحمن صدقي في يونيو ١٩٣٩، فقد كانت "ألمانيا تؤسس إحياءها على العنصرية، وعلى التخلص دون هوادة من (العناصر السامية) وخاصة (اليهودية)".[١٣١] وتناولت الكثير من التقارير المنشورة في الهلال في ١٩٣٨-١٩٣٩ عمليات الإعدام المتزايدة القاسية التي كان اليهود يتعرضون لها في ألمانيا النازية. وعشية هجمات الرايخ الثالث الوحشية على اليهود في نوفمبر ١٩٣٨، حاول معلق المجلة الثابت على الأحداث الجارية، سامي الجرديني، إيجاد أي "مبرر" لهذه الموجة الوحشية الأخيرة التي شنها النازي على اليهود، دون جدوى. "حتى لو سمحنا لأنفسنا بتنحية المنطق أو العقل للحظة، وافترضنا أن يهود ألمانيا ... أعداء للنظام الاشتراكي الوطني، حتى لو افترضنا كل هذا، لن يمكننا فهم أو استيعاب اللجوء إلى هذه الأعمال العنيفة والتعسفية". كما أدان مصادرة النازي لممتلكات اليهود واحتجاز يهود ألمانيا في معسكرات التعذيب أو طردهم من "مسقط رأسهم" في ألمانيا.[١٣٢] وغطت التعليقات الإخبارية في الهلال تواصل عمليات إعدام اليهود على يد النظام النازي، مركزة بصفة خاصة على الضغوط التي فرضت على مفكرين يهود مثل ألبرت أينشتاين بسبب إصرار النازي على "إبعاد الجنس اليهودي من ألمانيا".[١٣٣] وفي منتصف ١٩٣٩، أشارت المجلة إلى أن الحكومة الألمانية جنت "فوائد مالية ضخمة" تقدر بخمسة ملايين

مارك من الغرامات الكبيرة المفروضة على يهود ألمانيا كثمن للسماح لهم بالفرار من بلدهم.[١٣٤]

هل اليهود "جنس" كما تصر العقيدة النازية؟ لقد حاول أحد تحليلات مجلة الهلال نفي هذه الركيزة الأساسية للعقيدة النازية.[١٣٥] ومثلما قامت النظرية النازية عن الجنس على غير أساس، كذلك كان زعمها أن "اليهود جنس محدد" زائفا. وأنكرت الهلال وجود سمات فسيولوجية خاصة باليهود مثل الأنف المعقوف ("الأنف المنسوب إلى اليهود وحدهم هو في الحقيقة مشترك بينهم وبين غيرهم من الأجناس والشعوب"). كذلك مضى المعلق يقول إن يهود العالم لا يجمعهم أصل عرقي واحد ولا تجمع بينهم خبرة تاريخية في إسرائيل ــ فلسطين القديمة. ومعظم يهود تلك الأيام، أي ثلاثة أرباعهم، كما تقول الهلال، منشؤهم "بلاد الخزر"؛ والربع فقط نشأ في "منطقة البحر المتوسط"، بمن فيهم "يهود فلسطين الأصليون". وتحاول الخريطة المصاحبة للمقال تقديم دليل خطي للقول إن معظم يهود أوروبا بصفة خاصة تعود أصولهم إلى الخرز.[١٣٦]

كان لهذا الجدل النظري تداعياته على الأمور المعاصرة في سياق الشرق الأوسط في الثلاثينيات. وقد قاد هذا الهلال، في الوقت نفسه الذي كانت تعلن فيه تعاطفها مع مأزق يهود أوروبا في وجه طغيان معاداة السامية، إلى معارضة مطالب الصهيونية بوطن قومي لليهود بفلسطين. فاليهود ليسوا جنسا؛ بالإضافة إلى أن ادعاءهم بأنهم أمة كان مزعزعا. وحسب الهلال، فإن اليهود ينقصهم الحد الأدنى لعدد الأفراد الذين "يشتركون في سمات مميزة والعناصر المشتركة" التي نراها في الأمم التاريخية الأخرى. وكل ما يمكن أن يقال هو أن اليهود، غير تشاركهم في دين واحد، يشكلون جماعة ثقافية ذات لغة مشتركة ("معظمهم يتحدث اللغة العبرية") و"وحدة ثقافية". وزعم الصهيونية بأن اليهود "مثل كل الأمم"،

ويحتاجون من ثم إلى التوحد في وطن قومي في فلسطين لتحقيق سيادتهم الوطنية، لا أساس له.(١٣٧) وواصلت مقالات الهلال في ١٩٣٩ دحض مطالبة اليهود بوطن قومي في فلسطين، مؤكدة على "الحقيقة التي لا تقبل الجدل بأن فلسطين وطن عربي خالص منذ آلاف السنين"، مشيرة إلى أن "جانبا كبيرا من اليهود يعارضون الفكرة الصهيونية، ويؤمنون بأن من الأفضل لليهود أن يبقوا كما هم ــ مشتتين بين شعوب الأرض". كانت إقامة وطن قومي في فلسطين مرفوضة من منطلق وطني، ولا تعبر كذلك عن رغبة معظم يهود العالم.(١٣٨)

كانت مجلتا الرسالة والثقافة، الأحدث تيطان اليهودي في فلسطين. صدورا في عقد الثلاثينيات والمعبرتان عن المزاج الأكثر إسلامية وعروبية للعقد، أكثر ضراوة في معارضتهما للمشروع الصهيوني لتوطين اليهود في فلسطين. ومثل معظم المصريين، رأت المجلتان أن حل مشكلة اليهود الألمان، الناجمة عن عنصرية النازي ومعاداته للسامية، لا يمكن أن يكون على حساب الحقوق الوطنية لعرب فلسطين. وحسبما ورد بافتتاحية الرسالة في أواخر ١٩٣٨، فإن "لا شيء يحول بيننا وبين اليهود إلا مسألة فلسطين"، و"لا خصومة بين المسلمين واليهود إلا فيما يتعلق بفلسطين". ولولا أن "الصهاينة والصهيونية يريدون تحويل فلسطين إلى وطن قومي على حساب العرب"، وهو ما أدى إلى الصدام العنيف الحالي بين اليهود والعرب في فلسطين، لوقفت المجلة بكل قواها مع اليهود في أزمتهم، وساندتهم كضحايا يستحقون الدعم الكامل في وجه النازي ومعاداة السامية. وقالت الرسالة إن العلاقات بين المسلمين واليهود في بلاد المسلمين، خاصة في إسبانيا والإمبراطورية العثمانية ومصر وسوريا، سادها الانسجام والتسامح "لمئات السنين". اليهود والعرب "أبناء عمومة، تجمعهما (السامية)، يتعرضون للإعدام في البلاد الديكتاتورية، و(يعانون من) معاداة السامية التي تقوم على أوهام الجنس

واللون التي تنتهك الإنسانية والدين على حد سواء". وكانت الصهيونية مشكلة، وليست حلا: "عموما، يعيش اليهود المصريون واليهود العراقيون، وغيرهم ممن لا يؤمنون بالصهيونية، ولا يؤيدون المخلب الإنجليزي، مع المسلمين في كل مكان في انسجام تام وأخوة تامة" (١٣٩) .

عند ظهورها في ١٩٣٩، تبنت الثقافة موقفا مماثلا من الصهيونية. وعلى خلفية مؤتمر لندن (سان جيمس) في أوائل ١٩٣٩، وجهت افتتاحية بعنوان "شيلوك الحديث" النقد إلى الصهيونية. وشبهت الثقافة "موقف الزعماء الصهاينة في فلسطين بموقف شيلوك تاجر البندقية في مسرحية شكسبير". وقارنت بين وضع اليهود في أوروبا، ضحايا معاداة السامية المسيحية، وتسامح المجتمع العربي ـ المسلم معهم. فالصهاينة، بمحاولاتهم لاستعمار البلاد العربية والإسلامية، يجحدون موقف البلاد العربية والإسلامية التي، على عكس بلاد أوروبا المعادية للسامية "رحبت باليهود المطرودين من مسقط رأسهم، وفتحت أبوابها أمامهم، ومنحتهم الملجأ والأمان بدلا من الخوف، والاحترام والتبجيل بدلا من الإذلال والمهانة، والعدل بدلا من الظلم". وفي كل مراحل تاريخها الطويل، أتاحت الحضارة الإسلامية والإمبراطوريات الإسلامية المتعاقبة الفرصة "للمشاركة في كل مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية". ومن جانبها، نجحت مصر في دمج اليهود تماما، و"انتشلتهم من الظلم والإعدام ورفعتهم إلى مكانة سامية من التقدير والعدل". هذا الموقف الإيجابي من جانب المسلمين تجاه اليهود، الذي يعبر عن"مشاعر الأخوة، والتضامن والحب"، يتناقض تماما مع "مطالب الصهاينة الاستغلالية والمشئومة" الذين يهدفون إلى نهب أراضي الفلسطينيين، ويعضون اليد التي أطعمتهم".(١٤٠)

وكررت الثقافة موقفها المعادي للصهيونية عند صدور الكتاب البريطاني الأبيض حول فلسطين في مايو ١٩٣٩. وعلى الرغم من أن المجلة اعتبرت الكتاب

الأبيض خطوة في الطريق الصحيح، فإنها حثت البريطانيين علـى المـضي قـدما وتبني موقف مساند لعرب فلسطين الذي "تتخذه كل البلاد العربية الإسلامية". وقـد تبنت المطالب العربية الفلسطينية بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وإلغـاء وعد بلفور الذي يتعهد بدعم بريطانيا لإقامة وطن قـومي لليهـود، و"إقامـة دولـة عربية مستقلة (في فلسطين) ذات سيادة، ترتبط ببريطانيا العظمى بمعاهدة صـداقة" كتلك الموقعة مع العراق ومصر، كحد أدنى من المطالب للتوصل إلى حـل عـادل لقضية فلسطين. ومرة أخرى، يُرفض المشروع الصهيوني كحل لاضطهاد اليهـود في ألمانيا النازية.(١٤١)

وتعبر مقالة عبد الرحمن شكري حول "مشكلة يهود العالم"، التي نشرت فـي الرسالة منتصف ١٩٣٩، عن المشاعر المتضاربة بين التعاطف مع قمـع اليهـود ومعارضة الحركة الصهيونية والتي سادت بين المثقفين المـصريين؛ بـين إعـدام اليهود مؤخرا في أوروبا والمحاولات الصهيونية لتأسيس ملجأ لليهود في فلـسطين العربية يقيهم معاداة السامية. كان شكري حاسما في رفـضه للجهـود الـصهيونية لإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. وهو يرى أن التركيـز الـصهيوني علـى فلسطين رجعي المبعث، و"يتناقض مع المصالح الاقتصادية اليهوديـة". ويـرى أن "(النزعة الشعبية الدينية)" لإلحاق اليهود بفلسطين تتعرض مع "(النزعة العالميـة)". الصهيونية تتناقض مـع مـصالح اليهـود العالميـة، الاتجـاه الـسائد للتـورط الكوزموبوليتاني اليهودي في الاقتصاد العالمي الحديث. وقد استخدم شكري تعبيـر "(اليهودي العالمي)" لوصف النخبة اليهودية الحديثة، العلمانيـة التـي سـتتعرض مصالحها للخطر في حال أُنجز المشروع الصهيوني في فلسطين. وكانـت فكـرة تجميع يهود العالم في منطقة صغيرة من فلسطين تحت الانتداب، يقطنهـا العـرب بالأساس مع تخلفها الاقتصادي، مسألة غير عملية وستؤدي إلى نتائج سـلبية؛ لـن

تؤدي إلا إلى نتائج ضارة لليهود "الذين تزايدت أعدادهم في العالم الحديث بشكل كبير والذين تعاظمت مصالحهم الاقتصادية العالمية". كانت الصهيونية نقيضا للكوزموبوليتانية التي شكلت المسار السائد للتطور الذي يتبعه اليهود في العصر الحديث.(١٤٢)

وعلى الرغم من رفضه لفلسطين كحل للمشكلة اليهودية، فلم يرفض شكري دعوة اليهود لتقرير المصير وإقامة دولتهم. ولإدراكه خطورة "مشكلة اليهود في العالم" التي سببتها معاداة السامية المقيتة وعمليات الإعدام، تبنى شكري إقامة وطن وملجأ لليهود في أي منطقة غير فلسطين. "ينبغي إقناع اليهود بقبول أرض أكثر خصوبة بدلا من فلسطين، منطقة أكبر من مساحة فلسطين، وقليلة السكان". وتحدث بتفاؤل عن أنه "من الممكن إرضاء الشعور الشعبي (الذي يربط اليهود بفلسطين) بتسمية هذا الوطن الجديد (فلسطين الجديدة) أو حتى (صهيون)". وفي تلك الأرض، "يمكن لليهود إقامة مدن بأسماء يهودية قديمة"، وربما يذهبون إلى أبعد من هذا فينقلون قطع أثرية "مقدسة" من أرض الميعاد القديمة إلى الأرض الجديدة لإقامة معبد جديد. وهو يختتم مقاله بأن "هذا الحل سيجمع بين الحاجة لإرضاء المشاعر (الشعبية) والمزايا الاقتصادية".(١٤٣)

الفصل الخامس

المثقفون المصريون والفاشية

٢ـ الفاشية في العالم:

الإمبريالية الأوروبية فى ثوب جديد

بمرور الوقت، ساد النقد المصري للفاشية الاهتمام بالطابع العدواني والمدمر للسياسة الخارجية الإيطالية والألمانية. وفي الفترة من ١٩٣٥-١٩٣٧، كانت النوايا والأعمال التوسعية من جانب إيطاليا الفاشية كما تبدت بشكل خاص في غزوها لإثيوبيا هي الشغل الشاغل لكتاب الهلال والرسالة والمجلة الجديدة؛ في ١٩٣٨-١٩٣٩، كانت عدوانية ألمانيا وتهديدها لاستقرار العالم وسلامه هي التي تصدرت اهتمام المجلات نفسها، إضافة إلى مجلة الثقافة الأسبوعية الجديدة.

التحذير من خطر الاستعمار الفاشي والنازي

كان سلامة موسى وصحيفته المجلة الجديدة من أشد معارضي الاستعمار الإيطالي الفاشي في منتصف الثلاثينيات. وكان غزو إيطاليا لإثيوبيا وتهديدها المستمر بفرض السيطرة الإيطالية على البحر المتوسط سببا لنقد المجلة المتكرر لإيطاليا. ولعبت الحساسية من غزو استعماري أوروبي محتمل للشرق الأوسط دورا مهما في نقد المجلة لـ "(الفاشية الإمبريالية)" ورفضها الحاسم لـ "(التوسع الإمبراطوري)" الذي يستهدف "الأمم الصغيرة، الضعيفة" في البحر المتوسط، والشرق الأوسط، وشرق أفريقيا. [١]

وفي ١٩٣٥-١٩٣٦، قدمت الأزمة الإيطالية ـ الإثيوبية والحرب التي أعقبتها للمجلة الجديدة الدليل على نوايا إيطاليا الاستعمارية. وكانت "(المسألة الإثيوبية)" موضوعا رئيسيا للنقاش على صفحات المجلة. وأدانت مقالاتها وافتتاحياتها التهديدات الإيطالية لإثيوبيا، وعبرت عن تضامنها مع الشعب الإثيوبي، وأيدت حق البلاد في الاستقلال والسيادة. واعتبرت المجلة النوايا الإيطالية الواضحة للعدوان على إثيوبيا وغزوها من أجل توسيع الإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا عملا غير مشروع. وعادة ما تركز نقد السلوك الإيطالي على شخص موسوليني، الذي كان يقدم كأسير لشخصيته المختلة؛ كان رجلا في حالة "(استهواء ذاتي)" أقنع نفسه بأنه يوليوس قيصر أو نابليون. (٢)

كثف الاندلاع الفعلي للحرب، والمسار الهمجي الذي اتخذته، إدانة المجلة لإيطاليا الفاشية. وبصفة خاصة، أحدث استخدام إيطاليا للغاز السام وهجماتها المتكررة على المواقع المدنية صدمة لسلامة موسى. وفي افتتاحية نشرت في ديسمبر ١٩٣٥، بعنوان "الغازات والحرب"، تعرض موسى لآثار التكنولوجيا الحديثة عند استخدامها في الحرب. وبدلا من إعجابه السابق بالتكنولوجيا الحديثة، ها هو يشير إلى تحول طاقات الثورة الفاشية نحو تطوير تقنيات جديدة ومدمرة للقتل. وأعلن أن "الحرب كارثة مروعة"، حيث كان معظم ضحاياها من المدنيين الأبرياء. كانت حربا بربرية، عمياء، ولا إنسانية في آثارها، ذات قوة تدميرية غير مسبوقة. (٣) وفي أوائل١٩٣٦، ومع تواصل الغزو الإيطالي، وصفت افتتاحية أخرى الحرب بـ "(وحشية إيطاليا)". وأضافت، "لم تشهد أي حرب في الماضي مثل تلك الأعمال البربرية". (٤) وتواصلت انتقادات المجلة للأعمال الإيطالية في إثيوبيا حتى بعد انتهاء الحرب. وهكذا، رفضت افتتاحية للمجلة في مايو ١٩٣٧، بعنوان "موسوليني وأمهات إثيوبيا"، محاولات الدعاية الإيطالية لتبرير الحرب

بادعائها أن الإثيوبيين هم الذين أثاروا المواجهة. وأدانت النفاق الذي اتسمت به محاولات موسوليني وجنرالاته لإعادة كتابة تاريخ الصراع. فقد كانت إيطاليا تحاول أن تحمل مسئولية أعماله التخريبية على ضحاياها بينما "لا زالت عشرات الآلاف من أمهات إثيوبيا يلعقن جراحهن وينعين أبنائهن الذين قتلوا بالقنابل والغاز الإيطالي". (٥)

انتهى الصراع الإثيوبي، وحولت المجلة الجديدة اهتمامها إلى مواقع أخرى مرشحة للعدوان والتوسع الإيطالي. وحللت افتتاحية مايو ١٩٣٧، احتمال توجيه الاستعمار الإيطالي، مزودا بثقة بالنفس مبالغ فيها بعد نجاحه في إثيوبيا، طاقته العسكرية والاستعمارية نحو مناطق أخرى من حوض البحر المتوسط. ورأت المجلة أن إعلان موسوليني بأن "البحر المتوسط "بحر إيطالي روماني" ينبغي أن يؤخذ على محمل الجد. كان موسوليني يعد بالفعل لتلبية الفانتازيا الإيطالية للمجد الاستعماري، "جنون الفاشيست"، عن طريق الحرب. كانت إمكانية هجوم عسكري على مصر أو تونس قائمة، كما حذرت الافتتاحية. وفي مستعمرتها الليبية، كانت إيطاليا تقوم باستعدادات منهجية للحرب بإعداد مرافق نقل كثيفة، ومحطات تموين للحرب الميكانيكية، وتشييد القواعد والتحصينات ـــ كل هذا استعدادا لحرب على مصر. وإذا ما أخذ المصريون في الاعتبار إلى جانب هذا أن المهندسين الإيطاليين كانوا في تلك اللحظة يقومون بتحويل مياه بحيرة تانا لتوفير المياه اللازمة للزراعة في مستعمرة إيطاليا الإثيوبية الجديدة، وتهدد بذلك بتحويل واحد من أهم مصادر النيل، "وعندها سندرك هول الخطر الذي نواجهه". (٦) وبحلول ١٩٣٧، رأت "المجلة الجديدة" في السياسات التوسعية الفاشية تهديدا مباشرا لمصر نفسها.

وكان هناك كاتب مصري، يوقع باسم كساندرا، حذر أكثر من مرة من أن التوسعية الفاشية تمثل خطرا على العالم وكذلك مصر، وكان هذا اسمًا مستعارًا

للمثقف الوفدي المعارض عباس محمود العقاد. وفي مقالاته عن الأزمة الإيطالية ـ الإثيوبية في الهلال، لم يجد العقاد فضلا يذكره لموسوليني. فحرب إيطاليا الاستعمارية والإجرامية التي شنتها على إثيوبيا كشفت الوجه الحقيقي للديكتاتور الفاشي كداعية للحرب مدفوع بالغزو، وندد الكاتب بالإرهاب الفاشي داخل إيطاليا. كتب العقاد، "موسوليني والحرية عدوّان". وموسوليني ديكتاتور خطير، والنموذج الذي يمثله ليس النموذج الذي يجب أن تفكر مصر في الحذو حذوه: "لا أريد لمصر حاكما كهذا". (٧)

وواصل العقاد تحذيره من إيطاليا الفاشية وأطماع زعيمها لإحياء الإمبراطورية الرومانية في البحر المتوسط خلال منتصف الثلاثينيات. وتصريحات الدوتشي الاستفزازية التي قال فيها إن "البحر المتوسط بحرنا" تشير إلى إعداد إيطاليا للمزيد من التوسع الذي يمكن أن يهدد مصر نفسها (٨). وأكد العقاد على التسلح العسكري في إيطاليا، والانتشار العسكري لإيطاليا مؤخرا، كدليل على نوايا موسوليني للمزيد من التوسع الذي يستهدف بلاد حوض المتوسط. (٩) وبحلول ١٩٣٧، أُضيفت ألمانيا النازية إلى قائمة العقاد للدول الخطيرة. وها هو يحذر من أن ألمانيا أصبحت "معسكرًا حربيًا" كبيرًا يستعد للحرب. والنظام النازي كان يعامل "كل الألمان كجنود في معسكرات مغلقة"، ويجبرهم على ارتداء اليونيفورم، والمشاركة في الأنشطة الرياضية المكثفة، وضبط سلوكهم وفق الأوامر التي تصدر من "الحكم المطلق" للقيادة النازية. (١٠)

وفي مواجهة الخطر الذي تفرضه الفاشية والنازية على سلام العالم، وخيبة أمله في اتخاذ بريطانيا العظمى خطوات واضحة لردع عدوانيتهما، علق العقاد آماله في ١٩٣٧ على الولايات المتحدة والرئيس روزفلت كنموذج للزعامة الديمقراطية الفعالة. وامتدح العقاد صفقة روزفلت الجديدة لانتشال الولايات المتحدة

من الأزمة الاقتصادية بأسلوب ديمقراطي. وعلى عكس موسوليني وهتلر، كان روزفلت يثبت بجلاء أنه من الممكن إعادة تأهيل أي بلد ووضع برنامج فعال للتعافي بإقامة دولة رفاه ديمقراطية. وقد تحقق كل هذا في أمريكا دون ديكتاتورية، أو عنف، ودون تحويل طاقات إلى خطط للتوسع الإقليمي. إن أمريكا روزفلت تمثل نموذج الديمقراطية في المستقبل. وأمريكا روزفلت الديمقراطية هي أمل العالم لتفادي حرب مدمرة.(١١)

شهدت الرسالة أكثر المقالات انتظاما في نقد الخطر الذي تمثله سياسة إيطاليا الفاشية الخارجية العدوانية والاستعمارية على السلام العالمي ومصر في منتصف الثلاثينيات. وأكثر من الهلال المتحفظة، وربما أكثر من المجلة الجديدة الأكثر علمانية، كانت الرسالة منبرا لمعاداة الاستعمار. وإلى جانب كونها صحيفة للتعبير عن الرأي المصري، منذ تأسيسها في ١٩٣٣، عبرت الرسالة عن التوجه العربي والإسلامي. وعلى صفحاتها، لم تكتف بتصوير الفاشية ومن بعدها النازية كخطر على مصر وديمقراطيتها، بل وكذلك على المشرق العربي، والعالم الإسلامي، وفوق كل هذا البلاد "الشرقية". وتصدر اثنان من كتاب الرسالة ــ مؤسس الرسالة ومحررها أحمد حسن الزيات، ومعلقها الرئيسي على الشئون الدولية محمد عبد الله عنان لإدانة السياسة الخارجية لإيطاليا الفاشية. ومنذ أواخر ١٩٣٤، كان عنان يرى في التوترات والمناوشات العسكرية على الحدود الصومالية ــ الإثيوبية "صراعا بين الغرب الاستعماري وإثيوبيا" و"مؤامرة تحيكها الإمبريالية لمهاجمة وغزو إثيوبيا". وكان سلوك إيطاليا العسكري الاستفزازي جزءا من خطة التوسع الاستعماري الفاشي في شرق أفريقيا، والمشروع الطموح لتحقيق الهدف الاستعماري بإقامة إمبراطورية إيطالية في البحر المتوسط، والشرق الأوسط، وأفريقيا.(١٢) وفي مقال لاحق يحلل فيه الروابط الجغرافية والتاريخية بين

مصر وإثيوبيا، أكد عنان أن من الطبيعي أن تقف مصر إلى جانب إثيوبيا، تلك الأمة العريقة التي لا تهدف إلا إلى الدفاع عن حريتها واستقلالها في وجه "عدوان (العدوان الاستعماري الغربي)".[١٣]

وبحلول صيف ١٩٣٥، دعا التهديد الآني بنشوب الحرب بين إيطاليا وإثيوبيا رئيس تحرير الرسالة أحمد حسن الزيات إلى استدعاء مخزونه الاستنكاري الثري لمهاجمة "(الفاشية الدموية المتوحشة)". وكانت الأزمة التي افتعلها موسوليني في شرق أفريقيا مفتعلة، وذريعة مصطنعة لحرب غير مبررة تهدف إلى "تدمير بلد عريق، وحر، ومستقل". وإثيوبيا لم تظهر أي عداء تجاه إيطاليا. و ليس لدى إيطاليا سبب مشروع للاعتداء عليها. والغرض النهائي للحرب التي تلوح في الأفق استعماري بطبيعته؛ الرغبة في تحويل إثيوبيا إلى مستعمرة إيطالية يستوطنها المهاجرون الإيطاليون. ولتحقيق أهدافه الاستعمارية، كان موسوليني يعد لشن "مقتلة منظمة عن طريق الحرب". ولخص الزيات، الذي لم يعرف عنه أبدا التحفظ في تعبيره، المشروع الاستعماري الإيطالي في شرق أفريقيا بأنه "(السلب الجهر)" و"(القرصنة المجردة)".[١٤]

لم يكن الزيات يثق كثيرا في عزم المجتمع الدولي أو قدرته على ردع العدوان الإيطالي. وهو يرى أن هناك تحالفا ضمنيا بين البلاد الغربية له مصالح استعمارية مشابهة عليه حمايتها. واختلاف مواقف البلاد الأوروبية حول مصير إثيوبيا يعبر أيضا عن عنصرية أوروبية، مستعدة للقبول بالغزو الوحشي لبلد أفريقي؛ لأن شعبها من السود.[١٥] وفي مقال لاحق يدعو الرأي العام المصري إلى الاصطفاف خلف إثيوبيا وإدانة "أعمال إيطاليا العدوانية الإجرامي"، يعبر الزيات عن خيبة أمله الكبيرة في السلوك المتردد لأعضاء عصبة الأمم تجاه الأزمة. وقال "لن يقدر لنا أن نرى عصبة الأمم وهي تساند، ولو لمرة واحدة، دولة شرقية أو بلدًا

ضعيفًا، حتى لو كان القانون والعدل بجانبه". وبسبب النفاق والانتهازية الأوروبية كانت عصبة الأمم عاجزة: كان طريق موسوليني للاعتداء على إثيوبيا واضحا.[١٦]

كان اندلاع الحرب في شرق أفريقيا سببا لانتقادات الزيات اللاذعة للإمبريالية الإيطالية. إن ما كانت ترتكبه إيطاليا في شرق أفريقيا "(إثم)" تغذيه حماقة أوروبا وشوفينيتها. وفي نظر موسوليني، "لا شك أن الإثيوبيين همجيون لأنهم لا يأكلون الإسباجتي، ولا يشربون الشيانتي ... لم يتخطوا مرحلة كونهم عبيدًا عند (غيرهم) من الأمم". وإمبريالية موسوليني المتوحشة تعود بالعالم إلى عصر جديد من "(جاهلية)" القوة، والتعصب القبلي وتقديس الحرب. وبصفة خاصة، أثبت استخدام إيطاليا للغاز السام كسلاح للدمار الشامل ضد المدنيين الطبيعة البربرية للحرب. وفي الصراع الإيطالي – الإثيوبي، انحطت البشرية إلى مستوى البهيمية.[١٧]

كانت تعليقات محمد عبد الله عنان الكثيرة على الحرب الإيطالية – الإثيوبية في ١٩٣٥-١٩٣٦ أقل زخرفا لكنها لا تقل انتقادية في جوهرها. وعنان يحلل الصراع على خلفية ما يسميه "انهيار النظام العالمي". وخلال استعراضه لتاريخ العلاقات الدولية الحديث، يلاحظ عنان أن الترتيبات الدولية التي وضعت بعد الحرب الأولى، لتعزيز الاستقرار الدولي، أصابها التحلل منذ منتصف الثلاثينيات. والطموح العسكري الذي أظهرته حينها إيطاليا الفاشية يدمر النظام العالمي الذي كان الغرض منه تعزيز السلام بين الأمم وضمان أمن "الدول الصغرى" التي ظهرت في أعقاب الحرب العظمى. كانت إيطاليا الفاشية قوة تدميرية تطيح بالاتفاقيات والمعاهدات الدولية اتباعا لأجندتها الاستعمارية العنصرية. وكان تدمير الاتفاقيات القائمة لإقامة نظام عالمي جديد قوي هدف الفاشية النهائي. ومن هذا

المنظور، كان عنان يرى الفاشية كظاهرة رجعية، معادية للحداثة، وقوة تسعى إلى القضاء على قيم الحرية، والتسامح، والتقدم، والسلام بين الدول.(١٨)

كان عنان يؤمن بأن وحشية الهجوم الإيطالي على إثيوبيا يعكس الطبيعة اللاإنسانية لـ "(الفاشية الهمجية)". واستنكر كلاً من السياسات الداخلية والخارجية للنظام الفاشي في إيطاليا. وبينما كانت هذه السياسات قائمة داخليا على "القتل والسجن والعقاب والمصادرة، وغيرها من أساليب العنف المنظم"، كانت موجهة خارجيا نحو "التوسع والاستعمار واستغلال الموارد الطبيعية المتوفرة في إثيوبيا". وأقام عنان صلة مباشرة بين الديكتاتورية الفاشية في الداخل والعسكرية الفاشية في الخارج. واستخدام مثل هذه القوة الهمجية ضد إثيوبيا يوازى ويعكس السياسات الداخلية الفاشية. وكل من يستخدم العنف وأساليب الإرهاب ضد المعارضة الشرعية بالداخل لن يتردد في استخدام أسلحة الدمار الشامل، كالغاز السام، ضد المعارضين الخارجيين.(١٩)

حذرت تحليلات عنان أكثر من مرة من النتائج السلبية المحتملة للتوسعية الفاشية وتقويض استقلال إثيوبيا. وفي السياق الدولي، اعتبر الحرب الإثيوبية المرحلة الأولى من الاستراتيجية الفاشية العالمية لفرض هيمنة الفاشية داخل النظام العالمي. وعبر أساليب "الإملاء الفاشي المتعسف"، كانت إيطاليا تؤسس لمعايير دولية جديدة تقر بالقوة، وتضمن النجاح لكل من يهدد باستخدام القوة. وكانت العسكرية الفاشية هي الخطر الرئيسي والداهم على "البلدان الضعيفة" في البحر المتوسط والشرق الأوسط وأفريقيا. وشان غيره من المراقبين المصريين، كان عنان قلقا من مواصلة الفاشية، بعد انتصارها الذي تراه مجيدا في إثيوبيا، سياستها الخارجية الجامحة على الساحة العالمية. ولأنه أسير إيمانه بـ "الحاجة المطلقة لتحقيق حلم إقامة إمبراطورية رومانية جديدة"، لن توقف إيطاليا غزوها لإثيوبيا،

ذلك "البلد الصغير الضعيف"؛ بالإضافة إلى أن "عينها على بلاد ضعيفة أخرى"، من بينها مصر والدول العربية.[٢٠]

كان عنان يقدم من حين لآخر تصورا متفائلا على المدى البعيد بخصوص التهديد الفاشي. وبينما كان ظهور الفاشية الإيطالية ونجاحها يمثل "(مأساة)"، كان عنان في أواخر ١٩٣٥ يراها مأساة عابرة ويمكن تجاوزها. وبالنسبة لعنان، كان "تدمير الفاشية ضروريا". وكان يؤمن بأن ظاهرة تاريخية رجعية مثل الفاشية ليس أمامها فرصة للبقاء. وما تبديه من اندفاعات تدميرية والدمار الذي سببته حينها سيعمل ضدها في التحليل النهائي، وسيحث قوى السلام والديمقراطية على الاحتشاد لهزيمتها. وفي النهاية، لن يقدر للفاشية الانتصار على قوى الحداثة والديمقراطية. وبرغم انتصارها في إثيوبيا والقلق من استمرار الهجوم الإمبريالي في أجزاء أخرى من العالم، سيكون على إيطاليا الفاشية مواجهة تحالف عاقد العزم من الدول الديمقراطية والصغيرة ومن ثم إيقافها عند حدها. والتصدي لزخمها الخارجي سيؤدي بالمقابل إلى انهيار النظام الفاشي من داخله ما إن ينكشف جنون عظمة موسوليني الاستعماري، ويتضح أنه محض هراء. ويتنبأ عنان وقوع "انقلاب سياسي جريء" داخل إيطاليا، بمساندة القوى الديمقراطية، يضع حدا لمأساة الفاشية.[٢١]

وعلى الرغم من تعبيراته المتفائلة بين الحين والآخر، فقد كانت تعليقات عنان في أواخر ١٩٣٦-١٩٣٧ تتسم عادة بنبرة متشائمة تجاه الخطر الذي تشكله الفاشية على السلام العالمي. وفي أواخر ١٩٣٦، أكد تحليله للشئون العالمية على القوة غير المكبوحة للنظم الفاشية. لقد وقف المجتمع الدولي عاجزا عن منع غزو وضم إيطاليا لإثيوبيا. وإذعان الدول الديمقراطية الضمني للقضاء على دولة عضو بعصبة الأمم كان من شأنه تغذية أطماع موسوليني للتوسع الإقليمي. وقيام محور

روما ـ برلين مؤخرا، الذي يوحد بين النظامين الديكتاتوريين في إيطاليا وألمانيا، من شأنه دفع قوة الفاشية قدما. وتثبت الحرب الجديدة في إسبانيا، حيث "أشعلت الفاشية حربا أهلية" والتي دعمت إيطاليا أثناءها قوات فرانكو المعادية للديمقراطية في تحركها للإطاحة بالنظام الديمقراطي وتأسيس نظام استبدادي، أن الفاشية قوة عدوانية تفرض إرادتها على الساحة الدولية. وكان أكثر المهددين بهذه التطورات المشئومة هي "الدول الضعيفة" التي لم يعد يمكنها الاعتماد على عصبة الأمم أو القانون الدولي لحمايتها في مواجهة العدوان.[٢٢]

وبالنسبة لعنان، كان من المؤكد أن مصر من بين الدول المهددة بسبب النجاح الدولي لإيطاليا الفاشية. وفي تحليل له في أواخر ١٩٣٧ بعنوان "مصر وإيطاليا: دروس الماضي مرشد للحاضر"، يتناول تداعيات الوجود الفاشي الكثيف في البحر المتوسط على مصر. وكان رأيه أن إيطاليا الفاشية تشكل تهديدا واضحا لمصر. ورفض عنان التصريحات الإيطالية، مستنكرا أي خطط عدوانية لاستهداف مصر. لا يمكن لمصر أن تظل مختلفة حول حقيقة أن "الحلم الإمبريالي الكبير" لإيطاليا الفاشية هو "إمبراطورية رومانية تكون فيها مصر، مثل ليبيا، مجرد (ولاية رومانية سابقة)". وعلى مصر ألا تقع في وهم الاعتقاد بحسن نوايا موسوليني. وبالنسبة لإيطاليا الفاشية "الحق والقانون مجرد قوة". وإيطاليا "تتصرف حاليا وفق سياسة مكيافيللية مكشوفة تبرر كل الأساليب في سبيل تحقيق الهدف". وبتسلحها بأحدث أسلحة العصر ووقوعها في أسر الحلم الاستعماري، ستعجز إيطاليا عن منع نفسها عندما يتعلق الأمر بمصر. كان خطر الفاشية على مصر حقيقيا، و"مصر لديها كل الأسباب التي تجعلها تسرف في القلق". وبرغم تحالفها العسكري مع بريطانيا العظمى، يرى عنان أن مصر ينبغي ألا تستنيم للاعتماد على الحماية الخارجية. عندما تتعرض دولة صغيرة لتهديد خارجي، عليها أن تعتمد على نفسها،

وحشد مواردها، وتقوية قواتها المسلحة للدفاع عن سيادتها في زمن "القوة فيه هي العامل الحاسم".(٢٣)

وتحليل عنان المتشائم للمشهد الدولي منتصف الثلاثينيات لا يلتفت كثيرا لألمانيا النازية كمصدر لتهديد السلام العالمي. وفي استعراضه للسياسة الأوروبية في أواخر ١٩٣٦، أكد على إدانته لألمانيا النازية لتقديمها، وكذلك إيطاليا الفاشية، المساعدات الملموسة للوطنيين المعادين للديمقراطية أثناء الحرب الأهلية الإسبانية. ومن المنظور الخارجي، كانت ألمانيا النازية قوة معوقة، قوة عقدت العزم على تحقيق الهيمنة على أوروبا بالقوة أو التهديد بها. وبالنسبة لعنان، كانت ألمانيا النازية "قوة عسكرية، عدوانية تنتهك حقوق الأفراد وحرياتهم، وتنكر القيم العالمية، وتتحدى مبادئ العدل الدولية. وهي تبعث المنظور الألماني القديم للعالم في أخطر صوره، ذلك الذي يجعل "(الحق هو القوة)". وأكد عنان على التحول الكبير في توازن القوى العالمي الذي شهدته تلك الفترة. فمع التهديدات التي يتعرض لها الاستقرار العالمي من جانب إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية، والتحاق اليابان التوسعية بالمعسكر الرجعي، فقدت الديمقراطيات الغربية هيمنتها على الشئون الدولية. والتقارب الحالي بين قوتي المحور الألماني الإيطالي من ناحية واليابان الاستعمارية من ناحية أخرى يمكن أن "تهدد كل القوى الديمقراطية والسلام" بقيادة بريطانيا العظمى وفرنسا. وهدف البلاد الاستبدادية الثلاث هو تمزيق المعاهدات الدولية القائمة وصياغة نظام عالمي جديد؛ وفي السياق، يهدد هذا الحلف الثلاثي الناشئ بقيادة البشرية إلى نظام عالمي جديد. والمعسكر الديمقراطي بشدة إلى التصدي للسلوك الدولي الطليق للدول الاستبدادية.(٢٤)

وفي تعليقاته المتكررة حول الحرب الأهلية الإسبانية في ١٩٣٦-١٩٣٧، ظل عنان يقدم صورة مظلمة لقارة أوروبية صارت منقسمة بين معسكرين

متنافسين الحرب بينهما حتمية. وتورط ألمانيا النازية العلني مع معسكر الحرب في ميدان المعركة بإسبانيا زاد كثيرا من الصراع المصيري بين الديكتاتورية والديمقراطية. وكان الصراع بالوكالة في إسبانيا بين الديكتاتوريات والديمقراطيات، في رأيه، لعبة صفرية حيث يكسب طرف كل شيء، ويخسر الآخر كل شيء. وبلغة بليغة تذكر بتلك التي استخدمها زميله الزيات في وقت سابق وهو يتحدث عن الحرب الإيطالية ـ الإثيوبية، يحدد عنان الصراع في إسبانيا بوصفه صراعا أبيض وأسود بين "العدالة المطلقة" من ناحية و"الشر المطلق" من ناحية أخرى، "حرب حياة وموت" وجودية بين عقيدتين على طرفي نقيض.[٢٥] كانت رسالته مؤداها أن ديمقراطيات العالم لن تبقى على اختلافها بشأن الصراع في إسبانيا. وكما يرى عنان، فإن "مستقبل السلام يعتمد على الديمقراطية وأياديها".[٢٦] ولا مجال هنالك للإذعان الذي أبدته البلاد الديمقراطية عند اعتداء إيطاليا على إثيوبيا. إن المعسكر الديمقراطي بحاجة إلى حشد كل موارده لمواجهة الخطر الذي تتعرض له الديمقراطية والذي يظهر واضحا جليا في الحرب الأهلية الإسبانية. "إذا قدر للديمقراطية أن تكسب المعركة حول مصير المدنية، سيكون نصرا لـ (شكل من) المدنية قائم على احترام القانون والحرية. لكن لو قدر النصر لـ (مبادئ القوة الهمجية) التي تتبناها الفاشية والنازية، سينهار النظام المتمدن المستنير وتعود أوروبا إلى نظم العصور الوسطى".[٢٧]

مع تصاعد الحرب بين الديمقراطيات الليبرالية والديكتاتوريات الفاشية نتيجة للأعمال التوسعية لألمانيا في ١٩٣٨-١٩٣٩، أخذ المثقفون المصريون يدركون شيئا فشيئا أن أطماع النازي الإقليمية وعدوانيته الدولية أصبحت الخطر الأكبر الذي يواجه العالم. وكانت تعليقاتهم على الأزمات الدولية المتتابعة في ١٩٣٨-١٩٣٩ ـ ضم ألمانيا للنمسا في مارس ١٩٣٨؛ مواجهة الصيف حول سوديتنلاند

في تشيكوسلوفاكيا التي تصاعدت في أزمة سبتمبر؛ هزيمة الوطنيين للجمهوريين في إسبانيا أوائل ١٩٣٩؛ استيلاء ألمانيا على مؤخرة تشيكوسلوفاكيا، والتي تلاها مباشرة غزو إيطاليا لألبانيا في ربيع ١٩٣٩؛ وأخيرا، الأزمة المتصلة بوضع مدينة دانزيج في صيف ١٩٣٩ والتي أسفرت عن هجوم ألمانيا على بولندا ونشوب الحرب العالمية الثانية — تجمع بقوة على أن ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية تشكلان خطرا داهما على الاستقرار والسلام العالمي، وخطرًا على مصر درؤه بالانضمام إلى البلاد الديمقراطية الليبرالية التي تمثل، برغم تخبطها الدبلوماسي، أفضل الآمال لمستقبل العالم، والخيار الواقعي الوحيد لمصر والمشرق العربي.

كان "سجل الأيام"، الذي ينشره سامي الجرديني في الهلال، تعليقًا شهريًا على الشئون الجارية. وكان يعد مؤشرا جيدا على موقف المجلة من الأزمات الدولية التي شهدتها تلك الفترة. وفي مارس ١٩٣٨، قاد دمج ألمانيا للنمسا في الرايخ الثالث الجرديني إلى استنتاج متشائم بخصوص أهداف ألمانيا النازية الإمبريالية. وحذر من أن حلم هتلر بإقامة إمبراطورية ألمانية كان في طريقه للتحقق. وأصبح "(الخطر الألماني)" خطرا داهما. ومذكرا قراءه بنضال هتلر الطويل للإطاحة بترتيبات فرساي للسلام، حذر الجرديني من أن "(همجية العنصر الألماني)" تهدد الاستقرار الآن في أوروبا والعالم. وكتاب كفاحي لهتلر، "الكتاب المقدس" لألمانيا النازية، يضع "ألمانيا فوق الجميع"؛ وها هي سياسة النازي الخارجية تسعى إلى تطبيع تلك الرؤية. وهدف ألمانيا بتحقيق "وحدة الجنس الألماني تحت راية دولة واحدة" لا يعرف حدودا أو قيودًا. ويرى الجرديني أن هتلر يتفانى في تحقيق الأطماع التاريخية لألمانيا الإمبريالية، وهو الهدف الذي يعكس التطلعات القديمة للأمة الألمانية ويحظى لذلك بدعم ومساندة الشعب الألماني.(٢٨)

في منتصف ١٩٣٨، كانت نظرة الجرديني للموقف الدولي متشائمة. كان الاستقطاب بين الديمقراطيات والديكتاتوريات الأوروبية عميقا، وخلف تلك المواجهة بين "الحرية" و"الطغيان"، هناك نضال إضافي يدور بين "الديكتاتورية النازية" و"الديكتاتورية البلشفية". ولا يرى الجرديني، الداعم للديمقراطية الليبرالية والذي يؤمن "بالتحرر وحرية التفكير والتعبير في الأمور السياسية وغير السياسية على حد سواء، فرق كبير بين الأنظمة الديكتاتورية الحاكمة في ألمانيا وإيطاليا وروسيا. وعلى الرغم من أن هتلر كان يشن "حربًا كلامية" ضد البلشفية، فـ"البلشفية" هي في الحقيقة "شكل آخر من الاشتراكية المتطرفة التي تضحي بالفرد على مذبح الدولة". ومن ناحيتهما، "تقوم الفاشية والنازية أيضا على المبدأ نفسه ـ تأليه الدولة وذوبان شخصية الفرد في الدولة". والصراع بين الفاشية والشيوعية لا ينبع من العقيدة وإنما يعود إلى تصادم المصالح وصراع حكام عديمي الرحمة على السلطة. ومنذ منتصف ١٩٣٨، كان الجرديني يتنبأ بأن يؤدي تقاطع التوترات في القارة إلى صراع مسلح في المستقبل القريب.(٢٩)

وكانت هناك ردود أفعال مشابهة في تعليقات الهلال تجاه "الحرب المستعرة بين المعسكرين الديمقراطي والديكتاتوري". وهناك مقال في أغسطس يحلل المناورات الدبلوماسية حينها بين الدول الأوروبية. وانتقد المقال "المحور الديكتاتوري، محور روما ـ برلين"، على استفزازاته الدولية، وأشاد بالإدراك المتنامي من جانب المعسكر الديمقراطي، خاصة بريطانيا العظمى، للمخاطر التي تفرضها تلك الأعمال العدوانية. وذكّر المقال بالأزمات الكثيرة التي يحتمل أن تواجهها الأجندة الدولية في صيف ١٩٣٨ ـ مطالب هتلر في تشيكوسلوفاكيا وسوديتنلاند؛ الوجود العسكري الإيطالي المكثف في البحر المتوسط الذي يشكل خطرا على مصر والشرق الأوسط؛ الحرب الأهلية في إسبانيا، التي كانت أيضا

ساحة للصراع بين المعسكرين ـ ونبه إلى أن الصراع بين الديمقراطيات والديكتاتوريات آخذ في التصاعد. وعلى بريطانيا العظمى وفرنسا اتخاذ القرار الحاسم: هل يمكن تفادي الخطر الذي يهدد النظام الدولي "من خلال المناورات الدبلوماسية، أم أن الأساليب الفاشية المعروفة ـ الاستفزاز، والتلاعب، والمغامرة، والهجوم المفاجئ ـ ستضطرهما في النهاية، ورغما عنهما، إلى الدخول في حرب عظمى" دفاعا عن الحرية والديمقراطية؟".[٣٠]

كان للأزمة الممتدة حول مصير سوديتنلاند التي توجت بمعاهدة ميونيخ التي تكافئ ألمانيا بالمنطقة المتنازع عليها أثرها في تضاعف الحذر في مصر. وفي استعراض للموقف الدولي عشية معاهدة ميونيخ حاول رئيس تحرير الرسالة، محمد حسن الزيات، وضع الأزمة التشيكية في سياق الصدام الأيديولوجي بين الديمقراطية والديكتاتورية. فقد أقامت البلاد الديمقراطية، التي خرجت منتصرة من الحرب العالمية الأولى، ما أملت في أن يكون "نظام سلام" للعالم. وهذا النظام العالمي مهدد بالانهيار الآن على يد "(الطغيان المطلق)" لإيطاليا الفاشية وألمانيا النازية. إن الديمقراطية في موقف الدفاع أمام هذا التحدي، وعليها الدفاع عن وجودها وبقائها كنظام عالمي مستنير.[٣١]

لم يشذ الزيات في موقفه عن زملائه في سبتمبر ١٩٣٨. فمن ناحية، لم يحدوه كثير أمل في أن تتمكن البلاد الديمقراطية من قمع شهية النازي للتوسع في تشيكوسلوفاكيا، ورأى أن الجهود الدبلوماسية الغربية لن تكون أكثر من "رشاش ماء ضعيف أمام حريق ضخم". وهو يرى أن الضعف والعجز الذي أبدتاه بريطانيا العظمى وفرنسا خلال الأزمة هو المسئول إلى حد كبير عن تدهورها الذي يهدد بنشوب الحرب. ومن ناحية أخرى، أدان الزيات أيضا ألمانيا النازية لاعتدائها غير المبرر سعيا وراء التوسع الإقليمي. واحتفظ الزيات بأقسى تعبيراته البلاغية لهتلر،

الذي فتح "(فاهه الجهنمي)" ليلتهم إحدى جارات ألمانيا. لا أحد يمكنه الآن الوقوف أمام اندفاعات هتلر العدوانية. وقارن الزيات الديكتاتورية الاستبدادية المعاصرة وبين "حقن إنسان متنور ومتحضر بمرض الهمجية"؛ شيء أشبه ـ "سعار الكلب". وبالأسلوب النيوكلاسيكي المزدهر الذي يفضله الزيات، كانت أزمة ميونيخ تشكل تهديدا بعودة الإنسان إلى حال البدائية يقف فيها "إنسان القرن العشرين"، الذي حقق تلك الإنجازات العلمية والثقافية المدهشة، والذي "ينسى الآن كل شيء ويعود إلى برية الصخور المقفرة المظلمة التي طرد إليها أسلافه من جنة عدن، عاريا ومجردا من كل المدنية المجيدة، بروح مفرغة من النبل جلبتها الأديان، ومشاعر مستنزفة من أمجاد وجمال الحضارة. وهو مطأطئ رأسه فوق فريسته الدامية، يسيل لعابه، وخنجره يقطر دما".(٣٢)

اعتبرت الهلال معاهدة ميونيخ في سبتمبر ١٩٣٨ وما تبعها من ضم سوديتنلاد إلى ألمانيا تصعيدا، وليس حلا، للتوتر على الساحة الدولية. لم تفعل ميونيخ أكثر من زيادة نفور المجلة من الأساليب العدوانية للدول الفاشية. ومن جانبه، اعتبر إبراهيم المصري أن معاهدة ميونيخ فشلا. وأن المواجهة بين الديمقراطية والديكتاتورية كانت نتيجتها صفرية: "في كل مرة يسجل فيها التاريخ فشلا للديمقراطية، يسجل نصرا للديكتاتورية". وهكذا، لم تعمل ميونيخ على تهدئة التوتر الدولي بل أدت بالأحرى إلى تصعيده لأن عبرها "ظهر الديكتاتوران، هتلر وموسوليني"، كمنتصرين. فاعتراض البلاد الديمقراطية المضلل على هتلر ومطالبه "مضى طويلا في طريق استرضاء الديكتاتورية، ثم المساومة والاستسلام في نهاية المطاف، وهذا يجبرهم الآن على الاختيار الصعب بين أحد أمرين صعبين: الخضوع المطلق أو الحرب الشاملة". ولابد أن الديكتاتوريات رأت في ضعف إرادة الدول الديمقراطية في ميونيخ فرصة للمزيد من المطالب، ولـ "حملة

انتصارات متواصلة للديكتاتورية على الديمقراطية". ونهم الديكتاتورين للأراضي لا يعرف حدودا. كانت ميونيخ بحق نذيرا بمستقبل كارثي: "الحقيقة المرة هي أن مصير أوروبا والعالم عقب سياسة تشامبرلين خلق موقفا ترتبط فيه أوروبا بمشاعر الجبهة الديكتاتورية"، وهو موقف يمكن أن يؤدي إلى "حرب مرعبة لم يعرف التاريخ لها مثيلا!".(٣٣)

ومنذ ذلك الحين وشبح معاهدة ميونيخ يطارد المثقفين المصريين. وتعيد مقالة نشرت في الرسالة في أغسطس ١٩٣٩، عشية الحرب، طرح موضوع ميونيخ. ونعت المقالة النتائج التي تمخضت عن ميونيخ العام السابق وانهيار "عزم بريطانيا العظمى وفرنسا" أمام تهديدات هتلر. وعزت الصحيفة عجز البلاد الديمقراطية في ميونيخ في جانب منه إلى قصور قوتها العسكرية. فقد حشدت ألمانيا النازية مجهودا عسكريا ضخما لتعزيز جيشها عددًا وعتادًا. "هتلر يفهم معنى الجيش وقيمته للدولة، وأوكل إليه مسئولية تشكيل وتعزيز الروح الذكورية والقوة بين الألمان، وعلمهم أن يكونوا على استعداد للموت في أي لحظة إذا اقتضت الضرورة". في ميونيخ، أرعب هتلر تشامبرلين بالتهديد بإشعال حرب في وقت الديمقراطيات الغربية فيه غير مستعدة لها. وقدمت الرسالة صورة بغيضة للزعيم البريطاني "الذي لن يسامحه العالم على سلوكه الغريب في المسألة ... لن ينسى أبدا الصورة التي التقطت لتشامبرلين، رئيس الوزراء البريطاني، وهو يخرج من سيارته بعد عودته من ميونيخ ويلوح بوثيقة كتب عليها: "حققنا السلام للعالم". وأدانت المجلة البلاد الديمقراطية الغربية لعدم انتباهها بالقدر الكافي للاستعداد عسكريا. فعلى عكس استعدادات ألمانيا العسكرية الكثيفة، أصاب بريطانيا العظمى وفرنسا "الخمول والضعف". الأولى "رضيت بالبقاء بجيشها الصغير"؛ والأخيرة "برغم جيشها الكبير، تقف مشلولة في وجه الفوضى الشاملة" في أوروبا التي أدت

إليها المبادرات النازية الأخيرة. كانت البلاد الديمقراطية ببساطة لا تدرك تماما أهمية القوة وحتى تتمكن من الدفاع عن قيم الديمقراطية في وجه الشمولية الفاشية لا مفر من الجاهزية العسكرية.[٣٤]

وبينما اعتبرت عدوانية النازي وتوسعيته الخطر الرئيسي على سلام العالم، كان المثقفون المصريون على دراية كذلك بالخطر الأكثر اقترابا من مصر والشرق الأوسط الذي تفرضه الأطماع الاستعمارية لإيطاليا الفاشية. وفي ديسمبر ١٩٣٨، وأمام الجهود الإيطالية التي تكثفت مؤخرا "لتوثيق العلاقات الثقافية بين مصر وإيطاليا، خاصة في مجال التعليم"، حذرت الرسالة قراءها بأن علينا أن "نكون حذرين ويقظين". وفي إيطاليا الفاشية، فإن الثقافة والدين والأدب "في خدمة السياسة". والمخططات الاستعمارية الإيطالية في الشرق الأوسط معروفة تماما. وعلى المصريين الحذر من التعاون الثقافي مع إيطاليا، "التي تتبنى سياستها الخارجية غزو الشرق وإعادة تشييد الإمبراطورية الرومانية بعد ضم واستعباد الشعوب الشرقية". واعتبرت الرسالة عرض إيطاليا إرسال المعلمين الإيطاليين إلى المدارس المصرية "جزءا من السياسة نفسها، جزءًا من منظومة كاملة من الأساليب تستغلها الدعاية الإيطالية لتمهيد الطريق أمام الإستراتيجية الفاشية (للتوسع)".[٣٥]

توازت آراء الهلال والرسالة النقدية للسياسة الخارجية الفاشية والنازية مع المجلة الجديدة في أواخر ١٩٣٨. وبالنسبة لسلامة موسى، كان الفرق الحاسم بين "الدولة الشمولية" و"الدولة الديمقراطية" يتمثل في سلوكهما الدولي. والاستبدادية الشمولية تقيم سياستها الخارجية على العدوان في الخارج. وأصبح موسى، بعد أزمة ميونيخ في ١٩٣٨، ينظر إلى ألمانيا النازية من منظور جديد، حيث يرى أن "هدف الدولة الشمولية تعظيم السلطة في طريقها إلى الحرب". وفي ألمانيا النازية،

كان الإصلاح الداخلي يخدم التوسع الاستعماري. وكان هتلر مهووسا بـ "الاستعدادات المادية والعقلية" للحرب المقبلة، استعدادات تجاوزت إنتاج أسلحة جديدة وخطط للعمليات إلى تجنيد الشباب الألماني في منظمات شبه عسكرية بهدف إعدادهم للحرب. كان شعار ألمانيا النازية: "السلاح قبل الزبد". وكل هذا يتناقض بشدة مع أولويات الدولة الديمقراطية: "الدولة الديمقراطية تسعى دائما إلى توفير الزبد، أي إعطاء الأولوية لإنتاج وتوزيع الغذاء قبل أي شيء آخر". وهكذا، بينما كانت ألمانيا النازية تنفق الأموال الطائلة على إنتاج أسلحة جديدة، كانت أمريكا في فترة ما بعد الكساد تنفق الملايين لتوفير الغذاء لفقرائها. وعلى المستوى الأيديولوجي، كان هوس ألمانيا النازية بالعسكرية والإعداد للغزو يتناقض بشدة مع رعاية أمريكا للتعاون السلمي الدولي: "في الوقت الذي أنتجت فيه ألمانيا هتلر، داعية الحرب، أنتجت الولايات المتحدة ويلسون، واضع فكرة عصبة الأمم".[٣٦]

في مقال يقارن بين مزايا وعيوب القومية والأممية، يكمل نيقولا يوسف انتقادات موسى لعدوانية الفاشية والنازية المعاصرة من خلال المقارنة بين وطنية جوسيبي ماتزيني الأممية، التي تدعو إلى تحرر إيطاليا الوطني والرفاه الإنساني ككل، وبين وطنية موسوليني المعادية للعالمية. وكان رأي يوسف في هتلر والنازية سلبيا أيضا. ومستشهدا بما جاء في كتاب كفاحي، "يمكن تحقيق العظمة الحقيقية في هذا العالم من خلال الغزو بالقوة"، يستنكر يوسف هذه الوطنية العسكرية ويصفها بالشوفينية. وهدف المجتمع الحديث والمستنير الحقيقي يجب أن يكون إقامة "إمبراطورية الإنسانية"، لا "إمبراطورية وطنية".[٣٧]

وقد تكثف الفهم الذي عبر عنه المثقفون المصريون بشأن الموجة الفاشية التي شملت أوروبا في ١٩٣٩. وقدمت مجلة الثقافة، التي بدأت تصدر في يناير ١٩٣٩، تغطية منتظمة للصراع الدولي الدائر بين ما أسمته "(المعسكر

الديكتاتوري)" و"(المعسكر الديمقراطي)".[٣٨] كان هذا "الصراع الجبار بين العمالقة"، حسب تعبير المحرر السياسي للمجلة، "أخطر الصراعات التي عرفها العالم بين نظامين سياسيين واجتماعيين"؛ وكان "محور السياسة الأوروبية، بل السياسة العالمية في حقيقة الأمر".[٣٩] وفي استعراضها الافتتاحي للساحة الدولية، قدمت مجلة الثقافة الأزمة الراهنة الناجمة عن معاهدة ميونيخ بوصفها مجرد مرحلة في المواجهة الدولية المتفاقمة التي بدأت في منتصف الثلاثينيات والتي أسفرت عن "النصر تلو النصر للديكتاتورية، والهزيمة تلو الهزيمة للديمقراطية". فنجاح ألمانيا في إعادة تسليح منطقة الراين؛ وغزو إيطاليا لإثيوبيا؛ واستيلاء ألمانيا على النمسا؛ ومعاهدة ميونيخ التي مهدت الطريق لانهيار جمهورية التشيك؛ وانتصار فرانكو القريب في الحرب الأهلية الإسبانية؛ وقيام المحور بين ألمانيا وإيطاليا، وسياسة "التهديد والتحدي والاستفزاز"؛ كل هذه الانتصارات للقوى الفاشية أخلّت بميزان القوى بين المعسكرين المتعارضين لصالح "المعسكر الديكتاتوري". أصبحت الديمقراطية في وضع الدفاع، ومضطرة للدفاع عن وجودها واستمرار تقدم العالم ككل.[٤٠]

ونحت الثقافة باللائمة في الأزمة على المعسكر الديكتاوري بالأساس. فألمانيا وإيطاليا واليابان "تتطلع إلى تحقيق أهدافها الاستعمارية" سواء في أوروبا أو البحر المتوسط أو الشرق الأوسط أو آسيا؛ "هذا هو السبب الحقيقي للتحالف فيما بينها". ورأت المجلة بشكل خاص أن السياسة العدوانية والتوسعية التي تنتهجها إيطاليا وألمانيا "من المتوقع أن تشعل حربًا عالمية جديدة". لكن الثقافة انتقدت أيضا الموقف المتخاذل للديمقراطيات الغربية. في ميونيخ، كانت تشيكوسلوفاكيا هي الضحية التي قدمت لألمانيا من أجل الحفاظ على السلام. لكن الهدوء المنشود كان وهما. فما حدث في ميونيخ هو أن "الديكتاتورية حققت نصرا سريعا بينما منيت

الديمقراطية بهزيمة شاملة ومذلة". وفي حين أن ميونيخ "ربما كانت النهاية المأساوية لكارثة تشيكوسلوفاكيا، فهي مجرد بداية لكارثة أكبر وأكثر رعبا وخطرا من كل ما عداها، كارثة القارة الأوروبية". إن النتائج المخيفة لميونيخ أصبحت واضحة بالفعل: بينما تبنت الدول الديمقراطية "سياسة الخضوع والإذعان"، كانت ألمانيا النازية تستكمل إستراتيجيتها "لإحكام سيطرتها على قارة أوروبا كلها". ويبدو أن ديمقراطيات الغرب البرلمانية عاجزة عن اتخاذ موقف حازم؛ استغلت البلاد الديكتاتورية، التي يحكمها ويتخذ القرار فيها شخص واحد، الضعف البنيوي للحكم البرلماني أيما استغلال. ويبدو أن الديمقراطية "تخرج من هزيمة لتدخل في أخرى؛ وكل أزمة تنتهي بالمزيد من الاستسلام والخضوع من جانبها".[٤١]

لكن على الرغم من الصورة الكئيبة التي قدمتها الثقافة، فإنها لم تفقد كل الأمل في إمكان نجاح الديمقراطية في نهاية المطاف في مواجهتها للديكتاتورية. ورفضت المجلة الروح الانهزامية والمتسرعة، التي توصلت إلى أن الأزمة الدولية كانت علامة على "انهيار الديمقراطية". وكانت على قناعة بأن القوى الديمقراطية، بقيادة بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة ("التي تعتبر اليوم أقوى دولة في العالم")، يمكنها قلب المسار والنجاح في التصدي لمعسكر الديكتاتورية. فالمعسكر الديمقراطي يتمتع بالقوة المادية والكيفية التي تفتقر إليها الديكتاتوريات؛ اقتصاد وموارد بشرية أكبر يمكن حشدها لدعم الديمقراطية، والقدرة على الفوز بسباق التسلح مع النظم الديكتاتورية وإحراز التفوق العسكري في النهاية في حال نشوب حرب. ومع موقفه الدفاعي الحالي، فإن "الوقت لصالح" المعسكر الديمقراطي و"موارده الضخمة هي الضمان الأكيد لتفوقه في الصراع العسكري العالمي بعيد المدى".[٤٢]

شهدت الأشهر الأولى من ١٩٣٩ المزيد من النكسات للمعسكر الديمقراطي. وبالنسبة للمجلة الجديدة، كان دخول الوطنيين الإسبان برشلونة في يناير ١٩٣٩،

الذي بشر بالانتصار القادم للوطنيين في الحرب الأهلية الإسبانية، تطورًا محبطًا، و"فصلاً جديدًا في مأساة السياسة الأوروبية". واعتبرت الصحيفة، التي ساندت طوال الحرب القضية الجمهورية، انتصار فرانكو تحولاً سلبيًا في ميزان القوى الأوروبي لصالح القوى المعادية للديمقراطية التي تتخذ حاليا وضع الهجوم على الديمقراطية. ومشيرة إلى معاهدة ميونيخ في العام السابق وما ترمي إليه من ردع التوسعية الفاشية عبر الوسائل الدبلوماسية، كان تقييمها هو أن "الحديث عن حفظ السلام أصبح كلاما فارغا ... فقد ماتت عصبة الأمم". وهزيمة القوات الديمقراطية في اليونان تعني تقويض الديمقراطية في حوض المتوسط، وهو حدث يحمل تأثيرا معاكسا محتملا على مصر، بعد أن تغير ميزان القوى".[٤٣]

وخصصت الهلال عددا من مقالاتها في الأشهر الأولى من عام ١٩٣٩ للتحذير من تهديد الفاشية لاستقرار العالم وسلامه. وفي أوائل العام، صاحب انتقاد العقاد للطابع الشمولي للسياسة الفاشية الداخلية توجيه الدعوة إلى العرب لدعم جهود البلاد الغربية لمقاومة العدوانية الفاشية الدولية. وقدم العقاد تحليلا منطقيا نفعيا للماذا على الدول العربية مساندة بريطانيا العظمى وفرنسا حال قيام الحرب. كان من رأي العقاد أن العالم العربي بحاجة إلى تمتين علاقاته بالدولتين الديمقراطيتين كمحاولة لاستغلال الوضع الدولي المشحون للإعلاء من شأن المصالح القومية العربية. كانت الأزمة الدولية فرصة لتعزيز أهداف الحرية والاستقلال العربي، ولزيادة وزن الدول العربية على الساحة الدولية، وتقوية العلاقات بين البلاد العربية، وكذلك تعزيز تعاونها مع العالم المتقدم. وتوقع أن تعمل التوترات الدولية الراهنة على تعزيز "العلاقات الطيبة بين البلاد العربية والقوتين العظميين؛ بريطانيا العظمى وفرنسا"، وهكذا تتحقق المصالح المشتركة للجانبين، فدعم الديمقراطيات الغربية يخدم قضية الاستقلال العربي.[٤٤]

وفي مقال في فبراير بعنوان "تقدم ألمانيا نحو الشرق"، يحذر إبراهيم المصري المصريين من أن أطماع ألمانيا الاستعمارية يدفعها باتجاه البلقان ثم نحو البحر المتوسط والشرق الأوسط. وتوضح الخريطة المصاحبة للمقال النشاط التوسعي لألمانيا النازية. وبعد ضم النمسا وسوديتنلاند في ١٩٣٨، أصبحت ألمانيا دولة تضم ٨٠ مليون نسمة، وأتاحت معاهدة ميونيخ لها الفرصة للمزيد من التوسع الاقتصادي في شرق أوروبا. وبعد ميونيخ، أصبحت مؤخرة تشيكوسلوفاكيا "من المنظور الاقتصادي تحت رحمة ألمانيا". والرايخ الثالث يواصل ضغوطه على تشيكوسلوفاكيا، ويهدد وجودها كدولة مستقلة. وبصورة أعم، أخلت الأهداف التوسعية لألمانيا بتوازن القوى الدولي، وأدخلت العالم في حلقة من التوتر المتصاعد. ويرى المصري أن هذا النزوع التوسعي سوف يضطر ألمانيا النازية إلى "التوسع باتجاه جنوب غرب أوروبا" ومن هناك ستشكل تهديدا حقيقيا للمشرق العربي. [٤٥]

بعد ذلك بشهر، عبر سامي الجرديني في تناوله لسياسة ألمانيا الخارجية العدوانية عن خشيته الواضحة من نوايا النازي في السيطرة على العالم. وقد أصبح هتلر يتحكم في مسار الأحداث على الساحة الأوروبية. وقوته السياسية والعسكرية آخذة في النمو بحيث يمكنه، إن أراد، أن "يقلد نابليون" ويتوسع في أكثر من اتجاه، بما في ذلك الشرق الأوسط. أصبحت عدوانية ألمانيا الدولية تشكل تهديدا مباشرا للوضع الدولي لبريطانيا العظمى ا. والأخيرة تواجه الآن لحظة الحسم: إما أن تتحلى الإمبراطورية البريطانية بالشجاعة، وتتصدى "للدفاع عن كل أرجاء العالم" المهددة من جانب هتلر والنازية، و"أن تتعلم كيف تهزم العدو" وإلا "لن يكون لها وجود". [٤٦]

عندما كتب عن الموضوع نفسه في الهلال، كان نيقولا حداد لاذعا في إدانته لموسوليني وهتلر، وأطلق عليهما "تجار الموت الذين يجرون الشعوب إلى الحرب".

وحذر في مارس ١٩٣٩ من أن "السلام العالمي في خطر". وهو يرى أن الفاشية والنازية تحتاجان إلى الحرب كي تحافظا على هويتهما الديكتاتورية. ولولا حرب إثيوبيا، لما بقي موسوليني في الحكم؛ كان بحاجة إلى جيش قوي لتعزيز ديكتاتوريته الشخصية. وبالطريقة نفسها "لم يكن من الممكن أن يبقى هتلر يومًا واحدًا لولا تصرفاته المغامرة والاستفزازية بتمزيقه معاهدة فرساي إربا واستعادته للمناطق التي فقدتها ألمانيا في الحرب العظمى". كان التوسع ضروريا للحفاظ على زخم زعامة هتلر؛ "كانت ديكتاتوريته ذاتها تعتمد على التحريض الدائم على الحرب".[٤٧]

اعتبر المصريون النتيجة النهائية للحرب الأهلية في إسبانيا في مارس ١٩٣٩ انتصارا دوليا آخر للمعسكر الديكتاتوري. وفي تعليق لمجلة الثقافة بعنوان "المأساة الإسبانية"، أدان عوض محمد عوض دعم إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية لقوات فرانكو والذي ضمن انتصار الوطنيين على الجمهوريين. ويرى عوض أن إسبانيا الوطنية اعتمدت على إيطاليا بالأساس، وكان من الممكن لإيطاليا أن تحث إسبانيا، التي سرعان ما استوعبتها الحرب الأهلية، على لعب دور أكثر فعالية على الساحة الدولية إلى جانب إيطاليا وألمانيا. ما الثمن الذي طلبته إيطاليا من فرانكو بعد أن ساعدته في الفوز بالحرب؟ هل أصبحت إسبانيا تدور في فلك إيطاليا؟ وعلى الرغم من تعبيره عن الأمل في أن تقاوم إسبانيا، "المعروفة بكراهيتها للنفوذ الأجنبي"، الهيمنة الإيطالية وتنتهج سياسة خارجية مستقلة، لم يكن عوض على يقين من أن تنهج إسبانيا هذا النهج. وبينما يدعو إسبانيا إلى "الاحتفاظ بمسافة من مشاكل أوروبا المؤلمة"، عبر عن تخوفه من احتمال أن تزيد المأساة الإسبانية المعسكر الديكتاتوري قوة.[٤٨]

بعد ذلك بشهر، صاغت الثقافة مخاطر تعزيز النفوذ الإيطالي بتعبيرات أشمل؛ فالنظرة الإيطالية التي ترى أن "البحر المتوسط بحر روماني – إيطالي، "

وأن المناطق المحيطة بسواحله "(منطقة حيوية)" لمجد إيطاليا الوطني ، تعززت بانتصار فرانكو في الحرب الأهلية. وكان هذا النصر للفاشية، إلى جانب استيلاء ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا في مارس، دليلا على عجز الدول الديمقراطية، وحافزًا لإيطاليا كي تحقق رؤيتها بفرض هيمنتها على البحر المتوسط. وتطلع الدوتشي إلى فرض هيمنته على البحر المتوسط يحول مسألة السيطرة على المتوسط إلى مسألة دولية و"مصدر للخطر على السلام العالمي".(٤٩)

عزز ابتلاع ألمانيا لمؤخرة تشيكوسلوفاكيا في مارس ١٩٣٩ الفهم السائد بين المصريين للنوايا التوسعية لألمانيا النازية. وأشارت الثقافة في افتتاحيتها تعليقا على الحادث إلى أنه في خلال عام أو اثنين، هناك دولتان مستقلتان في وسط أوروبا، هما النمسا وتشيكوسلوفاكيا، "سقطتا فريسة لولع ألمانيا بالتوسع". كان تعاطف المجلة مع تشيكوسلوفاكيا واضحا. وترتب على اعتزام هتلر اللجوء إلى القوة المسلحة لخلق مجال حيوي لألمانيا "كارثة ومأساة مروعة على تشيكوسلوفاكيا". ومرة أخرى، وقفت القوى الديمقراطية عاجزة عن مواجهة العدوان النازي. وكان ابتلاع هتلر لتشيكوسلوفاكيا "نتيجة مباشرة" لسياسة الترضية العقيمة التي انتهجتها الديمقراطيات الغربية منذ معاهدة ميونيخ. ومكررة موقفها السابق بأن "مؤتمر ميونيخ كان كارثة حقيقية للديمقراطية ولأوروبا، وفاتحة عهد جديد وخطير من التوسع الألماني". توقعت المجلة أن يواصل هتلر توسيع الرايخ الثالث إقليميا. كان تعزيز "مجال ألمانيا الحيوي" هو هدف هتلر النهائي. وإنهاء استقلال تشيكوسلوفاكيا يجب أن يضع حدا لوهم اعتدال ألمانيا النازية. وأعلنت المجلة أن "ألمانيا النازية لا تعرف غير لغة القوة، وهي لن تتوقف إلا بقوة ساحقة ماحقة". وعليه، دعت الثقافة المعسكر الديمقراطي إلى "حشد كل قواه" لانتهاج سياسة ردع حاسمة أمام "حملة ألمانيا الهتلرية العسكرية والاقتصادية للتوسع الاستعماري".(٥٠)

اعتبرت افتتاحية المجلة الجديدة في أبريل أن ابتلاع ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا المستقلة مجرد خطوة إضافية على طريق التوسع الاستعماري. وذكرت المجلة قراءها بأنه قبل عام بالضبط، في مارس ١٩٣٨، ضمت ألمانيا النمسا من طرف واحد. والآن، بعد أن دخل الألمان براغ وأحكموا سيطرتهم على تشيكوسلوفاكيا، "لا يمكن لأحد أن يتنبأ بالعاصمة الأوروبية التي سيقرر هتلر غزوها العام القادم، أو قبل ذلك". وقد ارتفع تعداد ألمانيا بعد ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا من ٨٠ مليون نسمة إلى ٩٥ مليونًا، ما يعني أن "ألمانيا الجديدة أكبر وأقوى دولة" في غرب أوروبا ووسطها. "الأعمى فقط هو من يعتقد بأن ألمانيا ستهدأ أو تكتفي بغزو تشيكوسلوفاكيا ومحوها من الخريطة"، كما قالت المجلة. وفي كل الأحوال، فإن "حملة العدوان الألماني" ستتجه بعد ذلك نحو البلاد الأصغر كرومانيا باحتياطياتها الغنية من النفط أو حتى أوكرانيا بإنتاجها الزراعي الوفير.(٥١)

وجاء غزو إيطاليا لألبانيا في منتصف أبريل ليقدم دليلا إضافيا على الدينامية التوسعية المتأصلة في الديكتاتوريات الفاشية. وبالنسبة للمجلة، كان لجوء إيطاليا إلى العدوانية المفرطة لغزو "بلد ضعيف وشجاع" وتحويله إلى محمية إيطالية يكشف بجلاء عن الطبيعة العسكرية والاستعمارية لأطماع إيطاليا الفاشية. وقد زادت حالة ألبانيا كدولة صغيرة، وذات طابع إسلامي كذلك، من التطابق مع حالة مصر. وحسب المجلة، فإن العالم الإسلامي أصيب بالصدمة من "إنهاء (إيطاليا) لاستقلال ألبانيا بطريقة عنيفة وبغيضة". والبلاد الإسلامية "خاصة البلاد الإسلامية في البحر المتوسط"، بحاجة إلى النظر إلى هذا التصرف الوحشي كـ "علامة تحذير جديدة تكشف عن حقيقة السياسة الفاشية وعن حقيقة نواياها والأساليب التي تتبعها". المثال الألباني يكشف عن النوايا الحقيقية لموسوليني؛ كان "(مفترسا)" يلتهم الدول الصغرى في سعيه اليائس لمنافسة انتصارات هتلر الإقليمية. المغامرة الإيطالية في ألبانيا أثبتت أن إيطاليا الفاشية "تتبع طريق النازي للتوسع الإقليمي والاحتلال".(٥٢)

وعند تعليقه على غزو ألبانيا في مجلة الثقافة، قدم محمد عوض محمد تقييما شاملا لما ينبغي أن تتبناه سياسة مصر الخارجية تجاه الموقف الدولي الراهن. فمصر، كما يرى، لا يمكنها أن تتجاهل الأزمة المؤسفة التي تواجهها الساحة الدولية. وأمثلة إثيوبيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا، وحقيقة أن "لأكثر من مرة، تُركت بلاد صغيرة لمصيرها"، تستوجب قلق مصر. الخطر الآني على مصر يأتي من جانب إيطاليا الفاشية ورغبتها في الهيمنة على البحر المتوسط، وكذلك السيطرة على قناة السويس، وهي جزء لا يتجزأ من مصر. وعندما تسنح الفرصة، لن تتردد إيطاليا عن تحدي بريطانيا العظمى باعتبارها الدولة المهيمنة في مصر. وحلل عوض الخطر الذي تمثله إيطاليا بوضعها العسكري في ليبيا وبطول حدود مصر الغربية، وقوة الجيش الإيطالي، والأطماع التوسعية الواضحة للنظام الإيطالي. ورغم معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا العظمى وبنودها المتعلقة بالدفاع عن مصر، فلم يكن عوض على قناعة بأن مصر آمنة من العدوان. فترتيبات بريطانيا العسكرية في مصر حاليا هزيلة؛ ومسألة كفايتها للدفاع عن مصر موضع شك. وبشكل أعم، "نحن نعيش في عصر يتسم بتمزيق المعاهدات وانتهاك التحالفات". وهو يرى أن من الضروري لمصر أن تعزز استعداداتها العسكرية، وأن تقيم قوة عسكرية مستقلة قادرة على الدفاع عن البلاد تحسبا لأي عدوان إيطالي. "لا يمكننا أن ننكر أننا نعيش أصعب الأوقات وأقساها، أوقات لم يعد بمقدور الدول الصغيرة أن تنعم بالأمن والهدوء". وليس أمام مصر خيار سوى تحمل مسئولية مصيرها، و"تحمل عبء الدفاع عن نفسها وعن أرضها".(٥٣)

كانت الهلال أيضا، في ربيع ١٩٣٩، يساورها القلق من الاستعمار الفاشي والنازي. وفي أبريل، كررت المجلة تحذيرها السابق من أن خطر الأطماع الاستعمارية لموسوليني الذي يهدد مصر بالفعل زاد بفضل تعزيز محور روما — برلين مؤخرا. وكانت "الدول الضعيفة"، ومن بينها الدول العربية، هي أكثر ضحايا

المحركات الاستعمارية للقوتين الفاشيتين.(٥٤) وفي مايو، وتحت عنوان "لا صداقة بين الإسلام والإمبريالية"، قيمت الصحيفة آخر الأعمال العدوانية الإيطالية من منظور إسلامي صرف، مشيرة إلى أن غزو ألمانيا يقدم دليلا لا يُدحض على أن الإمبريالية الإيطالية تشكل خطرا حقيقيا على المسلمين. ويرى المقال أن على العالم الإسلامي ألا ينخدع بالمزاعم الفاشية والنازية بأنهما كانتا "تحاربان دولتين استعماريتين، إنجلترا وفرنسا"، وبذلك تعتبران حليفتين للمسلمين في كفاحهم ضد الاستعمار. فاستعمار الفاشيين والنازيين الجديد أشد سوءا من الدولتين الاستعماريتين القديمتين. وقد كشفت الإمبريالية الإيطالية عن وجهها القبيح بالحروب التي شنتها على "شعوب ضعيفة"، شعوب مسلمة وغير مسلمة، في ليبيا وإثيوبيا وألبانيا. وموسوليني هو "الإمبراطور الجديد، باعث المجد أو روما القديمة، يتوج رأسه تاجا إثيوبيا وألبانيا". وغالبا، سيكون هدفه الثاني تونس؛ كما أن له أيضا مخططات للسيطرة على قناة السويس. من جانبها، كانت ألمانيا "تطالب بمستعمرات بينما تقيم استعمارها على أسس النازية المبنية على كراهية وازدراء الأجناس الملونة". وحيث أن استعمار إيطاليا وألمانيا كان شكلا أكثر عنصرية وقمعية من الاستعمار وليس مجرد تقليد للنسختين الفرنسية أو البريطانية، "ليس أمام العالم الإسلامي من بديل سوى رفض استعمارهما واعتبار هذا الاستعمار عدوا ... لأن الإسلام ليس بينه وبين الاستعمار أي علاقات ودية".(٥٥)

كانت الأزمة التي قادت إلى حرب عالمية بين ألمانيا وبولندا حول مصير مدينة دانزيج. وفي مايو ١٩٣٩، رأت في الأزمة التي تتطور حول دانزيج مثالاً آخر على توسعية ألمانيا غير المبررة. وأشار المحرر السياسي للصحيفة الأسبوعية إلى أن "ألمانيا الهتلرية تواصل العمل عملا منظما، وبكل قوتها، لمحو أي أثر لمعاهدة فرساي". وبإعلان دانزيج مدينة ألمانية يتحدث معظم سكانها الألمانية، يعيد هتلر دورة أسلوبه الاستفزازي بتحريضه سكانها على الاحتجاج والعنف، وهو ما

من شأنه أن يضطر ألمانيا في النهاية إلى اللجوء إلى القوة العسكرية لاحتلال دانزيج. "سقط القناع عن وجه ألمانيا ... وظهرت نواياها الحقيقية للغزو والتوسع" بمطالبتها بدانزيج. وأضافت المجلة إن مطالب هتلر في بولندا لن تتوقف عند دانزيج؛ بعد دانزيج سيطالب بأجزاء أخرى من بولندا، مثل سيلسيا العليا البولندية، وهو ما سيؤدي في النهاية إلى "تفكيك أوصال (الدولة البولندية ككل) ومحوها من الوجود.وإذا نجح هتلر في الفوز بمطالبه، فعلى بولندا أن تتوقع "مصيرا كمصير تشيكوسلوفاكيا". كانت دانزيج سوديتنلاند ثانية، ذريعة لاستيلاء ألمانيا على بولندا. "هذا هو الهدف الحقيقي التي تسعى ألمانيا إلى تحقيقه". وكانت "الثقافة" متشائمة بشأن إمكانية ردع ألمانيا وهتلر في أزمة دانزيج. ونظرا لما أبدته الدول الديمقراطية من ضعف في دانزيج، رأت المجلة أن ألمانيا ستنجح مرة أخرى في تحقيق أهدافها التوسعية. وأعلنت أن "هناك تشابهًا كبيرًا"، وستنتهي أزمة دانزيج "بتسوية سلمية" تسلم فيها بريطانيا العظمى وفرنسا، إلى جانب بولندا، بمعظم مطالب ألمانيا (٥٦) .

كان أحد الروادع لتعاظم ألمانيا على حساب بولندا هو التقارب الإستراتيجي بين الديمقراطيات الغربية والاتحاد السوفيتي. وتابعت الثقافة عن كثب سير المفاوضات بين البلاد الغربية والاتحاد السوفيتي في ربيع وصيف ١٩٣٩. وامتدحت المجلة، التي اعتبرت الدولة الشيوعية لاعبا رئيسيا في الشئون الدولية المعاصرة، محاولة بريطانيا العظمى وفرنسا التوصل إلى اتفاق مع الاتحاد السوفيتي "لإقامة جبهة معارضة للعدوانية الهتلرية والديكتاتورية الفاشية". وكان استعراض القوة من جانب البلاد الديمقراطية، بالتنسيق مع روسيا، هو السبيل الوحيد للتصدي لموسوليني وهتلر وحفظ السلام.(٥٧) وكانت الثقافة متفائلة من احتمال تحالف ستالين مع القوى الديمقراطية نظرا للعداوة التاريخية بين الفاشية

والشيوعية، والمخاوف السوفيتية من أن "السياسة الألمانية للتوسع شرقا" يمكن أن تشكل تهديدا في النهاية للأراضي السوفيتية.[٥٨] وأمّلت المجلة كثيرا في أن يسفر نجاح التقارب الغربي ـ السوفيتي عن "(ميثاق دفاعي)" يكون مقابلاً فعالاً لمحور روما ـ برلين. ورأت الثقافة في تحالف كهذا "ضمانًا قويًا للسلام" قادرًا على كبح جماح العدوان الألماني والإيطالي. وهذا التحالف سيوفر السلام "لكل البلاد الجارة للاتحاد السوفيتي". كما أن تحالفا كهذا سيكون له أثر مطمئن على كل الدول الصغيرة، ويتيح ملجأ في ظله "من عدوان الدولتين الديكتاتوريتين".[٥٩]

وتتبع إبراهيم المصري في استعراضه لـ "الموقف السياسي في أوروبا، في الهلال في يونيو ١٩٣٩، مرة أخرى، بذور الحرب حتى معاهدة ميونيخ في العام السابق. كانت ميونيخ ""(نكبة) حلت بالديمقراطيات الغربية وسلام العالم". وحسب تفسيره، فقد تم التوصل إلى المعاهدة لأن السلطات الحاكمة في بريطانيا العظمى وفرنسا أرادت منع التوسع المحتمل للاتحاد السوفيتي. ففضلت تلبية مطالب هتلر في المنطقة الناطقة بالألمانية من تشيكوسلوفاكيا على أمل أن تكون ألمانيا النازية سدا أمام التوسع الشيوعي غربا. لكن "تشامبرلين ودالاديه ارتكبا خطأ فادحًا!". فقد أخفقا في فهم نوايا ألمانيا العدوانية والتوسعية. والتنازلات الإقليمية لن ترضي تطلع النازي "لإقامة إمبراطورية ألمانيا". ومن المؤكد أن الدور سيأتي على بولندا، وحوض الدانوب، والبلقان بعد النمسا وتشيكوسلوفاكيا. لقد أخفق تشامبرلين ودالاديه تماما في فهم دهاء هتلر. ولأن هتلر ليست له مصلحة حاليا في الصدام مع البلاد الديمقراطية الغربية المدعومة بمواردها الاستعمارية الضخمة، تبنى هتلر إستراتيجية ملتوية يطلق عليها المصري "سياسة التهديدات والأزمات". كانت مأساة الديمقراطية في ميونيخ هي أن هتلر وجد ممثلين سُذّجًا يسهل التلاعب بهم، سهلوا بالفعل سياسته للتوسع الألماني "بالوسائل السلمية".[٦٠]

وغزو إيطاليا الفاشية مؤخرا لألبانيا و"الأطماع الإيطالية في البلقان وآسيا الصغرى" يزيد ويكثف خطورة هتلر. وأكد المصري أن إيطاليا تسيطر بالفعل على إثيوبيا وليبيا في أفريقيا، وهكذا كانت "جارة قريبة من مصر والسودان". ويحذر المصري، فوق هذا، من أن "الاستعماريين الإيطاليين" لديهم أيضا النية "لضم مصر إلى الإمبراطورية الإيطالية" لخلق اتصال جغرافي يصل من ليبيا إلى البحر الأحمر، وإثيوبيا، والمحيط الهندي. والنوايا الاستعمارية لألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية تشكل معا تهديدا حقيقيا للوضع الدولي لبريطانيا العظمى وفرنسا. ومن حسن الطالع أنهما تمران حاليا "بمرحلة فتح العينين والانتباه" إلى جسامة الخطر الذي يتهددهما، ويهدد إمبراطورياتيهما، وكل أوروبا. حتى الولايات المتحدة بدأت تدرك أن هتلر وموسوليني يشكلان تهديدا للاستقرار والسلم الدوليين. وتهديدات هتلر الأخيرة لبولندا بسبب دانزيج واحتمال أن تصبح بولندا "تشيكوسلوفاكيا أخرى" ستقود البلاد الديمقراطية في النهاية إلى أن هتلر لن يوقفه سوى الحرب. وهكذا، فإن "إستراتيجية (هتلر) العدوانية بالتهديدات والمزيد من التهديدات"، من المحتم أن تقود إلى حالة حرب.(٦١)

بلغت المواجهة حول مصير دانزيج ذروتها في صيف ١٩٣٩. وفي يوليو، قدمت الثقافة الجديدة وجهة نظر دولية لما كان يجري في أزمة دانزيج. ولا يتخيل محررها السياسي "أن تظل بريطانيا العظمى وفرنسا على خلاف، تضيعات الوقت، حين يواجها سخرية واستهزاء ألمانيا وهي تهدد السلام وتخل بموازين القوى في أوروبا". وإذا لم تتخذ البلاد الديمقراطية الغربية موقفا حاسما هذه المرة، "فإن مجمل قواعد النظام الأوروبي ستنهار وستصبح ألمانيا الحاكم الذي لا ينازع لأوروبا، يفعل ما يحلو له في القارة". وتناشد الصحيفة بريطانيا العظمى وفرنسا ألا تختلفا حول دانزيج. إنهما بحاجة لاتخاذ موقف الدعم الحاسم والواضح لبولندا،

وتوجيه رسالة لا تخطئ إلى هتلر مفادها إن لم يسحب مطالبه في دانزيج فسيكون هسئولا عن اندلاع الحرب. وبعد أن نبهت المجلة إلى أن "القوة وحدها تهزم القوة"، عبرت عن أملها في أن يكون "اتخاذ موقف حازم، وعسكري" من جانب إنجلترا وفرنسا قادرا في اللحظة الأخيرة "على منع خطر الحرب".[٦٢]

في منتصف أغسطس، وخلال تعليقها على الذكرى الخامسة والعشرين لبدء الحرب العالمية الأولى وقبل أسبوعين من اندلاع الحرب الثانية، قارنت الثقافة بين العوامل التي أدت إلى الحرب في ١٩١٤ وتلك القائمة في ١٩٣٩. وتساءلت، "هل يكرر التاريخ نفسه؟". وبعد أن استعرضت أوجه الاختلاف والاتفاق بين الوضعين، كان تنبؤها التحذيري هو أن التاريخ لا يعيد نفسه بالضرورة. لكن النتيجة كانت لا تزال موضع شك. فكل شيء يتوقف على ألمانيا النازية. "هل يمكن لهؤلاء الذين يلعبون بالنار، ويستهينون بسلام العالم، ويهددون بالحرب لتحقيق أحلام عظمتهم وهيمنة إمبراطوريتهم، يعيدون التفكير في تصرفاتهم؟ ... هل يستطيعون التنسيق مع غيرهم للحفاظ على السلام والحضارة والدفاع عنهما؟".[٦٣]

في تعليقاتها على الشئون الدولية في منتصف الثلاثينيات، رأت الثقافة في تقارب الدول الغربية مع الاتحاد السوفيتي رادعا ممكنا للعدوان النازي ولاندلاع الحرب بالتالي. وفي أغسطس، عندما توصل ستالين بدلا من ذلك إلى معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا تسهل وتقر بأعمال ألمانيا العسكرية ضد بولندا، كانت المفاجأة وخيبة الأمل هي ردة الفعل في مصر. وجاءت رواية الهلال الاستهلالية عن التقارب السوفيتي ــ الألماني تحت عنوان "قنبلة موسكو". قضت اتفاقية ربينتروب ــ مولوتوف على الآمال التي كانت تعلقها الصحيفة فيما سبق على إمكانية قيام جبهة معادية للفاشية. وبينما كان العالم يؤمل في أن روسيا ستنضم إلى "جبهة قوية للتصدي لألمانيا وتقف أمام توسعها"، اختار ستالين الاتجاه العكسي. وقد غيرت

الاتفاقية موازين القوى على الساحة الدولية تغييرا جوهريـا. ومـن الواضـح أن الاتحاد السوفيتي، من جانبه، أصبح آمنا من "توسع (ألمانيا) باتجاه الشرق" وهو ما كان مصدر قلق كبيرًا لستالين. كما أبعدت المحالفة ألمانيا بالفعـل عـن أي جبهـة محتملة معادية للشيوعية ضد الاتحاد السوفيتي. وبنظرة متشائمة، توقعت المجلة أن تؤدي معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي على المدى الطويـل إلـى إذكاء الهدف الشيوعي بالهيمنة على العالم وظهور الاتحاد السوفيتي باعتباره القـوة الوحيدة المسيطرة على العالم. أما الأمر الأكثر إلحاحا في شأن المعاهـدة فهـو أن ألمانيا حصنت نفسها ضد عمل سوفيتي مضاد في بولندا، وفي الوقت نفسه حيـدت روسيا كشريك محتمل في التحالف مع البلاد الديمقراطية الغربيـة ضـد النـازي. والآن، صار الطريق ممهدا أمام هتلر للهجوم على بولندا. واختتمت المجلة تحليلهـا بسؤال: "هل ستتبع ألمانيا هذا الطريق وتعجل بالاستيلاء على دانزيج، وتدفع العـالم كله بذلك إلى "(الكارثة العظمى)" التي من المحتم أن تدمر كل أطرافها؟".[٦٤] ولـم تنتظر الثقافة ولا العالم الجواب طويلا.

وفي مواجهة احتمال وقوع كارثة دولية من قبل الاستعمار الفاشي والنـازي، كثف معلقو صحف مصر الثقافية دعمهم للديمقراطية الليبرالية. وخـلال الـشهور التي سبقت الحرب العالمية الثانية مباشرة، عبرت مقالات المجلة الجديـدة مـرارا وتكرارا عن دعمها للديمقراطية. وقد حللت المجلة أكثر من مرة الحكم الديمقراطي بأشكاله المتعددة ــ الجمهورية الفرنسية بميراثها الديمقراطي الذي يعود إلى الثـورة الفرنسية؛ بريطانيا العظمى وتراثها الأصيل من الملكية البرلمانية؛ الولايات المتحدة بدمجها بين الحرية السياسية والإصلاح الاجتماعي ــ وأشادت به فـي افتتاحياتهـا ومقالاتها.[٦٥] وبحلول ١٩٣٩، تحول كثير من الإعجاب الذي عبرت عنه المجلـة فيما سبق بالإنجازات الاقتصادية والاجتماعية للنظام الاشتراكي الوطني في ألمانيـا

إلى النموذج الديمقراطي للولايات المتحدة. وأشادت افتتاحيات مايو ويوليو ١٩٣٩ بالصفقة الجديدة باعتبارها أهم برنامج للإصلاح الاقتصادي في العالم في تلك الأيام. وقد أثبتت الصفقة الجديدة أن من الممكن حفز الاقتصاد ، والقضاء على البطالة، وتوفير فرص عمل جديدة عبر الوسائل الديمقراطية، وبدون التضحية بالحريات الفردية أو حرية التعبير كما حدث في ألمانيا. وبتبيان إمكانية التعافي الاقتصادي والتقدم الاجتماعي عبر عمليات ديمقراطية، فإن الحالة الأمريكية تثبت زيف فرضية أن النظام الاستبدادي هو الوحيد القادر على حل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية العميقة. وكانت الحالة الأمريكية دليلا على أن الديمقراطية هي "الشكل الوحيد للحكم الذي يمكن أن يضمن النمو الاقتصادي والحرية على حد سواء".[٦٦] ونماذج التسامح التقدمي لا نجدها إلا في العالم الغربي؛ الشرق أيضا يضم نماذج مرموقة للتوفيق بين القومية والأممية. وعلقت المجلة الجديدة في ١٩٣٩ عدة مرات باستحسان على شخصية وأفكار المهاتما غاندي، وقدمته بوصفه زعيما يجمع بين الالتزام بالتحرر الوطني واهتمام مساوٍ بنبذ العنف والأخوة الإنسانية.[٦٧]

وعلى منوال المجلة الجديدة، امتدح أحمد حسن الزيات رئيس تحرير الرسالة الصفقة الجديدة لروزفلت انطلاقا من أنك "حين تقتل الجوع فأنت تقتل الحرب". وبينما اختارت إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية حل الأزمات الاقتصادية من خلال برامج التسلح والإعداد للحرب، اختار روزفلت تكريم التقاليد الإنسانية للديانات الكبرى بمعالجة الأزمة الاقتصادية عن طريق برامج الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي. وعن طريق تبني سياسات تقضي في النهاية على الجوع وتعبر الانقسام الاجتماعي، تفادت الصفقة الجديدة أي بواعث داخلية للحرب.[٦٨]

كانت نظرة الثقافة للموقف الدولي في منتصف ١٩٣٩ تعبر عن الأمل في إمكان الحفاظ على السلام العالمي بشكل ما بدعم المعسكر الديمقراطي في حالة

نشوب الحرب. وترى الصحيفة أن مصر أمة ترغب في السلام، وستكون "أول من يفرح إذا ما ساد السلام والانسجام".(٦٩) وحذرت أكثر من مرة من أن أي حرب تحمل إمكانية الإضرار الجسيم بمصالح مصر الوطنية. ليس لدى مصر ما تكسبه من قيام حرب عالمية جديدة؛ ستخرج منها مضارة حتما.(٧٠) وبالنسبة لمنطقتها من العالم، ترى الثقافة أن لمصر مصلحة حيوية في حفظ الهدوء في منطقة البحر المتوسط وفي إيجاد وسيلة لاحتواء الاستعمار الإيطالي بدلا من الصراع العسكري. وفي مراجعتها للمناورات الدبلوماسية بين دول المتوسط في يوليو ١٩٣٩، أيدت المجلة إشارات التقارب بين تركيا وفرنسا من ناحية ومصر وتركيا من ناحية أخرى. كانت مثل تلك الخطوات إيجابية وضرورية لإقامة خط دفاع فعال ضد الاستعمار الإيطالي في شرق المتوسط والبحر الأحمر. وبفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي وسيطرتها على قناة السويس، كانت مصر جزءًا أساسيًا في مثل تلك الجبهة. ومضت الافتتاحية تسخر من جهود الدعاية الفاشية والنازية الموجهة إلى الشرق الأوسط، معلنة أن شعوب المنطقة "تدرك جيدا أن التعبير عن التمسك بها في الأوضاع الحالية ليس أكثر من قناع يخفي النوايا والدوافع". والبلاد العربية والإسلامية "لن تنخدع" بدعاية المحور؛ "لن تعميها عن الواقع الحقيقي" في إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية كقوتين استعماريتين داعيتين للحرب تشكلان خطرا حقيقيا على بلاد الشرق الأوسط.(٧١)

كانت تحذيرات الهلال من خطر الحرب المشئومة مصحوبةً غالبا بمناشدة البلاد الديمقراطية، وبريطانيا العظمى أولا وقبل أي شيء، انتهاج سياسة للتسلح والتضامن لردع التهديد بالحرب.(٧٢) وكانت مساهمات الثقافة في أوائل ١٩٣٩ تدعو إلى الحاجة إلى التسلح على أكثر من جبهة؛ على الديمقراطيات الغربية أن تتسلح بأسرع ما يمكن، وعلى تركيا أن تفعل الشيء نفسه نظرا لموقعها

الاستراتيجي على البحر المتوسط، ومصر أحوج ما تكون لتعزيز قدراتها العسكرية لمواجهة هجوم فاشي إيطالي محتمل.(٧٣) وكانت الدعوات إلى المعسكر الديمقراطي للمقاومة والتسلح مصحوبة بتنبؤ بسيادة القوى الديمقراطية في نهاية المطاف على متحديها المستبد. وعند تقييمها لاحتمال قيام الحرب في منتصف ١٩٣٩ وانعكاساتها المحتملة على الشرق الأوسط، عبر سامي الجرديني عن ثقته في أن بريطانيا ستتصرف بحسم لحماية مصالحها وموقعها الإستراتيجي، وستكون حائط صد أمام توسع الاستعمار الإيطالي والألماني في منطقة البحر المتوسط.(٧٤) ومن جانبه، توصل نيقولا حداد إلى أنه في حال قامت الحرب، فإن القوات المسلحة والموارد التي تمتلكها البلاد الديمقراطية تفوق تلك المتاحة للديكتاتوريات، وستكون سببا لانتصار المعسكر الديمقراطي في المدى البعيد. ويرى حداد أن "تفوق الدول الديمقراطية على الدول الديكتاتورية حاسم".(٧٥) ورددت الثقافة صدى هذا الرأي. وفي الحديث عن "احتمالات الحرب والسلام" في مايو ١٩٣٩، قالت المجلة إن ألمانيا وإيطاليا ليس أمامهما فرصة لكسب الحرب التي تثيرها أعمالهما. كانت الثقافة على قناعة بأن "هذه الأنظمة الديكتاتورية الطاغية المفروضة بالقوة على إيطاليا وألمانيا لا تستطيع تحمل حرب طويلة". فموارد "كتلة البلاد الديمقراطية" تفوق كثيرا موارد دولتي المحور. وكان هناك مصدر آخر كبير لقوة الديمقراطيات الغربية يتمثل في "وضع أمريكا، التي ستقف دون شك خلف الدول الديمقراطية وتقدم لها الدعم". وألمانيا بصفة خاصة بحاجة إلى "ألا تنسى دور هذا العامل في هزيمتها في الحرب العظمى".(٧٦)

لم يساور الهلال الشك في أن مكان مصر الطبيعي سيكون إلى جانب البلاد الديمقراطية في حال اندلاع الحرب.(٧٧) ورغم معارضة الجرديني للاحتلال البريطاني، فإنه، في ظل الأزمة الدولية الراهنة، يضع ثقته في "أمجاد الإنجليز". فقد كانت بريطانيا العظمى شعاع الأمل للحفاظ على الديمقراطية، دولة يختار

برلمانها شكل الحكم هي النموذج للحكم الليبرالي والمستنير. كانت إنجلترا أكثر المجتمعات تطورا وتقدما في العصر الحديث. وفي مواجهة الادعاءات الألمانية الآرية العنصرية للهيمنة على العالم، يؤكد الجرديني أنه "إذا كان هناك جنس واحد من كل الأجناس البشرية يستحق حكم (العالم) ... فهم سكان الجزر البريطانية". ولن تقر الشعوب الأخرى باستبدال الهيمنة البريطانية على العالم بهيمنة ألمانيا، "بلد المتعصبين الآريين الذين يلجأون إلى القوة ضد الحريات الفردية، الذين يهبون حياتهم لإعدام الآخرين، الذين يزدرون الآخرين بدافع من غطرستهم وإحساسهم بالتفوق".(٧٨)

عشية الحرب العالمية الثانية، أكدت المجلة الجديدة أيضا على أن من المؤكد أن تكون مصر جزءا من "أسرة البلاد الديمقراطية التي تخشى على مصير ميراث من المساواة والعدل الذي تفخر به، نظرا لتهديد البلاد الديكتاتورية لهذا الميراث".(٧٩)وعندما اندلعت الحرب في سبتمبر ١٩٣٩، ابتعدت المجلة الجديدة عن افتتانها الأول بنماذج الاستبداد الأوروبية، وأصبح تأييدها غير المشروط للديمقراطية الليبرالية تاما. ولم تترك الافتتاحية الرئيسية لأول إصدار بعد الحرب مجالا للشك في موقفها المعادي للفاشية: "كل ما تبقى لنا من أمل هو أن تنتهي الحرب بانتصار قوات الحلفاء، لأن هذا يعد انتصارًا للإنسانية" (٨٠). كان تحليل نيقولا يوسف المصاحب للمواجهة الطويلة بين الديكتاتورية والديمقراطية التي انتهت بقيام الحرب متعاطفا بشكل واضح مع الأخيرة؛ كانت نتيجة "للصراع على مدى عشرين عاما بين رسل السلام و(زبانية) الحرب".(٨١)

مواجهة الفاشية والنازية

ما هو ترياق الفيروس الاستبدادي، العنصري، الاستعماري الذي يهدد مصر والعالم؟ فكر المثقفون المصريون في كيفية مواجهة الخطر الفاشي على مستويين. الأول داخلي؛ إجراءات تقوية الداخل والإصلاحات المطلوب اتخاذها داخل مصر

لتحصين المجتمع المصري من فيروس الأفكار النازية الخبيثة. والثاني خارجي؛ كيف يمكن تعزيز التعاون الدولي والأخوة الإنسانية بدلا من العنصرية الفاشية والإمبريالية العدوانية المتأصلة في الفاشية.

وربما كان تعليم الجماهير المصرية لتعريفهم بقيم وفضائل الديمقراطية، ومن ثم تخفيف جاذبية مفاهيم الاستبداد، هو الحل المتفق عليه على أوسع نطاق بين المثقفين المصريين للتصدي للفاشية داخليا. وعندما كتب في ١٩٣٩، دعا نيقولا يوسف إلى الاهتمام بشكل خاص "بقيم الديمقراطية في التعليم" كوسيلة أساسية لتعزيز الديمقراطية في مصر. والتعليم من أجل الديمقراطية يعني، من وجهة نظره، تشجيع شكل معتدل ومتسامح من الوطنية يبقى منفتحا على العالم، ويدخل في حوار مع الشعوب الأخرى كأعضاء متساوين في أسرة الدول العالمية. وتعليم مثل هذه الوطنية الليبرالية هو الوحيد الذي يمكن أن يقف عائقا أمام "(التعصب الأعمى)" الذي يعتبر أساس الوطنية الفاشية والعنصرية النازية القائمة على الجنس.[٨٢]

وفي مقال عن شغب الشوارع من جانب منظمات الشباب شبه العسكرية في ١٩٣٦، نصح إبراهيم المصري الشباب المصري بالابتعاد عن منظمات الشباب والحركية التي تتشبه بالحركات الفاشية. وحذر بأن من الخطأ أن يحاكي الشباب روح أو أساليب الفاشية أو النازية. فالحركات الفاشية التي تعبد القوة، وتقوم على "مبدأ عبادة القوة من أجل القوة نفسها" كانت تسيء استخدام حيوية الشباب. وهدفها الحقيقي،"(تمجيد الديكتاتورية)"، يعني محو الفرد وحشده من أحل غايات استعمارية عدوانية، وفي حالة ألمانيا، لاستعراض قوة الجنس المختار على غيره من الأجناس. ودعا المصري الشباب المصري والعربي إلى تحويل طاقاتهم إلى أنشطة "تناسب أمزجتنا وخبرتنا التاريخية". إن المطلوب هو توجيه حيوية الشباب نحو

أهداف إيجابية ومبتكرة، مثل النضال ضد الاستعمار، والتنمية الاقتصادية، والتضامن الوطني. وعلى الشباب المصري والعربي التركيز على القضية الوطنية "التي ترفض أي شكل من أشكال الطغيان"، سواء كان الاستعمار من الخارج أو الديكتاتورية في الداخل.(٨٣)

وأكد كتاب الرسالة، تلك المجلة التي ظهرت في الثلاثينيات التي اعتبرت نفسها متحدثا باسم الجيل الجديد ومعبرة عنه، على ضرورة ابتعاد هؤلاء الشباب عن نماذج حشد وتلقين الشباب التي تتبعها الحكومات الديكتاتورية. ومؤكدا على أن "مصر أبعد ما تكون عن فكرة الديكتاتورية"، كرر أحمد حسن الزيات في الرسالة في ١٩٣٧ دعوته إلى الشباب المصري أكثر من مرة لاستلهام أنشطتهم من القيم الليبرالية والديمقراطية.(٨٤) ووجدت دعوته صداها عند خليل هنداوي، الذي دعا الشباب المصري والعربي إلى السعي لتحقيق أهدافهم عبر الوسائل والإجراءات الديمقراطية وحدها، ومن ثم "صيانة أرواحهم من أي شكل من أشكال الاستعباد السياسي والروحي" من قبل قوى تسعى إلى إساءة استخدام طاقاتهم.(٨٥) ومن منظور مختلف، دعا عبد المجيد نافع شباب مصر إلى إدراك أوجه الشبه بين الإسلام والديمقراطية. ومنتقدا كل أولئك الذين يضعون تناقضا بين قيم الإسلام ومبادئ الديمقراطية، قال نافع إن على الشباب أن يفهم أن قيم الحرية والمساواة والإنسانية، إلى جانب رفضها للطغيان، تتفق مع الديمقراطية والإسلام على حد سواء. وهو يرى أن المزج الصحيح بين المبادئ الإسلامية والديمقراطية يوفر إطارا حقيقيا لتحقيق تطلعاتهما. وعلى الشباب المصري والعربي أن يتوصل إلى وسائل حقيقية ـ مصرية، إسلامية، عربية ـ لتحقيق أهدافهم، لكن بوسائل ديمقراطية وفي إطار الديمقراطية.(٨٦) كانت هذه النصائح تعكس شعار الرسالة: تعليم ضد شباب مصر والعالم العربي لكبح افتتانهم المحتمل بالنجاح الظاهري الذي تحقق عبر حشد الشباب تحت قيادة النظم الديكتاتورية.

في ١٩٣٨، رأى سلامة موسى، في مقال له بالمجلة الجديدة بعنوان "مشاكل الشباب المصري"، ضرورة غرس المعايير والقيم الديمقراطية في جيل الشباب المصري. وعبر عن أسفه من أن "شبابنا المصري يجهل المبادئ الليبرالية، ومعنى الديمقراطية وأشكال الحكم الديمقراطي، أشار موسى إلى قلقه من أن يتزايد ميل الشباب إلى تفضيل البديل الفاشي على الديمقراطية البرلمانية. وحذر: "يجب أن نبتعد عن التطرف السياسي"؛ "من الواجب علينا أن نبعد شبابنا عن النماذج السياسية الراديكالية مثل الفاشية أو الشيوعية". وكان الحل عنده هو الدعوة إلى "نشر التعليم الديمقراطي ومبادئ الليبرالية في مصر". ودعا موسى الشباب المصري إلى تبني "مبادئ الليبرالية التي تقوم على الإيثار، والمساواة الإنسانية، والاحترام المتبادل"، والإقرار بأن النظام السياسي الديمقراطي قادر على تحقيق الإصلاح السياسي والاجتماعي الذي يتوقون إلى تحقيقه.(٨٧)

كان كل من عبد الرحمن صدقي وإبراهيم المصري يريان أيضا أن التعليم هو العلاج لجهل الجماهير، ومن ثم سدا ضروريا أمام انتشار الاتجاهات الفاشية في مصر. وانطلاقا من إدراكه أن "الجماهير هم ذخيرة الإحياء المستقبلي الذي نتطلع إليه"، دعا صدقي النخبة الثقافية في مصر إلى الشروع في تعليم الجماهير.(٨٨) فالمثقفون بحاجة إلى إظهار قوتهم وفرضها من خلال تعليم الجماهير. ومن غير الممكن أن يتقاعسوا عن "الوفاء برسالتهم تجاه جماهير الشعب"، في إطار عملية خلق ثقافة وطنية موحدة ومستنيرة تتقاسمها النخبة والجماهير على حد سواء.(٨٩) وعلى المنوال نفسه، يرى المصري ضرورة تحقيق والإعلان عن قوة المثقفين المصريين وصلتهم بالجماهير من خلال التصدي لتعليم الأمة قيم الديمقراطية.(٩٠) واتفق الكاتبان على أن تعليم الديمقراطية هذا من شأنه إنقاذ أوروبا ومصر من خطر الفاشية والديكتاتورية.(٩١)

تواصل التعبير عن الإيمان بقوة التعليم كرادع لانتشار الفاشية خلال أواخر الثلاثينيات. وفي يناير ١٩٣٩، أعاد الهلال نشر فصل من كتاب طه حسين الذي صدر مؤخرا، "مستقبل الثقافة في مصر"، الذي يصر فيه حسين، أبرز أساتذة ومثقفي مصر، على أن التعليم الإجباري يعد "الركيزة الأساسية لإقامة حياة ديمقراطية حقيقية" في مصر. ولن يقدر لمصر أن تتأهل لتطبيق الديمقراطية، بل ولن يكون هناك احتمال لمقرطة الحياة المصرية، دون تعليم الديمقراطية في سن مبكرة.[٩٢] كما دعت المجلة الجديدة إلى تعزيز نشر الديمقراطية في مصر من خلال تقوية القيم الديمقراطية في التعليم المصري. "يجب غرس (الديمقراطية) في أبنائنا في البيت وفي شبابنا في المدرسة بحيث تتشرب أرواحهم مبادئها وقيمها إلى أن يشعروا بأنهم ديمقراطيون بفطرتهم، وليس بسبب نظامهم السياسي وحده".[٩٣]

وذهب معلقون آخرون إلى ما هو أبعد من تعليم الديمقراطية وتحدثوا عن الحاجة إلى تنقية وتحسين المؤسسات الديمقراطية القائمة في مصر. فقد كان المثقفون المصريون يعلمون تمام العلم أن الديمقراطية بالصورة التي تمارس بها في مصر وفي كل مكان حينها لها عيوبها، وخاصة الانقسامات والشقاقات الحزبية. لكنهم كانوا يرون أيضا أن عيوب الديمقراطية، التي تسمح، بطبيعتها، بالتعددية، والمعارضة، وكشف أوجه القصور، قابلة للإصلاح بطريقة لا تعرفها أنظمة الحكم الديكتاتورية الاستبدادية. ورغم مثالب الديمقراطية، فإنها قادرة على التعلم من أخطائها وهكذا فهي "منفتحة دائما على النمو والتقدم"، كما أوضح العقاد المسألة في يونيو ١٩٣٩.[٩٤] ويتفق نيقولا يوسف مع العقاد في أن عيوب الديمقراطية ليست متأصلة بل نابعة من التطبيق الخاطئ لمبادئها على يد كائن بشري ناقص. إنها عيوب قابلة للإصلاح، وما إن يتم تصحيحها، ستظهر ميزة الديمقراطية مقارنة بالديكتاتورية.[٩٥]

كانت المقارنة بين الحكم الديمقراطي والديكتاتوري تقدم أحيانا اقتراحات مفصلة لكيفية تحسين العمل الداخلي لمؤسسات مصر الديمقراطية. ويخصص عبد الرزاق السنهوري الجانب الأكبر من مقاليه لِمَ هي أفضل السبل "للتعبير عن رأي الأمة"، حيث يقدم سلسلة من الاقتراحات العملية لتحسين الحكم البرلماني في مصر حتى يصبح البرلمان المصري مؤسسة أكثر فعالية، "برلمانًا يعبر بحق عن رأي الأمة". و"الصحافة الحرة، الأمينة، المستقلة" شرط ضروري للديمقراطية. وهي لا تقل أهمية في رأيه لانتعاش أحزاب البلاد السياسية، التي "ليست مجرد وسائل للتعبير عن رأي الأمة بل هي أيضا من أهم عوامل قيام الرأي الجماعي". وبالنسبة للسنهوري، كانت الأحزاب السياسية أداة للتعبير عن رأي الأمة: "من غير الممكن فعليا لأي أمة أن تؤسس لنفسها موقعا شاملا ومنظما في الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ما لم يقم نظامها الحزبي على أسس متينة". ودعا الأحزاب السياسية في مصر إلى إقامة منابر وصياغة برامج تشمل المسائل الداخلية والخارجية على حد سواء، وهو يصر على الحاجة إلى حوار برلماني علني شفاف حول المسائل الوطنية. ومع أخذ النظام الانتخابي في الاعتبار، أيد السنهوري "الانتخابات العامة العلنية والمباشرة مرة كل خمس سنوات". وفي بلد معظم أفراده من الأميين كمصر، "الانتخابات هي أفضل مدرسة لتعليم جماهير الأمة التعليم السياسي الناضج"، وفرصة لتعليمهم القضايا الوطنية والتأكد من أن آراءهم تلعب دورًا في تقرير موقف الأمة. كانت الانتخابات عنده آلية ضرورية لتعليم الجماهير قيم الديمقراطية، وكذلك اجتذابهم للحياة السياسية في البلاد. وأخيرا، فإن "أكبر وأهم عنصر لحياة ديمقراطية سليمة هو وجود معارضة حقيقية وأمينة". وينبغي حماية الانتخابات من "قمع الأغلبية للأقلية". وإدخال مثل هذه التحسينات على النظام البرلماني المصري من شأنه جعله أكثر ديمقراطية بحق، ويحول من ثم دون ظهور الديكتاتورية في مصر.[٩٦]

كما رأينا، كان المثقفون المصريون منزعجين بشكل خاص من الشمولية الثقافية التي يعتبرونها جزءًا لا يتجزأ من النظم الفاشية. وكان رأي الرسالة هو أننا إذا قارنا بين الشمولية الثقافية والحرية الثقافية نجد أن الديمقراطية هي التي تقدم الحل المرضي. الديمقراطية وحدها "التي تعتمد الفطرة السليمة للفرد وعلى قدراته الثقافية المستقلة لفهم وتوجيه الأحداث"، يمكن أن تضمن نظامًا ثقافيًا مفتوحًا.[٩٧] وكان الحل الذي قدمته الصحيفة لمواجهة مخاطر ثقافة بربرية كتلك هو الإصرار على استقلال وسائل الاتصال ونشر المعلومات، بعيدا عن تحكم الدولة الاستبدادية واستعادة استقلال الإعلام في ظل مجتمع مدني مفتوح. بالاستقلال وحده، "يمكن للإعلام تزويدنا بصورة حقيقية يعتد بها للأوضاع والمواقف التي يتعرض لها العالم، وشرح الأسباب الحقيقية وراءها بأكبر قدر من الموضوعية". والتدفق الحر للمعلومات ضرورة عامة، والأساس لمجتمع ديمقراطي فعال، تماما مثلما كان المجتمع الديمقراطي الضمان لإعلام حر ومتعدد الأصوات.[٩٨]

كان محمود عباس العقاد من أشد مؤيدي الحرية الثقافية في مصر. وفي مقال في نوفمبر ١٩٣٨، انتقد التحكم في الصحافة وانعدام حرية التعبير في ظل الأنظمة الفاشية، ويشير إلى أن "في الأنظمة الفاشية، هناك قانون خاص يعطي الوزير المسئول حق إصدار مرسوم حكومي يتهم صحفيا، الذي سيصبح ممنوعا من النشر في أي من صحف البلاد دون إمكانية استئناف المرسوم". بالمقابل، "في البلاد الديمقراطية يستطيع كل إنسان كتابة ما يريد، ويستطيع أي شخص إصدار صحيفة. أي شخص يمكنه العمل في الصحافة دون الحاجة إلى الحصول على أي موافقة من الحكومة أو ترخيص لإصدار صحيفته". وقد كتبت مقالة العقاد عن موضوع حرية الصحافة في سياق خطبة العرش في نوفمبر ١٩٣٨، والتي دعت إلى إصلاح قانون الصحافة بطريقة تنهض بالصحافة. وكان حكمه على وضع

الصحافة حينها أنها تقف على مسافة ما بين السيطرة الفاشية على الصحافة وحرية الصحافة في البلاد الديمقراطية، بين الوضع في ظل الفاشي حيث يكون الصحفيون "موظفين في أجهزة الحكومة" ونظيره في البلاد الديمقراطية، حيث يلتزم الصحفيون فقط "بأخلاقيات الصحافة والمعايير الأخلاقية لجماعة القراء". وكان يرى أننا "لسنا فاشيين، هذا صحيح؛ لكننا أيضا لم نحقق مقدار الحرية الديمقراطية المعترف به في الولايات المتحدة وإنجلترا. والحقيقة أننا في مكان ما بين القطبين". ويأمل العقاد في أن تتمكن مصر من الاقتراب من المعايير الديمقراطية لحرية الصحافة، وعبر عن أمله في أن تعلن الحكومة جدية عزمها على تشجيع "حرية التعبير". إن ما تحتاجه مصر هو تحقيق مستوى من حرية الصحافة في التعبير بحيث يكون "القراء هم السلطة الوحيدة التي تقرر طبيعة الثقافة والصحافة، دون أي إشارة لقوانين الصحافة أو تنظيمات الحكومة المقيدة".(٩٩)

كان توفيق الحكيم، كاتب المسرح الرائد والعلماني الجسور، من نجوم الثقافة الرواد في الثلاثينيات. وفي مقال له في أبريل ١٩٣٩ بمجلة الثقافة، بعنوان "هل يفهم كتابنا المعاصرون طبيعة رسالتهم الحقيقية؟"، انتقد المثقفين المصريين والعرب لفشلهم في الاحتشاد للدفاع عن القيم الإنسانية. ويؤكد الحكيم أن "مهمة الكاتب اليوم" هي تعزيز "الحرية" و"العدل" و"حرية التفكير النقدي" وكذلك خلق "جمال استاطيقي". والمثقفون بحاجة إلى التصدي وتحدي الدولة، التي تنزع عادة لتشويه هذه القيم. ومثال الحكيم في هذا الصدد هو إميل زولا، الذي كان دفاعه عن ألفريد دريفوس مثالاً نبيلاً لـ "الدفاع عن العدل الإنساني في وجه معارضة الحكومة القوية وطغيان الدولة". والمثقف الليبرالي بحاجة لأن يفهم جسامة مهمته في تلك اللحظة الحرجة من التاريخ، حيث "مستقبل التفكير في أوروبا عرضة للتهديد من قبل مشعلي الحروب البرابرة"، الذين يهددون بتدمير المكتبات والمتاحف والمؤسسات العلمية. وأنى كان هناك كتب تحرق وتراث ثقافي يدمر، لابد أن يهبَّ

المثقف للدفاع عما يعتز به. ويرى الحكيم في ١٩٣٩ أن هذا المعيار يتجاوز الحدود الوطنية: في حالة الطوارئ الحالية، يحتاج كل مثقف إلى التخلي عن هويته الوطنية المميزة "كي يدخل معبد التفكير الخالد ... من أجل الدفاع عن القيم الإنسانية الشاملة".[١٠٠]

وعندما حولوا انتباههم من الساحة الداخلية إلى الساحة الدولية، صارت الاقتراحات التي قدمها المثقفون المصريون لمواجهة تهديد الشمولية والاستعمار الفاشي أكثر وضوحا. وكما سبق ولاحظنا، كان الأكثر وضوحا في مقترحات المثقفين المصريين دوليا هو الصمود وتحسين الاستعدادات العسكرية من جانب البلاد الديمقراطية، من بينها مصر. لكن البعض كان يرى هذا غير كافٍ لتأمين الديمقراطية في العالم بصورة دائمة. وفي أكثر لحظاتهم مثالية، كان عدد من المثقفين المصريين يرون أن دحر الفاشية بشكل نهائي يكمن في تعزيز الأممية، والتعاون الدولي، والأخوة الإنسانية العالمية.

وفي نوفمبر ١٩٣٨، تناول نيقولا يوسف، في مقال بالمجلة الجديدة، الفاشية المعاصرة من زاوية علاقتها بمثل الوطنية والأممية. وبعد أن أعلن أنه "وطني" وداعم لمفهوم "وحدة العالم"، دعا يوسف إلى تحقيق التوازن بين الوطنية والأممية، موضحا أنهما يكملان بعضهما بعضا، ولا تناقض بين الولاءين. النظريات الوطنية التي تضع أمتها فوق غيرها من الأمم، متجاهلة معايير النظام الدولي، غير شرعية في رأيه. وكان يوسف على دراية تامة بالطبيعة الطوباوية لهذه الرسالة في أواخر ١٩٣٨، عندما كان العالم يواجه العديد من الأزمات. إلا أنه نظرا لجسامة الخطر الراهن فإن الشعب يحتاج إلى حشد "الإرادة الإنسانية" لغرس "عقلية عالمية" قادرة على مقاومة القبلية الوحشية التي نراها في الوطنية المعاصرة، ومنع العالم من ثم من التورط في صراع مدمر.[١٠١]

وعبر علي أدهم في الهلال عن منظور أممي مماثل. وفي مقال في أواخر ١٩٣٨، يرى أدهم أن التوتر الدولي الحالي يضرب بجذوره ليس فقط في "الصراع بين الديمقراطية والوطنية الفاشية الديكتاتورية"، وإنما في "الصراع" الموازي "بين الوطنية والأممية". واستنكر أدهم شوفينية القومية الفاشية التي تكرس فكرة الأمة المتفردة في حين ترفض القيم الأممية وتحفز الصراع الدولي. وتتسم القومية في الدول الفاشية بـ"التطرف الإمبريالي وأطماع التوسع الإقليمي"، وهي بهذا تتناقض تماما مع الشكل التعددي من القومية الذي يؤمن بحق كل الأمم في تقرير مصيرها وسيادتها، ووجودها المستقل. ورغم التحدي الفاشي الراهن لهذه النظرة لعالم مؤلف من أمم متساوية ومتسامحة، فقد كان أدهم على قناعة بأن القيم الأممية سوف تنتصر في نهاية المطاف، وسيسود العدل والحرية بين كل دول العالم.[١٠٢]

كما تناولت مجلة سلامة موسى، المجلة الجديدة، علاقة القومية بالأممية. وفي مقال بعنوان "ثقافة إنسانية أم ثقافات وطنية متعددة؟"، في فبراير ١٩٣٩، انتقد موسى الحركات الوطنية المعاصرة، كالفاشية والنازية، لتشجيعها على نوع جديد من الوطنية المتطرفة معزولة عن العالم ومعارضة له. وأدان جهود الأنظمة الفاشية التي كانت تحكم في إيطاليا وألمانيا لمبالغتها في التميز الوطني بتعزيز اقتصاد وطني، وتاريخ وطني، وحتى علوم وطنية في ألمانيا وإيطاليا. فمثل هذا النوع من الوطنية ينكر وحدة الإنسانية، وينشر كراهية الآخرين. وبولعها بنفسها وبطرق تميزها وتفوقها على غيرها، الغريب والأدنى، كانت مثل هذه الخصوصية "وطنية تجند الثقافة لخدمة الدولة الوطنية دون الالتزام بالإنسانية أو القيم الإنسانية. ومعنى هذا أن الدولة الوطنية تحل محل الإنسانية. وهذا خطر كبير". وفي رأي موسى، فإن هذا التأميم للثقافة يشوه قيمها؛ بدلا من أن تكون الثقافة وسيلة للتآخي بين البشر، تتحول إلى وسيلة لإثارة العداوة والعدوان بين الأمم.[١٠٣]

ويواصل سلامة موسى حديثه بالتساؤل عما إذا كان الارتباط بوطنية معينة يتناقض مع فكرة التضامن الإنساني. وشأن الآخرين، يتوصل إلى عدم وجود تعارض بين الوطنية والأممية؛ فكلتاهما تعبيرات عن انتماء إنساني مشروع. وهو، من ناحية، يرى ضرورة الحفاظ على الهويات الوطنية المتفردة النابعة من بيئة طبيعية محددة ومواريث ثقافية خاصة. فلكل أمة لغتها الخاصة، وكذلك آدابها وفنونها؛ ومنوط بكل منها تطويرها إلى أقصى مدى. من ناحية أخرى، يرى موسى أيضا أن هناك، فوق الثقافات الوطنية المختلفة "(ثقافة بشرية)" وهي "نتاج لمجمل التقدم" الإنساني ككل. وفي حين أن لكل أمة ثقافتها المميزة، إلا أن كل الثقافات ترتبط بالنظام الثقافي المشترك بين كل البشر. وأكد موسى أن الثقافات الوطنية لا يمكن أن تطور كامل قوتها في عزلة. فالثقافات الوطنية تحتاج إلى تقوية علاقاتها بالثقافة الإنسانية المشتركة، وتأخذ منها وتعطيها. وكل أمة لا تقتصر على جوهرها الثقافي، وإنما تشكل جزءا أيضا من عالم ثقافي أكبر يجمع بينهما حوار متبادل. والفرد، أولا وقبل كل شيء، عضو بجنس إنساني وليس عضوا بجماعة وطنية، "(رجلاً عالمياً) في خدمة الإنسانية قبل أن يكون عضوا بجماعة وطنية"، ونبه موسى إلى أن "الفرد المتحضر والمستنير" يجب أن يحرص على أن تكون أمته "في خدمة الإنسانية وتعمل باسمها ... بما أننا جميعا ننتمي إلى هذا العالم".(١٠٤)

واصل المثقفون التعبير عن إيمانهم بالقيم والأخوة الإنسانية حتى مع اقتراب شبح الحرب أكثر فأكثر. وفي مايو ١٩٣٩، وصل عباس محمود العقاد إلى حد المناداة بإقامة "(حكومة عالمية)" تحل محل أشكال الحكم الوطني التي أشاعت الكثير من الاضطراب فيما مضى. ويرى العقاد أن الحروب الوحشية وحمامات الدم التي شهدها القرن العشرون تقدم الدليل على قصور نظام الدولة القومية

المستقلة. وعبر عن أمله في أن تتمكن "الحكومة العالمية" المتجسدة في "برلمان دولي واحد" من إنقاذ البشرية من دائرة المواجهات التي تفرضها عليها الوطنية، خاصة الشكل الفاشي الشوفيني منها.(١٠٥)

كما أيد إبراهيم المصري الحاجة إلى التأكيد على عالمية القيم في وجه التحدي الذي تفرضه الوطنية الحصرية. وقد فعل هذا في سياق نقده للمدافعين عن العالمية لتقصيرهم في الماضي. فهو يرى أن مشكلة العالم في منتصف ١٩٣٩ تعود في جانب كبير منها إلى عدم استماتة جزء من بلاد العالم الديمقراطية في الدفاع عن العالمية في ظل الهجوم العقائدي الحاليّ الذي تشنه الفاشية. وخطايا الديمقراطيات الغربية في الماضي هي التي شجعت على ظهور وصعود البديل الفاشي: "إمبريالية واستغلال البلاد الديمقراطية هي التي أدت إلى ظهور عنف الديكتاتوريات". وبدلا من أن تستمر في التصرف كقوى استعمارية، دعا المصري البلاد الديمقراطية الغربية إلى التمسك بالقيم العالمية. هذا التمسك هو مصدر قوتها وأملها الأخير أمام التحدي الفاشي: "إن مصدر اتفاق العالم مع البلاد الديمقراطية هو دعمها لـ (مذهب البشرية)، وصلاتها العميقة بها ودفاعها عنها، كمثل أعلى تحتذيه". ودعا المصري كل الشعوب، تحت قيادة البلاد الديمقراطية، إلى التمسك بـ "مذهب البشرية" التي تمثل "المصالح العامة" للإنسانية، وضمان العدالة، وقبل أي شيء، تعليم "مبادئ الحب، والتعاطف، والتضامن الإنساني والأخوي". ولم يكن لدى المصري أدنى شك في أن "البلاد الديمقراطية لديها القدرة على بعث رسالة البشرية مرة أخرى، ونزع سلاح الديكتاتوريات من خلال هذا وحماية العالم من طغيانها، وتقويض نظمها والقضاء على فلسفتها".(١٠٦)

الجزء الثالث

أفندية مصر الجدد والفاشية

مدخل

أفندية الثلاثينيات الجدد

لم يكن صحفيو ومعلقو ومثقفو الصحافة المصرية السائدة الذين تناولنا كتاباتهم الأطراف الوحيدة الفعالة في إنتاج الثقافة المطبوعة المصرية. وبينما هيمنوا على الخطاب الوطني، إلا أنهم لم يحتكروا مجال الرأي العام. ومنذ نهاية العشرينيات وبشكل أخص في الثلاثينيات، بدأت مجموعة جديدة ومختلفة بصورة واضحة من اللاعبين المشاركة في الخطاب العام: "(الأفندية الجديدة)". (١)

ويشير تعبير "الأفندية الجدد" إلى أولئك الشباب المصريين الذين بلغوا مرحلة النضج وتفتح وعيهم السياسي وانخرطوا في العمل السياسي في أعقاب ثورة ١٩١٩ وفي ظل مؤسسات الملكية البرلمانية المستقلة. التسلسل الزمني وحده يميزهم عن الجيل الأقدم من المصريين الذين ولدوا في العقود الأخيرة الأقل اضطرابا من القرن التاسع عشر. ولا يعتبر كل المصريين المنتمين إلى هذا التسلسل الزمني من الأفندية: التعبير يشير بحق إلى الذكور قاطني المدن، والحاصلين غالبا على تعليم مهني أو شبه في المعاهد العلمانية ذات التعليم الغربي التي أقامتها الدولة المصرية، ويتمتعون بالمهارات الحديثة ويعملون في الوظائف الحديثة، والذين يعتبرون أنفسهم طبقة وسطى ناشئة.

كان الأفندية الجدد نتاج سياق مختلف عن السياق الذي جاءت فيه الأجيال السابقة. وكانت التجربة التاريخية المشتركة التي شكلت آراءهم السياسية والاجتماعية هي أنهم شبوا أثناء الحرب العالمية الأولى، وشهدوا انهيار الدولة

العثمانية، ويتشاركون تأثير ثورة ١٩١٩ الوطنية العظيمة التـي حققـت اسـتقلال مصر، وإن كان مقيدا، في ١٩٢٢. لذلك، تأثرت آراؤهـم بـشدة بـشعورهم بـأن الحركة الوطنية التي نجحت في تحقيق الاستقلال أصبحت، بمرور الوقت، فاسـدة داخليا وعاجزة خارجيا عن تحرير مصر من السيطرة البريطانيـة، إلـى جانـب تأثرهم بالكساد الاقتصادي والقمع السياسي الذي حل بمصر منذ أوائل الثلاثينيـات. هذه التجارب التاريخية المشتركة تميز الأفندية الجدد كجيل تاريخي متفرد.

كذلك كان للتطورات المتصلة بمجموعتهم العمرية وجماعتهم التعليمية التـي شهدتها فترة بين الحربين أثرها على نظرة الأفندية الجدد. وبحلول الثلاثينيات، زاد الفيض المتجدد من خريجي المدارس الذين تلقوا التعليم المهني (أطبـاء، محـامين، مهندسين، معلمين، موظفين، صحفيين) من قدرة الاقتصاد المصري على امتصاص نتاج نظام تعليمي آخذ في التوسع. وقد تفاقمت "(أزمة المتعلمين)" بسبب الكساد في أوائل الثلاثينيات، وأدت إلى الاستياء الشديد بين الجيل الأصغر الـذي تلقـى قـيم العالم الحديث التي ترتب الصعود السريع في السلم الاقتصادي ــ الاجتماعي. وقـد اجتمع الاستياء الشخصي مع مفهوم الفشل الوطني (فساد المؤسسة والعجـز أمـام الاحتلال الأجنبي) ليخلقا حالة من عدم الرضا والاغتراب عـن النظـام الـسياسي والاجتماعي القائم بين الكثير من الأفندية الجدد.

كانت النتيجة ظهور خطاب سياسي متميز للأفندية الجدد وكـذلك حركـات سياسية ــ اجتماعية جديدة اجتذبت الأفندية الجدد. وكان المشترك بـين الخطـاب والحركات هو عدم الإيمان بأداء النظام البرلماني الذي أسس لـه دسـتور ١٩٢٣ المصري. وكانوا يرون أن النظام السياسي القائم فشل في الإعلاء من شـأن قيمـه الليبرالية. وفي ملاحظتهم العمل الفعلي للملكيـة البرلمانيـة، وجـدوا بنيـة غيـر ديمقراطية ومناورة تخدم مصالح الطبقات العليـا للجيـل القـديم (خاصـة مـلاك

الأراضي) وتحافظ عليها في الوقت الذي تعوق فيه الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية الملحة، داخليا، بينما تتآمر مع المحتل البريطاني، خارجيا، وتحرف النضال الوطني في سبيل الاستقلال التام. وفساد المؤسسة المصرية للأحزاب القائمة الذي يسود البرلمان والحكومة لا يعكس تطلعات أو مصالح الأفندية الجدد.(٢)

وقاد بحث كثير من شباب مصر عن بديل أكثر نجاحا من النظام الاجتماعي ـ السياسي الفاشل إلى تأسيس أو دعم المنظمات الجديدة المعادية للمؤسسة، والرافضة للبرلمان. ويمكننا رد أول تحركات الأفندية الجدد المستقلين إلى نهاية العشرينيات، مع تكوين الجماعة الدينية الحصرية "(جمعية الإخوان المسلمين)" في ١٩٢٨. (٣) وبعد ذلك بخمس سنوات، ظهرت أيضا على الساحة المصرية حركة شبه عسكرية وأكثر علمانية اجتذبت الشباب، هى "(جمعية مصر الفتاة)". (٤) وكان كثير من شباب الأفندية قد تعمدوا بالنار في مظاهرات الطلبة الممتدة والواسعة النطاق أواخر ١٩٣٥ التي فرضت إعادة العمل بدستور ١٩٢٣ الذي سبق واستبدل بآخر أكثر استبدادا في ١٩٣٠. وقد أذهلت مشاركتهم في الاحتجاجات السياسية المستمرة التي نجحت في النهاية المؤسسة السياسية وأعطت الشباب المصري الإحساس بالقدرة على العمل بفاعلية نيابة عن جمهور المجتمع الحضري الصاعد في مصر بحلول الثلاثينيات.(٥) وتصاعد النشاط السياسي للأفندية الجدد بشكل كبير أواخر الثلاثينيات: كانت تلك هي الفترة التي شهدت النمو السريع للإخوان المسلمين؛ والنمو الأقل كثافة وإن حقق صيتا سياسيا أكبر لجمعية مصر الفتاة (التي أصبحت حزبا سياسيا رسميا في ١٩٣٧)؛ والنجاح القصير العمر للبديل الوفدي شبه العسكري للأخيرة، "(فرق القمصان الزرقاء)" التي ازدهرت بفضل رعاية الحكومات الوفدية في ١٩٣٦ و١٩٣٧.(٦) وفي أواخر الثلاثينيات، وقبل أن تفرض

الحكومة المصرية المزيد من القيود على الأنشطة العامة أثناء الحرب العالمية الثانية، حظيت الإخوان المسلمون ومصر الفتاة بصفة خاصة بصعود مفاجئ، وأصبح لها وزن كبير في مجالات الخطاب العام والسياسات الوطنية المتشابكة.

وتشكل الآراء التي عبر عنها الناطقون باسم الحركتين المعبرتين عن الأفندية الجدد، مع ازدهار كلتيهما في أواخر الثلاثينيات، جانبا مهما من الرؤية المصرية لليبرالية والفاشية، والديمقراطية والديكتاتورية. ولإدراكهم واهتمامهم بانتشار الفاشية في الخارج وكذلك بالصراع الداخلي بين القصر والوفد للهيمنة على الدولة المصرية، أعطى المعبرون عن الحركتين اهتماما كبيرا بمسائل الشرعية السياسية، والسلطة، والكفاءة. ويتناول الفصل الأول من هذا القسم الآراء السياسية لقادة الإخوان المسلمين حول مسائل الديمقراطية مقابل الديكتاتورية؛ ويتناول الفصل الثاني مواقف قادة حركة مصر الفتاة ودعاتها.

الفصل السادس

نظرة الإخوان المسلمين للفاشية والنازية

تتسم الدراسات التي تتناول التاريخ المبكر للإخوان المسلمين في مصر بالثراء والتنوع.[1] ولا حاجة بنا للاستفاضة فيما توصلت إليه من استنتاجات. على أن الدراسات المتوفرة لم توضح بشكل كافٍ مواقف التنظيم من الفاشية، والديمقراطية، والمواجهة الأيديولوجية في الثلاثينيات بين مبادئ النظام السياسي الليبرالية مقابل الاستبدادية. وبصورة خاصة، لم تلتفت بشكل كافٍ إلى السياق التعددي في مصر فترة بين الحربين التي ظهرت فيها الحركة وعملت في إطارها، ومدى تقييد تصريحات قادتها للتواؤم مع ذلك السياق. وعلى عكس التفسيرات السابقة لعقيدة الحركة، لم يكن موقف الإخوان المسلمين المعقد من الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية في الثلاثينيات ونظرة التنظيم للنظم السياسية البديلة في البلاد الغربية الديمقراطية الليبرالية مخالفا تماما للإجماع في مسألة الديمقراطية والديكتاتورية الذي عبر عنه الخطاب المصري العام، كما بيناه في الفصول السابقة.

ويرى كثير من الكتاب، الغربيين والمصريين، أن الإخوان المسلمين إما كانوا يستلهمون نموذج الفاشية الأوروبية، متعاطفين مع إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية في مواجهاتهما مع الديمقراطيات الغربية، أو أنها نفسها كانت في جانب منها "فاشية" من حيث الروح أو التنظيم.[2] وبالنسبة للمراقبين الذين يرون أن الفاشية سادت العالم في الثلاثينيات والأربعينيات، كان هناك ميل طبيعي لافتراض وجود تأثير لا مفر منه للحركات الفاشية الأوروبية على معاصريها في كل مكان.

كانت "الفاشية" بمثابة شارة لتحديد وفك الشفرة الداخلية والسلوك الخارجي للحركات السياسية للفترة مثل الإخوان المسلمين.

ولا شك أن ملامح تنظيم الحركة وأيديولوجيتها كانت مماثلة للفاشية المعاصرة: البنية الهرمية والاستبدادية للحركة؛ النفور من عيوب التحزب، التي كانت تستخدم لوصفه دائما تعبيرا استهجانيا هو "(الحزبية)" الذي يشير إلى الفرقة والانقسام؛ عبادة شخص القائد المبجل، "(المرشد)"، الذي يحمل معنى الخضوع المتوقع من المريد الصوفي لشيخه؛ الالتزام بالطاعة، والانضباط، والإخلاص في تحقيق الأهداف المقدسة؛ تأسيس فرع شبه عسكري للشباب يعنى بالتمرينات البدنية وله زي موحد؛ والتمسك بمفهوم شامل يكون مرشدا في جميع مناحي الحياة. وكل هذه السمات تتوازى مع تلك الموجودة في الفاشية والنازية المعاصرة، لكنها ليست بالضرورة نابعة منها أو محاكاة لها.[٣] كما أن هناك مقالات كتبها أعضاء بالحركة تعبر عن الإعجاب بالفاشية والنازية. وفي إحدى هذه المقالات، يعبر حسن البنا عن إعجابه بـ "(عسكرية أو جندية)" و"(رجولة)" النازيين، والتي يمكن أن تكون نموذجا للإخوان المسلمين.[٤] كما عبر البنا عن إعجابه بالطبيعة المركزية للنظامين الفاشي والنازي، وكذلك بقدرتهما على فرض النظام، والانضباط، وطاعة الزعيم الملهم.[٥]

لكننا نرى أن صفة "الفاشية" ليست الوصف الصحيح للإخوان المسلمين، وتعد تشبيها مضللا يشوه، أكثر مما يوضح، طابعها المعقد، ويفشل في تفسير جاذبيتها الاستثنائية. وهي تفشل، بشكل خاص، في الالتفات إلى الطابع الإسلامي الفريد للحركة. كان جوهر الإخوان المسلمين هو السعي الذي لا يكل ولا يمل لتحقيق الأصالة الإسلامية. وكان سعيها وراء الأصالة موجها، أولا وقبل كل شيء، إلى الداخل، إلى تقليدية مؤسسة العلماء الجامدة وتقوقع الصوفية اللاعقلاني

(على الرغم من تأثر الحركة بها). كان جوهر "(دعوة)" الإخوان هو الحاجة الملحة إلى إحياء الإسلام. ويعني هذا، أولا وقبل أي شيء، تزويد إيمان المسلم المعاصر وممارساته بآلية وفعالية تمكنه من تلبية مطالب الحياة الحديثة ومواجهة ضغوطها، وتمكين المسلمين بذلك من الاندماج في العالم الحديث. وثانيا، كان بحث الحركة عن حداثة مسلمة مميزة موجها للخارج، ضد التأورب والعلمنة الجارية حينها والتي تهدد بمحو الثقافة الإسلامية. وعلى الرغم من أن المجتمع لم يتبن أو يتشرب أفكارًا أوروبيةً بعينها، فإنها اعتبرت نفسها بالأساس حركة تعمل على تطهير مصر وكذلك العالم الإسلامي الأوسع من التأثيرات الغربية "الإمبريالية".

وإلى جانب تعهدها بالبحث عن الأصالة الإسلامية وطريق إسلامي مميز إلى الحداثة، كانت الإخوان المسلمون حركة معادية للاستعمار بالأساس ـ "معادية للاستعمار" بالمعنى الواسع للكلمة. ولم يكن نضال الحركة ضد الاستعمار موجها لطرد المحتل الأجنبي سياسيا، بل وكذلك وبالقدر نفسه من الأهمية، للقضاء على أي شكل من أشكال سيطرة الاستعمار الغربي على حياة المسلمين: الاستغلال الاقتصادي الأوروبي، تسلل وهيمنة الممارسات الاجتماعية الأوروبية، الهيمنة الثقافية الغربية، البنى الغربية للمجتمع والأمة. بالطبع، بدأ نضال الحركة ضد الاستعمار في مصر، لكن مصر بحكم عقيدتها لم تكن كيانا منعزلا وإنما جزء لا يتجزأ من الجماعة الإسلامية الأوسع. فامتد النضال ضد الاستعمار من وادي النيل إلى كل أرجاء المشرق الذي كان حينها تحت السيطرة الأوروبية، وإلى ما وراء ذلك إلى العالم الإسلامي كله.[٦] هذا المجتمع الأوسع كان ركيزة مجهودات الحركة الضخمة التي كرستها للمسألة الفلسطينية بصفة خاصة. بالنسبة للإخوان المسلمين، كانت ثورة عرب فلسطين ضد الحكم البريطاني والهجرة اليهودية أواخر الثلاثينيات معركة تهم كل المسلمين وعلى البلاد الإسلامية المشاركة فيها. كانت

فلسطين ساحة عملية أظهرت فيها الحركة تعهدها القوي بتحقيق الأصالة الإسلامية والتضامن الإسلامي. وقامت الحركة بدعاية وجهد عملي كبير لدعم عرب فلسطين أثناء ثورتهم ضد الاستعمار والصهيونية من ١٩٣٦-١٩٣٩. وتناولت إصـدارات الحركة المسألة الفلسطينية بصورة يوميـة؛ وخصـصت جهـودًا كبيـرةً لكتابـة العرائض، وتنظيم التظاهرات، وجمع التبرعات، وإيفاد المتطوعين لمساعدة عـرب فلسطين. وأكثر من أي منظمة مصرية أخرى، كانـت الإخـوان المـسلمون رأس حربة مصرية لدعم عرب فلسطين في كفاحهم ضد الحركة الصهيونية والانتـداب البريطاني.[٧]

إن النقطة الحاسمة في تحليلنا هي أن "الغرب" الاستعماري كان يـشمل مـن وجهة نظر الإخوان، في سياق الثلاثينيات، كلاً من البلدين الديمقراطيين الليبـراليين بريطانيا العظمى وفرنسا، اللتين ما زالتا تسيطران علـى معظـم منـاطق العـالم العربي، والنظامين الفاشي في إيطاليا (التي تسيطر على ليبيا) والنازي في ألمانيـا. وينبغي التمييز بشدة بين الإعجاب العابر الذي عبر عنه قادة الحركة فيما يتـصل بالمزايا التنظيمية المفترضة للنماذج الاستبدادية، والمعارضـة الثابتـة للاتجاهـات التوسعية والاستعمارية التي رأوها متأصلة في الفاشية الإيطالية والنازية الألمانيـة. كان المتحدثون باسم الإخوان المسلمين، الذين هم أنفسهم يتمسكون بهرمية التنظـيم وينتقدون التعددية والحزبية في نظامهم البرلماني، أقل اهتماما بالجوانب الاستبدادية للفاشية والنازية لكنهم حادون في معارضتهم لاحتمال الاستعمار الفاشـي والنـازي للعالم الإسلامي. وركزت معارضتهم للفاشية والنازية في البداية علـى طبيعتهمـا وأعمالهما الاستعمارية، وبعد ذلك على الخطر الـداهم الـذي تـشكله المبـادرات الخارجية لكلتيهما على النظام العالمي وسلام العالم. سياسيا، لـيس هنـاك مؤشـر ملموس على وجود صلة للإخوان المسلمين سواء بإيطاليا الفاشية أو ألمانيا النازيـة في الثلاثينيات. ولا دليل على دعم خفي للحركة من جانب وكالات إيطاليا الفاشـية

أو عملائها قبل الحرب العالمية الثانية؛ بالنظر إلى الإدانات الشديدة للاستعمار الإيطالي في ليبيا من جانب كتاب الحركة في الثلاثينيات، من الصعب افتراض وجود علاقة طيبة بين الجانبين. لكن هذا لم يكن الحال بالنسبة لألمانيا النازية. فتورط الحركة في الصراع الفلسطيني بمساندة ثورة عرب فلسطين سرعان ما جرها إلى علاقة تماس مع ألمانيا. وتشير وثائق وقعت بيد البريطانيين وقت اعتقال الألمان في مصر بعد اندلاع الحرب في أواخر ١٩٣٩، إلى أن الإخوان المسلمين تلقوا مساعدات سرية من وكالة الأنباء الألمانية في القاهرة، عبر وسطاء من عرب فلسطين على صلة بالألمان، لتسهيل أنشطتهم المعادية للبريطانيين [٨]. ويبدو أن هذه العلاقة القصيرة انتهت بعد قيام الحرب واعتقال الألمان في مصر. وبينما تسود المخاوف التقييمات البريطانية للساحة المصرية زمن الحرب من الاتجاهات "الانهزامية" للحركات شبه العسكرية مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة، فإن تقريرًا للمخابرات البريطانية عن الإخوان المسلمين في ديسمبر ١٩٤٢، في الوقت الذي تبدل فيه مد الحرب، يشير إلى أن "ليس ثمة ما يدل على وجود صلة لهم بعملاء المحور منذ اندلاع الحرب ... ورغم أن الإخوان ربما كانوا يحاكون تنظيم النازي ــ الفاشي، فإنهم لا يظهرون تعاطفا خاصا مع عقيدته كما نعرفها".[٩]

على الجانب الأيديولوجي، يجب وضع موقف الإخوان المسلمين من الفاشية والنازية في إطار جهود منظري الحركة لتحديد وترويج شكل من الهوية الجمعية يتلاءم مع المسلمين ويكون مقبولا لديهم. لم يرفض هؤلاء المنظرون المفاهيم القومية الحديثة رفضا تاما. كان ما فعلوه هو محاولة إعادة صياغة القومية من منظور إسلامي بتجريدها من مراجعها ورموزها الأوروبية وتبني بدلا من ذلك، أشكالاً من القومية تتفق مع المبادئ والقيم الإسلامية. كانوا يحاولون تقديم بديل إسلامي للأشكال القومية القائمة أوروبية المنشأ.

هذا التكييف نجده بأوضح صورة في ""(رسائل)" حسن البنا في الثلاثينيات، التي تعد التعبير الموثوق به عن أيديولوجية الحركة في أعوامها الأولى. وفي كتابه "(دعوتنا)، ١٩٣٧"، يناقش البنا بطريقة منهجية الأشكال المقبولة وغير المقبولة من "(الوطنية)" و"(القومية)" بهدف تثقيف أتباعه. كان موقفه من الاثنتين متوازنا، يقبل بأشكال الأكثر اعتدالا والحميدة من كلا المفهومين للهوية، بينما يرفض تنويعاتهما الأكثر تطرفا وإثارة للشقاق. وهكذا، يشيد البنا بأنواع عديدة من الوطنية، من بينها "(وطنية الحنين)"، وحب الوطن؛ "(وطنية الحرية والعزة)"، والرغبة في تحرير البلاد وضمان حريتها وعزتها؛ و"(وطنية المجتمع)"، ورابطة التضامن الاجتماعي والرغبة في العمل من أجل الصالح العام.[١٠] من ناحية أخرى، كان مرشد الإخوان العام يرفض بشدة "(وطنية الأحزاب)"، و"تقسيم الأمة إلى شيع" تنشغل في "التنافس والقدح والذم المتبادل"؛ هذه الحزبية المفرطة "(وطنية زائفة)".[١١] وفي واحدة أخرى من رسائله الدورية، يرفض البنا كذلك كلاً من "(الوطنية الجغرافية)" و"(الوطنية الدموية)" بوصفهما قيودا مصطنعة على مفهوم الجماعة.[١٢] وإلى جانب تصنيفه لهذه الأشكال المقبولة وغير المقبولة للوطنية، يصر البنا على إعطاء الأولوية لولاء المسلمين للإسلام: "الفرق بيننا وبينهم هو أننا نحدد حدود الوطنية وفقا للعقيدة، بينما يحددونها وفقا للحدود الإقليمية والجغرافية. كل مكان يوجد فيه مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" هو وطن لنا، يتمتع بقداسته الخاصة وحرمته، ويستوجب الحب، والإخلاص، والعمل على ازدهاره وسعادته".[١٣]

كان رأي البنا في "(القومية)" أكثر سلبية بشكل عام. وقد توصل إلى بعض أشكال القومية المقبولة عند المسلمين: ""(قومية المجد)"، وتقليد السلف والاقتداء بمنجزاتهم؛ و"(قومية الأمة)"، والولاء والإخلاص للشعب والأمة؛ و"(قومية التنظيم)"، والاستعداد للعمل والمثابرة من أجل صالح الأمة.[١٤] لكن البنا كان عنيفا في انتقاده لـ "(قومية الجاهلية)"، والتي كان يعني بها الجهود المعاصرة للوطنيين

العصريين في بعض البلاد الإسلامية (لم يذكر مصر تحديدا في رسالته لكن من المؤكد أنه كان يقصدها ضمنيا) لإحياء عادات الجاهلية" التي سبق وأنهتها وحدانية الإسلام. واستهجن البنا هذه الجهود لاستبدال الرابطة الإسلامية بقومية غير ملائمة تقوم على أساس عرقي. وقد حصر رفضه القاطع على العالم العربي المعاصر، زاعما أن الإخوان المسلمين "لا يدعون إلى الفرعونية، أو العروبة، أو الفينيقية، أو السورية".[١٥] والأهم، أن البنا يدين بصفة خاصة "(قومية العدوان)"، مشيرا تحديدا إلى "تمجيد الذات العرقية الذي يصل إلى حد ازدراء الأجناس الأخرى، والاعتداء عليها، والتضحية بها في سبيل مجد الأمة وبقائها، كذاك الذي تتبناه ألمانيا وإيطاليا وتطالب به كل أمة تعلن أنها فوق الجميع؛ وهذه أيضا فكرة بغيضة".[١٦] كما كرر البنا رفضه للأشكال العدوانية من القومية التي ظهرت في أوروبا المعاصرة في كتابه (نحو النور)، حيث استنكر بشدة النتائج الضارة لشعارات مثل "ألمانيا فوق الجميع"، و"إيطاليا فوق الجميع"، واستطرد ليعلن أن "مبدأ الهيمنة في البلاد الغربية لا يحدد أهدافها دون "(العصبية الخاطئة)"، وهي لهذا تجلب الحروب المهلكة والاعتداء على الأمم الضعيفة".[١٧] ويصر البنا على وجود فجوة كبيرة بين تبني الإسلام للقوة والطبيعة العسكرية المتأصلة في الحركات الشمولية المعاصرة: "فاشية موسوليني، ونازية هتلر، وشيوعية ستالين تقوم على "(العسكرية)". لكن هناك فارق شاسع بينها وبين عسكرية الإسلام؛ لأن الإسلام الذي قدس العسكرية هو أيضا الذي فضل "(السلام)".[١٨]

يقدم خطاب البنا أمام المؤتمر الخامس للإخوان المسلمين، المنعقد في يناير ١٩٣٩، تعبيرا محكما عن موقف الحركة من الأحداث العالمية الجارية.[١٩] ويركز الخطاب، الذي ألقاه البنا في أعقاب أزمة ميونيخ أواخر ١٩٣٨، كثيرا على "موقف الإخوان من دول أوروبا". وحدد البنا موقف الحركة الدولي على ضوء موقفها من القومية بشكل عام. وبعد أن كرر أن إسلام الإخوان المسلمين "لا يعترف بالحدود

الجغرافية أو فرق الجنس والدم"، أكد على قناعة الحركة الثابتة بأن "المسلمين "(أمة واحدة)" وأن وطن المسلمين "(وطن واحد)". واستطرد البنا ليوجه نقدا صريحا إلى "(التعصب للأجناس والألوان)" و"(القومية الجنسية)" بوصفها أشكالا مضللة ومدمرة لهوية الجماعة، تؤدي إلى"النزاعات، والتنافر، والدمار" بين شعوب العالم. واتساقا مع توجهه الإسلامي، يرى المرشد العام أن الإسلام وحده، بنهجه الشامل والإنساني الفريد نحو التضامن، هو القادر على إنقاذ البشرية من مثل تلك القومية الشوفينية المدمرة.(٢٠)

وبالإشارة تحديدا إلى الإمبريالية الأوروبية المعاصرة، أعلن البنا أن الإخوان المسلمين لهم "سجل تاريخي طويل" من التفاهم مع الدول الأوروبية التي احتلت وما زالت تهيمن على مناطق من العالم الإسلامي "دون وجه حق". ومقاومة مثل هذا الاستعمار الأجنبي واجب ديني على كل مسلم: "الإسلام يأمر المسلمين، ونحن من بينهم، بالعمل على إنقاذها واستعادتها". وفي خطابه، ركز البنا على الصراع في فلسطين المجاورة و"حرمان أهل فلسطين من حقوقهم" على يد بريطانيا العظمى والصهيونية. وحيث إن "كل مسلم يعتبر فلسطين جزءًا من بلاد الإسلام"، دعا البنا المسلمين إلى الانخراط في النضال ضد الاستعمار البريطاني والاستيطان الصهيوني في فلسطين بمساندة التنظيمات الإسلامية المصرية الداعمة لقضية عرب فلسطين. كما استنكر البنا الإمبريالية الفرنسية وسجلها من "إعدام، ونفي، وسجن" رافضي الوجود الاستعماري في سوريا وشمال أفريقيا.(٢١)

لكن استنكار البنا لم يقف عند حد بريطانيا وفرنسا. فالمرشد العام يوجه أعنف بلاغته المعادية للاستعمار وُجهت إلى الأنشطة الإيطالية في ليبيا. وقال، "إن سجلنا مع إيطاليا لا يقل طولا أو عمرا عن سجلنا مع فرنسا". والاستعمار الإيطالي

بصورته في ليبيا كان أكثر إضرارا وتدميرا للإسلام من أي مكان آخر في العالم العربي سواء من جانب بريطانيا أو فرنسا. وهو يرى أن سياسة القمع التي تمارسها إيطاليا والاستيطان الإيطالي إنما يهدف إلى تحويل ليبيا إلى "جزء من إيطاليا"، ما يرقى إلى ما يطلق عليه "التطهير العرقي": "طرابلس العربية المسلمة، الجارة العزيزة (لمصر) ــ يعمل الدوتشي ورجاله على محوها، ومطاردة أهلها والتضييق عليهم، والقضاء على أي مظهر أو أثر لعروبتهم أو إسلامهم". الاستعمار الإيطالي يرمي إلى حرمان سكان ليبيا من هويتهم الجماعية، و"استعبادهم، وقمعهم، وإذلالهم"، وهو وضع "الموت فيه أفضل من الحياة". وبعد إدانته لـ "جرائم موسوليني" في ليبيا، دعا البنا المسلمين إلى أن "يتذكروا دائما، وأن يذكّروا أبناءهم بأن طرابلس ليست، ولن تكون أبدا، موطنًا إيطاليًا ... حتى لو هاجر إليها كل سكان إيطاليا". فليبيا "جزء من وطننا، الوطن الإسلامي الواحد ... وعليكم (أيها المسلمون) الاستعداد للوقت الذي نستردها فيه وننقذها، الوقت الذي سيحل قريبا جدا".[٢٢]

وهناك خطاب منهجي مهم للمرشد في أبريل ١٩٣٩، تزامن مع ابتلاع ألمانيا لمؤخرة تشيكوسلوفاكيا وغزو إيطاليا لألبانيا الذي يعد إشارة إضافية إلى الاتجاهات التوسعية للديكتاتوريات الأوروبية، مفصلا موقف المرشد العام الذي ينبغي على المسلمين اتخاذه من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية. وهذا الخطاب، الذي أعيد تحريره وصياغته فيما بعد، وصدر على هيئة كتيب بعنوان "(إلى الشباب)"، أصبح من أكثر نصوص الإخوان ذيوعا في تلك الفترة.[٢٣] ومرة أخرى، استنكر البنا "(مطامع)" الإمبرياليين الغربيين الذين يحتلون بلاد المسلمين ويدمرون في طريقهم وحدة "الوطن الإسلامي". إن الوحدة الإسلامية تتجاوز الحدود المصطنعة التي رسمها الاستعمار: "مصر، سوريا، العراق، الحجاز، اليمن، ليبيا، تونس،

الجزائر، المغرب، وأي مكان يوجد فيه مسلم يقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله، هو وطننا الإسلامي الكبير الذي نسعى إلى تحريره واسترداده وتوحيد أجزائه مرة أخرى". ويقارن البنا بين هذه الوحدة القائمة على الإسلام والموقف الأيديولوجي لـ "الرايخ الثالث الذي يفرض نفسه حاميا لكل من يتدفق في عروقهم الدم الألماني"، ويسعى من ثم إلى تحقيق وحدة الجنس الآري. وبالنسبة للمسلمين، فإن "(العامل العنصري)" لا يمكن أن يكون أقوى أو أهم في تكوين المجتمع البشري من "(العامل الإيماني)". وموجها الحديث إلى حركته، يؤكد مرة أخرى للشباب المسلم على "أننا لا ندعو إلى "(الفرقة العنصرية)" أو "(العصبية الطائفية)"، وإنما إلى أن الإسلام "يحترم وحدة البشرية". وعندما انتقل إلى الحديث عن إيطاليا الفاشية، أدان البنا مرة أخرى النوايا العدوانية لإيطاليا الفاشية وأطماعها في غزو واحتلال بلاد المسلمين التي تعد جزءا من العالم الإسلامي الموحد. "البحر المتوسط والبحر الأحمر بحران إسلاميان ... يجب إعادتهما إلى كنف الإسلام"، وليست ساحة للهيمنة الإيطالية. وبالنسبة لحسن البنا والإخوان المسلمين، فإن إمبراطورية الإسلام أكثر نبلا بكثير من الإمبراطورية الرومانية التي يتطلع موسوليني لإحيائها: "السنيور موسوليني يعتقد أن من حقه إحياء الإمبراطورية الرومانية. لكن تلك الإمبراطورية لم تكن أكثر من إمبراطورية مزعومة قامت على الطمع والحماسة. والحقيقة أنه حقنا أن نعيد مجد الإمبراطورية الإسلامية التي تأسست على العدل والصدق لنشر النور بين بني البشر".[٢٤]

لقد وضعت أفكار حسن البنا عن القومية والاستعمار الإطار المفاهيمي والبلاغي الذي يحتذيه غيره من منظري الحركة عند تناول هذه المسائل. وعلى المنوال نفسه، انتقد محمد الغزالي، الذي كان منظرا صغيرا، وأصبح فيما بعد المتحدث الرئيسي باسم الإخوان، "الميل القومي" للحضارة الغربية لأثره المدمر

على المسلمين. والقومية بصورتها التي نراها في الغرب كانت "(تعصبًا قوميا)" يؤدي، في حال تبناه المسلمون إلى تفتيت وحدة المسلمين وتقسيم الجماعة الإسلامية. والحكومات الإمبريالية الغربية، باستخدامها مبدأ القومية الزائف تتلاعب بازدراء بوطنية المسلمين الأصيلة والمشروعة، وتحيلها إلى "(قومية جامحة)". وبالنسبة للغزالي، فإن "تفتيت البشرية إلى أجناس ومجموعات عرقية تتصارع فيما بينها" تعد نتيجة سلبية للقومية الأوروبية الحديثة. وتتمثل ذروة هذه القومية المتطرفة والمدمرة في "الزعم بتفوق القوميتين الألمانية والإيطالية" الذي نجده في النازية والفاشية المعاصرتين. والفاشية والنازية هما التجلي النهائي لـ "الميل (القومي) الذي يزرع الخراب والدمار".(٢٥)

كانت نظرة الغزالي إلى القومية كما تتبناها الحركات الفاشية المعاصرة انتماء سلبيا كنظرة حسن البنا. ومثل مرشده، اعتبر الغزالي القومية العنصرية الحديثة بمثابة عودة إلى الجاهلية، وحذر المصريين والعرب كذلك من إغواء الفاشية أو النازية. وبعد أن عبر عن أسفه من أن "العسكرية الفاشية أو النازية التي تتبنى مبادئ التوحش، تلك القومية الممعنة تأسر أحيانا قلوب الشعب المصري" (أوهام مصر الفتاة وأتباعها)، أدان تبني المسلمين للممارسات الفاشية، ووصفه بـ "التقليد الأحمق" الذي ينبغي للشباب المسلم تجنبه بأي ثمن. والمسلمون بحاجة إلى التمسك بالوحدة، وألا ينخدعوا بـ "مجد القومية المتوهم". وحدة المسلمين وليس القومية العنصرية هي أساس الولاء: "يجب أن نحمي أنفسنا من الانقسام الإسلامي على أساس الولاء لوطن بعينه، وأن ننزع مبدأ التعصب القومي من قلوب (المسلمين)". وبالنسبة لهذا المعبر عن الإخوان المسلمين، "وطن المسلم هو دينه وحكم المسلمين هو الشريعة".(٢٦)

كان صالح مصطفى عشماوي هو رئيس تحرير مجلة النذير، الأسبوعية السياسية للإخوان التي بدأت الصدور في ١٩٣٨، وكانت منذ ذلك الحين أهم منبر للتعبير عن أفكار الحركة. وفي مقال في ١٩٣٩ بعنوان "(الكفر ملة واحدة والاستعمار ذل وحيد)"، يرى العشماوي أن "(الاستعمار الكافر)" الغربي قوة موحدة تعمل بطريقة ممنهجة لغزو العالم الإسلامي ومحو الهوية المسلمة. ومن رأي العشماوي أن هناك فرقًا جوهريًا بسيطًا بين استعمار البلاد الديمقراطية الغربية واستعمار إيطاليا الفاشية فيما يتصل بالإسلام: "الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون هم أعداء الله ورسوله ويرفضون الإسلام والتوحيد". ورفض العشماوي التفريق بين الاستعمار البريطاني والفرنسي من ناحية والاستعمار الإيطالي من ناحية أخرى الذي يحاوله "بعض المسلمين": "هؤلاء المسلمون ينسون أن الكفر ملة واحدة والاستعمار مذلة واحدة. وكل هؤلاء الاستعماريين لهم هدف واحد هو محو الإسلام وازدراء المسلمين وإذلالهم".[٢٧]

كان من رأي العشماوي أن خطر الاستعمار الإيطالي يتساوى، بأكثر من طريقة، يتساوى مع، وقد يفوق، الاستعمار الأوروبي التقليدي لبريطانيا العظمى أو فرنسا. وعلى الرغم من أن المقال تضمن إدانة لبريطانيا العظمى، خاصة اضطهادها لمسلمي فلسطين و"تهويد فلسطين" الذي كان يتم بتشجيع بريطانيا ودعمها، وكذلك لفرنسا لعملية "الفرنسة" التي كانت تمارسها في شمال أفريقيا، فإن الاستعمار الشرير لإيطاليا النازية شكل بؤرة اهتمام المقال. إن "إيطاليا، بسيرها على خطى إنجلترا وفرنسا، تسعى إلى إبادة العرب وإذلال الإسلام"، كما يشير العنوان الفرعي للمقال. ووصف أساليب القمع الإيطالي للمقاومة الليبية بالقسوة والوحشية، ومن بينها قتل قادة المعارضة مثل عمر المختار وتصفية المقاومين وهي تسخر منهم: "أين محمد الآن لينقذكم؟". وقد أتبعت إيطاليا غزوها لليبيا باستيطان البلاد، وتدفق المهاجرين الإيطاليين إليها[٢٨]. إيطاليا "ضمت ليبيا إلى

روما؛ لتنتزع بذلك جزءا من قلب الوطن الإسلامي، وتضمها إلى مركز المسيحية البابوية". وبضمها ليبيا المسلمة، كانت إيطاليا ترمي إلى محو الشخصية الإسلامية لأهالي ليبيا الأصليين.: "أي فخر هذا، وأي هبة ـ حين تحرم العرب من مواطنتهم وهويتهم العربية وتحولهم إلى مواطنة وهوية إيطالية ـ رومانية؟. تلك هي بحق بركة ومنحة إيطاليا وموسوليني، كخطوة أولى نحو تجريد العرب من دينهم الإسلامي وتحويلهم إلى الدين المسيحي". وسخر العشماوي من محاولة موسوليني لتقديم نفسه "صديقا للعرب وحاميا للإسلام". وقال: إن الإسلام يحميه الله، والله لا يحتاج إلى مساعدة موسوليني. بالمقابل، فإن كل ما فعلته إيطاليا في ليبيا يثبت أن الدوتشي عدو للإسلام والمسلمين. الاستعمار الإيطالي عنصري يعتبر غير الإيطاليين من جنس أدنى تجب إبادته بدنيا وروحيا. "اليوم في طرابلس الغرب، تحدث أفظع المآسي لحياة (المسلم) ... هناك ضغوط وتمييز ضد المسلمين في كل نواحي الحياة تهدد بضياع هويتهم، وتحولهم إلى عبيد لا يملكون مصيرهم. إنهم يريدون الحياة لكنهم لا يجدونها. الموت يتربص بهم في كل زاوية، ويموتون".[٢٩]

وبالنسبة لمحمد الغزالي وصالح مصطفى العشماوي، وكذلك حسن البنا، فإن مبدأ "عدو عدوي صديقي" لا ينطبق عليهم. فرغم انتقادات منظري الإخوان المسلمين الحادة للاحتلال البريطاني لمصر، فلم يعتبروا إيطاليا الفاشية بديلا مقبولا للاستعمار البريطاني والفرنسي. ففي أعمالها الخارجية، قدمت إيطاليا الفاشية شكلا أشد خبثا من الاستعمار، يهدد الحياة الروحية للمسلمين إلى جانب الهيمنة على أراضيهم.

ونجد تعبيرا غير مباشر عن رأي الإخوان المسلمين السلبي في الفاشية في أواخر الثلاثينيات في خصومتهم وكراهيتهم لمصر الفتاة. ومنذ بدء تأسيسها في ١٩٣٣ وما تلاها، كانت مصر الفتاة المنافس الرئيسي للإخوان في الفوز بولاء أفندية مصر الجدد. عبرت الحركتان عن خيبة أملهما في النظام البرلماني الفاسد؛

وحاولتا تقديم مجموعة من المبادئ أكثر دينامية وإلهاما كأساس لحداثـة مـصرية فعالة وأصيلة. وخلال معظم سنوات الثلاثينيات، تنامت شعبية وعـضوية مـصر الفتاة، وإن لم يكن بقدر ما حققت حركة الإخوان المسلمين. لكن مع نهايـة العقـد، كان اكتساح الإخوان لمصر الفتاة واضحا. وكان ذلك بمثابة صفعة أصابت قادتهـا باليأس. ومن ناحية، كثفوا من عسكرة حركتهم، خاصة في مـسألة فلـسطين ذات البعد العاطفي العميق، من خلال شن حملة دعاية عنيفة معادية لليهـود ومقـاطعتهم وهو ما سوف نناقشه في الفصل التالي؛ ومن ناحية أخرى، تملصوا من الانـدماج في الإخوان المسلمين. (٣٠) وعندما فشلت الأخيرة في تحقيق هذا، غيَّرت الحركـة اسمها ليصبح "(الحزب الوطني الإسلامي)"، وتبنت برنامجا ذا طابع أكثر إسـلامية للتنظيم بعد إعادة تسميته (٣١).

وما يهمنا في هذه النقطة هو رد فعل الإخوان تجاه ما طـرأ علـى مـصر الفتاة. وكالعادة، حدد حسن البنا. وتناول خطابه أمام المؤتمر الخامس للحركة فـي يناير ١٩٣٩ العلاقة بين "الإخوان المسلمين ومصر الفتاة". وعبر المرشد العام عن امتعاضه الشديد من انتقادات مـصر الفتـاة الـسابقة لحركتـه، واتهـم صـحفها بـ "مهاجمة الإخوان المسلمين واتهامهم بتهم لا أساس لها وبمعاداة (مصر الفتاة)". واستنكر الزعم بمعاداة مصر الفتاة، وأعلن أن غالبية الإخوان المسلمين لا يكنـون أي مشاعر سيئة تجاهها. وأشار البنا إلى أن فكرة الاتحاد بين الحركتين قوبلت برد إيجابي في بعض الأوساط، وأن بعض أعضاء حركته كانت ترغـب بحـق فـي "اندماج مصر الفتاة والإخوان المسلمين". ومن جانبه، رفض المرشد العام إمكانيـة ذلك. فالحركتان حينها غير متوافقتين في الوقت الراهن. وأضاف إنهم فـي مـصر الفتاة يعتبرون الإخوان المسلمين مجرد "جماعة للوعظ" ينقصها التوجه الـسياسي، بينما يعتبر الإخوان، بدورهم، مصر الفتاة منظمة ترى أن "الأهمية الحقيقة للإسلام"

"لم تبلغ أرواح أعضائها بعد" وهكذا ليس بمقدورهم "تبليغ رسالة الإسلام الحقيقية. وبدلا من استبعاد أي احتمال لاندماج الحركتين في النهاية، وضع شرطا صارما لتحقيق ذلك: يمكن أن تكون مصر الفتاة مرشحة للاندماج مع الإخوان المسلمين "فقط في حال أعلنت أنها ليست حزبا سياسيا، وأن تعمل وتظل تعمل من أجل تدعيم الفكرة الإسلامية ومبادئ الإسلام. وهذا سيكون انتصارا جديدا للإخوان المسلمين".(٣٢)

لم يكن أتباع البنا بقدر دبلوماسيته في التعامل مع مصر الفتاة. واتهم صالح مصطفى العشماوي مصر الفتاة بأنها حركة وطنية شوفينية أخفقت في التمسك "بمبادئ الإسلام الأصيلة". ورغم ادعاء قادة مصر الفتاة بأنهم "يفاخرون بالإسلام"، فإنهم في الواقع لا يفهمون جوهره. كان أسلوب عمل الحركتين مختلفا كل الاختلاف. الإخوان المسلمون ينهجون نهجا غير ثوري وغير صدامي، مدركين أن "الأساس للبعث الحقيقي للأمم هو تعليم الشعوب وغرس الوعي السليم في عقولها" عن طريق التعليم والتنوير الثقافي. وهكذا، كانت الإخوان حركة تدريجية، عملت على الفوز بالقلوب والعقول من خلال الوعظ والتعليم في "مناخ هادئ وآمن ومنضبط". بالمقابل، كانت مصر الفتاة حركة متعجلة وراديكالية "تسعى إلى تحقيق هدفها بسرعة، هنا والآن". وعليه، "هم لا يقبلون بمنهج الإخوان التدريجي". من هنا، لم يكن طريق مصر الفتاة "طريق الإخوان"؛ من هنا، لم يكن ثمة أساس لاندماج الحركتين.(٣٣)

كان عبد الحافظ محمد عبد الجواد أشد عنفا في رفضه لمصر الفتاة. وكان يرى أن زعيم مصر الفتاة، أحمد حسين، لا يفهم جوهر رسالة الإخوان المسلمين. وافتراضه أن جمعية الإخوان المسلمين "حزب ذو سمات تتطابق مع غيره من الأحزاب كالوفد أو مصر الفتاة نفسها"، خاطئ من أساسه. كان مقال عبد الجواد

مخصصا للتأكيد على الفروق بين المنظمتين. ومصر الفتاة حركة وطنية بالأساس، "تحب مصر وتعمل من أجل مصر"؛ وشعاراها "(مصر فوق الجميع)" و"(المجد لمصر)" شعاران وطنيان. "لكن كل هذا مخالف للدين الإسلامي، إنه "(كفر وإلحاد)"، كما يقول عبد الجواد في مقاله. وبعد أن تحدث عن الأخلاق الإسلامية للإخوان، أعلن عبد الجواد أن "الإسلام لا يسمح بهذه (الإقليمية). ويرفض "(النظرة الضيقة للقومية) حيث إن الله، تبارك اسمه، يخبرنا بأن (كل المؤمنين إخوة) ولم يقل (كل المصريين ....). وإذا ما أعلن الإخوان أن "مصر فوق الجميع" أو "المجد لمصر فهم يبتعدون بذلك "عن إخواننا المسلمين" في البلاد الإسلامية. وتمجيد القومية الضيقة يعني "دعوة إلى الكراهية والعداء المتبادل"، وتحد لله والإسلام. وهكذا، كانت قومية أحمد حسين المصرية التي "تدعو إلى حب الوطن المصري فقط"، مخالفة للإسلام. وكان الإخوان المسلمون وطنيين مصريين حقيقيين لأن قوميتهم إسلامية بطبيعتها، تعمل من أجل الإسلام. وبالنسبة إليهم، فإن "حب الوطن ليس كفرًا وإلحادًا"، وإنما هو نابع من قلب وروح الإسلام" وبهذا فهو يتضمن الإيمان بأن "الإسلام يأمرهم أيضا بحب الوطن الإسلامي الكبير". ولم يكن من المناسب فحسب دمج مصر الفتاة مع الإخوان؛ بل كانت منظمة تستحق الإدانة والإنكار بسبب طابعها القومي الضيق. وبصورة أكثر وضوحا من آراء البنا أو العشماوي، أشارت كتابات عبد الجواد إلى مركزية الولاء الإسلامي للإخوان ورفضهم لأي شكل من القومية العنصرية القائمة على الأرض أو الجنس أو اللغة.[٣٤]

كانت النقطة التي التقت فيها أنشطة الإخوان المسلمين مع الحركة الفاشية المعاصرة، وإن لم تكن نابعة منها بالضرورة، هي موقفها من اليهود واليهود المصريين. فأنشطة الإخوان لمناصرة الفلسطينيين، والتي كانت تحتل مكان الصدارة في أواخر الثلاثينيات، قادتها في نهاية المطاف إلى انتقاد الطائفة اليهودية

المصرية لدعمها المفترض للمشروع الصهيوني في فلسطين. وبحلول ١٩٣٨، كان رئيس تحرير النذير، صالح مصطفى العشماوي، يدين يهود مصر لعدم مساندتهم عرب فلسطين في كفاحهم ضد الصهيونية، ولتأييدهم فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين؛ طالب العشماوي يهود مصر بالاختيار بين "إما التحالف أو العداء" مع أغلبية مصر من المسلمين في رفضهم للصهيونية.[٣٥] وهاجمت مقالات أخرى في النذير نفوذ اليهود المصريين في الصحافة والمجالات المالية والتجارية، وأكدت أن تفوق اليهود في صناعة الترفيه قوض القيم الإسلامية.[٣٦] ويشير أحد التحذيرات إلى المصريين بالصحيفة من التأثير اليهودي إلى أن "الخطر اليهودي على مصر محدق، وعلينا اتخاذ المبادرة، ومقاطعتهم ولفظهم، لأنهم أفسدوا مصر وأهلها".[٣٧] وأخيرا، دعا الإخوان المسلمون إلى مقاطعة اليهود تجاريا لمنعهم من مساندة الصهيونية.[٣٨]

ورغم هذه البلاغة والنشاط المعادي لليهود، لم يعكس موقف الإخوان المسلمين المعادي لليهود تبني الحركة معتقدات العداء المعاصر للسامية السائدة في أوروبا. وعلى المستوى النظري، كان موقف الحركة يضرب بجذوره في التعاليم الإسلامية التقليدية المتصلة بوضع غير المسلمين في المجتمع المسلم. وكما صاغها حسن البنا في إحدى رسائله إلى أتباعه، "إننا نترك (غير المسلمين) في سلام طالما يتركوننا في سلام، ونتمنى لهم الخير طالما كفوا عن معاداتنا، ونحن نعتقد أن بيننا وبينهم العهد الذي دعا إليه (الإسلام)".[٣٩] وكما سبق ولاحظنا، فقد أدان المرشد العام بشدة ما أسماه "قومية العدوان"، و"تمجيد الذات العنصرية" من جانب دول مثل إيطاليا وألمانيا، بوصفها "فكرة بغيضة"،[٤٠] كما أدان تلميذه محمد الغزالي "تقسيم البشرية إلى أجناس ومجموعات جنسية تصارع إحداها الأخرى" باعتباره "توجهًا يبذر بذور الخراب والدمار".[٤١] وتوصل فحص عبد الفتاح محمد العويسي الدقيق

للمسألة إلى أن عداء الإخوان المسلمين ليهود مصر عائد إلى الأوضاع الحالية، "نتيجة مباشرة لرد فعلهم تجاه الصهيونية والأحداث في فلسطين"، وإجمالا "أكدت الجمعية على إمكانية التعايش السلمي مع اليهود، لولا أحداث فلسطين".[٤٢] وهذا الموقف من اليهود يختلف كثيرا عن معاداة السامية النازية. فالفكرة النازية العنصرية وممارساتها تتعامل مع اليهود كعناصر أدنى ينبغي استئصالهم من الأمة الألمانية ومن العالم أجمع.

وحتى نضع الإخوان المسلمين في موقعها الصحيح من الخطاب الإسلامي في فترة بين الحربين، من المفيد عقد مقارنة بين آراء الحركة وآراء الفاشية والنازية وتلك التي عبر عنها جناح آخر من الاتجاه الإسلامي. وهذا سيوضح لنا أن موقف الإخوان الرافض للفاشية والنازية لم يكن الموقف المشترك بين كل مكونات الاتجاه الإسلامي. وهنا، نشير إلى محب الدين الخطيب، الذي كان صوتا إسلاميا بارزا فيما بين الحربين. كان الخطيب، السوري الأصل، والمقيم في مصر منذ هزيمة الحركة الوطنية في بلده بعد الحرب العالمية الأولى، يحرر صحيفة الفتح، المنبر الأساسي للخطاب الإسلامي في فترة بين الحربين، منذ منتصف العشرينيات. كما كانت الصحيفة الأساسية للتعبير عن آراء "جمعية "(الشبان المسلمين)"، أحد المكونات التنظيمية الرئيسية للاتجاه الإسلامي الناشئ في مصر. [٤٣]

وقد عبر الخطيب، القومي العربي السابق والداعي إلى الإحياء الإسلامي، خلال الثلاثينيات، عن تعاطفه الشديد مع ألمانيا النازية وتطلعاتها الوطنية. كان الخطيب معجبا بأسلوب ألمانيا النازية في تنفيذ خططها لإقامة ألمانيا الكبرى، معتبرا البرنامج النازي نموذجا يحتذى للقوميين العرب الساعين إلى تحقيق الوحدة العربية. وهكذا، كتب الخطيب، في أعقاب ضم النمسا في ١٩٣٨، عددًا من المقالات تعبر عن تأييده لتحرك هتلر الشجاع.[٤٤] ولم يكن ضم النمسا إلى ألمانيا

سوى الخطوة الأخيرة في سلسلة من المبادرات الدولية من جانب هتلر والنظام النازي. ومن المنظور الوطني، كان الضم خطوة ضرورية لتحقيق هدف هتلر بتوحيد ألمانيا. وكل ما فعله هتلر هو إعادة النمساويين الناطقين بالألمانية إلى وطنهم الطبيعي، إلى "ألمانيا الأكبر"، التي تقوم على "وحدة اللغة، ووحدة الجنس، ووحدة الثقافة، ووحدة الطموح". والحماس الذي قوبل به الضم من جانب النمساويين، و"استقبال" سكان فيينا لـ "النمساوي الناجح، الهر هتلر" بهتافات "أمة واحدة، وطن واحد، زعيم واحد"، يثبت أن ألمانيا الكبرى أمة واحدة. ويوضح الخطيب لقرائه أن "النمساوي ليس غريبا في ألمانيا، والألماني ليس غريبا في النمسا"؛ إنهم، بالأحرى، "إخوان في الدم والجنس".[٤٥] وبعد أن يوضح أن الحدود بين ألمانيا والنمسا "حدود زائفة"، يرى الخطيب أن هتلر كان لديه ما يبرر "إزاحة القناع عن هذه الحدود المتخيلة وإزالتها".[٤٦]

كان الخطيب مفرطا في إعجابه بـ"قوة الروح الألمانية" و"الإيمان الألماني الحماسي" الذي نراه في ألمانيا النازية. وهو يرى أن ألمانيا النازية نموذجا ينبغي أن يحاكيه العرب. والدرس المستفاد من النموذج الألماني هو "الإيمان سر القوة وسر الوحدة"؛ والعرب بحاجة إلى نسخ النموذج الألماني الذي يعني "وطنًا واحدًا، وأمة واحدة، ولغة واحدة، وجنسًا واحدًا، وزعيمًا واحدًا" لإقامة أمة عربية موحدة ومستقلة. والسبيل إلى تحقيق هذا هو إدراك رسالة "الحدث التاريخي" بانتصار هتلر في فيينا: "في كل مدرسة عربية" وفي "كل بيت عربي"، يجب على المدرسين والآباء أن "يغرسوا في أبنائهم المثال العظيم لحدث توحيد ألمانيا والنمسا، بحيث تمتلئ قلوبهم بهذا النموذج للإيمان القومي الذي نجده في قلب كل ألماني ونمساوي".[٤٧] وأعلن الخطيب أن على "القومية العربية" أن تسير على خطى "القومية الألمانية".[٤٨]

كما تبنى الخطيب سياسات ألمانيا المعادية للسامية باعتبارها سعيًا مشروعًا من جانب الألمان للعودة إلى جذورهم العرقية الأصيلة بتطهير أمتهم من الطفيليات الغريبة. الأمة الألمانية مضطرة إلى "التخلص من العناصر المختلطة والغريبة للجنس (اليهودي) التي كانت تتحكم في الرأي العام من خلال الصحافة ودور النشر، والتي تسيطر على الاقتصاد الألماني والثروة الألمانية من خلال الاحتكارات والتلاعب بالصناعة والبنوك والأسواق، وإشرافها على الإدارة العامة". وألمانيا تدرك جيدا أن "تحقيق الحرية الكاملة الحقيقية يستدعي إنقاذ قوميتها من عنصرها الجنسي الغريب الذي كان له أثر كبير في السيطرة على الحياة الثقافية والاقتصادية، وإدارة وسياسة الأمة الألمانية". اليهود "خطر" على ألمانيا؛ وباستئصالهم من نسيجها القومي، ستضمن ألمانيا "حريتها، وقوتها، وإحياءها".(٤٩)

لم يمتد تعاطف الخطيب مع ألمانيا النازية إلى إيطاليا الفاشية. وكقومي عربي، توازت آراؤه عن إيطاليا وأطماعها الإمبريالية في البحر المتوسط مع الآراء المناهضة للاستعمار التي عبر عنها الإخوان المسلمون. وفي مقال نشر في منتصف ١٩٣٩، عشية اندلاع الحرب، يحلل الخطيب "موقف الكتل الدولية من القومية العربية". وكانت النتيجة المتشائمة التي توصل إليها هي أنه ليس هناك فرق كبير بين "الكتلة الديمقراطية" و"كتلة محور برلين ـ روما" فيما يتصل بالعالم العربي؛ فكلاهما كان يعمل ضد الطموحات القومية العربية. وبينما يستخدم قادتهما بلاغة مسكنة، ويحاولون الظهور بمظهر الأمم المستنيرة المتعاطفة مع تطلع الشعوب المحتلة والمستعمرة للتحرر والاستقلال، كانت الديمقراطيات الغربية والديكتاتوريات الفاشية في الحقيقة كيانات استعمارية معادية للعرب والمسلمين. وبينما وجه نقدا شديدا للسلوك الاستعماري لبريطانيا العظمى في فلسطين ولفرنسا في شمال أفريقيا، واتهامهما بالسعي إلى تقسيم الأمة العربية الواحدة إلى شظايا من

أجل التمكن من السيطرة عليها وحكمها، يدين الخطيب كذلك الاستعمار الإيطالي في ليبيا. وبتعبيرات مماثلة تماما لتلك التي استخدمها العشماوي من الإخوان المسلمين، يسخر من محاولة موسوليني لتقديم نفسه بوصفه صديقًا للعرب والمسلمين، في حين أنه "لا توجد شعرة في رأسه تهتز عندما ترسل (إيطاليا) كل عام عشرين ألف أسرة إيطالية إلى طرابلس الغرب لكي يجردوها بالتدريج من عروبتها وإسلامها وتحويلها إلى وطن إيطالي كاثوليكي". وإيطاليا تفعل هذا عن طريق نزع قومية وهوية السكان العرب المسلمين بوحشية "في محاولة لسلخهم عن العالم الإسلامي والوطن العربي". وهكذا نرى أن تعاطف الخطيب مع الأهداف والتحركات القومية لألمانيا النازية في أوروبا لم يمتد ليشمل إيطاليا الفاشية، التي تهدد طموحات ومصالح العرب والمسلمين.[٥٠]

ولكي نفهم المنظور الأيديولوجي للإخوان المسلمين على أكمل وجه، من الضروري أيضا فحص آرائهم حول مبادئ البديل المتمثل في الديمقراطية الليبرالية. وأحيانا ما يفترض أن إصرارهم على التوجه الإسلامي للمجتمع أدى بالإخوان إلى رفض الديمقراطية الليبرالية التعددية وتبني نظام الحكم الاستبدادي بدلا منه. وعند فحص موقفهم من مسألة الديمقراطية البرلمانية بشكل منهجي، يتبين أن الأمر أكثر تشابكا.

كان موقف الإخوان من النظام البرلماني القائم في مصر معقدا ومتناقضًا في بعض جوانبه. وفي المؤتمر الخامس للحركة، خلص حسن البنا من رؤيته لنظام اجتماعي وحدوي إلى رفض التنافس الحزبي المثير للشقاق المتأصل في الحكم البرلماني. وبعد أن وصفه مزدريا بـ "(الحزبية)"، انتقد الأحزاب السياسية المصرية بوصفها كيانات مصطنعة وسلبية، تقسم الأمة وتخدم مصالح شرائح بعينها من المجتمع. واصطناعية الأحزاب نابعة أيضا من افتقادها عقيدة أو برنامجًا

لحيازة السلطة. كان البنا يرى أحزاب مصر السياسية منظمات أنانية لا مبادئ لها ولا قيمًا. والحزبية ترقى إلى معركة، انتهازية ومدفوعة بالمصالح، على المناصب والمنافع.[٥١] وقد كرر هذا الرأي في مقال بالنذير، يرى أن "(النظام الحزبي) القائم أصبح عقبة في طريق الإحياء والتقدم، وجانبًا يؤخر عملية النهوض.[٥٢] وداخليا، كانت الحزبية استغلالاً للموارد الطبيعية لصالح النخبة الوطنية، لإعاقة تقدم الأمة ككل.[٥٣] بل إن تداعياتها الخارجية كانت أكثر خطرا: بإضعافها الأمة أمام محتلها الأجنبي، تعمل الحزبية بهمة لإطالة أجل الاحتلال البريطاني المهين لمصر.[٥٤] وبالنسبة للبنا، هناك حل واحد للحد من الانقسامية التي أفسدت وأضعفت مصر: الشرط الأول لإصلاح الحياة السياسية المصرية هو "الإلغاء التام لكل الأحزاب السياسية القائمة".[٥٥]

ما البديل للنظام السياسي الذي سمح بشرور الحزبية؟. أكدت إجابة الإخوان عن هذا السؤال، وشددت على إعطاء الأولوية للانسجام والتضامن الاجتماعي. وفي خطابه أمام المؤتمر الخامس، اقترح البنا بصورة غامضة تأسيس نظام غير حزبي للحكم، حيث يحل قادة الأحزاب السياسية أحزابهم ويندمجون في "(حياة وطنية)" من السياسيين والتكنوقراط والخبراء، تكون في التطبيق سلطة عليا وطنية جديدة يمكنها توحيد كل قطاعات المجتمع المصري، ومن خلال الإجماع تنطلق البلاد نحو الإصلاح والاستقلال.[٥٦] لكن البنا أشار كذلك إلى الحاجة أن يتواءم الإخوان مع البنية السياسية القائمة واللعب حسب قواعد اللعبة السياسية المصرية حتى يتمكنوا بالأساس من دفع رسالتهم الدينية قدما. ومظهِرًا قدرا كبيرا من المرونة والبرجماتية، أعلن البنا قبوله بالجوانب الأساسية للنظام البرلماني الدستوري بصورته في مصر في فترة بين الحربين. وأقر بشرعية العرش المصري كما أسسه الدستور المصري في ١٩٢٣ (وهو موقف يثير الدهشة بالكاد

من حركة تتوق إلى حرية الاعتقاد والعمل في مصر تلك الأيام). وكان رأي البنا في الدستور نفسه أكثر إيجابية مما كان متوقعا من زعيم منظمة تتعهد بالسيادة النظرية للشريعة الإسلامية. وفي خطابه أمام المؤتمر الخامس، أعلن البنا بوضوح أن مواد الدستور المتعلقة بالحريات الشخصية، ومسئولية الحكام تجاه المحكومين، والقيود المفروضة على سلطة الحكومة تتفق تماما مع الإسلام، واستطرد ليعلن أن "من بين كل أشكال الحكم في العالم، فإن النظام الدستوري هو الأقرب للإسلام. وهم (المسلمون) لن يتركوه من أجل نظام آخر".[٥٧]

بالنسبة للبنا، كانت مشكلة الدستور المصري في تطبيقه وليس في مبادئه. وبدلا من رفض الدستور المصري والنظام البرلماني الذي أسسه، وجه نقده إلى الأسلوب الفاسد وغير الممثل لفئات الشعب للنظام البرلماني في الممارسة. "ما يريده الإخوان المسلمون هو تصحيح طريقة تطبيق الدستور". وعندما توضح المواد الغامضة في الدستور، وعندما تحترم الطبقة السياسية في مصر مبادئه، "حينها سنقبل ونلتزم بالمبادئ الأساسية للنظام الدستوري حيث إننا نراها تتفق وقواعد الإسلام، بل ومستمدة منها"[٥٨]. ولا شك أن الاعتبارات البرجماتية كان لها أثرها الكبير في قبول الإخوان بالنظام الدستوري القائم: بوصفها حركة من خارج النظام البرلماني، كان الإخوان على علم تام بأن حريتهم في التعبير والحركة تعتمد على استمرار وجود النظام البرلماني التعددي في مصر.

كانت هذه البرجماتية ضرورة عملية مهمة. وخلال الثلاثينيات على الأقل، رفض الإخوان العنف السياسي كوسيلة لتحقيق أهدافهم. وتنصل منظرو الجماعة من (الثورة) كوسيلة لتقدم (الدعوة). والحقيقة أن المرشد العام أكد أن الفوز بالسلطة السياسية لم يكن هدف حركته. "الإخوان لا يطلبون السلطة لأنفسهم"، كما

أعلن البنا أمام المؤتمر الخامس. والزعم بأن "الإخوان يسعون إلى إشعال ثورة عامة في النظام الاجتماعي والسياسي في مصر" زعم زائف، وافتراء من قبل معارضيهم لتبرير إعاقة أنشطتهم. لم يكن المطلوب هو القوة السياسية، وإنما "الإيمان والتقوى" من جانب المصريين. فإذا جاءت قيادة وطنية مستنيرة لتقود البلاد على هدى "برنامج الحكم الإسلامي القرآني"، فإنه سيحظى بدعم الحركة الكامل. ولخص البنا موقفه من هذه المسألة بإعلانه أن "الثورة، التي تعتبر التجلي الأكبر لاستخدام القوة، ليست سبيل الإخوان. إنهم لا يفكرون فيها ولا يراهنون عليها، لأنهم لا يؤمنون بجدواها أو أنها يمكن أن تؤدي إلى نتائج إيجابية".[٥٩]

كان لأحاديث البنا عن حاجة حركته لرفض الأساليب السياسية الثورية صداها في سياق الحوار داخل الإخوان المسلمين. وكان من شأن النمو السريع للحركة في أواخر الثلاثينيات إجبار البنا إلى التفكير في الإستراتيجية التي يتوجب على حركته المتوسعة اتباعها. وفي مقال نشر في العدد الأول من صحيفة النذير في منتصف ١٩٣٨، تحدث البنا عن أن رسالة الإخوان مرت بمرحلتين متتاليتين: (الجهاد العملي بعد الدعوة القولية).[٦٠] وفي المؤتمر الخامس، بعد شهور قليلة من هذا، نقح البنا إستراتيجية الحركة بحيث أصبحت من ثلاث مراحل: الأولى، "مرحلة الوعظ والإرشاد وتبليغ الرسالة"؛ الثانية، "مرحلة تكوين واختيار الداعمين وإعداد الجنود"؛ والثالثة، "مرحلة التنفيذ والعمل والنتائج".[٦١] المرحلة الأولى، مرحلة الوغظ ونشر الرسالة في المجتمع، ما زالت مستمرة وتحقق النجاح؛ ومن الواضح أنها ستستمر. والآن، الحركة جاهزة للتقدم نحو المرحلة الثانية من نموها، مرحلة تكوين وتدريب الكوادر القادرة في النهاية على تطبيق رؤيتها الإسلامية داخل المجتمع الأوسع (كانت تلك هي لحظة بدء تكوين الحركة لـ (الكتائب)). وبصورة ضمنية، ترك البنا المرحلة الثالثة، مرحلة "التنفيذ، والعمل، وتحقيق

النتائج"، ما يعني أن التطبيق الفعلي لبرنامجه لأسلمة مصر، اعتمادا على "التأسيس" الجاري لضمان نجاح مسعى "التنفيذ". والحقيقة أن البنا كان ينهج نهجا تدريجيا للمشاركة السياسية، كانت محاولة تغيير بنية الحياة العامة المصرية من خلاله مؤجلة إلى يوم ما في المستقبل.

وتتمثل مشكلة إستراتيجية البنا ذات المراحل المتدرجة بطرحها في ١٩٣٨ في أنها تتعارض مع قطاع من جمهور الأفندية الجدد. فقد شهدت السنوات الأخيرة من الثلاثينيات ظهور رغبة متأججة للمواجهة المباشرة، بين شرائح من أتباع الحركة، لكل من الاستعمار وفساد المؤسسة المصرية. وكان للمزاج الحركي الجديد أن يتصادم مع نهج البنا الأكثر حذرا إزاء المشاركة السياسية. وأدى التوتر بين راديكالية الأفندية الجدد والنهج التدريجي للبنا إلى متاعب حقيقية في صفوف الإخوان المسلمين. وتبدى استياء بعض أتباع الجمعية فى إحجام البنا عن إقرار العمل الفوري المباشر لتحقيق أهداف الحركة في النزاعات الداخلية وكذا المظاهرات غير المرخصة، والعنيفة أحيانا، دعما لقضية عرب فلسطين من قبل بعض المتحمسين من أعضاء الحركة.[٦٢] وتعزز المزاج النضالي بتبني مصر الفتاة في النهاية موقفاً أكثر راديكالية وعنفا بدءا من أواخر ١٩٣٨ وما تلاها، ودعوتها إلى "الثورة"، ومطالبتها بإصلاح "إسلامي"، وقيامها بالعمل المباشر نيابة عن عرب فلسطين ضد الطائفة اليهودية المصرية.[٦٣] وكانت النتيجة التنظيمية لهذه الرغبة في العمل المباشر خروج العناصر الأكثر راديكالية من الحركة في أواخر ١٩٣٩ وتأسيسهم حركة إسلامية منفصلة وأكثر راديكالية، هي (جمعية شباب سيدنا محمد).[٦٤]

بعد عقد من النمو الهائل للحركة التي قادها، واجه البنا معضلة تكتيكية مع اقتراب عقد الثلاثينيات من نهايته. وكما سبق أن لاحظنا، رفضت قيادة الحركة في

١٩٣٩ جس النبض المبدئي لاندماج مصر الفتاة والإخوان المسلمين، وانتقدت شوفينية وتشدد مصر الفتاة. وفي مواجهة الضغوط الداخلية والخارجية لدفع الحركة في طريق أكثر راديكالية وتشددا، أصر البنا على أن نهج الإخوان لدخول الساحة العامة سيظل الاعتدال، والتدرج، والتوافق مع معايير الحياة العامة المصرية لتحقيق أهدافها. وتعززت سياسة التعقل مع ظهور مشاكل بسبب تشدد بعض أتباعه. ويتناول تقييم داخلي لموقف الحركة أعدته قيادتها في منتصف ١٩٣٩ النتائج العكسية المتوقعة في حال تبني أسلوب المواجهة. وقد كانت الرقابة البوليسية والضغوط الإدارية لبيروقراطية الدولة على مؤيدي الحركة تعوق بالفعل أنشطة الحركة وتحجم من حضور اجتماعاتها؛ من هنا، كانت تعليمات البنا لأتباعه هي التزام "الحكمة في سلوكهم وتفادي إلحاق الضرر بأنفسهم".(٦٥)

وعشية الحرب العالمية الثانية، مال حسن البنا إلى التدرج والتكيف كنهج لانخراط الإخوان المسلمين في السياسة. ولن تساوم حركته أو تتنازل، بحال من الأحوال، عن هدفها النهائي بإقامة نظام إسلامي في مصر؛ ولن تكف عن إعداد وتدريب كوادرها المستعدة للعمل المباشر في وقت ما في المستقبل. لكن ما لم يذكره البنا هو أنه أراد تجنب القمع الرسمي أو الإضرار بشرعية وجود حركته باتخاذ موقف متشدد ومتحد علني مثلما كانت تفعل حينها مصر الفتاة. وبدلا من الدعوة إلى توجيه التشدد نحو الخارج، دعا البنا أتباعه، في مقال بالنذير أواخر ١٩٣٩، إلى توجيه همتهم نحو مجاهدة النفس والتطهر: "الآن حان وقت العمل! الإخوان يتجنبون الأعمال الخطيرة، مثل الاشتباك مع الحكومة. وهم يعبرون دائما عن رغبتهم في دخول ميدان المعركة. لا، إخواني الأعزاء! مجاهدة النفس أولا ونحارب الممارسات الفردية المخالفة للإسلام".(٦٦)

كانت سياسة الحذر، والتركيز على تعزيز الروابط الداخلية، وتفادي المواجهة مع السلطات، التي ظهرت أولا كرد فعل على الضغوط الداخلية والخارجية التي فرضت على قيادة الحركة في ١٩٣٨-١٩٣٩، من أجل توجه أكثر تشددا، السمة الأساسية لموقف وسلوك الإخوان المسلمين أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد بلغت علاقتها بحكومات مصر المتعاقبة أقصى درجات التوتر في ١٩٤٠-١٩٤١، حيث تعرضت بعض اجتماعات الجمعية لأعمال قمعية من قبل السلطات، وكذلك الوقف المؤقت لإصداراتها، ونقل مرشدها العام، حسن البنا، مؤقتا من القاهرة إلى الصعيد، في الفترة من فبراير وحتى يونيو ١٩٤١.[٦٧] لكن هذه العلاقة المشحونة بالسلطات لم تدم. ففي أوائل ١٩٤٢، توصل البنا إلى اتفاق مع حكومة الوفد الجديدة برئاسة مصطفى النحاس يقر بتعاون الحكومة المصرية مع المجهود الحربي للحلفاء. ونشر البنا خطابا في الأهرام يشير فيه إلى أن هذا كان مقابل تسامح الوزارة مع تجمعات الحركة السلمية، والدعوة، والنشر[٦٨]. وفي منتصف ١٩٤٣، توصل السفير البريطاني، لورد كيلرن، إلى أن الوزارة الوفدية "ترعى وتدعم" الإخوان المسلمين.[٦٩]

أتت سياسة التعقل أكلها. فقد شهدت سنوات الحرب تجسد ونمو القدرات العملية المؤثرة للحركة. وكانت وضعية الحركة الرسمية كمنظمة دينية واستخدامها المساجد كمنابر طبيعية للدعوة حائلا إلى حد كبير دون منع السلطات لمعظم اجتماعاتها وتمكين قواعدها من نشر رسالة الإصلاح التي تتبناها الحركة، وواصلت الحركة عملية التجنيد وتلقين "كتائبها" من الشباب المتحمس الذي يتلقى التوجيهات والتمرينات البدنية.[٧٠]وبالنسبة للمرحلة النهائية، (التنفيذ)، كان من الواضح في ١٩٤٠ أن الحركة قد أسست جناحها السري شبه العسكري من النشطاء المنظمين في "(النظام الخاص) أو (الجهاز السري).[٧١] وبحلول ١٩٤١،

كان للإخوان المسلمين شبكة تقدر بخمسمائة فرع منتشرة في أرجاء مصر، وارتفع عددها إلى ألف فرع بحلول ١٩٤٤. ومن الصعب تحديد حجـم عـضويتها، لكـن تقديرات أعضائها للعضوية في نهاية الحـرب تتـراوح بـين ١٠٠ ألـف و٥٠٠ ألف. [٧٢] ويقدر تقييم وزارة الخارجية في شهر يوليو ١٩٤٣ عضوية الحركة بنحو ربع مليون عضو في منتصف ١٩٤٣، مضيفا إن "جاذبية الحركـة عنـد شـباب (الإنتلجنسيا) تعطيها تأثيرا يتجاوز أعداد العضوية بكثيـر". [٧٣] وخـلال الـسنوات الأخيرة من الحرب الثانية، أصبح الإخوان المـسلمون "أضـخم جمعيـات مـصر وأكثرها تنظيما، بعد الوفد". [٧٤]

الفصل السابع
حركة مصر الفتاة
هل هى نسخة مصرية من الفاشية؟

كانت جمعية حزب مصر الفتاة (جمعية مصر الفتاة من أكتوبر ١٩٣٣- يناير ١٩٣٧؛ و(حزب مصر الفتاة) من يناير ١٩٣٧ إلى مارس ١٩٤٠) ثاني أهم تنظيم يتكون من الأفندية الجدد في الثلاثينيات. وبمنظورها المصري الوطني، وتنظيمها شبه العسكري، وإقدامها في العمل، كانت حركة قوامها وقيادتها من الشباب وتعبر عن تطلعات الشباب المصري. ومن الناحية الاجتماعية، انبثقت الحركة من أزمة الأفندية الجدد في فترة بين الحربين. وكل قادتها ونشطائها جاءوا من هذا المخزون الاجتماعي. وهي تختلف كثيرا عن الأحزاب الوطنية القديمة التي كانت لا تزال تهيمن على السياسة العليا في مصر. وبادعائها تمثيل "الجيل الجديد"، فصلت الحركة نفسها عما اعتبرته "الجيل القديم"، جيل الوفد وغيره من الأحزاب البرلمانية، متهمة الأخيرة بالفساد الداخلي والتعاون الفعلي مع هيمنة بريطانيا الاستعمارية على مصر. وإلى جانب احتضان هذه الصورة الذاتية كممثل للجيل الجديد، كانت مصر الفتاة تعتبر نفسها حركة شعبية تعبر عن حاجات الشعب المصري ككل، تعمل على مقاومة الإفقار والمحن التي كان يتعرض لها غالبية المصريين من الفلاحين والعمال في الثلاثينيات. (١) ورغم تشابهها جزئيا مع الإخوان المسلمين وغيرها من تنظيمات الأفندية الجدد في أي مكان، كانت مصر الفتاة ظاهرة فريدة تحمل عقيدة ومنهجًا للعمل خاصًا بها. (٢)

وبعد الاستفاضة في تحديد قائمة معايير الإصلاح المطلوب، تختتم مصر الفتاة برنامجها الأولي في أكتوبر ١٩٣٣ على النحو الآتي: "وسائلنا لإنجاز كل هذا، لا يدخل فيها القتل أو الاعتداء أو القتال، وإنما تتلخص في كلمتين: الإيمان والعمل". [٣] فمصر الفتاة تحدد الفرق بينها وبين التنظيمات السياسية المصرية الأخرى من الجانبين الأيديولوجي (الإيمان) والتطبيقي (العمل). أيديولوجيا، كانت حركة وطنية مصرية متحمسة تدعو إلى ضرورة شن نضال وطني عنيد ضد الاحتلال البريطاني لمصر. وحددت مصر الفتاة النضال ضد الاستعمار بعبارات عامة، لا يقف عند حد إنهاء الوجود السياسي والعسكري للمحتل الأجنبي على الأرض المصرية وإنما يمتد إلى القضاء على الآثار الاقتصادية والثقافية التي ترسخت في مصر في ظل الاحتلال الأجنبي. وشملت تكتيكاتها في النضال ضد الاستعمار الأشكال الشرعية كالنشر والاحتجاج ورفع المظالم، إلى جانب الأنشطة شبه العسكرية العنيفة التي ترمي إلى إثارة مشاعر العداء للاستعمار بين الجمهور المصري وتوريط المؤسسة السياسية الخاملة.

كانت مصر الفتاة، في الثلاثينيات على الأقل، حركة مصرية وطنية إقليمية. على أن تعبيرها عن القومية المصرية صيغ بطريقة صادمة وحالمة مقارنة بصياغات قادة الأحزاب السياسية للجيل القديم. كانت الفقرة الأولى في برنامج الجمعية الجديدة في ١٩٣٣ تشير بوضوح تام إلى تشجيع قومية مصرية خالصة: "من الواجب أن نهتم بدفع (القومية المصرية) قدما، وأن نمتلئ إيمانا، وثقة، وفخرا بها. يجب أن تصبح كلمة (مصري) المثل الأعلى ... يجب أن تصبح مصر فوق الجميع". [٤] ويتضمن شعار (مصر فوق الجميع) رؤية لماضي مصر وحاضرها ومستقبلها تفوق رؤية أحزاب مصر البرلمانية طموحا واتساعا. وتعهدت مصر الفتاة بإحياء ما رأته خلود عظمة وقوة الأمة المصرية. وكانت الزعامة التاريخية

لمصر، في رطانتها البلاغية، سمة مصرية أصيلة. مصر هي بداية التاريخ الإنساني وقائدة تطور الحضارة، منذ عهد الفراعنة، تحت حكم الفراعنة، وخلال العهد اليوناني ـ الروماني الطويل، وبعد ذلك في العالم الإسلامي. ويقدر لمصر المعاصرة، التي تشهد إحياءً وطنيا، أن تلعب دورا مشابها في المستقبل: "(مصر) لن تموت أبدا، بل ستنهض ثانية، وتعود إلى وضعها الأصيل كمنارة للعالم، وتاج للشرق وقائدة للإسلام". [٥] وجاء برنامج الحركة النهائي ليتضمن ما هو أكثر من مجرد تحقيق الاستقلال؛ "أن تصبح مصر فوق الجميع، إمبراطورية قوية تتألف من مصر والسودان، تتحالف مع الدول العربية، وتقود الإسلام". [٦]

ويتبدى تميز مصر الفتاة بصورة أوضح في "العمل". ومنذ بدايتها، روجت الحركة لأسطورة الفعالية والتشدد بصورة أكثر راديكالية من غيرها من الكيانات السياسية المصرية. أيديولوجيا، كان هذا التميز متأصلا في المنظور الداروينى الاجتماعي للآليات الاجتماعية الذي كان يتبناه مؤسسها وقائدها أحمد حسين، وإيمانه الشديد بأن "القوة" هي العامل الحاسم في شئون البشر. وكما صاغها في خطاب له في ١٩٣٥:

"الطبيعة تعلمنا أن لا اتفاق هنالك بين الحاكم والمحكوم، ولا بين القوي والضعيف. ولا يمكن التوصل إلى الاتفاق إلا بالنضال والصراع. الغازي هو المستحق لأن بقاءه يستمر؛ والمغلوب ضعيف، ولذا ينمحي من الوجود. الحياة لا تعرف شفقة ولا رحمة. القوي، يعيش؛ والضعيف يموت. ولا جدوى من أوهام الشعوب الضعيفة في التوصل إلى اتفاق ودي مع الشعوب القوية. ولذا يعتبر هذا "الاتفاق" مثل "اتفاق" الذئب والحمل، والذي ينتهي دائما بالتهام الذئب للحمل. هذه هي الحياة. لذلك، إذا كنت ترغب في حريتك، وتحلم بها وتريد تحقيقها، فليس أمامك سوى طريق واحد ـ أن تكون قويا، أن تكون قويا أولا وأخيرا". [٧]

تشبعت البنية التنظيمية لمصر الفتاة بالإيمان بفعالية القوة والسلطة. وكان يطلق على نشطاء الحركة "(مجاهدين)"؛ حتى إلغاء التنظيمات شبه العسكرية موحدة الزي على يد الحكومة المصرية في مارس ١٩٣٨، كانوا يرتدون الزي المميز للتنظيم والمكون من قميص أخضر وبنطلون رمادي (كلاهما مصنوع في مصر وبخامات مصرية) الذي أعطى الحركة اسمها الدارج "(القمصان الخضراء)"؛ كانوا منظمين، على الورق على الأقل، في هيراركية من الوحدات شبه العسكرية تتراوح بين "الكتيبة" و"اللواء" و"الفيلق"؛ وكانوا يحضرون تدريبات بدنية دورية، كان أبرز أماكنها الهرم الأكبر؛ وأخذوا على أنفسهم عهدا بـ "أن التزم بقانون الجمعية العسكري، وأن أوقر قادتي، وأن أنفذ كل ما أتلقاه من أوامر دون جدل أو تردد، في حدود القانون". [٨]

كان القيد الذاتي على التشدد في عبارة "في حدود القانون" يُحترم في الخطابات أكثر من التطبيق. وطوال عقد الثلاثينيات، تورط ناشطو مصر الفتاة في مشاجرات مع خصومهم في شوارع القاهرة وغيرها من المدن المصرية. ومع نهاية الثلاثينيات، مضت مصر الفتاة قدما، ونزعت عن نفسها أخيرا ذلك الاحترام المزعج للقانون، وبدأت تتحدث عن "الثورة" بوصفها السبيل الوحيد لإنهاء آثار الاستعمار، وتحقيق "العدالة الاجتماعية" في مصر، والذي يعني إعادة توزيع الثروة بطريقة عادلة في مصر لصالح أغلبية سكان مصر من الفلاحين والعمال المقهورين والمستغلين. وحين أصابها الإحباط من الفشل البادي للحكم البرلماني في مصر، أواخر الثلاثينيات، أصبحت مصر الفتاة ترى الحكم المستبد لما أسماه أحد منظريها "الطبيب الممتاز" أو الديكتاتور الدواء الوحيد لعلل مصر الكثيرة. [٩]

من الواضح أن كثيرا من الوصف السابق لحركة مصر الفتاة يتشابه مع النظرة الأيديولوجية والممارسة السياسية للحركات الفاشية الأوروبية التي ازدهرت

في الثلاثينيات. من هنا، هل يصح لنا أن نستنتج أن مصر الفتاة حركة مستلهمة من الفاشية؟ إن الإجابة معقدة وواضحة لا لبس فيها. وهي تتضمن التمييز بين العقيدة والممارسة، بين الرطانة والبرنامج من ناحية، وبين أنماط السلوك وطرق العمل من ناحية أخرى، وكذلك بين المراحل المختلفة لعمر الحركة القصير من مولدها في ١٩٣٣ وحتى منعها زمن الحرب في ١٩٤١.

إن القراءة المتأنية للأدلة الحديثة تكشف عن مجموعة من المواقف أكثر ثراء وتعقيدا مما يفترض عادة: ومرة أخرى فإن السياق حاسم. وبينما كان للأفكار والممارسات التي ميزت الحركات الفاشية الرائدة في أوروبا في الثلاثينيات تأثيرها ونفوذها الواضح على مصر الفتاة، فإن تبني الحركة للجوانب الفاشية كان انتقائيا يعكس الأوضاع التي عاشتها مصر. وكما يؤكد ستاين أوجلفيك لارسن، "كانت الفاشية خارج أوروبا مختلفة عن الفاشية داخلها". (١٠) وكحركة قومية متطرفة ظهرت في بلد غير أوروبي تختلف أوضاعه عن أوضاع أوروبا فيما بين الحربين، انعكست محاكاة مصر الفتاة الجزئية للنماذج الفاشية عبر السياق المميز لمصر في الثلاثينيات. والأكثر أهمية في هذا الصدد هو تركيز قيادة الحركة وأعضائها على معاداة الاستعمار والذي كان يشاركها فيه كل المصريين المهتمين بالسياسة تقريبا، وكذلك اهتمام المصريين حينها بمحدودية النظام البرلماني القائم وكيفية جعل المؤسسات الحكومية في مصر أكثر استجابة وفعالية. ومدى هذه الاهتمامات يعني أن آراء المتحدثين باسم مصر الفتاة بخصوص مزايا الديمقراطية وعيوبها مقابل الديكتاتورية، ومزايا وعيوب إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية تحديدا كنموذج محتمل لمصر الحديثة اتسمت بالتضارب والتناقض أحيانا.

وأول ما ينبغي عمله هو التمييز بين البنية والأيديولوجية. وسواء من حيث بنيتها الرسمية واستخدامها للرموز، كانت مصر الفتاة تحمل منذ البداية تشابها لا

تخطئه العين مع الحركات الفاشية الأوروبية المعاصرة. فتركيزها على "الجهاد"، وإطلاق صفة "مجاهدين" على أتباعها، وقسمهم يمين الولاء لقائدهم، وارتداؤهم لزي موحد مميز، وتنظيمهم في "كتائب" و"ألوية" و"فيالق"، وتدريباتهم شبه العسكرية الدورية، ومشاجراتهم مع أنصار التنظيمات المنافسة: كل هذا يتشابه بشدة مع ممارسات الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية وغيرهما من الحركات الفاشية التي ظهرت على الضفة الأخرى من البحر المتوسط في الثلاثينيات. ولذا، فمن الصعب أن نتفادى استنتاج أن كثيرا من تنظيم ورموز مصر الفتاة كانت مستمدة إلى حد كبير من نماذج أجنبية.

لكن من حيث الجوهر، نجد أيضا أن الفروق بين شبه عسكرية مصر الفتاة والحركات الفاشية الأوروبية كبيرة. أولا، كانت البنية الرسمية شبه العسكرية للحركة تتبدى بشكل منقوص في التطبيق. وخلال السنوات الأولى للحركة، كانت التشكيلات شبه العسكرية موجودة على الورق وليس كوحدات عمليات موجهة، وكانت دورات التدريب شبه العسكري (التي كانت تجري دون سلاح) غير منتظمة ولا تشكل جزءا لا يتجزأ من نشاط الحركة. وقد صمدت الحركة واستمرت دون نياشينها شبه العسكرية الأولية؛ وعندما حظرت الحكومة المصرية في مارس ١٩٣٨ جميع التشكيلات شبه العسكرية، استمرت مصر الفتاة وسرعان ما بلغت ذروة قوتها كحركة شعبية.

ومن الناحية الاجتماعية، كان هناك فارق كبير بين القوام الاجتماعي لمصر الفتاة، المستمد غالبا وبصورة حصرية من الأفندية الجدد، الذين كانوا لا يزالون جماعة صغيرة من شباب مصر المتعلم، وبين قوام الحركات الفاشية الأوروبية التي كانت تستمد عضويتها من رصيد كبير من قدامى المحاربين المحبطين المتوفرين في أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية المدمرة. والأهم، أن مدى وتأثير

أنشطة مصر الفتاة شبه العسكرية يتضاءل إذا ما قورن بما حققه فاشيو إيطاليا أو نازيو ألمانيا، أو الحركات الفاشية في شرق أوروبا. وتشير الشهادات الصحفية عن اشتباكات الشوارع بين القمصان الخضراء لمصر الفتاة والقمصان الزرقاء التابعة للوفد خلال السنوات التي شهدت أكبر القلاقل الحضرية في مصر في ١٩٣٦-١٩٣٧، إلى إصابات جسمانية عرضية، لكنها لم تتضمن شيئا من تلك المشاهد الوحشية التي صاحبت شبه العسكرية الفاشية الأوروبية. وإلى حد كبير، كانت المظاهرات والمسيرات التي نظمتها القمصان الخضراء، المؤلفة بالأساس من طلاب المدارس الثانوية والجامعة المتحمسين الذين لا يتمتعون بخبرة عسكرية سابقة أو تسليح مميت، ظلا باهتا للاضطرابات الحضرية والشراسة في مواجهة الخصوم التي رأيناها في أتباع الحركات الفاشية المعاصرة. ومقارنة بالعنف والوحشية الممنهجة للمنظمات الفاشية والنازية، كانت شبه عسكرية مصر الفتاة أقرب إلى التمثيل.

من حيث الصلة العملية والتعاون، فالأدلة على وجود علاقة ملموسة بين مصر الفتاة وإيطاليا الفاشية أو ألمانيا النازية في الثلاثينيات عرضية وغير قاطعة. لم نجد سوى دليل على صلة خاطفة مع حكومة ألمانيا في الثلاثينيات. ففي يونيو ١٩٣٤، قام أحمد حسين بزيارة السفارة الألمانية بالقاهرة. وطبقا لتقرير السفير الألماني، د. إبرهارد فون ستوهرر، كان غرض أحمد حسين من الزيارة هو "التعبير عن تعاطفه مع ألمانيا الجديدة"، والحصول كذلك على تأشيرة لدخول ألمانيا خلال زيارته المقبلة لأوروبا. ورفض السفير طلبه بمقابلة لاحقة. وكان تقييم السفير الألماني لمصر الفتاة أنها "بالغة الضعف من حيث التمويل" و"ليس لها أهمية كبيرة".(١١)

وخلال سنوات الثلاثينيات وما تلاها، أنكر قادة مصر الفتاة أي صلة لهم بإيطاليا الفاشية. وقد يكون إنكارهم أقل وضوحا. وتؤكد التقارير البريطانية في ١٩٣٥ أن الحركة الوليدة، في سعيها وراء الدعم المالي، قبلت أموالا إيطالية عن طريق جيورنال دو أوريون، التي كانت تصدر بالإيطالية على نشر جهود دعاية الدولة الإيطالية داخل مصر، لتقديم جانب من تمويل صحيفتيها، الصرخة ووادي النيل؛ كما أشارت التقارير البريطانية كذلك إلى حصول مصر الفتاة على أموال إيطالية لتمويل رحلة دعائية لأحمد حسين وفتحي رضوان إلى أوروبا أواخر ١٩٣٥. [١٢] وفي يونيو ١٩٣٦، حاول رئيس الوزراء مصطفى النحاس تبرير الحظر الجزئي على أنشطة الحركة، في خطابه أمام مجلس النواب، انطلاقا من أن "جمعية مصر الفتاة تعمل لحساب قوى أجنبية ضد مصالح البلاد".[١٣] ولم تتردد التخمينات في تحديد إيطاليا الفاشية بوصفها الدولة التي يقصدها النحاس. [١٤] وأنكرت مصر الفتاة التهمة وطالبت النائب العام بالتحقيق، وهو ما جرى رفضه حفاظا على الأمن القومي؛ كما حاولت الجمعية اتخاذ إجراء قانوني ضد افتراءات النحاس، لكن القضية لم تنظر قط فيما يبدو. [١٥]

ومرة أخرى، وبعد ظهور مزاعم في الصحافة المصرية عن عثور الشرطة على وثائق تشير إلى وجود علاقات بين الحركة والوكالات الفاشية والنازية، أنكرت الحركة أي صلة ملموسة مع القوى الفاشية الأوروبية. [١٦] ومن المحتمل أن يكون الاتصال بحركة معادية لبريطانيا مثل مصر الفتاة في غير صالح إيطاليا في وقت لاحق من العقد. وهناك شهادة لاحقة، قدمها محمد صبيح، أحد أبرز منظري الحركة في فترة بين الحربين، تتضمن حدوث محاولة من جانب مصر الفتاة للاقتراب من الإيطاليين طلبا للدعم في ١٩٣٨-١٩٣٩ رفضتها إيطاليا بسبب الانفراج في العلاقات الدبلوماسية بين إنجلترا وإيطاليا في ١٩٣٨: "رفض

موسوليني التعاون مع حركة مصر الفتاة قبل الحرب احتراما لـــ "اتفاق الجنتلمـــان" مع إنجلترا لتخفيف التوتر في البحر المتوسط".[١٧]

كأعضاء بمنظمة تتعهد بتحقيق أماني مصر الوطنية، وجد منظــرو مــصر الفتاة الكثير الذي يستحق الإعجاب والمديح في المجموعة الكبيرة مــن الحركــات الوطنية حول العالم. [١٨] وكان الكتاب الأول الذي وضعه المؤسس المشارك فتحــي رضوان عبارة عن سيرة تعبر عن الإعجاب بالزعيم الــوطني الهنــدي المهاتمــا غاندي.[١٩] وفي خطاب سابق لأحمد حسين، عبر عن إعجابه ببولندا الحديثة، مبينا كيف حملت أجيال بولندا المتعاقبة شعلة الوطنية لتنال بولندا استقلالها فــي النهايــة بفضل نضالها المتواصل. [٢٠] وفي ١٩٣٧، أصدر رضــوان ســيرة لإيمــون دو فاليرا، يمتدح فيها بشدة الحركة الوطنية الأيرلندية لأنها "كانت تخوض حربا ضــد الإنجليز لم يشهد مثلها التاريخ".[٢١] وكانت اليابان ومسيرتها الناجحة في التحــديث موضوعًا لكتيب صدر في العام نفسه من سلسلة "كتاب الــشهر" التــي يــصدرها الحزب، أطرى مؤلفه، محمد صبيح، على اليابان بوصفها "دولة قوية" وأشار إلــى أن اليابان ومصر "يجمع بينهما التطلع" إلى الإحياء الوطني. [٢٢]

في ١٩٣٨، قارن صبيح بين الإحياء الحديث لتركيا على يد مصطفى كمــال أتاتورك، وتلك التي أنجزت في إيطاليا الفاشية وألمانيا النازيــة، محبــذا الأولــى. وقال: "كل ما قيل عن هاتين الدولتين (إيطاليا وألمانيا) يمكن أن يقــال عــن دولــة تركيا الشقيقة"؛ فقد هُزمت البلاد في الحرب، وكانت على الطريــق لتقــع فريــسة للاستعمار حتى تولى مصطفى كمال أتاتورك قيادة البلاد، وتمــت هزيمــة الغــزاة اليونانيين، وأجبر بريطانيا وفرنسا على الانسحاب، وتحت قيادته "حققت اســتقلالها وأصبحت اليوم دولة قوية، دولة يعتد بها، تخطب إنجلترا ودها".[٢٣] وبعد زيارتــه لتشيكوسلوفاكيا في صيف ١٩٣٨، عشية أزمة ميونيخ، شارك حسين فــي مــسيرة للشباب التشيكي. وقد ثبت أن تعليقه الأخير علــى قــوة تــضامن تــشيكوسلوفاكيا

الوطني، والقول: إن التشيك لديهم "العزم، والإرادة، والتصميم على الدفاع عن بلادهم والموت في سبيل مجدها"،(٢٤) كان مبالغا فيه بشدة بالنظر إلى نزع سلاح البلاد في ميونيخ في وقت لاحق. كان النضال الناجح ضد الاستعمار والإشراف على التحول نحو الحداثة السمة المشتركة للحركات في أي مكان بالعالم والتي وجدت صدى لها بين رجال مصر الفتاة.

عقائديا، وعلى مدى معظم سنوات الثلاثينيات، حاول قادة مصر الفتاة التفريق بين حركتهم والفاشية الإيطالية والنازية الألمانية. وأصر أحمد حسين، على سبيل المثال، على أن الحركة التي يقودها ذات أساس اجتماعي مختلف، وبالتالي، طبيعة مختلفة عن كل من الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية. وكان حريصا على التفريق بشدة في ١٩٣٦: "ما أبعد كفاحنا عن كفاح موسوليني أو هتلر! ما أعظم الفارق بين نضال مصر الفتاة ونضالهم!"؛ ومن حيث النظرة، أصر على "أنهما (الفاشية والنازية) تؤمنان بالأساس بالقوة المادية، بينما نؤمن بالأساس بالقوة الروحية، والإيمان بالله وبديننا".(٢٥) وكرر حسين الكثير من مجموعة الفروق نفسها في أوائل ١٩٣٨، حتى بعد أن تغيرت نظرته لإنجازات الفاشية والنازية. "نحن نختلف عن هاتين الدولتين (إيطاليا وألمانيا) من حيث إن حركتنا ونضالنا روحي، يعتمد على الدين، والأخلاق، والإيمان. أما تلك الحركات الأخرى فقامت على أسس مادية، وصارت فظة لأنها قامت على بقايا متناثرة من الجيش، أو على عناصر من الجيش النظامي عادوا للتو من الخنادق، في البلدين".(٢٦) وكانت فروق السياق نتائج عميقة عند حسين: "بالنسبة لمصر الفتاة، لم يكن هناك جيش، أو بقايا جيش، في الخنادق، ولا حراب. لا شيء إلا الشباب المؤمن، والمصمم، والرغبة في إنقاذ بلاده وإقامة أساس جديد للفضيلة، والأخلاق، والنظام".(٢٧)

وعلى ضوء رؤيتهم للمسائل الدولية المعاصرة، لم يجد رجال مصر الفتاة، في منتصف الثلاثينيات، خيرا يذكر في حق إيطاليا الفاشية أو ألمانيا النازية. ونالت

إيطاليا بوجه خاص النقد الشديد في مطبوعات مصر الفتاة بسبب سجلها القمعي والاستغلالي الاستعماري في ليبيا. وهكذا، نجد مقالا في الصرخة يهجو بشدة "مؤتمر الطلبة الشرقيين" الذي عقد في روما أواخر ١٩٣٣، ويهاجم راعي المؤتمر، الحكومة الإيطالية، لاحتلالها ليبيا "بأكثر الطرق وحشية" و"اضطهاد شعبها".[٢٨] وفي ١٩٣٤، أدان فتحي رضوان إيطاليا بوصفها "أسوأ نوع من الاستعمار الاقتصادي والثقافي"، واتهم نظامها بنيته في دمج مصر في إمبراطورية البحر المتوسط الجديدة.[٢٩] وقام أحمد حسين بزيارة قصيرة إلى إيطاليا في ١٩٣٤. وجاءت انطباعاته عن النظام الفاشي سلبية بوضوح؛ وكما عبر عنها بعد عودته، فإن "إيطاليا أخفقت في إعطائي انطباعا جيدا عنها، وهذا في خلال أربعة أيام فقط".[٣٠] رأى البلد وهو ما زال "بيئة متخلفة" يسودها الكثير من الفقر والبؤس. وهو يرى أن كل الحديث عن قيام إمبراطورية رومانية جديدة مجرد "دعاية مسرفة"؛ في الحقيقة، "الترويج لما يصبه موسوليني على الشعب الإيطالي. والنتائج التي حققها مشكوك في أمرها. والمكانة المميزة التي تتمتع به إيطاليا حاليا، أو التي تخدع العالم بأنها تتبوأها، ستنهار تماما ما إن يقضي موسوليني".[٣١] وردا على مقالات حسين، أقامت السفارة الإيطالية الدعوى على حسين والصرخة بتهمة الافتراء على دولة صديقة.[٣٢] واستمر تداول القضية لسنوات، دون أن يصدر فيها حكم حتى بعد الحرب، حين أبرئت ساحة حسين.[٣٣]

كان موقف مصر الفتاة من الأزمة العالمية الرئيسية في منتصف الثلاثينيات التي ضمت دولة فاشية، وغزو إيطاليا لإثيوبيا في ١٩٣٥، مختلفا. وعندما كتب فتحي رضوان بجريدة البلاغ اليومية في أغسطس ١٩٣٥، دعا المصريين إلى مساندة إثيوبيا ضد إيطاليا، انطلاقا من الروابط التاريخية والثقافية بين البلدين الأفريقيين، لكن كان السبب الأهم هو أن رغبة مصر في استكمال تحررها الوطني

كان يفرض عليها دعم استقلال دولة أفريقية شقيقة.[٣٤] واحتجت إحدى الصحف المعبرة عن الحركة على العدوان الإيطالي على إثيوبيا، متهمة إيطاليا بالوحشية التي تغذيها العنصرية الأوروبية المتغطرسة تجاه "السكان الملونين".[٣٥] على أن الموقف الرسمي لمصر الفتاة كان مختلفا. في عريضة مقدمة للملك فؤاد في أكتوبر ١٩٣٥، دعت الحركة إلى التزام مصر موقف الحياد في الحرب الوشيكة بين إثيوبيا وإيطاليا. وتدعو العريضة إلى "حاجة مصر إلى اتخاذ موقف الحياد في النزاع القائم بين إيطاليا وإثيوبيا، والامتناع في الوقت نفسه عن تقديم أي شيء يمكن أن يؤخذ كدعم لسياسة إنجلترا"، وأكدت على "ضرورة رفض مصر أي حماية من جانب إنجلترا في حالة الاعتداء عليها، وضرورة أن يتولى المصريون بأنفسهم تأمين الدفاع عن مصر".[٣٦] كما استغلت الحركة الأزمة حول إثيوبيا لتعلن، كما سيقدر لها أن تعلن في الأزمة اللاحقة، أن على مصر الاستعداد عسكريا.[٣٧]

وتقدم السيرة التي قدمها فتحي رضوان لموسوليني في ١٩٣٧، والتي نشرت في سلسلة كتاب الشهر التي كانت تصدرها مصر الفتاة بحجم الجيب لسير الشخصيات البارزة التاريخية والمعاصرة، التعبير الأكمل عن الفاشية الإيطالية كما رآها المتحدثون باسم مصر الفتاة في منتصف الثلاثينيات. ولم يكن رضوان بحال من المعجبين بالدوتشي. وهو يصرح في مقدمة السيرة بأنه عندما طلب منه كتابتها، تردد في البداية وهو يفكر فيما إن كان يمكنه أن يكتب بتعاطف عن مواقف الزعيم الإيطالي.[٣٨] وبعد أن قدم الكتاب رصدا كرونولوجيا لمسيرة موسوليني مرورا بتعزيزه سلطة الفاشي في العشرينيات، قدمت خاتمة الكتاب تقييما مختلفا جدا لموضوعه. فمن ناحية، يدرك رضوان أهمية موسوليني التاريخية: "لا يسعنا إلا الإقرار بأن موسوليني رجل قوي، في حركة دائمة، وله أطماع بعيدة. والحقيقة

أنه في السياسة مثل نابليون في الحرب، لأن كليهما يــؤمن بالــسرعة والمباغتــة، وهما بارعان في اقتناص الفرص، ومن المؤكد أن بإمكاننا القول إن كلاً منهما خدم بلاده وأنقذها من الفوضى". ومن ناحية أخرى، توصل رضوان إلى أن موســوليني يؤخذ عليه "الجمع بين المتناقضات في أقواله وأفعاله". ولأنـــه أهــوج وانتهــازي، و"حاجز قوي للطاقة"، لم يكن تفكيره أو أفعاله متجانسة. فبينمــا يــدين موســوليني النظام السوفيتي لأنه "خنق الحريات"، إلا أنه يتصرف بطريقــة لا تختلــف عــن طريقة لينين أو ستالين. وكان الرفض خلاصة تقييم رضوان لموســوليني كمفكــر: "من المستحيل أن تجد عنده رؤية متماسكة وعميقة. يمكنك أن تــسمع منـــه كثيــرا أحاديث صاخبة، لكنه لا يبتكر شيئا على الإطلاق". وهذا الفقر الأيديولوجي يعنـــي أن الأثر التاريخي لموسوليني والحركة التي يقودهــا ســيكون محــدودا: "عنــدما سيموت موسوليني، لن يترك خلفه شيئا، فهو لن يخلف إرثا". لأن الفاشــية ليــست عقيدة جديدة، ولأنها لن تتجاوز مرحلة وطنية "المدججة بالسلاح"، ولأن هذا النــوع من الوطنية لا فائدة للإنسانية من ورائه".[٣٩] وفي ثاني كتبه فـــي سلــسلة كتـــاب الشهر، وهو سيرة تمتدح إيمون دو فاليرا، يعبر رضوان مرة أخرى عن كراهيتـــه الشخصية للديكتاتور الفاشي: "لم أحب أن يكون أول عمل لـــي لـــدار الثقافـــة (دار النشر التابعة لمصر الفتاة) كتابًا عن موسوليني، الذي لا يهمني أمـــره ويـــسوءني تطرفه، وأمقت أساليبه داخل إيطاليا وخارجها".[٤٠]

وهناك سيرة أخرى في سلسلة كتاب الشهر في ١٩٣٧، عن هتلر بقلم محرر السلسلة محمد صبيح، تعد من الشهادات القليلة الشاملة والمتعاطفة جزئيا مع هتلــر والنازية بقلم أحد المعبرين عن مصر الفتاة قبل ١٩٣٨. وقدمت معظــم صــفحات الكتاب صورة محببة لهتلر تقديرا لــ "إحيائه قوة الشباب الألماني"، ولاستعادته ثقـــة ألمانيا في نفسها وتحقيقه لازدهارها، ولأنه "زعيم كبير للعالم" أكد على هيبة ألمانيـــا

وقوتها على الساحة الدولية. (٤١) إلا أن صبيح وجد أيضا الكثير الذي يستحق النقد في ألمانيا النازية. وكان من أبرز هذه المآخذ الطبيعة الديكتاتورية للنظام، خاصة قمعه لحرية التعبير، وسيطرته على الرأي العام الألماني، وإصراره على فرض أيديولوجية واحدة. وبالنسبة لصبيح، المتحدث باسم الحركة التي عانت كثيرا من القيود على الصحافة، فإن "توفير الحرية يأتي قبل أي شيء آخر"؛ وقمع النازي لتلك الحرية "لا يمكن تبريره".(٤٢) لكن كان أكثر ما يهم صبيح بشأن النازية في ١٩٣٧، وأكثر ما ينبغي أن يهم المصريين، هو عدوانية النازي الدولية وأطماعه التوسعية. واعتبر هتلر، الذي أخذ عليه قوله "الشرق هو مخزن غلال الغرب"، والنظام النازي الذي يقوده يشكلان خطرا بعيد المدى على مصر والعالم العربي. وحذر النازيين وهتلر من أنه " لن يسمح أحد في الشرق، خاصة البلاد العربية، باستبدال الحكم الأجنبي القديم بحكم أجنبي جديد". وفي هذه المسألة الجوهرية، ستعامل ألمانيا نفس معاملة بريطانيا العظمى أو فرنسا. (٤٣) وهكذا، بينما يعبر صبيح عن إعجابه بهتلر كشخصية تاريخية، ممتدحا الإنجازات الاجتماعية والاقتصادية لنظامه، فإنه يضع الحدود بوضوح بينه كناشط ووطني مصري وبين التوسعية والاستعمار النازي.

ومثل كل المصريين، صيغت مواقف منظري مصر الفتاة من الديكتاتوريات الأوروبية في الثلاثينيات في سياق رؤيتهم للنظام السياسي المصري المعاصر. وهكذا، كان موقف مصر الفتاة يتشابه من عدة جوانب مع تنظيمها الشقيق الذي يعتمد على الأفندية الجدد، الإخوان المسلمين، لكنه تجاوزه كثيرا في نهاية المطاف. ومثل الإخوان المسلمين، رفضت مصر الفتاة بحزم واستنكرت ما اعتبرته شراكة أنانية وغير فعالة صبغت سلوك الأحزاب السياسية للجيل القديم. ومثل الإخوان أيضا، دعت مصر الفتاة في البداية إلى استعادة التناغم الوطني والتعاون المشترك بين كل قطاعات المجتمع من أجل صالح الأمة. كان الفارق

الأساسي بين مصر الفتاة والإخوان المسلمين فيما يخص النظام الدستوري المصري القائم، مع نهاية الثلاثينيات، وتحت تأثير تاريخها المليء بالتضييق من قبل الحكومات المتوالية وانطباعاتها الإيجابية عن فعالية النظم الديكتاتورية في أوروبا، ذهبت في النهاية إلى أبعد مما ذهب الإخوان في تأييد استبدال النظام البرلماني الحالي الذي ترى أنه فشل بنظام أكثر استبدادا.

وخلال سنوات قليلة من وجودها، كانت مصر الفتاة ترى نفسها "جمعية وطنية" لا حزبًا سياسيًا، تنظيمًا يهتم بـ "برنامجه، لا بالسلطة".(٤٤) وخلال منتصف الثلاثينيات، عبرت عن رغبتها في التعاون مع أي مجموعة أو فرد يعمل من أجل المصالح الوطنية. وعندما دعا برنامجها في ١٩٣٣ المصريين إلى "عشر سنوات من العمل"، أضاف "بعيدا عن المشاحنات الحزبية".(٤٥) وهذا الالتزام النظري بالتضامن والتعاون الوطني في سبيل تحقيق المصلحة الوطنية تدريجيا اختفى تحت ضغط الأحداث. وبمرور الوقت، كان للتوتر الدائم بينها وبين حكومة الوفد المعادية خلال ما تبقى من عام ١٩٣٦ وكل عام ١٩٣٧(المنع الدوري لاجتماعات مصر الفتاة؛ منع أو المصادرة النهائية لمنشوراتها؛ القبض على أعضائها ومحاكمتهم بتهم القذف والسب)، أثره الاستقطابي على مصر الفتاة. وانتقدت مصر الفتاة بشدة توقيع معاهدة التحالف الأنجلو ـ مصرية في ١٩٣٦، بإضفائها الشرعية على الوجود العسكري البريطاني الدائم على الأرض المصرية، واعتبرتها خيانة للكفاح الوطني؛ وكونها أقرت من قبل وفد يمثل كل الأحزاب بقيادة الوفد يقود إلى الاعتقاد بأن مجمل المؤسسة السياسية المصرية كان ميئوسا منها تماما كمدافع عن مصالح مصر الوطنية. (٤٦)

في ١٩٣٧ كان إيمان مصر الفتاة بإمكانية تحقيق التضامن والتعاون الوطني من أجل الصالح العام قد تلاشى شيئا فشيئا. وهناك إشارة إلى رؤية مصر الفتاة

للحكم البرلماني التي كانت تتبلور، نجدها في مقال في أبريل ١٩٣٧ بقلم حمادة الناحل، أحد نشطاء الحركة بالجامعة المصرية. في هذا المقال، بعنوان "نحن نؤمن بالثورة الإصلاحية"، يناقش الكاتب مسألة المفاضلة بين الديمقراطية والديكتاتورية من خلال المقارنة بين الكيان السياسي وجسم الإنسان.(٤٧) تماما مثلما يصاب جسم الإنسان بالمرض، "للديمقراطية كذلك أمراضها القاتلة"، وأسوأها "مرض الحزبية". وبعد تفصيل مرض الحزبية، ينتقل الناحل إلى العلاج. وكان العلاج "علاج الاستعباد ممثلا في الانضباط، كما حدده طبيب ممتاز ... هذا الطبيب الممتاز هو الديكتاتور". وأمثلته للديكتاتور الممتاز هما هتلر وموسوليني اللذان أعاد كل منهما لشعبه الثقة الوطنية بعد اليأس. وتوصل إلى أن المفاضلة بين الديمقراطية والديكتاتورية يعتمد على السياق: "لست من بين أعداء الديمقراطية في كل الحالات، ولست من أصدقاء الديكتاتورية في كل الحالات". المهم النتائج: "أنا بالأحرى من المؤمنين بالثورة الوطنية، العنيفة، الإصلاحية، السريعة والمفاجئة، بغض النظر عمن يتولى قيادتها. أو قد يكونون من الديكتاتوريين، كما في ألمانيا، لأن هذا يتماشى مع طبيعة شعبها، وفي هذه الحالة أرحب بالزعماء النبلاء، الموقرين". أما بالنسبة لثورة مصر الإصلاحية، فقد تركت مسألة من يتولى قيادتها مفتوحة: "بالنسبة لمصر، التي تحتاج إلى هذه الثورة، فإن مسألة من سيكون قائدها وكيفية تحقيقها فهذا أمر بيد الله".(٤٨)

تصاعد رفض الحركة للقبول بالحكم البرلماني في ١٩٣٨. وكان عاما ١٩٣٧-١٩٣٨ هما الفترة التي أصبحت فيها مسألة المفاضلة بين الديكتاتورية والديمقراطية مصدر قلق عاجلاً وملحًا في مصر. وبدا أن اجتماع خيبة أمل الجمهور المتزايدة من البنية السياسية المنقسمة، بل الممزقة، التي يسيطر عليها ساسة فاسدون وأنانيون، مع انتشار مفاهيم إعادة ضبط مؤسسات النظام البرلماني

باتجاه أكثر استبدادية والذي روج له مستشارو ملك يحظى بشعبية كبيــرة، ويــنعم بتوهج ارتقائه العرش قبل قليل، مؤشر على أن النظام السياسي المصري الذي قــام في أوائل العشرينيات على أعتاب تغيير كبير. وبتشجيع على ما يبدو من المستشار الملكي محمد كامل البنداري، الداعم الرئيسي للاستعانة بـــ "رجــال جــدد" فــي الحكم،[٤٩] لعبت مصر الفتاة دورا بارزا في النقاش الحاد حول مزايا وعيوب الحكم الديمقراطي والحكم الاستبدادي في ١٩٣٨-١٩٣٩، ووجهــت أقــسى الانتقــادات للنظام الــسياسي القــائم وقــدمت أكثــر المقترحــات جذريــة لتوجيهــه وجهــة أكثر استبدادية.

بعد الانتخابات البرلمانية التي شابها تجاوزات غير مسبوقة، بــدأت مــصر الفتاة الهجوم لا على هذه الانتخابات وحدها والطريقة التي أديرت بها، بل تجاوزها لينال من النظام البرلماني في مصر ككل. وتصدر أحمد حسين قيادة الهجوم. وأكــد عقب الانتخابات أن "الانتخابات في مصر لم تجرِ فــي أي وقــت حــول مبــادئ وبرامج، بل كانت حملات تحركها، وترتكز إليها، المحــسوبية القبليــة والعائليــة". وببساطة، فشل النظام الانتخابي في التعبير عن إرادة الشعب: "أعلنها بأعلى صوت بأن كل الانتخابات التي شهدناها في الماضي، وتلك التي تجري اليــوم، لا يمكــن اعتبارها تعبيرًا عن إرادة الشعب".[٥٠] وفي عريضة وجهها الحزب إلى البرلمــان المقبل، يتسع النقد ليشمل الدستور المصري، فيعلن أن "كل الأمة المصرية مــستاءة من الانتخابات ومن الدستور الحالي". والمصريون ينظرون إلى النــواب القــادمين بـــ "فتور ولا مبالاة"، لا يتوقعون منهم المزيد بل يرون أنهــم "ســيحتفون بعظمــة كونهم نوابا"، ولن يترددوا في تأييد الحكومة. وبينما توقــع الجمهــور أن "يبــرع" البرلمان الجديد في "الجدال، والنقاشات، والنزاعات الشخصية" لم يتوقعوا منــه "أي إصلاح أو إنقاذ جاد للبلاد". وستكون النتيجة هي أن يفقد النظام مــصداقيته تمامــا:

"كل هذا سيؤدي بعد حين إلى إعلان الأمة أنها لا تريد نوابا، أو برلمانًا، بل تريد العمل والخبز والعدل".(٥١)

وعبر فتحي رضوان، السكرتير العام لمصر الفتاة، بصورة أكثر منهجية عن خيبة أمله في الحكم البرلماني في مقال نشر في يوليو ١٩٣٨ بعنوان "هل نحن دعاة للديكتاتورية؟"(٥٢). وهو يلتقي مع حسين في الإيمان بأن النظام البرلماني المصري القائم أخفق كليا في الوفاء بمطالب الأمة: "إننا نزدري النظام البرلماني الذي يمنع العمل ويعوقه، والذي ينقل البلاد إلى مرحلة الخطابة والتمثيل. الناس يجوعون، لكن نوابنا تهمهم البلاغة؛ البلاد معرضة للأخطار من الداخل والخارج، لكن دقائق الجلسات لا تشهد إلا نقاشات تافهة تؤخر الأمور بدلا من أن تدفعها". وما تحتاجه مصر حاليا هو "الإصلاح والتجديد ومواقف شجاعة؛ والبرلمان لا يدفع باتجاه تحقيق هذا المطلب، ولا هو يلبيه". ويختتم المقال بسلسلة من الأسئلة البلاغية التي لم تترك شكا، على الأقل بالنسبة لفتحي رضوان، في أن النتائج العملية لها الأولوية على الضرورات الدستورية:

"إذا كانت الديكتاتورية هي التي ستضع حدا للفوضى التي افتضح أمرها بشأن كبار مسئولينا، سنكون في هذه الحالة من بين مؤيدي الديكتاتورية، والمؤمنين بها والمروجين لها ... الديكتاتورية هي التي يمكن أن تزود الشباب بالقوة والأمة بروح النضال، وتملأ الشعب بالحماسة، والحرارة، والنشاط، وعندها سنكون ديكتاتوريين حتى النخاع".

في المقال نفسه، تساءل رضوان: إذا تعطل نظام مصر السياسي المختل وظيفيا، فما المطلوب لإصلاحه؟ عند التفكير في النماذج المحتملة لبناء سياسي أكثر كفاءة وعدلا، أصبح رجال مصر الفتاة يتطلعون إلى الخارج. وفي سياق استياء الحركة العميق من الوضع القائم، أصبحت مصر الفتاة في ١٩٣٨-١٩٣٩

أكثر تعاطفا في العلن مع النظم الفاشية الأوروبية وأكثر استعدادا لإدراك إمكانية ملاءمة المبادئ والأساليب النازية لمصر مقارنة بما مضى. فقد أصبح رجال مصر الفتاة يعبرون عن إعجابهم بإنجازات موسوليني وهتلر في إيطاليا وألمانيا، وصاروا يعلنون أن إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية يعتبران نموذجين لبناء مصر أقوى وأكثر فعالية.

وتقدم خطب أحمد حسين في ١٩٣٨ نماذج مكررة من هذا التقييم المعدل للفاشية والنازية. ومنذ يناير ١٩٣٨، كان حسين يشير إلى "معجزة الإيطاليين" و"معجزة ألمانيا" بإيجابية. (٥٣) وقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الأولى أمة مهزومة، تناثرت ثقتها بنفسها وصارت فريسة لـ "الفوضى الشيوعية"، بعد أن كانت أعظم دولة في أوروبا. فما الذي تغير تحت حكم هتلر! "ألمانيا، التي اعتقد العالم أنها لن تقوم لها قائمة مرة أخرى، تستعيد اليوم كرامتها بعد أن أصبحت أقوى دولة في أوروبا".(٥٤) كما يقدم حسين تقييما مبهرا لإيطاليا الفاشية في أبريل عندما أعلن أنه في ظل الحكم الفاشي في إيطاليا "التي كانت رمزا للفوضى، أصبحت البلاد الآن من بين أعظم الدول في أوروبا". داخليا، ومن بين أشياء أخرى، استطاع موسوليني أن "يجعل القطارات تحترم مواعيدها"؛ وقضى على الجريمة، التي شاعت فيما سبق في البلاد؛ وأحدث ثورة في الاقتصاد الزراعي ويواصل تصنيع إيطاليا. وعلى الساحة الدولية، أصبحت إيطاليا تحت الحكم الفاشي أمة "مسلحة من أشيب رأسها حتى أخمص قدميها"، وقادرة بهذا على التصدي حتى لسياسات بريطانيا العظمى الخارجية. وفي خلال عقد واحد من تولي الفاشيين للسلطة، "أصبحت إيطاليا دون شك من أقوى دول البحر المتوسط، ونموذجا ومثالا يحتذى".(٥٥)

ما تفسير قصص النجاح الوطنية الدراماتيكية تلك؟ أحمد حسين، بعد أن كان يؤكد في السابق على الفروق الاجتماعية بين الفاشية والنازية، هاهو يرى النظامين

الآن يشتركان في الكثير من القيم التي كانت تحاول مصر الفتاة غرسها في الشعب المصري ــ الإيمان والعمل. المعجزتان الإيطالية والألمانية تحققتا بفضل "الإيمان، والولاء، والثقة بأنفسهم؛ هذا ما يجب أن تحذو حذوه (مصر الفتاة)". [٥٦] كان الإيمان هو الذي مكن "رجلاً بسيطًا" مثل موسوليني وحتى شخص أقل، وهتلر ("الذي كان مجرد جاويش" (هكذا))، من بلوغ الزعامة الوطنية وشن ثورتيهما. [٥٧] وكان سر عظمة إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية آنذاك يكمن في "الإيمان العميق" الذي نجده في كل منهما، :إيمان يملأ أولا القلب، ثم ينتقل منه إلى الإخوة والزملاء، ثم يمر منهم إلى التنظيم، وينتقل الإيمان بالتنظيم إلى الشعب حتى تتشبع الأمة كلها بالإيمان الجديد". وكان الإيمان بالمقابل المحرك الذي يولد الحركة، والدافع إلى بذل الجهد الذي لا يتوقف والنضال المطلوب لـ "صنع المعجزات". [٥٨]

بحلول ١٩٣٨، كانت دعاية مصر الفتاة تقدم الحركة، التي أصبحت حينها حزبا سياسيا رسميا، بوصفها كيانًا مقدرًا له اتباع مسار سياسي مشابه لذلك الذي اتبعه الفاشيون في إيطاليا والنازيون في ألمانيا. ويعلن التعليق المصاحب لإحدى صور مسيرات نورمبرج النازية، في جريدة مصر الفتاة في فبراير، أن "مصر الفتاة، التي تدعو إلى النظام ونشر الروح العسكرية بين كل الطبقات، تأمل في تحقيق مثل ما حقق النازيون في مسيراتهم. إننا نهمس ــ ولا نصرخ ــ في أذن كل مصري: النظام، إذا أردت السلام لكل فرد والأمان لكل إنسان". [٥٩] كما أشار فتحي رضوان إلى التشابه بين تاريخ الحزب النازي الذي عانى عمليات الإعدام على يد أكثر من حكومة ألمانية بسبب ارتداء مناضليه زيا موحدًا، وبين مصر الفتاة التي عانت القمع بسبب أنشطة تشكيلاتها شبه العسكرية. وعلى الرغم من نوبات القمع الرسمي تلك، فقد كان رضوان على ثقة من أن المستقبل لمصر الفتاة. وتماما، مثلما وصل الحزب النازي في النهاية إلى الحكم، ستفعل مصر الفتاة الشيء نفسه. وعندما سيحدث هذا، ستحين ساعة الحساب كما كان الحال في

ألمانيا: "تقول لأعداء مصر الفتاة ــ انتبه!"[٦٠] كان من تداعيات هذا تسليط الضوء على أوجه التشابه بين الآليات التي تحرك الحركتين الفاشية والنازية من ناحية ومصر الفتاة من الناحية الأخرى. ومثل مصر الفتاة، بدأت الحركتان الأوربيتان كجماعتي معارضة هامشية؛ ويمكن لمصر الفتاة أن تفعل مثلهما، بأن تتحرك من الهامش إلى المركز لتصل في النهاية إلى سلطة الدولة.

في صيف ١٩٣٨، قام أحمد حسين بزيارة عدد من البلاد الأوروبية. وفي زيارتيه القصيرتين إلى ألمانيا وإيطاليا، قدم خلالهما القدر الأكبر من المديح للمنجزات الداخلية التي تحققت تحت الحكم الفاشي والنازي. وعلى عكس زيارته لإيطاليا في ١٩٣٤، عندما غادرها غير مرتاح للسجل الفاشي في السلطة، ها هو يعلن توصله إلى الدليل على التقدم الفاشي في الداخل. فعبر التصنيع، تمكن موسوليني من مضاعفة إنتاجية الاقتصاد الإيطالي ثلاث مرات وبذلك "مكن العامل والفلاح في إيطاليا من تصدر المقام الأول في تشريف الدولة".[٦١] وفي ألمانيا، تأثر حسين بوجه خاص بنجاح النازية في تعزيز أخلاق العمل النافعة. تحت الحكم النازي "العمل شرف بالنسبة للألمان، والألماني الذي لا يعمل لا شرف له". وأشار إلى أن التصنيع في ظل النظام النازي دافعه وطني وليس فرديا؛ نجح هتلر في أن يبث فَي الألمان الإيمان بأن "ألمانيا وطن للجميع وأن على كل فرد من ثم العمل لخير الجميع". أصبح العمل أقرب إلى دين وطني في ألمانيا؛ كل قطاعات المجتمع ــ شبابا وشيوخا، أغنياء وفقراء، نساء، رجال، أطفال ــ ملتزمة بالعمل لصالح رفاه الأمة الألمانية وعظمتها. ولم يكن يساور حسين أدنى شك في أن مصر "عليها محاكاة النموذج الألماني، بحيث نمارس معا كل أنواع العمل من أجل صالح البلاد".[٦٢]

ما شاهده أحمد حسين في إيطاليا وألمانيا قاده إلى تمييع الحدود بين الحكم الديمقراطي والاستبدادي. وشأن زميله فتحي رضوان، كان الأهم عنده هو النتائج.

وفي إحدى تصريحاته عندما كان في إيطاليا، لم يتردد حسين في إعلان أن "مبادئ حزبه تتفق مع مبادئ روما وبرلين، وأنه لا يعتبر هتلر أو موسوليني ديكتاتورا بل انعكاس لشعبيهما، لحياتهم وعظمتهم، وأن إيطاليا وألمانيا الدولتان الديمقراطيتان في أوروبا، وأن الدول الأخرى منظمات رأسمالية ـ برلمانية". و"بالعمل ليلا ونهارا من أجل مصلحة الشعب ككل"، نجح موسوليني وهتلر في تجاوز التقسيمات الاجتماعية والاقتصادية في بلديهما؛ وبالنتيجة كان النظامان يمثلان "الحكم الحقيقي للشعب من أجل مصلحة الشعب".[٦٣]

في خطاب أمام مسيرة حزبية بالإسكندرية عند عودته إلى مصر في أغسطس ١٩٣٨، عبر عن رأيه بأن الفرق البنيوي بين الديمقراطية والديكتاتورية غير ملموس: "لا أعرف ما هي الديمقراطية، ولا أعرف ما هي الديكتاتورية. أعرف شيئًا واحدًا فقط هو الحكم الصالح". واستطرد زعيم مصر الفتاة ليحدد ما يعنيه بـ (الحكم الصالح) بأنه نظام للحكم "يقوم على خدمة الشعب ورفع مستويات معيشة الطبقات العاملة. أي حكم يقر بسيادة الشعب، وأي حكم يهتم بمستويات معيشته، حكم صالح، وهو الذي أقسم له يمين الولاء". وبحلول أغسطس ١٩٣٨، كان حسين لا يرى معنى لتعبيرات مثل "ديمقراطية" و"ديكتاتورية": "أما بالنسبة لكلمتي ديمقراطية وديكتاتورية، فهما تعبيران سياسيان يستخدمان لأغراض سياسية، للدعاية ضد دولة لخدمة دولة أخرى".[٦٤]

كان الجانب الأكبر من خطاب الإسكندرية مخصصا للحديث عن الحاجة الملحة إلى إصلاح داخلي كاسح، وهو الخطاب الذي سيطر على خطابة مصر الفتاة في ١٩٣٨. وفي سياق عرضه المطول للفقر والبؤس الذي يصبغ حياة غالبية المصريين وتصميم مصر الفتاة على العمل تحسين أوضاع معيشة جماهير مصر المقهورة، كرر حسين عزمه على التخلص من الدستور المصري والنظام البرلماني

إذا ما ثبت أنهما يشكلان عائقا أمام تحقيق مطالبة مصر الفتاة بنظام اجتماعي أكثر عدلا. وبالنسبة للدستور المصري، أوضح حسين أنه "إذا استطاع الدستور والبرلمان تحقيق هذه النتيجة (العدل الاجتماعي) لنا، سأكون ممتنا وقتها. أما إذا لم يحدث، سأكون معتديا على الدستور". وينطبق نفس الشيء تقريبا على البرلمان: "إذا ساعدنا البرلمان في تحقيق هذا البرنامج، سنكون ممتنين. وإذا لم يسهم في هذا، ووقف حجر عثرة في طريق تحقيق هذا البرنامج، يمكنك أن تقول عني ساعتها ضد البرلمان، وأنني سأكافح من أجل التخلص منه".[٦٥] وفي أواخر ١٩٣٨، كان أحمد حسين ومصر الفتاة قد ابتعدو كثيرا عن قبولهم السابق بالحكم البرلماني وإعلانهم تأييد النظام الدستوري القائم في مصر.

كانت أكثر الكتابات التفصيلية لتأييد الأيديولوجية الفاشية من جانب أحد ممثلي مصر الفتاة خلال أواخر الثلاثينيات بقلم عبد الرحمن بدوي، رئيس مكتب الشئون الخارجية المؤسس حديثا، في ١٩٣٨. وكان المكتب قد تأسس في مارس ١٩٣٨ لمتابعة التطورات العالمية وتقديم الخيارات والسيناريوهات المحتملة لقيادة الحزب.[٦٦] في ١٩٣٨، نشر بدوي، أحد شباب مصر الفتاة المتحمسين، ودارس الفلسفة البارز فيما بعد، ترجمات لعدد من الوثائق والمقالات التحليلية حول الفاشية والنازية في صحيفة الحزب. وتتألف سلسلة (مذهب الفاشية) من ترجمات بدوي لكتابات موسوليني التي تعرض لمبادئ الفاشية الإيطالية.[٦٨] وهناك ترجمة لاحقة قدمها بدوي لبرنامج الحزب النازي في ١٩٢٠.[٦٩] أما إسهام بدوي الأهم في رؤية مصر الفتاة للنازية فكان في سلسلة من المقالات التحليلية المطولة نشرت في صحيفة مصر الفتاة في أغسطس ١٩٣٨. وبينما ركزت تقارير أحمد حسين من ألمانيا بالأساس على ما رآه كفاءة اجتماعية واقتصادية للنازية، حاول بدوي تقديم فهم فلسفي للمبادئ الأساسية التي قام عليها النظام الفاشي وكانت سببا في نجاحه.

وتعد مقالات بدوي المثال الأساسي لمحاولة محلل مصري الإمساك بالمبادئ الأساسية للنازية.

كان الملمح الأهم في المقالين الأولين من السلسلة هو مدى تبني بدوي لنظرية الجنس النازية حصرا. ويتناول مقال بدوي الأول نظرة النازية إلى العمل، وهو أحد جوانب نظام هتلر التي أثارت إعجاب أحمد حسين خلال زيارته لأوروبا. وهو يقبل بزعم النازي بأن سيطرة النظام وتنسيق قوة العمل الألمانية كان ناجحا لأنه، على عكس خصمه الاشتراكي، نابع من "صوفية جنسية" لا تقف عند الجوانب المادية وحدها: "بينما تقوم الاشتراكية الماركسية على المتعة المادية، وهو منظور مادي أناني يهدف إلى تحقيق أكبر قدر من السعادة المادية للأفراد، ترى النازية أن الفرد يخضع لواقع غامض يعلو فوق أي فرد أو جماعة". الجنس في حقيقة الأمر "واقع يمتلك نفسه وكل الأفراد، ولا خيار أمام الفرد إلا التضحية بنفسه من أجله".[٧٠] والمقال الثاني، بعنوان "العنصرية في الفلسفة النازية"، يحلل مباشرة التطور التاريخي للعقيدة العنصرية في أوروبا من جوزيف ارثر دو جوبينو وهوستون ستيوارت تشامبرلين إلى فلاسفة النازية المعاصرة، مثل الفريد روزنبرج. ومثل تأكيد تقارير حسين الأكثر وصفية على الفاعلية العملية للنازية في حشد سكان ألمانيا للأغراض الوطنية، أكد بدوي على الفائدة الوطنية للعنصرية بالصورة التي مارسها بها النازيون. "لم يجد هتلر طريقا أفضل من (العنصرية) لبعث روح الشعب مرة أخرى". كان هذا البعث ممكنا لأن الجنس سمة أصيلة ولا تمحى للكائنات البشرية: "الفرد جزء لا يُرى من الجنس ولا يمكنه الانفصال عنه ...لا حياة للفرد خارج الجنس". الجنس هو في الحقيقة "التركيبة" التي تقضي على التناقض بين فكرة (الفرد) و(المجتمع) المضاد" وهكذا يمكن "حل مسائل الحياة الكبرى، أي قضايا التفاعل بين الفرد والمجتمع".[٧١]

بعد أن قبل بنظرة النازي إلى مركزية الجنس في أمور البشر، تناول مقالا بدوي الثالث والرابع في السلسلة، وأيد، مواقف النازية بضرورة الخضوع للزعيم أدولف هتلر والدور القائد للحزب النازي في ألمانيا. وكانت فاعلية مبدأ الفوهرر لإحياء ألمانيا نابعة، بدورها، من ملاءمتها للطبيعة العرقية المحددة للشعب الألماني: "هذه النظرية للقيادة التي جلبها النازيون إلى ألمانيا والتي تبنتها الدولة الألمانية في حكمها هي نظام واحد يتفق وروح الشعب الألماني لأنها تقوم على عاملين هما الطاعة التامة والمسئولية المطلقة، وهاتان الخاصيتان تناسبان تماما الجنس الألماني". وذهب رضوان إلى حد الإصرار على أن قيادة هتلر الديكتاتورية، التي تقوم على الجوهر الجنسي الذي لا يتغير للشعب الألماني، يجب النظر إليها باعتبارها "ديمقراطية حقيقية، أكثر من تلك الكوميديات البرلمانية التي تعلي من شأنها ما يطلق عليها الدول الديمقراطية، حيث يسيطر المضاربون والرأسماليون على الدولة".[٧٢] ويبرر المقال المخصص للحزب في ألمانيا الديكتاتورية النازية بالعودة إلى توليفة الفرض ونقيضه، والتي يمكن تطبيقها في هذه الحالة على العناصر الثلاث، الشعب ــ الدولة ــ الحزب: "النازيون لديهم القدرة على إنهاء الاحتكاك بين الشعب والدولة، وربط الاثنين برباط لا ينفصم، عن طريق العامل الثالث الذي أقاموه. إنها النقطة التي يلتقي عندها الكيانان الأصليان (الشعب والدولة)، والتي تضمهما معا. إنها التوليفة التي تتبخر عبرها الفكرة ونقيضها. وهذا العنصر الثالث هو الحزب".[٧٣]

كان تحليل بدوي للعقيدة العنصرية في مقالاته عن مبادئ النازية مدخلا لفترة قصيرة وجد فيها الفكر النازي بشكل عام ومعاداتها لليهود بشكل خاص توازياته في رطانة وأنشطة مصر الفتاة. ولم تكن العنصرية ومعاداة السامية موضوعا أساسيا في مناقشة آراء المعبرين عن مصر الفتاة في النظام النازي خلال

معظم سنوات عقد الثلاثينيات؛ كانت تجليات وقوة الإحياء الوطني المنسوب إلى النازية هي أكثر ما جذب انتباههم. وكان قادة الحركة يعبرون أحيانا عن قدر من التعاطف مع محنة اليهود في ألمانيا: منذ أغسطس ١٩٣٨، كان أحمد حسين يشير إلى إعدام النازي ليهود ألمانيا بوصفه "تجاوزًا لا يقره التقدم الإنساني" بالإضافة إلى أنها سياسة "تدفع فلسطين ثمنها".[٧٤] وقبل ١٩٣٩، كانت تتكتم إلى حد ما بشأن مشاركتها الملموسة في مسألة فلسطين. وفي نوفمبر ١٩٣٨، أصدرت الحركة التعليمات إلى أعضائها بعدم المشاركة في الإضراب الطلابي في ذكرى إعلان وعد بلفور.[٧٥] وفي ١٩٣٩ فقط، بدأت مصر الفتاة تنقلب على الطائفة اليهودية المصرية بسبب مساندتها المزعومة للأطماع الصهيونية في فلسطين.

كان موقف مصر الفتاة المعادي لليهود انتقاميا. وها هي جريدة مصر الفتاة، التي أصبحت منبرًا للنضال ضد اليهود على النطاق العالمي، تحذر "المسلمين في كل أرجاء العالم" من أن اليهود هم "سر هذا التدهور والتعفن الذي يصيب العالم الإسلامي ككل"، وتدعو المسلمين كافة إلى المسارعة بالوقوف إلى جانب عرب فلسطين لأن "نجاح الثورة الفلسطينية نجاح لكل البلاد الإسلامية، وحجر الزاوية لتحقيق وحدتها".[٧٦] وتحمّل مقالات أخرى اليهود المسئولية عن "المؤامرات" المدبرة ضد المصريين، والعرب، والمسلمين: مؤامرة لقطع الإعلانات عن أي صحيفة تنتقد الصهيونية واليهودية؛[٧٧] مؤامرة اقتصادية استطاع اليهود بواسطتها "السيطرة على شرايين الحياة في مصر وتوجيه هذا لخدمة أهدافهم وأغراضهم"؛[٧٨] وأخيرا، مؤامرة، تذكر ببروتوكولات حكماء صهيون، التي كشف عنها مؤخرا بين "وثائق يهودية خاصة .... التي تثبت مخططاتهم للعرب: تقول "الحق، أننا حولنا سلاحنا نحو العرب".[٧٩] ولم تقف أنشطة مصر الفتاة المعادية لليهود، في منتصف ١٩٣٩، عند حد الكلام. فقد حاولت الحركة تنظيم مقاطعة

للتجار اليهود المصريين، وأسست "لجنة مقاطعة التجارة اليهودية"، وأرسلت النشطاء للخطابة في المساجد دعما للحملة، ونشرت قوائم بالتجار اليهود بالقاهرة المطلوب مقاطعتهم، ووزعت البيانات المعادية لليهود في المدن الإقليمية. [٨٠]

تحول العداء للصهيونية الذي انطلق بسبب مسألة فلسطين إلى هجمات على اليهود تذكر بمعاداة اليهود الانتقامية المتأصلة في النازية. وبلغت الصحافة ذروة قسوتها من جانب مصر الفتاة في مقال بعنوان "خطاب من يهودي"، يعرض فيه حسين لرسالة استنكارية من يهودي مجهول وصلته بالبريد. والحقيقة أن ذلك الخطاب غير الموقع كان بالنسبة لحسين "علامة على جبن اليهود، الذين يعملون في الظلام، وخلف الستائر". و"التعبيرات الفاحشة" الموجودة بنص الرسالة "نموذج لأدب اليهود نفسه، وصورة للطبيعة التخريبية لشخصيتهم". وتردد المقالة صدى مجاز معاداة السامية الشائع باعتبارهم مسئولين عن انتشار "المبادئ الهدامة مثل الفوضوية والشيوعية" واستطردت لتضع المسئولية الجماعية عن جميع أمراض العالمين العربي والإسلامي على عاتق أقلياتهم اليهودية: "إنهم سر البؤس الثقافي وتلك الفنون الفاحشة". إنهم سبب هذا الفساد الديني والأخلاقي، ما يجعلنا نقول بحق "فتش عن اليهودي وراء كل فساد". وبرغم ختمه المقال بأكروبات لفظية حاول من خلالها إنكار أن يكون هو أو حركته عنصريين (إذا قاتلنا اليهود، وظللنا نقاتلهم، فإننا لا نفعل هذا لأننا نزدريهم كيهود. نحن لا نقاتلهم مثلما تفعل إيطاليا وألمانيا. نحن نرفض التفرقة العنصرية. إن ما نفعله هو الدفاع عن أنفسنا وعن إخواننا في فلسطين")، كان تأثير عقيدة معاداة السامية على رطانة مصر الفتاة عشية الحرب العالمية الثانية جليًا واضحًا. [٨١]

ويمثل إعجاب أحمد حسين المعلن للإنجازات الداخلية لكل من الفاشية والنازية، ومقالات عبد الرحمن بدوي ذات الطابع الفلسفي المؤيدة لمبادئ الشمولية

والعنصرية المسئولة عن نجاح النازية، وإدانات مصر الفتاة وحملاتها على اليهود ذروة ولَه مصر الفتاة بالفاشية الأوروبية المعاصرة. لكنها لا تمثل سوى جانب واحد من موقف مصر الفتاة المعقد من الديكتاتوريات الأوروبية أواخر الثلاثينيات. فقد كان يصاحبها ويخفف منها المزيد من القلق من التداعيات الإقليمية والدولية لتنامي القوتين الفاشية والنازية.

اتسم منظور مصر الفتاة العام من مسألة الفاشية والنازية بالمراوحة بين الجاذبية والنفور، والإعجاب والخوف. وكانت هذه الازدواجية مترسخة في معضلة جر قوميتهم لهم في اتجاه واحد، وإن كانت معاداتهم للاستعمار تجرهم في اتجاه آخر. فمن ناحية، وكمنظمة وطنية متعصبة، كانت مصر الفتاة متأثرة بشكل كبير بنجاح "الثورات" الذي كانت تشهده إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية وما يعنيه هذا النجاح بالنسبة لمكانة إيطاليا وألمانيا وتأثيرهما في الشئون الدولية. لكنها، كمنظمة متشددة في وطنيتها ذات برنامج معادٍ للاستعمار، كانت ترفض التسليم بالمطامع الاستعمارية لكل من الفاشية والنازية. فبينما تعبر مصر الفتاة بإيطاليا وألمانيا لتحقيقهما "معجزات" وطنية، تنتقد في الوقت نفسه أنهما جعلتا من ثورتيهما الناجحتين منصة لانطلاق توسعهما الإقليمي وغزوهما الاستعماري في الخارج. وبينما كان مثقفو مصر الليبراليون ككل يتفهمون ويهتمون بالأساس بالتهديد الفاشي الشمولي للقيم الليبرالية الأساسية كالفردية وحرية التعبير، لم يكن الحكم الاستبدادي موضوعا أساسيا بالنسبة لمنظري ومؤيدي مصر الفتاة والإخوان المسلمين من الشباب؛ كان اهتمامهم الأول هو الإمبريالية الفاشية.

كان من الواضح أن إيطاليا وأطماعها الإقليمية في البحر المتوسط مصدر قلق لمصر الفتاة أواخر الثلاثينيات. وقد أثار احتمال توقيع اتفاق دبلوماسي أنجلو ـ إيطالي حول مصالحهما في البحر المتوسط، والذي تم بالفعل في أبريل ١٩٣٨، تخمينات كثيرة من جانب المعبرين باسم مصر الفتاة. وعبر أحمد حسين عن قلقه

من نوايا إيطاليا في البحر المتوسط، معتبرا احتمال تقديم بريطانيا تنازلات لإيطاليا من أجل تحقيق الوفاق الأنجلو ــ إيطالي تهديدا لقناة السويس. وخوفا من أن تضحي بريطانيا بمصالح مصر ثمنا للاتفاق مع إيطاليا، رأى حسين "أننا في مصر مجبرون على تحديد موقفنا بسرعة، وإيجاد سبيل للدفاع عن سيادتنا وشرفنا الذي يريد موسوليني تدميرهما بالوسائل السلمية أو الحربية". واستطرد متسائلا: "ما الذي يمكننا عمله لمنع هذا الموقف الشائن؟. كيف يمكننا أن نظهر لإنجلترا وإيطاليا أن مصر، البلد المستقل، لن تقبل بأن تكون موضوعا للمساومة والمفاوضات، وأنها وحدها القادرة على تولي مسئولية الدفاع عن قناة السويس؟. هناك "إجابة فعالة وحيدة" على هذا التهديد، زيادة تعداد الجيش المصري إلى ٥٠ ألف فرد وطائرات قواته الجوية إلى ٢٠٠ طائرة. [٨٢]

أثار احتلال إيطاليا الاستعماري لليبيا والقوات الإيطالية الضخمة الموجودة على الحدود المصرية الانتقادات من جانب مصر الفتاة في ١٩٣٨-١٩٣٩. وفي أبريل ١٩٣٨، انتقد مقال بجريدة مصر الفتاة خطاب موسوليني الأخير الذي عرض فيه لقوة القوات المسلحة الإيطالية واستعداد بلاده للحرب. وبعد أن أشار إلى إعجاب الحركة السابق بإنجازات موسوليني في إيطاليا، أعلنت الصحيفة "أننا في مصر لا يمكن أن نمتدح موسوليني عندما نخشى من توسعيته وسياساته ... كل ما ورد بخطاب موسوليني يعلن عمليا أنه يفكر في الاعتداء على مصر، وأن تلك القوات الضخمة (في ليبيا) التي تحدث عنها بفخر كبير ليس لها سوى هدف واحد، وهذا الهدف هو بلا شك الهجوم على مصر".[٨٣] لكن في يونيو، لم يستطع فتحي رضوان، برغم تعبيره عن الإعجاب بموسوليني لـ"تحويله إيطاليا إلى دولة عظمى"، تجاهل الخطر المحتمل الذي تفرضه على مصر الأطماع الاستعمارية للفاشية الإيطالية: "ما الذي تريده إيطاليا غير إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة

تكون مصر جزءا منها؟"[٨٤] وفي ديسمبر، نشرت جريدة مصر الفتاة عن سلسلة من الاحتجاجات نظمها المنفيون الليبيون ضد قرار الحكومة الليبية مؤخرا بفرض المواطنة الإيطالية على سكان ليبيا الأصليين. وشأن الإخوان المسلمين، أدانت مصر الفتاة هذه المحاولة "لتحويل ليبيا إلى جزء من إيطاليا" وتعهدت بالحفاظ على "ليبيا كبلد عربي".[٨٥] واستمر انتقاد سياسات إيطاليا المعادية للإسلام في ليبيا حتى ١٩٣٩. [٨٦]

كانت أطماع ألمانيا التوسعية وتحركاتها أكثر نأيا في أواخر الثلاثينيات، لكنها كانت على المستوى العالمي مصدر قلق لمصر الفتاة. ومن منظورهم الوطني، كان دعاة مصر الفتاة يؤيدون بشكل كبير ضم النمسا إلى الرايخ الثالث في مارس ١٩٣٨. وفي مقال بعنوان "فريدريك الأكبر يظهر من جديد"، يقيم مصطفى الوكيل، أحد المتحدثين باسم الحزب اتفاق الضم بوصفه مجهودًا مبررًا من جانب ألمانيا لتأكيد مكانتها الصحيحة في العالم، وهي خطوة كبيرة في الحملة التي أشار إليها هتلر في "كفاحي" لإنهاء التسوية الظالمة التي فرضت على ألمانيا بعد الحرب الأولى. كما رأى في الحادث أملاً لمصر في تحقيق تطلعها لاستعادة سيطرتها على السودان. [٨٧] كما تشجَّع فتحي رضوان بتحدي ألمانيا الناجح لوضع دولي معاكس. ومثل الوكيل، اعتبر رضوان تحقيق هدف وطني ألماني بعيد الأمد بمثابة إشارة إلى أن مصر الفتاة، التي تستلهم إيمانا مثيلا برسالتها، سوف تنتصر في النهاية. [٨٨] ورأى أحمد حسين في اتفاقية أنشلوس تأكيدًا واضحًا على إيمانه وإيمان حركته بأن "عالم اليوم يحترم قانونًا واحدًا، هو قانون القوة، القوة المنظمة". وبالنسبة لحسين، كان الدرس الذي يجب أن يتعلمه المصريون من أنشيلوس واضحا: "مثال أنشيلوس، أيها الشباب، يجب أن يكون كافيا لإيقاظكم أخيرا من سباتكم الطويل، ويحثكم على أن تكونوا صفا واحدا تحت راية واحدة، راية مصر الفتاة، التي تسعى إلى المجد القائم على قوة وتنظيم هذا البلد".[٨٩]

كانت الأزمة الممتدة حول تشيكوسلوفاكيا التي توجت بمؤتمر ميونيخ في سبتمبر ١٩٣٨ نقطة تحول في نظرة مصر الفتاة إلى ألمانيا النازية واحتمال إحداثها توترًا دوليًا. ومع تصعيد ألمانيا تهديداتها بالتحرك العسكري بسبب سوديتلاند في أواخر صيف ١٩٣٨، تحول إدراك المصريين إلى هلع من احتمال نشوب حرب أوسع تجر مصر إلى الدوامة. وباستثناء الضحية تشيكوسلوفاكيا، وجد كتاب مصر الفتاة الكثير الذي يستحق النقد في سلوك كل المشاركين الرئيسيين في أزمة ميونيخ. ولم يكن هناك شك في أن هتلر هو المسئول عن جر العالم إلى حافة الحرب. وكان عنوان تعليق "المراسل السياسي" لمصر الفتاة في أواخر سبتمبر، "إذا نشبت الحرب الآن، سيتحمل هتلر المسئولية وسيستحق عندها اشمئزاز العالم".[٩٠] وكالعادة، كان أحمد حسين أكثر حدة. "إذا اندلعت الحرب الآن، بعد كل الجهود والتضحيات التي قدمتها إنجلترا وفرنسا والتي قبلت بها تشيكوسلوفاكيا، سيكون معنى هذا أن هتلر شخص مجنون يسعى إلى تدمير العالم لإشباع حماقته ورغباته".[٩١] على أن البلاد الديمقراطية الغربية لم تعف من اللوم على اغتصاب تشيكوسلوفاكيا. وكان من أوضح الاستنتاجات المترتبة على انصياع بريطانيا وفرنسا في نهاية المطاف لمطالب ألمانيا هو ضعف الإرادة السياسية للديمقراطيات الغربية. وبالنسبة لمصر الفتاة، فإن المسئولية المادية عن نزع تشيكوسلوفاكيا الجزئي تقع على عاتق بريطانيا العظمى وفرنسا. وقد اتهمت البلاد الغربية بخذلان تشيكوسلوفاكيا، "التي ستلقى مصير إثيوبيا"، بعد أن وعدت بحمايتها ... والدفاع عن بقائها في وجه أي معتدٍ". وكان تخليها الغادر عن تشيكوسلوفاكيا "في اللحظة الأخيرة"، وتضحيتها بها لألمانيا من أجل الحفاظ على السلام، يستوجب الاستهجان [٩٢]. ويلخص عنوان عرض لاحقًا لأزمة ميونيخ ما كشفته من تدهور أصاب الديمقراطيات الغربية: "هل بلغت بريطانيا وفرنسا مرحلة الشيخوخة والعجز؟ كل المؤشرات تجيب بنعم".[٩٣]

وبعيدا عن السلوك المخزي لكل القوى في ميونيخ، عــززت الأزمــة ككــل الإيمان المبدئي للحركة؛ القوة تصنع الحق وأن على مصر، إذا أرادت حماية نفسها في عالم قاسٍ يأكل فيه القوي الضعيف، أن تحسن الاستعداد لحمايــة نفــسها. لقــد أثبتت ميونيخ مرة أخرى أن القوة تحكم الأمور العالمية، وأن "الضعف لا يــستحق إلا الخزي والإدانة".(٩٤) ورغم بؤس النتائج، فإن ما حققه هتلر في ميــونيخ كــان دليلا إضافيا على أن "السياسة خادعة ومراوغة".(٩٥)

في أعقاب أزمة ميونيخ، أصبح الأمن الوطني محل اهتمام كبيرًا من جانــب مصر الفتاة. ودعت الحركة أكثر من مرة الحكومة المصرية إلــى تبنــي برنــامج لتعزيز قدرات مصر الدفاعية بإدخال التجنيد الإجباري، وتوسيع القوات المــسلحة، وإقامة مصانع للذخيرة فوق الأراضي المصرية. ومن جانبه، حاول الحزب حــشد المصريين للحرب بتشجيع أنصاره على التسجيل بالخدمة العــسكرية، وتخــصيص محاضرات وفصول للدفاع المدني.(٩٦) واعتبارا من أواخــر ١٩٣٨ ومــا تــلاه، استغلت مصر الفتاة ضرورة إعداد المصريين للمشاركة في الدفاع الوطني، جزئيا، لإنهاء حظر الحكومة السابق للمنظمات شبه العسكرية. وهكــذا، ألزمــت الحركــة أتباعها من الطلبة بالمشاركة في فصول التدريب العــسكري التــي أنــشأتها وزارة المعارف لطلاب المدارس الثانوية والجامعة، وبدأت بعض فــروع الحــزب فــي تأسيس فصولها الخاصة للتدريب العسكري لأعضاء الحزب.(٩٧)

منذ ميونيخ وحتى نشوب الحرب في سبتمبر ١٩٣٩، تبنــت مــصر الفتــاة موقف العداء تجاه وضع دول المحور الدولي. ومن منظور مصر الفتــاة، جــاءت أكثر تحركات العدوان الفاشي والنازي الاستعماري بشاعة قبل الحرب الثانية فــي ربيع ١٩٣٩، عندما ضمت ألمانيا مؤخرة تشيكوسلوفاكيا وغزت إيطاليــا ألبانيــا.

وكان ضم ألمانيا ما تبقى من تشيكوسلوفاكيا بعد ميونيخ بمثابة "خطوة عدوانية سافرة"، بينما أثار "غزو إيطاليا لألبانيا بالنار والسيف" سببا لإدانة مصر الفتاة.[٩٨] ومن جانبه، نعى أحمد حسين، الذي أسرف في مدح الدولة التشيكية الشابة خلال زيارته لها في ١٩٣٨، "اندثار هذه الدولة العظيمة في لمح البصر، دون إطلاق رصاصة واحدة ودون إراقة نقطة دم واحدة". ومرة أخرى، وجه حسين اللوم إلى أكثر من جهة: تبرير ألمانيا للضم بوصفه دفاعا عن الذات أمام عداء تشيكوسلوفاكيا، ادعاء كاذب، كما أدان فرنسا وبريطانيا العظمى لرفضهما دعم وحدة أراضي تشيكوسلوفاكيا منذ مؤتمر ميونيخ وما تلاه.[٩٩]

كان من شأن تحركات دول المحور في ربيع ١٩٣٩، تعزيز استنتاجات مصر الفتاة الثابتة حول طبيعة السياسة الدولية: "كل هذا ليس إلا دليلاً آخر على عدم وجود قانون دولي اليوم سوى قانون القوة الذي بمقتضاه يُخضع القوي الضعيف"، ودليل آخر مؤكد على "هستيريا الغزو والعدوان التي أصبحت تسود ألمانيا وإيطاليا، وكذلك اليابان"، وعلى "تفريط البلاد الديمقراطية واستسلامها أمام غزو الآخرين".[١٠٠] وفي ذلك التعليق المرير على الأحداث التي شهدها ربيع ١٩٣٩، يمضي أحمد حسين إلى حد "مدح سيد إيطاليا، العضو الآخر في المحور، لإزالته الشك الأخير وأكد على الواقع الساطع والصارخ ــ بأن الدول القوية ليست مستعدة لاحترام المعاهدات أو الاتفاقات، وأنها بدأت تستولي على وتبتلع الدول الضعيفة". ومن منظور حسين الساخر، كان عدوان إيطاليا على ألبانيا "ضربة حظ، لأنها أيقظت العالم من سباته. إنها لحظة مباركة، لأنها تقضي على أي تردد أو ارتكان إلى الحلم ــ الحلم بالمعاهدات والأخوة والتعاون".[١٠١]

بحلول منتصف ١٩٣٩، عشية الحرب العالمية الثانية، كان من الواضح أن مصر الفتاة تسعى إلى أن تنأى بنفسها عن الحركات الفاشية الأوروبية التي كانت

تسير على خطاها فيما سبق. وكان هذا واضحا بشكل كبير في "رسالة إلى هتلر" بقلم أحمد حسين، وهو خطاب مفتوح إلى هتلر نشر في جريدة مصر الفتاة في يوليو ١٩٣٩. [١٠٢] ويبدو أن الرسالة كانت موجهة للاستهلاك المحلي، للتأثير على المصريين بولاء أحمد حسين للإسلام، وكذلك لإبعاد مصر الفتاة عن الفاشية الأوروبية. كان النصف الأول من الوثيقة عبارة عن مقارنة بين الإسلام والاشتراكية الوطنية الألمانية، تؤكد على المساواة وعدم التمييز اللذين يتمتع بهما الإسلام، وتحديد "الروح الإسلامية" بوصفها "ديمقراطية بلا تراخ؛ حرية بلا فوضوية أو تهور، وبلا شيُوعية أو عدمية متطرفة؛ وتعاوناً بين الغني والفقير، وخيرية ينظمها الدين دون اشتراكية متطرفة أو ديكتاتورية طبقة على غيرها من طبقات الشعب. [١٠٣] والنصف الثاني من الرسالة يقارن بين الاشتراكية الوطنية، وسياستها الخارجية بصفة خاصة، ورؤية الإسلام ووجد أنها ناقصة:

"لا أنت ولا الشعب الألماني تحملون رسالة جديدة للعالم أو تقدمون للإنسانية أي شيء يلقي الضوء على بؤسها وأحزانها .... ما الذي أعددته إذن للأمم الأخرى وما هي رسالتك من أجل سعادتها؟ لا شيء! لا شيء! برنامجكم لا يحوي شيئا. ولا يمكن لغير الألماني أن يكون ألمانيا أبدا. ولا تأوي غير الألماني! ستدوسونه بأقدامكم. وهذا سيحفز العالم، آجلا أو عاجلا، للتوحد دفاعا عن نفسه في وجه سيد لا يريد إلا السيطرة عليه وغزوه؛ ضد سيد لن يقدم له دواء لعلله الروحية ولمعاناته المادية".[١٠٤]

واختتمت الرسالة بتوجيه الدعوة إلى هتلر لـ"اعتناق الإسلام"، أو على الأقل "دراسة الإسلام" على أمل أن تلطف حقائقه من البرنامج الاشتراكي الوطني.

وعندما اندلعت الحرب في سبتمبر ١٩٣٩، كان موقف مصر الفتاة من مشاركة مصر المحتملة في الأعمال العدائية ملتويا بشكل واضح. وتصدر أحمد

حسين لصياغة موقف مصر الفتاة المعلن من الحــرب. وفــي افتتاحيــة فــي ٣١ أغسطس، والحرب تبدو وشيكة، حلل حسين المعضلة التي ستواجه مصر في حـــال نشوب الحرب. ولم تحظ كل النتائج المحتملة للحرب برضاء وطني مصري مثـــل حسين. فإذا خرجت بريطانيا العظمى من الحرب منتصرة، فمن غيــر المتوقــع أن ترفع قبضتها عن مصر. من ناحية أخرى، إذا انتصر المحور، ستكون البلاد كذلك في موقف لا تحسد عليه: "دعنا نتخيل الآن الــصورة المعاكــسة، أي أن ينتــصر الطرف الآخر، روما وبرلين. ماذا سيكون مصيرنا في هذه الحالة، غير أن نكـــون غنائم النصر؟ سيأخذوننا بحق الغزو، باعتبارنا تابعين للبلاد المهزومة".[١٠٥]

وحيث إن الحرب تحمل احتمال الخضوع بعد الحرب بغض النظــر عمــن ينتصر، أصبح حسين يرى أن مشاركة مصر في الحرب إلــى جانــب بريطانيـــا العظمى هي الشيء الوحيد الذي يعطي الأمل لمصر. وبـــرر هـــذا انطلاقـــا مــن خلفيتين. الأولى تعكس المنظور الاجتماعي الدارويني الذي استلهمت مصر الفتـــاة منه كثيرًا من أنشطتها خلال عقد الثلاثينيات. وبالنسبة لحــسين، كانــت الحـــرب الساحة الحاسمة لإظهار التصميم والعزم. ستثبت الحــرب للعـــالم جـــدارة مـــصر الوطنية:

"إن واجب الشعوب، عندما تجد نفسها طرفًا في الحرب، أن تـــدخلها بكـــل إخلاص، متحدية الموت .... هذا ما تفعله كل الشعوب الحية لتحقيق النصر. ونحن لسنا أقل إيمانا ببلدنا، وفهما لحقيقة الصراع، من الأوروبيين، ونحن لسنا أقل مـــنهم في الشجاعة والإقدام".

وكانت الخلفية الثانية برجماتية؛ بمساندة بريطانيا في مجهودهـــا الحربـــي، ستكون مصر في موقف يسمح لها بالمطالبة بريطانيا بـــإقرار المطالـــب الوطنيـــة المصرية بعد الحرب. وهكذا، طالب حسين بتعيين حكومة مصرية جديدة برئاســـة

علي ماهر، توضح للبريطانيين أنه "عندما تنتهي الحرب لصالح بريطانيا ومصر"، لن تتراجع مصر عن مطالبها الوطنية بالاستقلال التام والسيادة. (١٠٦)

ويتناول مقال حسين في ٣١ أغسطس خيارات مصر في حال اندلعت الحرب ويقدم الأساس المنطقي لمجموعة من القرارات أصدرها في اليوم نفسه المجلس الإداري لمصر الفتاة. القرار الأول كان حاسما: "يعلن الحزب عن الحاجة الحتمية، في حال وقوع الحرب، لأن تأخذ مصر على عاتقها عبء الدفاع عن حدودها ضد أي عدوان خارجي، وأن تساند إنجلترا حتى تحقيق النصر النهائي، حتى يكون هذا أساسا لبناء مستقبل مجيد لمصر وتحرير الدول العربية".(١٠٧)

كان تأييد مصر الفتاة لدخول مصر الحرب إلى جانب بريطانيا العظمى قائما على توقع وقوف إيطاليا إلى جانب ألمانيا عند نشوب الحرب. وعندما لم تفعل إيطاليا هذا عند بداية الحرب في سبتمبر ١٩٣٩، تغير على الفور موقف مصر الفتاة من الحرب. وصدر بيان باسم الحزب كتبه أحمد حسين في الثاني من سبتمبر يراجع موقف الحركة الرسمي من الحرب. كان من شأن إحجام إيطاليا غير المتوقع عن دخول الحرب تغيير كل شيء. فقد أبعد قرار إيطاليا عن مصر شبح التهديد الآني بالغزو. وفي ظل هذه الظروف، كان رأي حسين أنه "إذا لم يعتد علينا، فمن غير المحتمل أن نشارك في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل. وقد أصبح هذا واضحا أمامنا فور أن أعلنت إيطاليا حيادها. وواجب مصر في هذه الحالة أن تسهر على الحفاظ على سلامة حدودها واستكمال استعداداتها للحرب".(١٠٨) وكان موقف أحمد حسين الجديد يتلاقى مع موقف وزارة علي ماهر، التي انقسمت في أوائل سبتمبر حول مسألة دخول مصر الحرب، وفي الرابع من سبتمبر أبلغت البريطانيين بأن مصر ستلتزم رسميا موقف الحياد.

وتخللت تعليقات أحمد حسين مع بدء الحرب صدى فكرة أن الحرب هي الاختبار الحقيقي لقوة مصر وجدارتها الوطنية، رغم تناقض ذلك مع الحكمة التي صار يعبر عنها في النهاية عن احتمال مشاركة مصر. ففي حين أن من المؤكد أن الحرب ستجلب الدمار والآلام على مصر، فهي تتيح أيضا فرصا غير مسبوقة للأمة لتأكيد مكانها الصحيح في العالم: "إذا اندلعت نيران الحرب، سيواجهها هذا البلد صفا واحدا، بإيمان صادق وقلوب من حديد. سندافع عن وجودنا ومستقبلنا، وسنخرج رابحين، منتصرين. سنحقق رسالتنا لقيادة العرب، ونصبح قيادة العالم الإسلامي، وأن نكون مرشد العالمين".[١٠٩] وجاء أكثر بيانات حسين ولعا بالحرب قبل اندلاعها في ٢٨ أغسطس، عندما أعلن أن "من المحتم علينا المشاركة بكل جوانحنا في الحرب المقبلة، لأن مستقبلنا الديني وفرصتنا لإبهار العالمين موقوف على الفوز بهذه الحرب. لذلك عليكم، جنود مصر الفتاة، بالاستعداد للتضحية بأرواحكم من أجل قيادة البلاد بإصراركم".[١١٠] وفي بيان وجهه حسين إلى الشباب المصري، بلغ بيان الثاني من سبتمبر حول مراجعة موقف مصر الفتاة من الحرب ذرى إبداعية جديدة. ففي الوقت الذي يرى فيه أن الأوضاع الحالية تستدعي ابتعاد مصر عن الحرب، لكنه يشعر بالابتهاج لأن الكارثة الوشيكة ستتيح للجيل الذي يتحدث باسمه الفرصة لإظهار عزمه على النضال والتضحية في سبيل مجد مصر:

"كم سألنا الله أن تتاح لنا هذه الفرصة، فرصة التضحية من أجل وطن يستحق التضحية ومن أجل المبادئ السامية. وكم تطلعنا بعين الحسد والغيرة إلى شباب تلك البلاد الذين يعرفون كيف يدافعون عن بلادهم والموت في سبيلها ... كم ابتهلنا إلى الله أن يتيح لنا الفرصة التي نخبر فيها جلدنا وإيماننا واستعدادنا للاستشهاد في سبيل الله والوطن. وقد حانت الساعة الآن، الساعة التي نؤكد فيها رجولتنا وقوتنا وأننا لا نقل تصميما، بل بالعكس نفوق الشعوب الأخرى في حب

بلدنا والرغبة في الكفاح في سبيل المثل السامية. حانت الساعة التي ستدهش فيها مصر العالم بمعجزات ستدهش المصريين أنفسهم قبل خصومهم".[١١١]

وبالنسبة إلى أحمد حسين، ستكون الحرب العالمية الثانية الساحة النهائية لأنصار مصر الفتاة ليظهروا قوة إيمانهم من خلال العمل.

وما إن صارت الحرب واقعا، اتخذت مصر الفتاة مسارا مختلفا جذريا عن منافسها الرئيسي في اجتذاب الأفندية الجدد، أي الإخوان المسلمين. وكما سبق ورأينا، وباستثناء التضييق أحيانا على قادتها وإصداراتها من جانب حكومات مصر في ١٩٤٠-١٩٤١، واصل الإخوان المسلمون العمل والنمو خلال سنوات الحرب. بالمقابل، كان عنف مصر الفتاة اللفظي والبدني قبل الحرب، وكذلك الشكوك في تورطها أثناء الحرب في أنشطة معادية للبريطانيين، سببا للتضييق على أنشطتها العلنية خلال السنوات القليلة الأولى من الصراع وبحلول منتصف ١٩٤١ توقفت تماما.

وكان من شأن نشوب الحرب وإعلان الحكومة المصرية إجراءات الطوارئ العاجلة (إعلان حالة محاصرة وفرض الرقابة على الصحافة) تقييد قدرة مصر الفتاة على العمل العلني، لكنها لم تنهه تماما. وبنشوب الحرب ومع التشديدات الأمنية في ظل حالة الحصار، توقفت فعليا حملتها العنيفة لإثارة العداء للسامية ومقاطعة التجار اليهود، التي حاولت تنظيمها في صيف ١٩٣٩. وكما يبين أحمد حسين بامتعاض لأعوانه بعد بدء الحرب مباشرة، فإن الوحدة الوطنية زمن الحرب لا تعني "أن علينا إهمال نضالنا ضد بعض الأشياء".[١١٢] من ناحية أخرى، تواصلت أشكال النشاط الأقل تخريبا الذي اتسمت به الحركة خلال عام ونصف العام من بدء الحرب. فاستمر نادي الحزب في العمل؛ واستمرت فروع الحزب في عقد اجتماعاتها؛ وفي عامي ١٩٤٠ و١٩٤١، سُمح للحركة بعقد مسيرتها السنوية

عند الأهرام. [١١٣] واستمرت جريدة مصر الفتاة في الصدور حتى مايو ١٩٤١، لكن حجمها ومحتواها وانتظامها تأثر سلبًا بالرقابة السارية في مصر، بالإضافة إلى نقص ورق الصحف بسبب الحرب والذي أثر على كل الصحف المصرية. وكانت الصحيفة تصدر يوميا حتى نوفمبر ١٩٣٩، ثم صارت تصدر أسبوعيا منذ ذلك الحين؛ وفي وقت مبكر من ١٩٤١، بدأت تصدر في حجم أصغر وبصورة غير منتظمة.

كان التطور المؤسسي الرئيسي الذي طال مصر الفتاة أثناء الحرب هو تغيير اسم الحزب رسميا وتبني برنامج جديد. وفي تنافسها مع الإخوان المسلمين المنطلقة، من أواخر ١٩٣٨ وما تلاها، اصطبغت رطانة مصر الفتاة بصبغة أكثر إسلامية، وأصبحت مطالبتها بالمزيد من العدالة الاجتماعية في مصر تتمثل في تحقيق القيم الإسلامية الأصيلة. ووجه الحزب حركته في اتجاه أكثر إسلامية في مارس ١٩٤٠، عندما غير اسمه من (حزب مصر الفتاة) إلى (الحزب الوطني الإسلامي)، وعندما أصدر برنامجًا حزبيًا جديدًا يدعو إلى تعزيز التقاليد الإسلامية في مصر والتوجه نحو البلاد العربية والإسلامية المجاورة. [١١٤]

وقد توقفت أنشطة مصر الفتاة ومنشوراتها العلنية في ربيع ١٩٤١، أثناء الانتفاضة ضد بريطانيا في العراق. وعلى أمل ألا تقوم أي هبة مشابهة ضد البريطانيين في مصر والشك في مسئولية مصر الفتاة عن توزيع "كتيبات ملتهبة في عدائها للبريطانيين" مؤخرا تدعو المصريين للتأهب لـ "الثورة" وتخريب خطوط النقل في حال أجبر المحور بريطانيا على التراجع في حرب الصحراء، [١١٥] ، شنت السلطات هجومها على مصر الفتاة. فأُغلقت جريدة مصر الفتاة بأمر الرقابة؛ وحُظرت اجتماعات الحزب؛ وألقي القبض على الكثير من أعضاء الحزب (نحو ٣٠٠ في البداية)؛ وقُبض على زعيمي الحزب فتحي رضوان

وأحمد حسين. وحتى الإفراج بالتدريج عن معظم أعضائها البارزين اعتبارا من أواخر ١٩٤٤ وما تلاها، عندما أوشكت الحرب على نهايتها، لم يعد لمصر الفتاة / الحزب الإسلامي الوطني وجود كحركة منظمة.[١١٦] وعلى عكس سياسة التدرج والتكيف التي اتبعتها الإخوان المسلمون أثناء الحرب، أدى تبني الحركة قبل الحرب لموقف عقائدي أكثر تشددا والشك كذلك في تورطها أثناء الحرب في أنشطة تهدد النظام العام وتشكل خطرا على الاستقرار الجبهة الداخلية المصرية إلى القضاء عليها نهائيا وتهميشها كحركة تجتذب أفندية مصر الجدد وتعبر عنهم.

الخاتمة

سرديات متغيرة

حظي التحدي الذي شكلته الاستبدادية على الديمقراطية الليبرالية باهتمام شديد في الخطاب المصري العام في الثلاثينيات. وقد حرص عدد من المصريين – من السياسيين والصحفيين والمثقفين – على زيارة إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية خلال زياراتهم إلى أوروبا، وكتبوا انطباعاتهم المطولة بعد عودتهم. ولم يتردد قطاع أكبر كثيرا من المصريين، الذين لديهم فكرة جيدة عن الساحة الأوروبية من خلال الصحف المحلية والعالمية، في الشرح والتعليق على الجوانب العديدة للأيديولوجية والسياسة الفاشية بصورتيهما في إيطاليا وألمانيا. وانتشرت نقاشات وتقييمات النظام العقائدي الاستبدادي الفاشي مقابل الديمقراطية الليبرالية في الإعلام المصري المطبوع والمرئي، وتحول هذا النقاش والجدال بمرور الوقت إلى مواجهة أيديولوجية وسياسية بين النظامين أخذت تتصاعد على مدار العقد.

كان هذا الاهتمام المصري العميق بالفاشية المعاصرة محفوزا بمثيرات خارجية وداخلية. خارجيا، نمو الحركات الفاشية في العديد من البلاد الأوروبية؛ وصعودها إلى السلطة في دولتين أوربيتين كبريين، إيطاليا وألمانيا؛ والخطر الذي مثلته العدوانية والتوسعية الفاشية على النظام العالمي بعد الحرب العالمية الأولى، والذي توج أخيرا بحرب عالمية – كل هذا جعل من الفاشية المعاصرة أمرا لا يمكن إغفاله من جانب المصريين المهتمين بالشئون الدولية. وقد تعزز بالقدر نفسه وربما أكثر بفعل مجموعة من الأوضاع الداخلية التي جعلت الفاشية تحظى

بهذا الاهتمام في الثلاثينيات. على المستوى الشعبي، أصبح المصريون يدركون الأفكار الفاشية ويخشون من أن النماذج الفاشية، مثل ظهور حركات الشباب المتشددة وشبه العسكرية التي تردد على ما يبدو الرطانة الفاشية وتحاكي الممارسات الفاشية، تزداد جاذبية في أعين شباب المصريين خاصة وتمثل بذلك خطرا على النظام الدستوري والبرلماني القائم والذي ظهر في العشرينيات. وعلى مستوى السياسة العليا، كان صعود ملك شاب يحظى بالشعبية في البداية متمثلا في شخص الملك فاروق بمثابة تهديد محتمل لنظام الحكم البرلماني القائم. وفي ١٩٣٦-١٩٣٧، تحدى فاروق الوزارة الوفدية المنتخبة من الشعب وأطاح بها؛ وفي ١٩٣٨-١٩٣٩، كانت الخشية من أن يتلاعب الملك ومستشاروه بآمال إعادة بناء النظام الدستوري والبرلماني، ويتجهون نحو طراز أكثر أوتوقراطية يردد صدى المفاهيم الفاشية للزعامة والكفاءة حافزا إضافيا للمصريين كي يهتموا بمدى ملاءمة الأفكار والممارسات الاستبدادية المعاصرة.

وكما أظهرت الفصول السابقة، لم تكن مواقف المصريين من الفاشية الاستبدادية والديمقراطية الليبرالية موحدة أو ثابتة. لكن من الممكن تحديد وزن الرأي العام. من منظور الزمن، كان بعض المصريين منفتحين مبدئيا على إمكانية أن تكون قوة الفاشية التنظيمية، وإعادة البناء الاجتماعي ـ الاقتصادي، واستعادة الثقة في النفس، والنجاح في تحقيق الإحياء الوطني، وكل هذا يمثل نموذجا إيجابيا يمكن لمصر أن تحذو حذوه. وبالتدريج، أفسح هذا الانفتاح الطريق لإدراك أن هذه الجوانب للفاشية لا تقاس أمام الآثار العكسية للحكم الاستبدادي والوطنية العدوانية الشوفينية. ومن حيث الجوهر، تبخر إلى حد كبير القبول الأولي بإمكانية أن تكون مبادئ التنظيم الفاشية بديلاً صالحًا للديمقراطية الليبرالية ما إن بانت السياقات المدمرة للديكتاتورية الداخلية والعدوانية في الخارج لكل من إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية. وعشية الحرب العالمية الثانية، كان القطاع الأكبر من الرأي العام المهتم

بالشأن العام يجمع على أن استبدادية الفاشية وعنصريتها واستعماريتها تمثل تهديدا صريحا لمصر، والشرق الأوسط، وسائر العالم.

وعند تلخيصنا للفروق بين آراء الأفراد وتوجه الإصدارات حول مسألة الفاشية مقابل الديمقراطية، يمكننا رصد بعض السمات. الأولى هي أن الرأي العام المصري لم يكن نابعا من خلفية دينية. فكل الآراء السلبية منها والإيجابية في الفاشية تجاوزات الحدود الدينية. وكان أحد القلائل من المعلقين المصريين الذين عبروا عن حماسهم الشديد للمبادئ النازية في وقت ما من الثلاثينيات هو القبطي سلامة موسى، رئيس تحرير المجلة الجديدة (والذي تراجع عن رأيه في وقت لاحق من العقد)؛ وعلى طرف نقيض، نجد معلقا إسلاميا قويما مثل أحمد حسن الزيات، رئيس تحرير مجلة الرسالة، الناقد اللاذع ومنذ وقت مبكر لاستبدادية الفاشية وعنصريتها واستعمارها. وفي الصحافة الثقافية، كانت المجلة الجديدة الممعنة في الحداثة والعلمانية هي التي نشرت أكثر التقييمات إيجابية للإنجازات الفاشية الداخلية في منتصف الثلاثينيات، بينما كانت الرسالة، الأكثر إسلامية وعروبية، هي التي كان لها الصدارة في تقديم الفاشية كنظام استبدادي واستنكار المبادئ الفاشية منذ بدء صدور المجلة تقريبا في ١٩٣٣. ومن جانبها، لم تعكس رسائل حسن البنا السلفية الصرفة ومنشورات الإخوان المسلمين تعاطفا كبيرا مع العقيدة الفاشية الغريبة أو ممارساتها القمعية. ورفض الإخوان فكرة العنصرية النازية، واعتبروا الفاشية والنازية شكلاً جديدًا من التوسعية الغربية والاستعمار لا يقل خطرا، إن لم يفق، الاستعمار الفرنسي أو البريطاني القائم. ولا تتضمن المصادر المصرية في الثلاثينيات أي إشارة إلى ميل إسلامي أصيل من الاستبداد في القراءات المصرية للفاشية.

وإذا لم تكن الخلفية الدينية معيارا مهما لتمييز الفروق بين الآراء المتصلة بالفاشية، فما المعيار؟ كان الأهم، في القبول (ببعض جوانب) الفاشية، من قبل بعض المصريين في الثلاثينيات، هو أنه يؤكد على الإيمان بالحاجة إلى تغيير سريع وكاسح للنظام لتوجه مصر نحو العصر الحديث. ويوضح النقيضان، الاشتراكي الفابي سلامة موسى وقائد الشباب المتشدد في مصر الفتاة، المسألة: رغم الفروق الواضحة في تعليقاتهما على علل مصر المعاصرة، فإنها كانت تعبيرا عن قناعة كل منهما بأن المجتمع والسياسة المصرية بحاجة إلى تغيير حاسم. هذه القناعة أدت بهما إلى الإشادة بحيوية النازية، وقوتها التنظيمية، وما حققته من نجاح في تحقيق مثل هذا التغيير في وقت قصير في ألمانيا. ولفترة قصيرة على الأقل، اعتبر موسى وحسين الفاشية سبيلا إلى الحداثة. إلا أن دار نشر محترمة مثل الهلال، أو مجلتي الثقافة الجديدة والرسالة الأحدث، لم تجد جاذبية كبيرة في تلك العقيدة الاستقطابية والسلوك الجامح للدول الفاشية الأوروبية. وبالنسبة لغالبية الأقلام التي كتبت في هذه الدوريات الثقافية المصرية، كانت الفاشية والنازية حركتين رجعيتين ومعاديتين للتحديث والتقدم تقوضان بشراسة أفكار التنوير ومبادئه. إنهما تمثلان اتجاها غير إنساني، يهدد بشدة الحرية والمساواة والتضامن الإنساني.

كانت مناهضة الاستعمار أهم عامل في صياغة الإجماع المصري السلبي تجاه الفاشية والنازية في الثلاثينيات. ولما استهلت إيطاليا الفاشية ومن بعدها ألمانيا النازية التعبير عن حيويتهما الوطنية من خلال العدوان والتوسع الخارجي، أصبح المصريون من كل الميول العقائدية يرون في الفاشية المعاصرة خطرا محتملا على "الدول الصغيرة" و"الشعوب الضعيفة"، وعلى استقرار العالم وسلامه، وأخيرا، على استقلال وسيادة مصر نفسها. وكانت إيطاليا أولى الدول الفاشية التي يطلق عليها

صفة الاستعمارية. وكان توسع إيطاليا الاستعماري في الجارة ليبيا مصدر قلق دائمًا لمصر؛ وتصاعد في الثلاثينيات بسبب سياساتها الوحشية في مستعمرتها الليبية. وتعزز استيعاب الاستعمار الإيطالي بشكل كبير في سياق التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا في منتصف الثلاثينيات، ودام منذ ذلك الحين بفضل الادعاءات الإيطالية الدورية بأن البحر المتوسط "بحر روماني"، والخوف من تهديد إيطاليا للسيطرة المصرية على قناة السويس.

تجسدت أطماع ألمانيا النازية في التمدد الإقليمي بصورة أكثر بطئًا، وكان أثرها في البداية محدودا على الخطاب العام في مصر. لكن في ١٩٣٨-١٩٣٩، كان من شأن توسع ألمانيا العدواني في وسط أوروبا، وقضائها على الوجود المستقل لدول صغيرة مثل النمسا وتشيكوسلوفاكيا، وعزمها على فعل الشيء نفسه في بولندا (والبلاد الثلاثة، شأن مصر، حصلت على استقلالها في إطار تسوية ما بعد الحرب العالمية الأولى)، واندفاع ألمانيا العنيد في مجالها الحيوي، كان من شأنه توحيد الرأي العام المصري بكل أطيافه في معارضة النازية والسياسة الخارجية لألمانيا. كانت الوطنية ومعاداة الاستعمار هما العامل الأساسي وراء تشدد الاتجاه المعادي للفاشية بمرور الوقت؛ مع تزايد الأدلة على الخطر الإيطالي الفاشي ومن بعده الألماني النازي على النظام العالمي، وحد المصريون جهودهم للتحذير من الإمبريالية الفاشية والخطر الذي تشكله على البلاد الصغيرة وكذلك السلام العالمي.

كان رفض المصريين للاستعمار الفاشي سياسيا بالأساس، وليس أيديولوجيا. لكن كان له نتائج أيديولوجية. فقد احتفظ عدد محدود من المعلقين – على رأسهم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة – بإعجابهم بالمبادئ الفاشية للتنظيم السياسي والقيادة، حتى بعد أن صاروا على دراية بالنتائج السلبية المحتملة للاستعمار

الفاشي. لكن معظم المراقبين اعتبروا الفاشية قواما غير متماسك، وظـاهره يـشكل فيها ازدراء المعايير الدولية الهمجي من جانب الفاشيين والنازيين جزءا لا يتجـزأ من ازدرائهم لمعايير الثقافة البرجوازية الليبرالية وتطلعاتهـا. وبالنـسبة لمعلقـين مختلفي المشارب، من علي أدهم إلى عباس محمود العقاد وأحمـد حـسن الزيـات ومحمد عبد الله عنان وأخيرا سلامة موسى، من غير الممكن الفصل بين إمبرياليـة الفاشية واستبدادها وعنصريتها. فتكريس الفاشية جهودها لإعلاء جماعـة وطنيـة معينة أو "جنس" هو الذي يغذي التوسعية والإمبريالية الفاشية؛ والاسـتبداد الفاشـي هو الذي يوفر القوة التنظيمية التي حولت عدوانية إيطاليا أولا ومن بعـدها ألمانيـا إلى تهديد واضح للعالم.

كانت الصحف الأسبوعية المصورة هي الساحة الأقوى تعبيرا عن الفاشـية والنازية كقوتين استعماريتين خبيثتين، ضحاياها بالأساس الـبلاد الـصغيرة مثـل مصر. واستخدمت الرسوم الكاريكاتيرية المعادية للفاشية صـورا معبـرة لتقـديم صورة سلبية لهتلر وموسوليني ولألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية بشكل عام. وكـان هتلر وموسوليني يظهران في الرسوم بوصفهما مشعلي حروب أقويـاء وجـائعين وشرهين لـ "الفضاءات المعيشية"، والمستعمرات التي تغتصب بالتوسع والاحتلال العسكري. وكانت الرسائل المتضمنة في الرسوم تعبر عن قبح ووحـشية الفاشـية والنازية والشر المتأصل في النظامين. وحيث إن هذه الرسوم كان يراهـا الأمـي والمتعلم وتصل بذلك إلى قطاعات أوسع من المجتمع، لعبـت هـذه الرسـوم دورا حاسما في خلق وانتشار مزاج عام معاد للفاشية والنازية.

ودراستنا لحالة المواقف المـصرية بخـصوص المفاضـلة بـين الفاشـية والديمقراطية في الثلاثينيات تحمل تضمينات لفهم كل من تـاريخ مـصر الحـديث ومسار التطور السياسي والأيديولوجي للمشرق العربي بشكل عام. وعلـى عكـس

التفسيرات التقليدية لمسار التاريخ الثقافي والسياسي المصري خلال العقود الأولى من القرن العشرين، لا تدعم المواد التي قمنا بفحصها شيوع "أزمة توجه" عامة أو "فشل التجربة الليبرالية" ابتعد بسببها المتعلمون المصريون عن إيمانهم السابق بقيم المجتمع الليبرالي أو الادعاء بأن هذه القيم طُبقت دون إدراك كاف بإمكانية ملاءمتها للبيئة الاجتماعية والثقافة المحلية. كان تفسير "أزمة التوجه"/ "فشل التجربة الليبرالية" يقوم على أكتاف حلقة ضيقة من المثقفين (عدد من أدباء مصر المسلمين البارزين) والمطبوعات (كانت تتناول بعض كتبهم موضوع التاريخ الإسلامي الأول تحديدا). وعندما يتسع المجال ليشمل دائرة أوسع من المعلقين (مثقفين وصحفيين ونشطاء سياسيين والدينيين من الصف الثاني) والآراء المتصلة تحديدا بمسألة الفاشية مقابل الديمقراطية التي عبروا عنها في عدد من الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية التي شكلت وعبرت عن الخطاب العام في الثلاثينيات، نجد صورة مختلفة تماما لحالة الموقف المصري من المواجهة المعاصرة بين الفاشية والديمقراطية. وفي حين كانت الغالبية العظمى من المراقبين المصريين تنحو باللائمة عادة على الأداء المتردد للنظام البرلماني القائم، إلا أنهم لم يتخلوا عن إيمانهم المطلق بالقيم الليبرالية أو عن منظورهم الديمقراطي. ومن المؤكد أنهم لم يؤيدوا الفاشية كبديل للديمقراطية الليبرالية عندما أصبحت شرور استبدادية وعنصرية واستعمارية الفاشية والنازية واضحة جلية. وترجح الشهادة المتمثلة في التقييمات البريطانية للساحة المصرية إلى حد كبير هذه القراءة للصحافة المصرية فترة ما قبل الحرب: كانت جهود الدعاية النازية والفاشية في مصر محدودة النطاق ومحدودة التأثير في الموقف المصري قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وفي رأينا، أن العلاقات المتقطعة وغير المجدية إلى حد كبير بين مصر ودول المحور قد حظيت باهتمام كبير ما إن اقتربت نذر الحرب. ولا تعني الجهود المجهضة من قبل حفنة من المصريين (الملك وأعوانه؛ بعض ضباط الجيش؛ النشطاء المعادين للاستعمار من مصر الفتاة) للتعاون مع المحور أن معظم المصريين كانوا متسقين عقائديا مع الفاشية. وإذا نظرنا إلى الصراع الدولي بين العقيدتين بالأساس من منظور معاداة الاستعمار، سنجد أن بعض المصريين رأوا في الانتصارات التي حققها المحور في الشرق الأوسط يمكن أن تكون مفيدة لإنهاء الاحتلال البريطاني لمصر. لكن هذا كان باعثه سياسيًا، ليس له أي ثقل أيديولوجي. وهو يتعارض بشدة مع موقف غالبية المعلقين المصريين من الفاشية خلال السنوات التي سبقت الحرب مباشرة. وبفضل حرية التعبير التي سمحت بقيام صحافة قوية، وقبل أن تجعل الرقابة المفروضة خلال فترة الحرب تقييم حالة الرأي العام من خلال المواد المنشورة مزعزعا، رفض المصريون، باستثناء عدد قليل من المسيسين منهم، الفاشية وظلوا على إيمانهم بالليبرالية. ولا يمثل كليشيه "عدو عدوي صديقي" التيار السائد في الرأي العام المصري قبل الحرب الثانية. وعند مقارنتهم بين استعمار إيطاليا وألمانيا الشره، واستعمار بريطانيا العظمى وفرنسا المعروف والمتخم، كان المصريون يفضلون الأخير في الغالب الأعم.

إن إعادة قراءتنا للتاريخ المصري في الثلاثينيات تشكل جزءا من ظهور رواية بديلة لعلاقة العالم العربي بالفاشية. ومثل مصر، واستنادا إلى الرواية التاريخية التي تعكس المناظرات العنيفة المعادية للعرب في الغرب في الخمسينيات والستينيات وإعادة قراءة سنوات الحرب من جانب نظام عسكري جديد تواق إلى إثبات مصداقية عدائه للاستعمار، والتي يفترض معها انتشار التعاطف عقائديا مع الفاشية، كان مؤرخو الهلال الخصيب (العراق، سوريا، لبنان، فلسطين) غالبا ما

يفترضون سيادة ميل عقائدي للفاشية بين العرب بشكل عام. وكانت الأرضية التي انطلق منها هذا الافتراض شبيهة بتلك التي انطلقت منها في حالة مصر.

في العراق، هناك رواية شائعة تقلل من شأن التنافس بين المعسكر الهاشمي الموالي غالبا للبريطانيين من ناحية، ومجموعة من القوى الراديكالية والمؤيد للقوات النازية التي تهدد المؤسسة السياسية من ناحية أخرى. وتؤكد الرواية على الجاذبية العقائدية للنازية بالنسبة لشبكة من الأفراد والجماعات. ومن المنظورين السياسي والاستراتيجي، ترى هذه الرواية أن ألمانيا تبدو القوة الوحيدة القادرة على تحدي الهيمنة الاستعمارية البريطانية في العراق والمشرق العربي. وعمليا، يقدم انقلاب رشيد عالي الكيلاني المناصر للنازية في أبريل ـ مايو ١٩٤١ كدليل على الدعم القوي لألمانيا النازية في أوساط النخبة العسكرية العراقية، خاصة شباب الضباط التواقين إلى تحرير بلادهم من نير الاستعمار البريطاني. وينظر إلى المعلمين العراقيين، وأبرزهم سامي شوكت، باعتبارهم من المفتونين بالمزج الناجح بين الوطنية والعسكرية والرياضة البدنية في المدارس النازية. واعتبرت أنشطة التنظيم الشبابي المتشدد (الفتوة) مظهرا لتلقين الشباب ممارسات النازي، كما اعتبرت الخطب المؤيدة للنازي التي شهدها نادي المثنى العروبي في بغداد انعكاسا للتأييد الشعبي لألمانيا النازية من جانب أفندية العراق. [1] وفي سوريا، عادة ما تسلط الدراسات التي تتناول عملية التشدد في الثلاثينيات على الاتجاهات المؤيدة للفاشية بين التنظيمات الوطنية الجديدة. وتبدت هذه الاتجاهات بصفة خاصة في انتشار منظمات الشباب الجديدة المتشددة مثل عصبة العمل القومي، وأشبال العروبة، والحزب الاجتماعي القومي السوري بقيادة أنطون سعاده، والقمصان الصلبة، وحركة البعث الأولى، وغيرها من التنظيمات الإسلامية المتطرفة. وفي لبنان، اعتبرت العقيدة الفاشية أو النازية وأشكالها التنظيمية هي الملهم للقمصان

البيضاء، والنجادة، والكتائب بقيادة بيير الجميل. [٢] وبالنسبة لفلسطين، تركز الدراسات على الأنشطة المؤيدة للفاشية للمفتي المنفي الحاج أمين الحسيني، زعيم الحركة الوطنية الفلسطينية. وقد فر الحسيني، وهو من داعمي انقلاب رشيد عالي الكيلاني في ١٩٤١ بالعراق، إلى ألمانيا النازية وتعاون مع النظام النازي ودعم بهمة المجهود الحربي الألماني. [٣]

وتسير الدراسات المتصلة بالمنطقة العربية ككل على النهج التأريخي نفسه. وتميل هذه الدراسات إلى الجاذبية الكبيرة للنازية عند العديد من الجماعات والمنظمات والأحزاب العربية الرسمية وغير الرسمية، وكذلك صغار الضباط. وهي تتناول دوافعها وعقيدتها ونوعها ونمط سلوكها باعتبارها مستمدة من الأفكار والأفعال الفاشية والنازية. [٤] وصُور نمو عقيدة القومية العربية في مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين بوصفه انعكاسا لقوة الاشتراكية الوطنية الألمانية. [٥]

وتعتمد الاستنتاجات المتعلقة بالتعاطف العربي مع المحور في هذه الروايات الراسخة على عينة محدودة من المصادر العربية الأساسية وعادة ما تكون من منظور المركزية الأوروبية الذي يرى استجابات العرب للفاشية من خلال عيون وأصوات المسئولين البريطانيين أو الفرنسيين أو الألمان المعاصرين. ونادرا ما تجد إشارة إلى ما يسمى بـ "التوافق الأيديولوجي والاستراتيجي" بين جهود النازي للتأثير على المشرق العربي ونتائجها البائسة من منظور التقبل العربي العام للأفكار والممارسات النازية. [٦] وقلما تجد رصدا للمخزون الثري من المواد ذات الصلة الذي يتناول الآراء العربية في الفاشية، أو الخطابات العامة المحلية المتصلة بالفاشية. وعموما، كانت الدراسات الأقدم عن الهلال الخصيب العربي إما تتجاهل أو تجهل تماما الأصوات والقوى المعادية للفاشية والنازية في المنطقة.

هذه الرواية التي تؤكد تعاطف العرب وتواطؤهم مع دول المحور اكتست بسردية أحدث تستخدم مجموعة أوسع من المصادر وذات منظور عربي أكثر. وأعادت الدراسات الحديثة النظر في موضوع وجود إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية وتأثيرهما في المشرق العربي عبر الفحص الدقيق للإعلام المطبوع، وكذلك مواد الأرشيف الغربية والعربية عن تلك الفترة بهدف إعادة بناء الخطابات العامة المحلية. وكانت النتيجة صياغة رواية بديلة. وتبين هذه الدراسات أن تنامي الأهمية العالمية لألمانيا النازية أحدثت نقاشات عامة حيوية حول نفس القضايا الحاسمة التي كانت قيد النقاش في مصر: المفاضلة بين الديمقراطية والديكتاتورية، وبين الليبرالية والاستبداد، وبين التعددية والشمولية. وتكشف هذه الدراسات الجديدة عن أن الخطابات العامة التي شهدتها تلك الفترة تعددت أصواتها التي تدعم الديمقراطية الليبرالية وترفض الشمولية الفاشية والاستعمار. وأدت نظريات ألمانيا العنصرية وعقيدة معاداة السامية إلى إثارة الجدال حول مفهوم الأمة نفسه، ووضع الأقليات العرقية والدينية وسط الأغلبية العربية ــ المسلمة، وكذلك حول العلاقات بين الفرد وجماعته الأصلية المفترضة. وبينما توثق الدراسات الحديثة لتأثير الفاشية المعاصرة على بلد عربي أو منظمات أو أفراد بعينهم (خاصة في سوريا الكبرى)، فإنها تشير عموما إلى صعوبة إطلاق صفة "فاشية" على البيئة العربية. (٧)

وفي العراق، شككت الدراسات التي قام بها بيتر واين واوريت باشكين في الرواية المستقرة بتبيان أن تركيز الدراسات على الأصوات والقوى المؤيدة للنازية يتجاهل الأصوات الليبرالية والديمقراطية المتعددة التي نشرت في الإعلام المطبوع. ويحلل باشكين النقد الملموس للنازية الذي عبرت عنه بصفة خاصة مجموعة الأهالي التي كانت تحمل رؤية اشتراكية ــ ديمقراطية فابية، وكذلك آراء الأفراد والإصدارات ذات الميول الشيوعية التي هاجمت سياسات ألمانيا

الاستعمارية في أوروبا. كما أثر حضور الكتاب اليهود في الصحافة المحلية في الرفض العراقي للنازية. [٨] وانطلاقا من فحصه المكثف للإصدارات العراقية في السنوات من ١٩٣٢-١٩٤١، يعلن بيتر واين أن "الشكاوى البريطانية من الموقف العام المؤيد للنازي في الصحافة العراقية ليس له ما يبرره على الإطلاق"، ويتوصل من ثم إلى أن "تحليل خطاب الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات لا يدعم "رواية الخيط الواحد" عن الميول النازية العراقية .... التعبير الصحيح لمرجعيات الأوتوقراطية أو الاستبدادية أو الشمولية أو المبادئ الفاشية "يختلط بالمجاز الفاشي". فلم يكن هناك اعتناق مباشر للفكر الفاشي". [٩]

وهناك رواية شبيهة لسوريا ولبنان وفلسطين. وتظهر الدراسات الحديثة التي قام بها عدة باحثين استمرار حضور وقوة القوى الديمقراطية الليبرالية على المستوى السياسي وداخل المجتمع المدني. كما استمر دعم النموذج الفرنسي للحكم البرلماني والتمسك بالنظام الدستوري التمثيلي في كل من سوريا ولبنان خلال فترة ما بين الحربين، [١٠] كما كانت صحيفة الحديث لسامي الكيالي من أشد مؤيدي الاتجاه الليبرالي الديمقراطي. [١١] وسياسيا، ظل قادة سياسيون بارزون مثل جميل مردم وعبد الرحمن شهبندر في سوريا وإميل إده في لبنان على نظرتهم السياسية الليبرالية. وكانت الكتلة القومية، القوة السياسية المهيمنة في سوريا فترة بين الحربين، تؤيد الديمقراطية. [١٢] ومن منطلق ديني، انتقد البطريرك الماروني أنطون بطرس عريضه النازية علنا، وعبر عن تعاطفه مع اليهود الذين أعدمتهم ألمانيا النازية. [١٣] وفي وقت قريب، أظهرت دراسة رينيه ويلدانجل العميقة عن الصحافة الفلسطينية انتشار الشعور المعادي للفاشية بين الفلسطينيين، وهو الاتجاه الذي تزايد بحق حين أصبحت الحرب وشيكة وبانت المعاملة الفاشية السيئة للشعوب المستعمرة. وتعد دراسة ويلدنجل تصحيحا للافتراض التقليدي بأن أنشطة أمين الحسيني الداعمة للنازية كانت تعبر عن الموقف الفلسطيني السائد من الفاشية. [١٤]

وبعيدا عن المؤسسة السياسية، عززت مجموعة من المنظمات اليسارية المبادئ الديمقراطية المعادية للفاشية. [١٥] وتمثل عصبة مكافحة النازية والفاشية في سوريا ولبنان طيفا تقدميا واسعا من المثقفين والناشطين السياسيين، جمعت بين الشيوعيين وأعضاء الكتلة القومية، وتجمعات نسائية ونقابات، وأرمن وقوميين عربًا معتدلين. وكما يبين جوتز نورد برش، فإن مؤتمر مكافحة النازية والفاشية، الذي نظمته العصبة في أوائل مايو ١٩٣٩، أقر برنامجا واضح المعالم لمكافحة الفاشية. وسلط المؤتمر الضوء على المزاج السائد تجاه الشراكة الفرنسية ــ السورية والفرنسية ــ اللبنانية، وأن دعم فرنسا وحلفاءها الديمقراطيين ظل هو الخيار الوحيد أمام السوريين واللبنانيين، والمشرق العربي بشكل عام. وقد حظي المؤتمر، الذي حضره فوق المائتي مشارك، بدعم عشرات المنظمات والعديد من السياسيين والكتاب السوريين واللبنانيين. [١٦]

وأثناء المؤتمر، ألقى رئيف خوري، المثقف اللبناني الكبير والشخصية اليسارية البارزة، خطابا عاما قويا. وفي خطابه، عبر عن موقف قوي ضد الفاشية معلنا أن:

"مؤتمرنا يبين أننا شعب يثق في الديمقراطية وقوتها. ونحن نؤمن بالتعاون مع البلاد الديمقراطية والديمقراطيين. وشعبنا يعلم أن الحياد مزحة في النضال بين الفاشية والديمقراطية، لأن الفاشية لن تسمح له بالوقوف على الحياد. إنهم على علم باستحالة الفوز بصداقة الفاشية بالوقوف على الحياد، لأن الفاشية لا تصادق الشعوب الصغيرة والضعيفة. وأخيرا، فإن شعبنا على ثقة من أن ذلك الوجه الجميل والنبيل للديمقراطية الذي يشرق علينا من خلال شعلة الثورة الفرنسية العظيمة لن يشوهها الديمقراطيون الزائفون، هنا أو هناك على حد سواء. وشعارنا هو: نحن جزء من الجبهة الديمقراطية!". [١٧]

ويؤكد جوتز نوردبرش على رفض خوري لإيطاليا الفاشية أو ألمانيا النازية كخيار للعالم العربي.[١٨] وكان موقف السكرتير العام للحزب الشيوعي، خالد بكداش، مثالا آخر تجدر الإشارة إليه. ومنذ أواخر الثلاثينيات، صرح بكداش بأنه "إذا ما انتصرت الفاشية، فسنُحرم من كل شيء، حتى هواء بلادنا".[١٩] وهكذا، فإن عملنا عن مصر ليس الوحيد، وإنما يرتبط بذخيرة بحثية جديدة تقدم صورة أكثر تعقيداً، وذات أساس تاريخي، وأقل تسييسا للعالم العربي في الثلاثينيات والأربعينيات.

هذه الذخيرة الجديدة من الأبحاث ينبغي اعتبارها أيضا إسهاما في النقاشات حول التأثير العالمي للفاشية الأوروبية، وكذلك حول الجدل المعاصر بشأن الميل الاستبدادي المفترض المتأصل في الثقافة العربية والإسلامية. وكثيرا ما تقدم تواريخ الفاشية صورة ناقصة ومضللة للأثر العام للفاشية، ولألمانيا النازية بشكل خاص، على العالم العربي. وعبر التمييز وتسليط الضوء على الميول التنظيمية والعقائدية المتعاطفة مع النازية التي أبداها شباب منظمات بعينها ومثقفون معينون، أدى التعميم فيما يخص الشرق الأوسط في التواريخ إلى تجاهل أو تهميش التيارات والأصوات المناهضة للفاشية. وتعبر الصفحات القليلة عن الشرق الأوسط في كتاب ستانلي باين العمدة "تاريخ الفاشية، ١٩١٤-١٩٤٥" عن هذا المنظور. يرى باين، فيما يخص الشرق الأوسط، أن "الجماعات القومية العربية المتشددة في الثلاثينيات وما بعدها تأثرت كحركات بقدر تأثر أي مكان آخر في العالم على الأقل".[٢٠] ويستطرد باين ليعدد الأمثلة لانتشار الفاشية وتأثيرها في المنطقة: العلاقات الدبلوماسية وجهود الدعاية الإيطالية والألمانية، وترجمات كتاب "كفاحي" إلى العربية، وزيارات الشخصيات السياسية العربية لألمانيا النازية، وتآمر أمين الحسيني "المعادي بشدة لليهود" مع الألمان، والأهم، ظهور عدد من حركات

الشباب المتأثرة بالمبادئ والأيديولوجية الفاشية (على الرغم من توصله إلى أن "أيا منها لم يتحول إلى حركة فاشية، ولم تستنسخ أي منها سمات الفاشية الأوروبية تماما"). [٢١] وبالإشارة إلى مصر تحديدا، يرى باين أنه كان "هناك مشاعر تضامن كبيرة مع ألمانيا". [٢٢]

وباستثناء هذا التعميم الأخير، فإن كل ما سبق له مصداقيته. لكن تلك الشرائح من الواقع التاريخي لا تعادل نصف الرغيف. وقد توصلت التقييمات البريطانية المعاصرة قبل الحرب العالمية الثانية إلى أن جهود دعاية المحور في مصر (والأجزاء الأخرى من المشرق العربي) كانت عديمة الجدوى إلى حد كبير. ولم تترك زيارات العرب إلى إيطاليا الفاشية أو ألمانيا النازية، كتلك التي قام بها أحمد حسين في ١٩٣٤ أو مصطفى النحاس في ١٩٣٦، دائما انطباعا إيجابيا عن الفاشية وزعمائها. وكما يلاحظ باين بحق، فإن منظمات الشباب العرب في الثلاثينيات، في حين تأثرت ببعض جوانب الفاشية، إلا أنها لم تتطور إلى حركات فاشية صرفة. والأهم، أن الخطاب الحاد المعادي للفاشية في أواخر الثلاثينيات، الذي رفض كل المشاركين فيه الأيديولوجية الفاشية وممارساتها على حد سواء، جرى تجاهله تماما. وكما أوضحنا، فإن التعميم بأنه "كان هناك مشاعر تعاطف كبيرة مع ألمانيا في مصر" تشخيص غير صحيح للخطاب العام المصري في أواخر الثلاثينيات، عندما تحولت الكتلة الأكبر من الرأي العام إلى رفض الاستبداد والعنصرية والاستعمار الفاشي.

كما أن للدراسات الجديدة عن التأثير الغامض للفاشية على التفكير والسلوك العربي إسهامها في الجدل المعاصر (ذي الطابع السياسي والصحفي أكثر منه أكاديميا) حول "إسلامية ــ فاشية" العرب والمسلمين. كما تسللت استنتاجات المدونات التاريخية الغربية ــ مدرسة "أزمة التوجه"/ "فشل التجربة الليبرالية" التي

تناولناها في المقدمة؛ الرواية القديمة التي تؤكد على تعاطف العرب مع قوى المحور؛ تواريخ الفاشية الأوروبية التي تعتمد على الأخيرة للوصول إلى تعميماتها – إلى الكم الهائل من الكتابات السياسية الحالية ذات التوجه السياسي التي تتناول العرب، والمسلمين، والغرب. وقد اجتمعت لتنتج وجهة النظر المتكررة التي ترى أن المسلمين، والمسلمين العرب بصفة خاصة، كانوا أقرب إلى تركيبة من الميول الأيديولوجية أقرب إلى الفاشية التاريخية: الاستبداد، التطرف العنصري، ومعاداة السامية.

وقد أعطت مأساة ٩/١١ زخما جديدا لهذه النظرة. فقد بذل عدد كبير من الأعمال البحثية وغير البحثية جهدا كبيرا لإيجاد أوجه التشابه والروابط بين حاضر وماضي الإسلام المتشدد والفاشية التاريخية. ونجد صلب المسألة في كتاب ماتياس كونتزل "الجهاد وكراهية اليهود: الإسلاموية، والنازية وجذور ٩/١١"، الذي استقبل بحفاوة من الإعلام. [٢٣] ومن أهم مقولات كونتزل أن جذور الإسلام الجهادي المتشدد، التي ظهرت جنينا على يد سيد قطب في الخمسينيات والستينيات وتوجت اليوم ببن لادن والقاعدة تضرب بجذورها في عقيدة وأنشطة جماعة الإخوان المسلمين في الثلاثينيات والخمسينيات. وكما يوجز المؤلف الفكرة الأساسية لعمله، فإن "كتابي يبين أن القاعدة وغيرها من الجماعات الإسلامية تسترشد بعقيدة معادية للسامية، انتقلت إلى العالم الإسلامي في فترة النازية".[٢٤] والفصل الأول المطول يركز على تطوير مقولة: إن "ناصرية الستينيات لم تكن مصدر إلهام الإخوان المسلمين، بل الفاشية الأوروبية في الثلاثينيات".[٢٥] واعتمادا على المصادر الثانوية، وخاصة دراسة عبد الفتاح محمد العويسي المفصلة عن "الإخوان المسلمون ومسألة فلسطين، ١٩٢٨-١٩٤٧"، يؤكد تحليل كونتزل على أهمية مفهوم الجهاد في عقيدة الإخوان المسلمين، ونشاطها المؤيد للفاسطينيين والمعادي

للصهيونية في أواخر الثلاثينيات، وصلاتها قبل الحرب بالحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وكذلك تعاون المفتي المخلص مع النازي أثناء الحرب، وتطـوع أنـصار الحركة للحرب في فلسطين بعد الحرب العالمية الثانيـة. (٢٦) ويـرى كـونتزل أن تصاعد الكفاح المعادي للاستعمار ضد الانتداب البريطـاني والـصهيوني أواخـر الثلاثينيات، وما ترتب على ذلك من تنامي التعاطف العربي مع النـضال الـوطني الفلسطيني ودعمهم لأهدافه الوطنية وكذلك لأمين الحسيني، رئيس اللجنة الفلسطينية العليا، لم يكن السبب في معاداة الصهيونية، ومعادة اليهودية أحيانـا، التـي تبنتهـا حركة الإخوان المسلمين خلال الثلاثينيات والأربعينيات (العامل العرضـي الـذي عادة ما تركز عليه الدراسات القديمة والجديدة للمراحل الأولى من تاريخ الحركة)؛ وإنما معاداة السامية المستلهمة من ألمانيا النازية. (٢٧)

ونحن نرى أن هذه الأهمية المزعومة للعنصرية النازية ومعاداتهـا للـسامية في أفكار وأنشطة الإخوان المسلمين قبل الحرب العالمية الثانيـة لا صـحة لهـا. وتحليل كونتزل معيب في أكثر من جانب؛ فهو يعتمد بشدة على الجـرم بالتبعيـة، مستخدما صلات أمين الحسيني الجيدة بالنازي غطاءً لاتهـام الإخـوان المـسلمين لأنهم كانوا على صلة بالمفتي أواخر الثلاثينيات ودعموا لجوءه إلـى مـصر بعـد الحرب.(٢٨) ويؤكد كونتزل على ما يصفه بـ "التحالف بين البنا والحسيني"، ذلـك الحلف الذي كان "له نتائجه الكارثية على يهود وعرب فلسطين على حد سـواء"(٢٩) وفي روايته، المفتي هو تجسيد لـ "تعاطف" العرب و"حماسهم" للاشتراكية الوطنية الألمانية. (٣٠)

ويساعدنا تعاون أمين الحسيني مع النظام النازي أثناء الحرب الثانية في فهم موقف الإخوان المسلمين الأيديولوجي من النازية ومعـاداة الـسامية. وأي جهـد لإظهار التشابه بين العنصرية النازية وأفكار الإخوان المسلمين يجب تبيان جذورها

في النصوص التي كتبها المعبرون عن الحركة. وهذا لم يفعله كتاب "الجهاد وكراهية اليهود". فلم يأخذ الكتاب في اعتباره نصوص الإخوان في الثلاثينيات التي تتحدث مباشرة وتنتقد الفاشية والنازية المعاصرة، كتلك التي تتضمن رفض حسن البنا الواضح لما يطلق عليه "عدوان القومية"، والذي يعني "تمجيد الذات العنصرية إلى حد ازدراء الأجناس الأخرى، والاعتداء عليها، والتضحية بها من أجل عظمة الأمة وبقائها، بالصورة التي نراها في ألمانيا وإيطاليا على سبيل المثال"، في رسالته بعنوان (دعوتنا) في ١٩٣٧. [٣١] وهذا الإغفال يعكس إخفاقا عاما في تحديد أوجه الشبه الأيديولوجي بين العنصرية النازي والأفكار التي كان يتبناها الإخوان المسلمين. والحقيقة أن الكتاب يشير في مكان ما منه إلى غياب التأثير الأيديولوجي بين النازية والإخوان المسلمين: على عكس تأكيدها في البداية على أن "انتقال" العنصرية النازية المزعوم إلى العالمين العربي والإسلامي تم عبر الإخوان المسلمين في الثلاثينيات والأربعينيات، ها هي تعلن أن "من الخطأ اعتبار الإخوان أتباعًا متحمسين للنازية. فقد رفض الإخوان سياسات النازي العنصرية وتفوقية القومية الألمانية، لأن الاثنتين يتعارضان مع مفهومهما للأمة بوصفها أخوة إسلامية عالمية. يضاف إلى هذا أن البنا كان على قدر من التدين لا يقبل بأن يكون رجلٌ غير مسلم كهتلر نموذجا يقتدي به".[٣٢]

والأهم، أن "الجهاد وكراهية اليهود" لا يتعرض للكراهية الشديدة للعنصرية النازية والتعاطف مع معاناة اليهود الذي شهده العالم العربي في فترة النازية. وكما حاولنا أن نثبت في دراستنا، وكما يظهر بشكل متزايد في الروايات الجديدة حول العلاقة بين العالم العربي والفاشية التاريخية، فإن الجهود المبذولة لرد التشدد الإسلامي اللاحق لسيد قطب وأسامة بن لادن إلى أصله المزعوم في العالم العربي في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين غير مبررة. ربما كانت هناك أسباب

حقيقية لاعتبار مظاهر معينة للتشدد الإسلامي التي تطورت في النصف الثاني من القرن العشرين وانتشار نتائجها العنيفة في وقت مبكر من القرن الحادي والعشرين نوعًا من "الفاشية". والإجابة عن سؤال كهذا يتجاوز نطاق هذا العمل.[٣٣] على أن جهود رد أصول ٩/١١ إلى عقيدة الإخوان المسلمين وأنشطتهم المبكرة يجانبها الصواب. فلن تجد إلا أكثر العلاقات هامشية بين نقد الإخوان المسلمين والحملة الموجهة ضد الانتداب البريطاني والصهيونية في فلسطين في أواخر الثلاثينيات و"معاداة السامية التحررية" الأيديولوجية والعملية من جانب ألمانيا النازية، باستخدام توصيف سول فريدلاندر.[٣٤] ومحاولة إيجاد صلة بين عقيدة وأنشطة السلفية الإسلامية التي تطورت في النصف الأول من القرن العشرين مع الإسلاموية المتشددة المعاصرة هو مسعى عفا عليه الزمن للبحث عن جذور زائفة. ويبدو أن المدافعين عن هذا النهج التاريخي ينسون تحذير مارك بلوش من أن "التاريخ الموجه إلى الجذور وضع لخدمة أحكام قيمية ... وفي كثير من الحالات ربما كان مجرد تجسيد لذلك العدو الشيطاني الآخر للتاريخ الحقيقي: هوس إصدار الأحكام".[٣٥]

باختصار، فإن قوام البحث التاريخي الجديد الذي تعتبر دراستنا جزءًا منه يطرح أسئلة جادة حول منهج البحث في الجذور. واستخلاص النتائج المتعلقة بالعالم المعاصر من نماذج الماضي تنطوي دائما على إشكالية؛ حيث تكون الظروف والأشخاص، والأفكار والأعمال، والتغيير دراماتيكية أحيانا. وتشير الدراسات الجديدة والأكثر توسعا حول التاريخ الداخلي للعالم العربي في الفترة الفاشية (الثلاثينيات والأربعينيات) إلى أن المثقفين من العرب كانوا على معرفة بالمكونات والممارسات الأيديولوجية الأساسية للفاشية والنازية، لكنهم رفضوها. وكما رأينا، اعتُبرت الشمولية تهديدا للثقافة السياسية التعددية والمجتمع المدني الذي

بدأ يزدهر في بلاد العالم العربي الأكثر تقدما؛ وتحت تأثير الصراع حول فلسطين، تبنت أقلية من الأصوات العنصرية النازية ومعاداة السامية، لكن الغالبية رفضتها من حيث فلسفتها وبسبب وضعها العرب ضمن الساميين الذين تزدريهم؛ واعتُبرت التوسعية الفاشية والنازية على نطاق واسع شكلاً جديدًا من الاستعمار أشد فتكا. ولم تكن إثارة السمات الاستبدادية والعنصرية الكامنة في الشخصية المصرية، بل المواجهة مع الفاشية التاريخية، هي التي أدت إلى رد الفعل تجاه ما تعنيه الفاشية بالنسبة للحاضر والمستقبل.

الهوامش

المقدمة

(١) عـن هـذا التفسير، انظـر Nadav Safran, Egypt in Search of Po litical Community (Cambridge, MA, 1961), 187– 193; P. J. Vatikiotis, The Modern History of Egypt (New York, 1969), 315–324; Afaf Lutfi al-Sayyid-Marsot, Egypt's Liberal Experiment, 1922–1936 (Berke-ley, CA, 1977), 227–231.

(٢) هذا التفسير للتاريخ المصري هو جزء من رواية أوسع حول تاريخ العالم العربي الحـديث. كما يؤكد التفسير التاريخي السائد للتاريخ السياسي للبلاد العربية في الهلال الخصيب علـى شعبية وانتشار الاتجاهات المؤيدة للفاشية في الثلاثينيات، مبرزة أفكار وأنشطة الأفراد والقوى العراقية والسورية واللبنانية والفلسطينية التي اجتذبتها المبادئ والممارسات الفاشية والبعض منهم الذي تورط في التعاون عمليا مع الدول الفاشية أثناء الحرب. وسنتناول هـذا التـأريخ الأوسع في الخاتمة.

(٣) سنتناول في الفصل الأول التخمينات البريطانية بشأن ميول التعاطف مع المحور للقصر وفي الدوائر السياسية.

(٤) انظر The Nation Associates, The Record of Collaboration of King Farouk of Egypt with the Nazis and Their Ally, the Mufti (New York, 1948)، الذي ضم مختارات من الوثائق الألمانية فيما بين ١٩٤١و١٩٤٣ في محاولة لإثبات "تحالف فاروق مع القيادة العليا النازية". وعن الاتهامات المماثلة للأنشطة المصرية أثناء الحرب، انظر

American Christian Palestine Committee, The Arab War EF ort: A Documented Account (New York, [1946)].

(5) George Kirk, Survey of International Aff airs, 1939–1946, vol. 2, The Middle East in the War (London, 1952), 31–41, 5193–228, 255–272 .

(٦) للتعرف على أهم بيانات السرد الذاتي كما عرضت في الخمسينيات، راجـع: جمـال عبـد الناصر، فلسفة الثورة (القاهرة، ١٩٥٤)؛ أنور السادات، قـصة الثـورة كاملـة (القـاهرة، ١٩٥٦)؛ السادات، أسرار الثورة المصرية (القاهرة، ١٩٥٧).

تشمل الإفادات المبكرة في السرد الذاتي: عبد اللطيف البغدادي، "ما قبل الضباط الأحرار" في كتابه هذه الثورة (القاهرة ١٩٥٣) ص١٨٨–١٨٩؛ ندوة بعنوان "لو كان هتلر حيا ماذا تود أن تقول له" مجلة المصور، ١٨ سبتمبر، ١٩٥٣، ص١٠، ٣٢، ٣٣. وهنـاك شـهادة لاحقـة ومختلقة عن مقدمات الثورة نجدها في أنور السادات، البحث عن الذات.

(٧) انظـــر: John W. Eppler, Rommel Ruft Kairo: Aus dem Tagebuch eines Spions (Gutersloh, 1959); Hans von Steffens, Salaam: Geheimcommando zum Nil, 1942 (Neckargemund, 1960); Alfred William Sansom, I Spied Spies (London, 1965)). لشهادات مصرية أحدث عن التعاون أثناء الحرب، انظر وجيه عتيق، الملك فاروق وألمانيا النازيـــة: خمس سنوات من العلاقات السرية (القاهرة، ١٩٩٣)؛ عتيق، الجيش المصري والألمان فـــي أثناء الحرب العالمية الثانية (القاهرة ١٩٩٣).

(٨) لمثال على ذلك، انظـــر Jean and Simonne Lacouture, Egypt in Transition (1956; repr., New York, 1958), 125–136; Georges Vaucher, Gamal Abdel Nasser et son Equipe (Paris, 1959), 1:116–138; Robert St. John, The Boss: The Story of Gamal Abdel Nasser (New York, 1960), 35– 57; Wilton Wynn, Nasser of Egypt: The Search for Dignity (Cambridge, MA, 1960), 32–33; Keith Wheelock, Nasser's New Egypt (New York, 1960), 4–6; Peter Mansfield, Nasser's Egypt (Baltimore, 1965), 36–38; Eliezer Be eri, Army O?cers in Arab Politics and Society (Tel Aviv, 1966 [Hebrew]; Eng. trans., New York, 1970), 41–49 .

(9) Heinz Tillmann, Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg (Berlin, 1965); Lukasz Hirszowicz, The Third Reich and the Arab East (London, 1966), 152, 232–243; Bernd Philipp Schröder, Deutschland und der Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg (Göt-tingen, 1975), 59–62, 181–183, 190–198, 239–240 .

(١٠) عن دمج رواية التواطؤ بين مصر والمحور في السير البارزة التي كتبت عن ناصر بعـــد وفاته، انظـــر Anthony Nutting, Nasser (New York, 1972), 19–21; Robert Stephens, Nasser: A Po liti cal Biography (New York, 1972), 49–62; Jean Lacouture, Nasser: A Biography (New York, 1973), 46–50.

(11) Nadav Safran, Egypt in Search of Political Community (Cambridge, MA, 1961 .

(١٢) "المرحلة التقدمية" و"أزمة التوجه" و"المرحلة الرجعية" هي عناوين الفصول ١٠، ١١، ١٣ من Egypt in Search of Political Community. The section in which the three chapters appear is entitled "The Progress and Decline of Liberal Nationalism".

(١٣) نفسه، ص١٩٢.

(١٤) انظـــر Charles D. Smith, "The 'Crisis of Orientation': The Shift of Egyptian Intellectuals to Islamic Subjects in the 1930s," International Journal of Middle East Studies, 4 (1973), 382–410; Smith, Islam and the Search for Social Order in Modern Egypt: A Biogra-phy of Muhammad Husayn Haykal (Albany, NY, 1983).

(15) Vatikiotis, Modern History of Egypt, 292–342. For a subsequent elaboration, see his Nasser and His Generation (New York, 1978), 26–35, 50–53. Later editions of The Mod-ern History of Egypt published in the 1970s, 1980s, and 1990s retained the interpretation unchanged .

(١٦) نفسه ص٣١٥.

(17) al-Sayyid-Marsot, Egypt's Liberal Experiment, 229 .

انظر كذلك عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر، ١٩٣٧-١٩٤٨ (القاهرة ١٩٧٢). وحول إعادة الصياغة الحديثة لـ "فشل التجربة الليبرالية في مصر فترة بين الحربين والرأي القائل إن "حركة الإحياء الإسلامي ككل كانت علامة على رفض الدستورية الغربية من منطلق ثقافي" في دراسة تبين التناقضات الأكثر عمقا في الأوساط الليبرالية المصرية، انظر

Abdeslam M. Maghraoui, Liberalism Without Democracy: Nationhood and Citizenship in Egypt, 1922–1936 (Durham, NC, 2006), 52, 132.

(١٨) للاطلاع على المواد ذات الصلة في الدراسات المبكرة الصادرة بالإنجليزية، انظر

Richard Mitch-ell, The Society of the Muslim Brothers (London, 1969), 218–220, 260–263; James Jankowski ، Egypt's Young Rebels: "Young Egypt," 1933–1952 (Stanford, 1975), 60–64 .

(19) Jankowski Egypt's Young Rebels, 14–18, 58– 60; Vatikiotis, Nasser and His Generation

حول موقف مصر الفتاة من الفاشية في الثلاثينيات، انظر ، ٥٠-٥٤، ٧٨-٨٠.

On militarism in the Muslim Brothers, see Mitchell, Muslim Brothers, 30–32; Brynjar Lia ، The Society of the Muslim Brothers in Egypt: The Rise of an Islamic Mass Movement, 1928– 1942 (Reading, UK, 1998), 166–181; Abd Al-Fattah Muhammad El-Awaisi, The Muslim Brothers and the Palestine Question, 1928–1947 (London, 1998), 105–131 .

(٢٠) "الإصلاح الجذري هو مصطلح لجاك بيرك، انظر كتابه Egypt: Imperialism and Revolution (London, 1972), 561–564.

(21) Safran, Egypt in Search of Political Community, 210. For a similar evaluation, see Vatikiotis, Modern History of Egypt, 323–324 .

(٢٢) للتعبير المبكر عن هذا الموقف، انظر Israel Gershoni, "Egyptian Liberal-ism in an Age of 'Crisis of Orientation': al-Risala's Reaction to Fascism and Nazism, 1933–1939,". International Journal of Middle East Studies, 31 (1999), 551–576.

(٢٣) لدراسات أسبق لكن أقل شمولا للخطاب الذي تزامن مع تقييمنا، انظر Ami Ayalon, "Egyptian Intellectuals versus Fascism and Nazism in the 1930s," in The Great Powers in the Middle East, 1919–1939, ed. Uriel Dann, 391–404 (New York, 1988); Haggai Erlich, "Periphery and Youth: Fascist Italy and the Middle East," in Fascism Outside Europe, ed. Stein Ugelvik Larsen, 393–423 (New York, 2001).

الفصل الأول

(1) Manuela A. Williams, Mussolini's Propaganda Abroad: Subversion in the Mediter-ranean and the Middle East, 1935–1940 (Londòn, 2006), 35. See also Claudio G. Segré, "Liberal and Fascist Italy in the Middle East, 1919– 1939: The Elusive White Stallion," in Dann, The Great Powers in the Middle East, 199–212, esp. 204–205 .

(2) Williams, Mussolini's Propaganda, 52–53; Erlich, "Periphery and Youth," 402; Callum A. MacDonald, "Radio Bari: Italian Wireless Propaganda in the Middle East and British Countermeasures," Middle Eastern Studies, 13 (1977), 195–207 .

(3) Williams, Mussolini's Propaganda, 66, 109–113 .

(4) Ibid., 131–134. On Ugo Dadone, see the "Egyptian Personalities Report" (1938); repr. in British Documents on Foreign Aff airs: Reports and Papers from the Foreign Offce Confi dential Print [henceforth BDFA], general ed. Kenneth Bourne, D. Cameron Watt, and Michael Partridge, Part II, Series G, Africa, 1914–1939: Egypt and the Sudan, ed. Peter Woodward (Lanham, MD, 1994–1995), 19:202 .

(٥) مذكرة بدون تاريخ حول الصحافة BDFA, 17:271–274.

(6) Kelly to Hoare, Sept. 12, 1935, BDFA, 17:11; see also Kelly to Hoare, Sept. 2, 1935, BDFA, 17:73–74.

(٧) مذكرة عن الحركة الطلابية المصرية، ٢٣ يناير ١٩٣٦، BDFA, 17:245–252.

(٨) مذكرة بدون تاريخ عن الصحافة المصرية BDFA, 17:271–274.

(9) Kelly to Hoare, Aug. 12, 1935, BDFA, 17:71–73 .

(10) Lampson to Eden, May 21, 1936, BDFA, 17:295–297 .

(١١) مذكرة عن الصحافة المصرية، من ٣ أغسطس إلى الأول من سبتمبر ١٩٣٧ BDFA, 18:365; Memorandum on the Egyptian press, Aug. 3 to Sept. 1, 1937, BDFA, 18:370.

(١٢) مذكرة عن الصحافة المصرية، ٢٧ مارس إلى ١٠ أبريل ١٩٣٧ FO 371:20903, J 1978:148:16.

(١٣) مذكرة عن الصحافة المصرية، من ٥ أكتوبر إلى٢ نوفمبر ١٩٣٧ BDFA, 18:380.

(١٤) مذكرة عن الصحافة المصرية من ٢ سبتمبر إلى ١ أكتوبر ١٩٣٧ BDFA, 18:376. The content of Egyptian caricatures is discussed in Chapter 2.

(١٥) انظر Williams, Mussolini's Propaganda, 53, 87–88.

(16) Lampson to Halifax, Jan. 16, 1939, BDFA, 20:111–117 .

(١٧) حسب ما ورد في حوار لامبسون مع رئيس الجامعة، BDFA, 20:125-127.

(١٨) لمثال على هذا، انظر مذكرة حول الصحافة المصرية ٧ أكتوبر- ٧ ديسمبر ١٩٣٨ BDFA, 19:364-367؛ ومذكرة عن الصحافة المصرية من ٢ فبراير - ٢ مايو ١٩٣٩، Great Britain, Public Record O?ce, Foreign O?ce [henceforth FO], 371:23364, file J 1973: 774:16.

(19) Williams, Mussolini's Propaganda, 185; Segré, "Liberal and Fascist Italy in the Middle East," 208 .

(٢٠) "ملاحظات على زيارة إلى الصعيد" ٣-٨ مارس ١٩٣٩، BDFA, 20:121-122.

(٢١) "ملاحظات على زيارة إلى الدلتا" ٣-٥ مايو ١٩٣٩، BDFA, 20:127-129.

(22) Williams, Mussolini's Propaganda, 185 .

(23) Nir Arielli, "Fascist Italy in the Middle East, 1935–1940," PhD. diss., University of Leeds, 2008, 294–297 .

(24) The Earl of Perth to Viscount Halifax, Mar. 31, 1938, BDFA, 19:224–225 .

(25) Stefan Wild, "National Socialism in the Arab Near East Between 1933 and 1939," Die Welt des Islams, 25 (1985), 126–173, esp. 147–152 .

(٢٦) نفسه، ١٥٣-١٧٠.

(٢٧) أحمد محمود الساداتي، أدولف هتلر، زعيم الاشتراكية الوطنية مع بيان المسألة اليهودية (القاهرة ١٩٤٣) المقدمة وص ٣٩-٤١، ٤٨-٥٢، ٦٣-٧١، ٧٧-١١١، ١١٨-١٥٥، ١٦١-١٦٦.

(٢٨) وزارة الخارجية الألمانية، خطاب من الساداتي إلى جوبلز U.S. National Archives, Microfilm Series T-120 (Deutsches Ausw?rtiges Amt), roll 4873, frames L310771–310774.

(٢٩) نوقش في Discussed in Wild, "National Socialism in the Arab Near East," 156–157; Israel Gershoni, Light in the Shade: Egypt and Fascism, 1922–1937 (Tel Aviv, 1999), 127–129 [in Hebrew]. بشهادة أحد موظفي دار الكتب المصرية، كان الساداتي غير معروف نسبيا؛ ولم نعثر له على كتابات أخرى في الثلاثينيات.

(٣٠) انظر Wild, "National Socialism in the Arab Near East," 157–162. We have not seen this work.

(٣١) نوقش في Williams, Mussolini's Propaganda, 101–105. See also Hirszowicz, The Third Reich in the Arab East, 27, 41; Andreas Hillgruber, "The Third Reich and the Near and Middle East, 1933–1939," in Dann, The Great Powers in the Middle East, 274– 282, esp. 276–279.

(٣٢) مذكرة عن الصحافة المصرية ٧ أكتوبر- ٤ ديسمبر ١٩٣٧، BDFA, 19:364-367.

(33) Lampson to Halifax, Jan. 16, 1939, BDFA, 20:111–117 .

(34) Williams, Mussolini's Propaganda, 101–102 .

(35) Notes on Wilhelm Stellbogen," Oct. 23, 1939, in Great Britain, Public Record Offce, War O?ce 208:502, as cited in Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 179–180 .

(٣٦) مذكرة عن الصحافة المصرية ٢ فبراير – ٢ مايو ١٩٣٩، FO 371:23364, J 1973:774:16.

(٣٧) لدراسات عن الحركـة، انظـر James Jankowski, "The Egyptian Blue Shirts and the Egyptian Wafd, 1935–1938," Middle Eastern Studies, 6 (1970), 77–95; Haggai Erlich، Students and University in Twentieth Century Egyptian Politics (London, 1989), 123–133.

(٣٨) مصطفى النحاس، ربع قرن من السياسة في مصر، ١٩٢٧–١٩٥٢، تحرير أحمد عز الدين (القاهرة ٢٠٠٠) ص١٧٧:١–١٧٨، وللمزيد عن الرحلة، انظـر: نفسه ص١٩٠–١٩١، وأيـضا The enclosure in Kelly to Eden, Oct. 24, 1936, BFDA, 17:368; MQ, Oct. 7, 1936, 7

(39) See Lampson to Eden, Feb. 16, 1937, BDFA, 18:133–137 .

(40) Lampson to Eden, Mar. 25, 1937, BDFA, 18:223–225 .

(41) Interview with Kelly, May 2, 1938, BDFA, 19:137. Nahhas repeated the accusa-tion to Bateman in August 1938: see BDFA, 19:285 .

(٤٢) مذكرات النحاس٢٣٣:١–٢٣٤، ٢٣٧، ٢٥٢–٢٥٣، ٢٦٧.

(43) Lampson to Eden, Jan. 1, 1938, BDFA, 19:98 .

(44) Lampson to Halifax, May 6, 1938, BDFA, 19:136 .

(45) Lampson to Halifax, Sept. 27, 1938, BDFA, 319 .

(46) Lampson to Halifax, Nov. 7, 1937, BDFA, 19:325–329 .

(47) Lampson to Halifax, Jan. 16, 1939, BDFA, 20:111–117 .

(48) Lampson to Halifax, Feb. 3, 1939, BDFA, 20:117–119

(49) Lampson to Halifax, Oct. 2, 1939, BDFA, 20:248–249

(50) Lampson to Halifax, Nov. 8, 1939, BDFA, 20:253–258 .

(51) Lampson to Eden, May 7, 1936, BDFA, 17:295–297 .

(52) Local Reaction to Italy's Success in Abyssinia," enclosed in Lampson to Eden, May 28, 1936, BDFA, 17:300–302 .

(٥٣) من تقرير ديسمبر ١٩٣٧ حول الشعور السياسي في الوجه البحري، BDFA, 19:104–105.

(٥٤) مذكرة عن الصحافة المصرية، ١١ مارس–١٥ أبريل ١٩٣٨، BDFA, 19:237.

(55) Bateman to Halifax, Sept. 25, 1938, BDFA, 19:318 .

(٥٦) مذكرة عن الصحافة المصرية، ٧ أكتوبر–٤ ديسمبر ١٩٣٨، BDFA, 19:364–367.

(57) Lampson to Halifax, Dec. 6, 1938, BDFA, 19:344–346 .

(58) Lampson to Halifax, May 12, 1939, BDFA, 20:129–133 .

(٥٩) مذكرة عن الصحافة المصرية، ٢ فبراير–٢ مايو FO 371:23364, J 1973:774:16.

(60) Lampson to Halifax, July 13, 1939, BFDA, 20:150–154 .

(61) Lampson to Halifax, Sept. 29, 1938, BDFA, 19:319–320 .

(62) Lampson to Halifax, Nov. 7, 1938, BDFA, 19:325–329 .

(٦٣) مذكرة عن الصحافة المصرية، ١ سبتمبر-٧ أكتوبر ١٩٣٨، BDFA, 19:360–٣٦٤.

(64) Lampson to Halifax, Dec. 13, 1938, BDFA, 19:334–335 .

(65) Lampson to Halifax, Dec. 22, 1938, BFDA, 20:106–108; memorandum on the Egyptian press, Dec. 6, 1938 to Feb. 1, 1939, FO 371:23364, J 774:16 .

(66) Lampson to Halifax, Dec. 22, 1938, BDFA, 20:106–108 .

(67) Lampson to Halifax, Jan. 16, 1939, BDFA, 20:111–117 .

(٦٨) نفسه.

(٦٩) نفسه.

(70) Lampson to Halifax, May 12, 1939, BDFA, 20:129–133 . وظل هذا هو موقف الوفد في السنوات الأولى من الحرب.

(71) Lampson to Halifax, Jan. 16, 1939, BDFA, 20:111–117 .

(72) Galeazzo Ciano, Diary, 1937–1943 (New York, 2002), 193 .في مايو ١٩٤٠، عشية انضمام إيطاليا للحرب، ناقش السفير المصري في روما إمكانية إعلان مصر الحياد مع سيانو؛ نفسه ص٣٥٧

(73) Lampson to Halifax, July 13, 1939; BDFA, 20:150–154 .

(٧٤) عن المطالب البريطانية بإعلان مصر الحرب في سبتمبر ١٩٣٩، وتهرب مصر، انظر Lampson to Halifax, Sept. 4, 1939, BDFA, 20:240; Lampson to Halifax, Sept. 7, 1939, BFDA, 20:245; Halifax to Lampson, Sept. 8, 1939, BDFA, 20:246.

(75) Lampson to Halifax, Nov. 8, 1939, BDFA, 20:253–258 .

(٧٦) نفسه.

(٧٧) للتعرف على تقييم لامبسون لمدى وفاء مصر بالتزاماتها خلال الشهور الأولى من الحرب، انظر Lampson to Halifax, Oct. 2, 1939, BDFA, 20:248–249; Lampson to Halifax, Nov. 8, 1939, BDFA, 20:253–258.

(78) Lampson to Eden, May 8, 1936, BDFA, 17:284–285 ؛وانظر أيضا مذكرات النحاس ص١:١٧٠، ١٨٠.

(٧٩) Lampson to Eden, May 16, 1936, BDFA, 17:281؛ مذكرات النحاس، ص١:١٧٠؛ عبد الرحمن الرافعي، في أعقاب الثورة المصرية (القاهرة ١٩٤٧-١٩٥١) ص٣:١٥؛ رمضان، تطور ١:٥٧-٦١ و١٣٠-١٣٣؛ رمضان، الصراع بين الوفد والعرش، ١٩٣٦-١٩٣٩ (القاهرة ١٩٧٩) ص٢٣-٢٥.

(٨٠) للتعرف على النتائج، انظر Lampson to Eden, May 20, 1936, BDFA, 17:288; Lampson to Eden, Feb. 16, 1937, BDFA, 18:133–137; Ramadan, Tatawwur, 1:123–129.

(81) Lampson to Eden, Feb. 16, 1937, BDFA, 18:133–137.

(٨٢) Descriptions in Kelly to Eden, Aug. 12, 1937, BDFA, 18:309– 311؛ النحـــاس، مذكرات ١:٢٠٧–٢٠٨؛ الرافعي، في أعقاب ٣:٤٠–٤٣.

(٨٣) انظر النحاس، مذكرات، ١:٢٠١–٢٠٢؛ رمضان، تطور، ١:٦١–٦٥؛ رمضان، السيرة، ٣٦–٣٩، ٧٩؛ Elie Kedourie, "Egypt and the Caliphate, 1915–52," in The Chatham House Version and Other Middle-Eastern Studies (London, 1970), 199.

(84) Kelly to Eden, Aug. 12 1937, BDFA, 18:309–311 .

(٨٥) لمزيد من التفاصيل، انظر النحاس، مـــذكرات، ١:١٤٠–١٥٣، ١٥٨–١٥٣، ١٥٨–١٦٤، ١٧٣–١٧٦، ٢٠٠–٢١٠؛ محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المـــصرية (القـــاهرة ١٩٥١، ١٩٥٣)، ٢:٣٥–٦٣؛ الرافعي، في أعقاب، ٣:٤٦–٥١؛ رمضان، تطور، ١:٧٣–١٢٠؛ رمضان، السيرة، ٤٠–٤٨.

(٨٦) Kelly to Eden, Oct. 9, 1937, BDFA, 18:322–323؛ انظر أيضا الرافعي، في أعقـــاب، ٣:٥٢–٥٣؛ هيكل، مذكرات ٢:٥١–٥٢

(87) Kelly to Eden, Sept. 16, 1937, BDFA, 18:316–317 .

(88) Kelly to Eden, Oct. 28, 1937, BDFA, 18:330 .

(89) Details in Kelly to Eden, Aug. 7, 1937, BDFA, 18:308–309; Lampson to Eden, Dec. 9, 1937, BDFA, 18:341-342؛ النحاس، مذكرات، ١:٢٠٨–٢١٢؛ هيكل، مذكرات، ٢:٥٤–٥٥؛ رمضان، تطور ١:١٣٩–١٤٤؛ Marius Deeb, Party Politics in Egypt: The Wafd and Its Rivals, 1919–1939 (London, 1979), 336.

(٩٠) النحاس، مذكرات، ١:٢١١، رمضان، السيرة، ٩١.

(91) Kelly to Eden, Sept. 2, 1937, BDFA, 18:311–313 .

(٩٢) رمضان، تطور، ١:١٣٥–١٣٦

(٩٣) انظر مذكرة عن الصحافة المصرية في BDFA, 18:371, 373, 375, 386؛ وانظـــر أيـــضا الرافعي، في أعقاب، ٣:٥٣–٥٤؛ هيكل، مذكرات، ٢:٣٧–٣٩، ٤٩–٥٠؛ رمضان، تطور، ١:١٣٦–١٣٩؛ رمضان، السيرة، ٥٢–٥٥، ١٠٦–١٠٧

(94) Kelly to Eden, Oct. 2, 1937, BDFA, 18:320–322; Rafi i, Fi A qab, 3:54–55 .

(٩٥) رمضان، تطور، ١:١٣٥. كما تصف يوميات النحاس الصراع بين الوزارة والعرش بـــــ "الحرب بين الوفد والقصر"؛ النحاس، مذكرات؛

(٩٦) Kelly to Eden, Oct. 20, 1937, BDFA, 18:320; Kelly to Eden, Oct. 22, 1937, BDFA, 18:324-325؛ وانظر أيضا رمضان، تطور، ١:٣٢٩–٣٢٥.

(٩٧) Lampson to Eden, Dec. 29, 1937, BDFA, 18:354; Lampson to Eden, Dec. 29, 1937, BDFA, 18:355; Lampson to Eden, Dec. 31, 1937, BDFA, 19:99– 104؛ رمضان، تطور، ١:١٣٩–١٤٤، رمضان، السيرة، ١٤٦–١٥٠

(٩٨) رمضان، تطور، ١:١٣٩–١٤٤و .

(99) Kelly to Eden, Oct. 7, 1937, BDFA, 18:320–322 .

(١٠٠) نفسه.

(101) Lampson to Eden, Nov. 23, 1937, BDFA, 18:335 .

(١٠٢) Lampson to Eden, Nov. 2, 1937, BDFA, 18:328- 329. تردد صدى طرح النحاس مسألة إمكانية طرد الملك بعد ذلك بيوم، بشكل غير مباشر، على لسان وزير الخارجية مكرم عبيد؛ انظر أيضا رمضان، السيرة، ٦١-٦٣.

(١٠٣) نص في هيكل، مذكرات، ٢:٨٥؛ Lampson to Eden, Dec. 30, 1937, BDFA، ١٨:٣٥٥.

(١٠٤) رمضان، السيرة، ١٤١.

(١٠٥) لشهادات عن التلاعب في الانتخابات، انظر BDFA, 19:122, 125, 127– 128؛ هيكل، مذكرات، ٢:٧٠-٨٤؛ النحاس، مذكرات، ١:٢٢٤-٢٢٨؛ Deeb, Party Politics in Egypt, 337–338.

(١٠٦) انظر هيكل، مذكرات، ٢:٨٦-٨٩؛ رمضان، تطور، ١:٢١٧-٢١٩، ٢٥١-٢٥٣؛ رمضان السيرة، ١٩٨-٢٠١ Berque, Egypt, 561–563; Deeb, Party Politics in Egypt, 338–341.

(107) Lampson to Halifax, May 6, 1938, BDFA, 19:134–136 .

(١٠٨) هيكل، مذكرات، ٢:١٥٥؛ رمضان، تطور، ١:٢٥٢.

(109) Lampson to Halifax, May 6, 1938, BDFA, 19:134–135; Bateman to Halifax, Aug. 30, 1938, BDFA, 19:310–313 .

(١١٠) حول فساد وزارات محمد محمود، انظر هيكل، مذكرات، ٢:١٦٠-١٦٢.

(١١١) رمضان، السيرة، ١٩٤-١٩٧؛ Charles Tripp, "Ali Mahir and the Politics of the Egyptian Army, 1936–1942," in Contemporary Egypt: Through Egyptian Eyes. Essays in Honour of P. J. Vatikiotis, ed. Charles Tripp (London, 1993), 50–53.

(١١٢) حسب شهادة رمضان في مقابلة معه في ١٩٦٩؛ رمضان، تطور، ١:٢٢١.

(١١٣) نفسه، ٢٢١-٢٢٤.

(١١٤) انظر نقاشه مع محمد حسين هيكل في هيكل، مذكرات، ٢:١٥٦-١٥٧؛ مقتبس في Kedourie, "Caliphate," 205.

(١١٥) التعبيرات للصحفي فكري أباظة كتبها في ١٩٣٩؛ انظر رمضان، السيرة، ٢١٠-٢١١.

(١١٦) انظر هيكل، مذكرات، ٢:٨٧-٩١؛ رمضان، تطور، ١:٢٢٤-٢٢٧؛ رمضان، السيرة، ٢١١-٢١٣.

(117) Bateman to Halifax, Aug. 30, 1938, BDFA, 19:310–313 .

(118) Lampson to Halifax, Nov. 7, 1938, BDFA, 19:325–329 .

(119) Notes on a Visit to Upper Egypt," Mar. 3–8, 1939, BDFA, 20:121–122 .

(120) Notes on a Visit to Delta," May 3–5, 1939, BDFA, 20:127–129 .

(121) From a December 1937 report on political opinion in Lower Egypt, BDFA, 19:104–105 .

(122) Bateman to Halifax, Aug. 30, 1938, BDFA, 19:310–313 .

(123) Lampson to Halifax, Nov. 7, 1938, BDFA, 19:325–329 .

(124) Lampson to Halifax, Jan. 16, 1939, BDFA, 20:111–117 .

(125) Lampson to Halifax, May 12, 1939, BDFA, 20:129–133 .

(126) Heathcote-Smith to Lampson, Feb. 14, 1938, BDFA, 9:115–117 .

(127) Lampson to Halifax, July 13, 1938, BDFA, 19:272 .

(128) Memorandum on the Egyptian press, June 28 to July 27, 1938, BDFA, 19:350–353 .

(129) Memorandum on the Egyptian press, July 28 to Aug. 31, 1938, BDFA, 19: 353–359 .

(130) Lampson to Halifax, May 6, 1938, BDFA, 19:134–136; reiterated in Lampson to Halifax, Nov. 7, 1938, BDFA, 19:325–329 .

(١٣١) للتفاصيل، انظر James Jankowski, "Egyptian Regional Policy in the Wake of the Anglo-Egyptian Treaty of Alliance of 1936: Arab Alliance or Islamic Caliphate?" in Brit-ain and the Middle East in the 1930s: Security Problems, 1935–39, ed. Michael J. Cohen and Martin Kolinsky (London, 1992), 89–90.

(١٣٢) نفسه، ٩٠ Kedourie, "Caliphate," 201–204.

(133) Lampson to Eden, Feb. 17, 1938, FO 371:21838, E 1114:1034:16 .

(134) Memorandum on the Egyptian press, Jan. 6 to Feb. 14, 1938, BDFA, 19:229–232؛ رمضان، السيرة، ١٩٦.

(135) Lampson to Eden, Feb. 17, 1938, FO 371:21945, J 893:6:16; see also Kedourie, "Caliphate," 201–202 .

(١٣٦) JMF, June 6, 1938, 9; ibid., Jan. 25, 1939, 3؛ انظر أيضا رمضان، السيرة، ١٩٦–١٩٧..

(١٣٧) البلاغ، ٨ أكتوبر ١٩٣٨، ٩–١٠؛ خطب حفلة الافتتاح الكبرى للمؤتمر البرلماني العالمي للبلاد العربية والإسلامية للدفاع عن فلسطين وقرارات المؤتمر وأعضاء الوفود (القاهرة، ١٩٣٨). انظر أيضا Kedourie, "Caliphate," 204.

(138) BL, Oct. 16, 1938, 8 .

(139) Lampson to Halifax, Jan. 25, 1939, FO 371:23304, J 358:1:16 .

(١٤٠) نفسه

(١٤١) الأهرام، ٩ فبراير ١٩٣٩، ٩؛ وانظر أيضا Kedourie, "Caliphate," 204–205.

(١٤٢) حسب شهادة بنداري اللاحقة؛ انظر رمضان، السيرة، ٢٦١.

(١٤٣) ورد في رمضان، تطور، ١:٢٥٤؛ هيكل، مذكرات، ٢:١٥٧.

(١٤٤) رمضان، تطور، ١:٢٥٤–٢٥٧.

(١٤٥) Lampson to Halifax, Apr. 4, 1939; BDFA, 20:124–125. يؤكد بنداري نفسه أن حسين هيكل لم يحاول تقويض موقف ماهر مع الملك خلال غياب الأخير في لندن؛ هيكل، مذكرات، ٢:١٥٧.

(١٤٦) Lampson to Halifax, May 12, 1939, BDFA, 20:129–133؛ هيكل، مذكرات، ٢:١٥٧–١٥٩؛ رمضان، تطور، ١: ٢٦٢–٢٦٥.

(١٤٧) لمثال على هذا، انظر n. 157.

(148) Lampson to Halifax, May 12, 1939, BDFA, 20:129–133.

(149) Memorandum on the Egyptian Press, Jan. 6 to Feb. 14, 1938, FO 371:22000, J 748:264:16.

(150) See Lampson to Halifax, July 4, 1938, FO 371:22004, J 2691:2014:16; Lampson to Halifax, July 9, 1938, FO 371:22004, J 2792:2014:16 .

(١٥١) البلاغ، ١٦ أكتوبر ١٩٣٨، ٨؛ الدستور، ٢٦ يناير ١٩٣٨، ١.

(152) Lampson to Halifax, Feb. 6, 1939, BDFA, 20:138 .

(153) Lampson to Halifax, July 4, 1938, FO 371:22004, J 2691:2014:16 .

(154) Lampson to Eden, Feb. 17, 1938, FO 371:21838, E 1114:1034:16 .

(155) Interview with 'Azzam as cited in Ralph Coury, "Who 'Invented' Egyptian Arab Nationalism?" International Journal of Middle East Studies, 14 (1982), pt. 1:261 .

(156) See Lampson to Eden, Feb. 17, 1938, FO 371:21838, E 1114:1034:16; Baggallay to Lampson, Apr. 4, 1938, FO 371:21838, E 1527:1034:16; note by Cavendish- Bentnick, May 9, 1938, FO 371:22004, J 2014:2014:16 .

(157) Lampson to Halifax, Feb. 3, 1939, FO 371:23361, J 564:364:16 .

(١٥٨) نفسه.

(159) Extract from The Times, Jan. 25, 1939, as contained in FO 371:23361, J 364 : ٣٦٤:١٦.

(160) Lampson to Halifax, Feb. 3, 1939, FO 371:23361, J 564:364:16 .

(161) Lampson to Halifax, Jan. 16, 1939, BFDA, 20:111–117; Lampson to Halifax, May 12, 1939, BDFA, 20:129–133 .

(162) Bateman to Halifax, Aug. 25, 1939, BDFA, 20:241–245 .

(١٦٣) من صحيفة الدستور السعدية، ١٥ يونيو ١٩٣٩، كما ورد في Deeb, Party Politics in Egypt, 366.

(١٦٤) نفسه، ٣٤٢

(165) Lampson to Halifax, Dec. 2, 1939, BDFA, 20:293–294 .

(١٦٦) See Berque, Egypt, 559–563; Deeb, Party Politics in Egypt, 311–344; Ramadan, Tatawwur, 1:216–267؛ رمضان، السيرة، ١٥٣–٣٠٠.

(١٦٧) خاصة في رمضان، تطور، ١:٢٢٧ ورمضان، السيرة، ٢١٤.

(١٦٨) في حوار له مع عبد العظيم رمضان؛ تطور، رمضان، تطور، ١:٢٤١.

الجزء الثاني

مدخل

(1) Jürgen Habermas, The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society, trans. Thomas Burger (1962; repr., Cambridge, MA, 1989), 27 .

(٢) نفسه، ٥-٥٦.

(٣) نفسه، ٤، وبتوسع ١٤١-٢٣٥.

(٤) نفسه ١٥٩-١٨٠

(٥) راجع بصفة خاصة Habermas and the Public Sphere, ed. Craig Calhoun (Cambridge, MA, 1992)، والمقالات المتضمنة فيه. ولمناقشة المفهوم في إطار فلسفة هابرماس العامة، انظر Robert C. Holub, Jürgen Habermas: Critic in the Public Sphere (London, 1991); and Andrew Edgar, The Philosophy of Habermas (Montreal, 2005). والكتاب التالي كان مفيدا في تناولنا للموضوع: Keith Michael Baker, "Politics and Public Opinion under the Old Regime: Some Reflections," in Press and Politics in Pre-Revolutionary France, ed. Jack R. Censer and Jeremy D. Popkin, 204–246 (Berkeley, CA, 1987); Margaret R. Somers, "What's Political or Cultural about Political Culture and the Public Sphere? Towards an Historical Sociology of Concept Formation," Sociological The-ory, 13, no. 2 (July 1995), 113–144; Brian Cohan, "Mr. Spectator and the Co?eehouse Public Sphere," Eighteenth Century Studies, 37, no. 3 (Spring 2004), 345–366; Michael McKeon, "Parsing Habermas's 'Bourgeois Public Sphere,' " Criticism, 46, no. 2 (Spring 2004), 273– 277; David Nordbrook, "Women, the Republic of Letters, and the Public Sphere in the Mid-Seventeenth Century," Criticism, 46, no. 2 (Spring 2004), 223–240; Kevin Pask, "The Bourgeois Public Sphere and the Concept of Literature," Criticism, 46, no. 2 (Spring 2004), 241–256; Alan G. Gross, "Habermas, Systematically Distorted Communication and the Public Sphere," Rhetoric Society Quarterly, 36, no. 3 (Summer 2006), 309–330.

(6) Nancy Fraser, "Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy," in Calhoun, Habermas and the Public Sphere, 110–111 .

(٧) لمحاولات استخدام المجال العام كإطار مفاهيمي لدراسة مجتمعات الشرق الأوسط الإسلامية، انظر Miriam Hoexter, Shmuel N. Eisenstadt, and Nehemia Levtzion, eds., The Public Sphere in Muslim Societies (Albany, NY, 2002). وبالنسبة للدراسات الحديثة التي تستخدم

المفهوم لتحليل مجتمعات شرق أوسطية محـــددة، انظـــر Elizabeth Thompson, Colonial Citizens: Republican Rights, Paternal Privilege, and Gender in French Syria and Lebanon (New York 1999), 172–173; Keith David Watenpaugh, Being Modern in the Middle East: Revolution, Nationalism, Colonialism, and the Arab Middle Class (Princeton, NJ, 2006), 64, 78–81, 303–304; Weldon C. Mathews, Confronting an Empire, Constructing a Nation: Arab Nationalists and Popular Politics in Mandate Palestine (London, 2006), 136–137, 146–147.

(٨) لتطور تعبير أفندي، انظـــر Lucie Ryzova, "Egyptianizing Moder-nity through the 'New E?endiya': Social and Cultural Constructions of the Middle Class in Egypt under the Monarchy," in Re- Envisioning Egypt, 1919–1952, ed. Arthur Gold-schmidt, Amy J. Johnson, and Barak A. Salmoni, 124–163 (Cairo, 2005); and Lucie Ryzova, L'eff endiyya ou la modernité contestée (Cairo, 2004).

(٩) انظر، Ryzova, "Egyptianizing Modernity," 131–133, 141.

(10) Fraser, "Rethinking the Public Sphere," 116–126 .

(11) Habermas, Structural Transformation of the Public Sphere, 181 .

(١٢) نفسه، ١٨٤.

(١٣) انظر نفسه، ١٤١؟. (term from 142).

(١٤) أنور الجندي، المعارك الأدبية في الشعر والنثر والثقافة واللغة والقومية العربية (القـــاهرة ١٩٦١)؛ وتوسع وصدر بعنوان المعارك الأدبية في مصر، ١٩١٤–١٩٣٩ (١٩٨٣). وهناك عرض ممتاز لمفاهيم هابرماس عن المجالات العامة الأدبيـــة والـــسياسية، انظـــر Edgar, Philosophy of Haber-mas, 34–39.

الفصل الثاني

(1) Memorandum on the Egyptian Press, Sept. 2 to Oct. 1, 1937; FO 371:20903, J 4334:148:16 .

(٢) حول تقديرات ١٩٣٧، انظر الجدول في Ami Ayalon, The Press in the Arab Middle East: A History (New York, 1995), 149–150؛ وبالنسبة لعام ١٩٤٤، انظر "Note sur la presse égypti-enne et la presse palestinienne à la fi n de 1944," Cahiers de l'Orient contemporaine, 1 (1944–45), 124–127.

(3) Ayalon, Press, 56–57, 149–150 .

(4) Memorandum on the Egyptian Press, Feb. 15 to Mar. 10, 1938; FO 371:22000, J 1080:264:16 .

(5) FO 371:22000, J 3628:264:16; FO371:22000, J 3978:264:16 .

(6) Memorandum on the Egyptian Press, Feb. 15 to Mar. 10, 1938; FO 371:22000, J 1080:264:16 .

(7) Ayalon, Press, 149–150; "Note sur la presse égyptienne et la presse palestinienne ". ١٢٤.

(٨) يصوغها مايلز لامبسون بطريقة أكثر سخرية: "الحقيقة أنه في مصر ــ شأن معظم البلاد ــ لابد للسياسة التحريرية في أي صحيفة أن تأخذ اهتمامات فرنسا في الاعتبـــار" Sir Miles Lampson put it more cynically: on the Egyptian Press, Jan. 29 to Feb. 24, 1937; FO 371:2093, J 1021:148:16.

(٩) انظر سلسلة المقالات بعنوان "بين إيطاليا والحبشة" في المقطم، ٨ أكتـــوبر ، ١٩٣٤، و٢٩ نوفمبر ١٩٣٤، ١، ١٠، ١٧ ديسمبر ١٩٣٤، ١.

(١٠) "السنيور موسوليني"، المقطم، ١٩ يناير ١٩٣٥، ١؛ "إيطاليا في البحر الأحمر والحبـــشة، المقطم، ١٣ فبراير ١٩٣٥، ٤؛ "إذا وقعت الحرب بين إيطاليا والحبشة"، المقطم، ٢٦ فبراير ١٩٣٥، ٤؛ "بين إيطاليا والحبشة"، المقطم، ١٥ أبريل ١٩٣٥، ٤.

(١١) "مصر والحبشة والحبشة وإيطاليا"، المقطم، ٢٨ فبراير ١٩٣٥، ١٢؛ "وتنشب الحرب بين إيطاليا والحبشة"، المقطم ٤ أبريل ١٩٣٥، ١؛ "أوروبا والسلاح والسلام"، المقطم، ١٣ أبريل ١٩٣٥، ٤؛ "بين إيطاليا والحبشة"، المقطم، ١٥ أبريل، ٤.

(١٢) أي الدول يوالي إيطاليا الآن"، المقطم، ٢٤ يوليو ١٩٣٥، ٤.

(١٣) "العوامل الخفية في المشكلة الحبشية"، المقطم، ١٦ أكتوبر ١٩٣٥، ٤،١.

(١٤) نواحي المشكلة الحبشية الإيطالية"، المقطم، ٦ أكتوبر ١٩٣٥، ٤،١؛ "الأســـباب الظـــاهرة والخفية في النزاع الحبشي الإيطالي"، المقطم، ١٠أكتوبر ١٩٣٥، ٤،١.

(١٥) "نواحي المشكلة الحبشية الإيطالية"، المقطم، ٦ أكتوبر ١٩٣٥، ٤،١.

(١٦) انظر على سبيل المثال المقطـــم، ١ أكتـــوبر ١٩٣٥، ٥، ١٠ أكتـــوبر ١٩٣٥، ٤،١؛ ١٦ أكتوبر ١٩٣٥، ١؛ ٢٩ أكتوبر ١٩٣٥، ٧.

(١٧) "مصر والعقوبات"، المقطم، ٢ نوفمبر، ٧، ٢٤ نوفمبر ١٩٣٥، ٧،٤

(١٨) "بين مصر وإيطاليا"، المقطم، ٢٦ يناير ١٩٣٦، ٤،١؛ "الخلاف بين إيطاليـــا والحبـــشة"، المقطم، ٩ يناير ١٩٣٦، ٤،١؛ "استعداد مصر لمواجهة الغازات السامة"، المقطم، ٦ فبراير ١٩٣٦، ٤،١.

(١٩) "العقوبات الاقتصادية على إيطاليا"، المقطم، ٢٤ مارس ١٩٣٦، ٧؛ "بين مصر وإيطاليا"، المقطم، ١ أبريل ١٩٣٦، ٦؛ "إيطاليا وماء النيل لمصر والـــسودان"، المقطـــم، ٤ أبريـــل ١٩٣٦، ٤،١؛ "إيطاليا وبحيرة تانا"، المقطم، ٩ أبريل ١٩٣٦، ١؛ "مصر وإيطاليا وبحيـــرة تانا"، المقطم، ٢١ أبريل ١٩٣٦، ١، ٤.

(٢٠) "بين مصر وإيطاليا"، المقطم، ٥ مايو، ٤؛ ٨ مايو، ١، ٤؛ "قنصل مـــصر فـــي الحبـــشة وموقفه تجاه إيطاليا"، المقطم، ٢٢ يونيو ١٩٣٦، ٦.

(٢١) "بين مصر وإيطاليا بعد احتلال الحبشة"، المقطم، ٧ أغسطس ١٩٣٦، ٤،١.

(٢٢) "إلغاء العقوبات على إيطاليا"، المقطم، ١٤ يوليو ١٩٣٦، ٧؛ وانظر أيضا المقطم، ١٦ يوليو ١٩٣٦، ٥.

(٢٣) "بعد المعاهدة الموحدة"، المقطم، ٢٨ أغسطس ١٩٣٦، ١،٥؛ "إيطاليا والمعاهدة المصرية: أوهام لا حقيقة لها"، المقطم، ٢٥ سبتمبر ١٩٣٦، ٥؛ "الاتفاق الإيطالي البريطاني"، المقطم، ٤ يناير ١٩٣٧، ٤.

(٢٤) مقالات ثابت عن "إيطاليا اليوم"، في المقطم بين ٢٠ أكتوبر و٢٦ نوفمبر ١٩٣٦.

(٢٥) "تجدد القتال في الحبشة"، المقطم، ٢٢ يناير ١٩٣٧، ٤؛ "حديث الحبشة الأخير"، المقطم، ٢٣ فبراير ١٩٣٧، ٤؛ "المدنية الإثيوبية والفتح الإيطالي"، المقطم، ٩ أبريل ١٩٣٧، ١،٥.

(٢٦) انظر على سبيل المثال "إيطاليا ومصر"، المقطم، ٥ يناير ١٩٣٧، ٦؛ ٦ يناير ١٩٣٧، ٦.

(٢٧) انظر "حديث الحبشة"، المقطم، ٢٣ فبراير ١٩٣٧، ٤؛ "تهديد باب المندب وخليج عدن"، المقطم، ٢٣ فبراير ١٩٣٧، ١،٥؛ "مصر ومستقبلها في البحر الأبيض المتوسط"، المقطم، ٢٧ أغسطس ١٩٣٧، ١،٤.

(٢٨) انظر الأهرام ٨ أبريل، ١، ١٠؛ ١٥ أبريل، ٣؛ ٢٣ مايو، ٢؛ ؛ ٣ يونيو، ١؛ ٢٢ يوليو، ١؛ ٣١ يوليو، ١؛ ١ أغسطس، ١-٢؛ ٣٠ أغسطس، ٣؛ ١٤ سبتمبر ١٩٣٥، ٣.

(٢٩) "ابتداء الحرب بين إيطاليا والحبشة"، الأهرام، ٤ أكتوبر ١٩٣٥، ٤؛ "الحرب الحبشية والمشاكل الدولية"، الأهرام، ٥ أكتوبر ١٩٣٥، ٤؛ "الحرب في الحبشة"، ٧ أكتوبر ١٩٣٥، ٦؛ "في الحالة السياسية"، الأهرام، ١٢ أكتوبر ١٩٣٥، ٩؛ "رسالة الحبشة: ابتداء القتال"، الأهرام، ١٦ أكتوبر ١٩٣٥، ١؛ تادرس ميخائيل تادرس، "حول الحرب في الحبشة"، الأهرام، ١٦ أكتوبر ١٩٣٥، ١-٢؛ "في سبيل الحبشة"، الأهرام، ٢٨ أكتوبر ١٩٣٥، ١.

(٣٠) "تطبيق العقوبات على إيطاليا"، الأهرام، ٢ نوفمبر ١٩٣٥، ١.

(٣١) نفسه؛ "الأزمة الدولية"، الأهرام، ٢ نوفمبر ١٩٣٥، ٤؛ "اشتراك مصر في توقيع العقوبات"، الأهرام، ٢ نوفمبر ١٩٣٥، ٩؛ محمد أحمد، "عصبة الأمم والنزاع بين الدول"، الأهرام، ٤ نوفمبر ١٩٣٥، ٢؛ تادرس ميخائيل تادرس، "حول الحرب في الحبشة"، الأهرم، ٦ نوفمبر ١٩٣٥، ١، ١٢.

(٣٢) "الساعات الفاصلة في التاريخ"، الأهرام، ٩ يناير ١٩٣٦، ٤؛ "الأزمة الدولية"، الأهرام، ١١ يناير ١٩٣٦، ٤؛ انظر أيضا الأهرام، ٢٢ يناير ١٩٣٦، ١،٤،٧.

(٣٣) "حرب الحبشة ومشاكل أوروبا"، ٣١ مارس ١٩٣٦، ٤.

(٣٤) "الأزمة الدولية"، الأهرام، ١١ يناير ١٩٣٦، ٤؛ "الحرب الحبشية ومشاكل أوروبا"، الأهرام، ٣١ مارس ١٩٣٦، ٤.

(٣٥) "انهيار الحبشة"، الأهرام، ٤ مايو ١٩٣٦، ٤.

(٣٦) "بين الحرب والسلام"، الأهرام ٧ مايو ١٩٣٦، ٤؛ "مشكلة الحبشة ومواقف الدول"، الأهرام، ٨ مايو ١٩٣٦، ٤؛ "المشكلة الحبشية"، الأهرام، ٢١ مايو ١٩٣٦، ٤؛ "الأزمة الدولية"، الأهرام، ٢ يونيو ١٩٣٦، ٤؛ "حركة جديدة في بلاد الحبشة"، الأهرام، ١ أغسطس ١٩٣٦، ١.

(٣٧) "تفاقم الحالة الدولية"، الأهرام، ٦ نوفمبر ١٩٣٦، ٤؛ "مشكلة البحر المتوسط"، الأهرام، ١١ نوفمبر ١٩٣٦، ٤؛ "مصر في البحر المتوسط"، الأهرام، ٣٠ ديسمبر ١٩٣٦، ١.

(٣٨) "اتفاق الجنتلمان"، الأهرام، ٣ يناير ١٩٣٧، ٤؛ "الأزمة الدولية"، الأهرام، ٥ يناير ١٩٣٧، ٤؛ "اتفاق الكرم بين إنجلترا وإيطاليا"، الأهرام، ١٢ يناير ١٩٣٧، ١.

(٣٩) "ثورة إسبانيا وخطرها على أوروبا"، الأهرام، ٥ أغسطس ١٩٣٦، ٤؛ "حدثان خطيران في أوروبا"، الأهرام، ١٦ نوفمبر ١٩٣٦، ٤؛ "اشتداد الأزمة الدولية"، الأهرام، ٢٠ نوفمبر ١٩٣٦، ٤؛ "محددات فرساي وما الذي بقى منها؟"، الأهرام، ٨ فبراير ١٩٣٧، ٦؛ "الحالة الدولية"، الأهرام، ٢٢ أغسطس ١٩٣٧، ٤.

(٤٠) "تفاقم الحالة الدولية"، الأهرام، ٦ نوفمبر ١٩٣٦، ٤.

(٤١) "مشكلة البحر المتوسط"، الأهرام، ١١ نوفمبر ١٩٣٦، ٤؛ "مصر في البحر المتوسط، الأهرام، ٣٠ ديسمبر ١٩٣٦ ١٩٣٦، ١؛ "مشروع الميثاق الغربي"، الأهرام، ١٩ مارس ١٩٣٧، ٦؛ "اضطراب الحالة الدولية: أوروبا وشبح الحرب"، الأهرام، ٢٧ مارس ١٩٣٧، ٦؛ "اتفاق عدم التدخل في شئون إسبانيا"، الأهرام، ٥ مايو ١٩٣٧، ٤؛ "الأزمة الدولية: سياسة إيطاليا واتجاهها الجديد"، الأهرام، ٢٠ أغسطس ١٩٣٧، ٤.

(٤٢) "إيطاليا والعرب: اتجاه جديد في السياسة الفاشيستية"، الأهرام، ١٢ أبريل ١٩٣٧، ٤.

(٤٣) "هل تستعد ألمانيا للحرب"، المقطم، ٢١ نوفمبر ١٩٣٤، ٤؛ "التجنيد الإلزامي العام في ألمانيا"، المقطم، ٢٠ مارس ١٩٣٥، ١؛ "تنظيم الجيش الألماني الجديد"، المقطم، ١٢ أبريل ١٩٣٥، ٥؛ "ألمانيا والدول الأخرى"، المقطم، ١١ مايو ١٩٣٥، ٤؛ "الهر هتلر يصف سياسة دولته"، المقطم، ٢٣ مايو ١٩٣٥، ٤؛ "ألمانيا تطلب مستعمرات"، المقطم، ٢ يوليو ١٩٣٥، ٥؛ "المستعمرات: بين بريطانيا وألمانيا"، المقطم، ١٤ فبراير ١٩٣٦، ٤.

(٤٤) "بين مصر وألمانيا"، المقطم، ١٩ أكتوبر ١٩٣٦، ١؛ "ألمانيا تدعو إلى التفاهم وتفريج الأزمات"، المقطم، ٣ مارس ١٩٣٦، ٤،١؛ "بين النظم النازية والنظم البلشفية"، المقطم، ١٨ نوفمبر ١٩٣٦، ٢؛ "التأمين الصحي في ألمانيا"، المقطم، ١١ مايو ١٩٣٧، ١.

(٤٥) "نحن لا نريد الحرب: هكذا يقول مساعد الهر هتلر" (استشهاد من مقابلة صحفية أكد فيها رودلف هيس، المسئول بالحزب النازي على نوايا ألمانيا السلمية)، المقطم، ١١ ديسمبر ١٩٣٤، ٥.

(٤٦) ثابت ثابت، سلسلة مقالات "ألمانيا اليوم"، المقطم، ٧ أغسطس – ٥ سبتمبر ١٩٣٦.

(٤٧) ثابت ثابت، "ألمانيا اليوم: برلين في الدورة الأوليمبية ببرلين"، المقطم، ١٠ أغسطس ١٩٣٦، ٥.

(٤٨) انظر "النزاع الديني في الرايخ"، المقطم، ١٥ أكتوبر ١٩٣٤، ٥؛ "الحركة الدينية في ألمانيا"، المقطم، ٨ يونيو ١٩٣٥، ٢؛ "ألمانيا والاتحاد الديني"، المقطم، ٢٣ يوليو ١٩٣٥، ٤.

(٤٩) "قانون الطاقم في ألمانيا"، المقطم، ٢٥ أبريل ١٩٣٥، ٢؛ "ألمانيا والكاثوليك واليهود"، المقطم، ١٧ أغسطس ١٩٣٥، ٤؛ "بين اليهود والألمان"، المقطم، ٢٢ أغسطس ١٩٣٥، ٨؛

"بين البيض وغير البيض"، المقطم، ٣٠ يناير ١٩٣٦، ١؛ "الشعار النازي في الزواج"، المقطم، ٢١ أبريل ١٩٣٦، ٢؛ "لمن يسمح بالزواج في ألمانيا؟"، المقطم، ٣٠ أبريل ١٩٣٧، ٢؛ "حكومة النازي والأسرة"، المقطم، ١٥ يونيو ١٩٣٧، ٢.

(٥٠) "ألمانيا تطرد أصحاب الأنوف المعقوفة"، المقطم، ٢٦ اغسطس ١٩٣٧، ٥.

(٥١) استشهاد من "لصون الدم الألماني"، المقطم، ١٣ مارس ١٩٣٥، ٥.

(٥٢) "قانون نورمبرج وإبطال الزواج"، المقطم ١٨ يونيو ١٩٣٦، ١.

(٥٣) ورد في "المصريون والجنس الآري"، المقطم، ١٩ يونيو ١٩٣٦، ٧.

(٥٤) "الآريون وغير الآريين"، المقطم، ٢٠ يونيو ١٩٣٦، ٤. أصبحت المسألة دبلوماسية عندما طالب الوفد المصري في ألمانيا بتوضيح للحظر المزعوم للزواج بين الألمان والمصريين، وردت الخارجية الألمانية ببيان يفيد بأن "القانون الألماني يسمح للرجال المصريين من غير اليهود بالزواج من نساء ألمانيات دون قيد أو شرط. وهذه القوانين تسمح أيضا بزواج النساء المصريات من غير اليهود برجال ألمان"؛ "المصريون والجنس الآري"، المقطم، ٢٢ يونيو ١٩٣٦، ٥.

(٥٥) "الحالة الجديدة في أوروبا"، الأهرام، ١٥ يوليو ١٩٣٦، ٤؛ "مواقف ألمانيا"، الأهرام، ١١ نوفمبر ١٩٣٥، ٤؛ "مساعي السياسة الألمانية للتقارب من إنجلترا"، الأهـرام، ٥ نـوفمبر ١٩٣٦، ٤؛ "العامل الألماني"، الأهرام، ١٧ يوليو ١٩٣٧، ١.

(٥٦) "وصول الفريق المصري للألعاب الأوليمبية إلى برلين"، الأهرام، ١٥ يوليـو ١٩٣٦، ٩؛ "المصريون في ألمانيا"، الأهرام، ٦ أغسطس ١٩٣٦، ٨.

(٥٧) عن الانتقادات الموجهة إلى سياسة ألمانيا الخارجية، انظر "ألمانيا تحتل عسكريا منطقة الراين"، الأهرام، ٨ مارس ١٩٣٦، ٥؛ "بعد هبوط العاصفة: الحالة في أوروبا"، الأهـرام، ١٠ مارس ١٩٣٦، ٤؛ "بين الحرب والسلم: الحالة الدولية"، الأهرام، ٧ مـايو ١٩٣٦، ٤؛ "الحالة الدولية"، الأهرام، ٩ مايو ١٩٣٦، ٤؛ "ألمانيا وبولندا ومشكلة دانزيج"، الأهرام، ٩ يوليو ١٩٣٦، ٤؛ "الانقلاب الخطير في الموقف الدولي"، الأهرام، ١٤ يوليو ١٩٣٦، ٤؛ "الحالة الجديدة في أوروبا: الاتفاق الألماني النمساوي"، ١٥ يوليـو ١٩٣٦، ٤؛ "الثـورة الإسبانية"، الأهرام، ٢٧ يوليو ١٩٣٦، ٩؛ "ثورة إسبانيا وخطرها على العروبة"، الأهرام، ٥ أغسطس ١٩٣٦، ٤؛ "ألمانيا ومشروعاتها في الداخل والخـارج"، الأهـرام، ١٨ نـوفمبر ١٩٣٦، ٤؛ "اشتداد الأزمة الدولية"، الأهرام، ٢٠ نوفمبر ١٩٣٦، ٤؛ "الأزمـة الدوليـة"، الأهرام، ٥ يناير ١٩٣٧، ٤.

(٥٩) "خطبة الرئيس هتلر في الرايخستاج: تطور الثورة الألمانية في أربع سنوات"، الأهرام، ٣١ يناير ١٩٣٧، ١و ٤-٥؛ "كيف تريد ألمانيا أن يكون السلام في العالم"، الأهرام، ١ فبرايـر ١٩٣٧، ٤؛ "مطالبـة ألمانيـا بمـستعمراتها"، الأهـرام، ٥ فبرايـر ١٩٣٧، ٤؛ "مـسألة المستعمرات: مطالب ألمانيا وخطرها"، الأهرام، ١١ فبراير ذ٩٣٧، ٤.

(٦٠) لتأكيدات على هذا الموقف، انظر "بيـان للنـاس"، الأهـرام، ١٦ نـوفمبر ١٩٣٥، ١؛ "التطورات المنتظرة في الأزمة الدولية"، الأهرام، ١٥ يناير ١٩٣٦، ٦؛ "اتفاق الكرم بـين

إنجلترا وإيطاليا"، الأهرام، ١٢ يناير ١٩٣٧، ١؛ "الأزمة الاجتماعية بعد الأزمة السياسية"، الأهرام، ٥ مايو ١٩٣٧، ٤؛ "الإنسانية"، الأهرام، ١٤ يوليو ١٩٣٧، ١٥،١؛ "مصر في جنيف"، الأهرام، ٢٩ أغسطس ١٩٣٧، ١.

(٦١) اشتداد الأزمة الدولية: أنصارها يريدونها للفتح والاستعمار"، الأهرام، ٣٠ أغسطس ١٩٣٧، ٤.

(٦٢) "قوانين نورمبرج في ألمانيا"، الأهرام، ٣ يناير ١٩٣٦، ٤.

(٦٣) "الحالة في ألمانيا"، الأهرام، ١١ يناير ١٩٣٦، ٧.

(٦٤) "ألمانيا والفاتيكان: اشتداد الخلاف بينهما"، الأهرام، ١ أبريل ١٩٣٧، ٦.

(٦٥) انظر الأهرام، ٦ فبراير ١٩٣٨، ١؛ ٢١ فبراير ١٩٣٨، ٧؛ الأهرام، ٢١ فبراير، ١٩٣٨، ١.

(٦٦) الأهرام، ١٦ مارس ١٩٣٨، ١؛ الأهرام، ١٨ مارس ١٩٣٨، ١.

(٦٧) "برنامج هتلر وتنفيذه: حول ضم النمسا إلى ألمانيا"، الأهرام، ١٦ مارس ١٩٣٨، ١.

(٦٨) محمد زكي عبد القادر، "ضم النمسا لألمانيا"، الأهرام، ١٤ مارس ١٩٣٨، ١.

(٦٩) افتتاحية بعنوان "من سراييفو سنة ١٩١٤ إلى فيينا سنة ١٩٣٨"، المصري، ١٩ يوليو ١٩٣٨، ٤.

(٧٠) "كيف تدرج هتلر"، المصري، ١١ يوليو ١٩٣٨، ٣ و١١.

(٧١) "الإمبراطورية الألمانية في نظر النازيين"، المصري، ١٩ يوليو ١٩٣٨، ٣.

(٧٢) "مؤتمر إيفيان واللاجئون اليهود"، المصري، ١٥ يوليو ١٩٣٨، ٤.

(٧٣) نفسه.

(٧٤) انظر على سبيل المثال المصري، ٢٣ مايو ١٩٣٨، ٧؛ المصري، ١٦ يونيو ١٩٣٨، ١؛ المصري، ٧ يوليو ١٩٣٨، ١-٢؛ المصري، ٢٥ فبراير ١٩٣٩، ٦.

(٧٥) المصري، ٢٨ مايو ١٩٣٨.

(٧٦) للاطلاع على تقارير معبرة، انظر المصري، ٢٣ مايو ١٩٣٨، ٤؛ المصري، ١٤ يونيو ١٩٣٨، ٤؛ المصري ٢٠ يونيو ١٩٣٨، ٤-٦؛ المصري، ١٠ يوليو ١٩٣٨، ٤؛ المصري، ١٩ يوليو ١٩٣٨، ٣.

(٧٧) "هل تئن تشيكوسلوفاكيا للضغط الاقتصادي؟"، المصري، ٢٦ يونيو ١٩٣٨، ٤. انظر أيضا المصري، ٢٣ مايو ١٩٣٨، ٤؛ المصري، ١١ يوليو ١٩٣٨، ٤.

(٧٩) "قواعد سياسة تشامبرلين"، المصري، ١٩ يونيو ١٩٣٨، ٤.

(٨٠) "اللام بأي ثمن: هكذا توصف سياسة تشامبرلين"، المضري، ١٢ يوليو ١٩٣٨، ٤.

(٨١) "خطر أزمة تشيكوسلوفاكيا على السلام الأوروبي"، الجهاد، ٣١ أغسطس ١٩٣٨، ٣.

(٨٢) "هتلر والغزو الأوروبي"، الجهاد، ٣١ أغسطس ١٩٣٨، ١و٥.

(٨٣) الجهاد، ٢ سبتمبر ١٩٣٨، ٣-٥؛ الجهاد، ٣ سبتمبر ١٩٣٨، ٣-٤؛ الجهاد، ٤ سبتمبر ١٩٣٨، ١-٤.

(٨٤) "أزمة الديمقراطية وواجبنا في درء أخطارها"، الأهرام، ٢ سبتمبر ١٩٣٨، ١.

(٨٥) محمد زكي عبد القادر، "القومية والحرب"، الأهرام، ٢٧ سبتمبر ١٩٣٨، ١.

(٨٦) "عبرة الأزمة الدولية"، الأهرام، ٤ أكتوبر ١٩٣٨، ١.

(٨٧) عبد الله حسين، "خطأ الدبلوماسية الديمقراطية في صبغها المشكلة التشيكية بالصبغة الدولية"، الأهرام، ١٤ أكتوبر ١٩٣٨، ١.

(٨٨) "أسباب ونتائج: ألمانيا وإيطاليا تؤلفان جبهة واحدة: عالم جديد"، الأهرام، ٤ نوفمبر ١٩٣٨، ١-٢.

(٨٩) نفسه.

(٩٠) "الموقف الدولي وخطورته"، الأهرام، ١٤ نوفمبر ١٩٣٨، ٤.

(٩١) "سياسة القوة والعنف في العالم: اضطهاد اليهود في ألمانيا"، الأهرام، ١٥ نوفمبر ١٩٣٨، ٤.

(٩٢) محمد زكي عبد القادر، "نجاح الديكتاتور"، الأهرام، ٢٢ نوفمبر ١٩٣٨، ١(وفي الموضوع نفسه، انظر مقال عبد القادر السابق بعنوان "كلمات ديكتاتور"، الأهرام، ١٣ أكتوبر ١٩٣٨، ١.

(٩٣) "هل كان اتفاق ميونيخ خاتمة أو فاتحة؟"، الأهرام، ١٠ فبراير ١٩٣٩، ١-٢و٦.

(٩٤) "بعد سقوط برشلونة"، المصري، ٢٩ يناير ١٩٣٩، ٤-٥؛ لتحليل مماثل، انظر المصري، ٢٤ يناير ١٩٣٩، ٣و٥.

(٩٥) "عمل ألمانيا الفجائي ـ هتلر في براغ لا فيينا"، الأهرام، ١٧ مارس ١٩٣٩، ٤.

(٩٦) "جبهة قوية ضد السيطرة بالقوة"، المصري، ٢٨ أبريل ١٩٣٩، ١.

(٩٧) انظر على سبيل المثال المصري، ٢١ يناير ١٩٣٩، ٣؛ المصري، ٢٢ يناير ١٩٣٩، ٧؛ المصري ٣١ يناير ١٩٣٩، ٤-٥؛ المصري، ٥ فبراير ١٩٣٩، ٧؛ المصري، ٢٢ فبراير ١٩٣٩، ٤؛ المصري، ٢٥ فبراير ١٩٣٩، ٣.

(٩٨) "نكبة الصحافة وحرية الرأي: انهيار الركن الأصيل للدستور والديمقراطية"، المصري، ٧ مارس ١٩٣٩، ١-٢؛ المصري، ٢٦ فبراير ١٩٣٩، ١؛ المصري، ٣ مارس ١٩٣٩، ٦-٧.

(٩٩) "غزوة إيطاليا لألبانيا"، الأهرام، ٨ أبريل ١٩٣٩، ٤.

(١٠٠) محمد زكي عبد القادر، :موسوليني في ألبانيا"، الأهرام، ٩ أبريل ١٩٣٩، ١.

(١٠١) "حول خطاب موسوليني"، الأهرام، ١ أبريل ١٩٣٩، ٢.

(١٠٢) عن تقييمات منتصف ١٩٣٩ للموقف الدولي، انظر "الأزمة الحاضرة وتطوراتها"، الأهرام، ١٩ يونيو ١٩٣٩، ٤؛ "العالم بين التفاؤل والتشاؤم"، الأهرام، ١ أغسطس ١٩٣٩، ٤؛ "اشتداد الأزمة في الغرب والشرق"، الأهرام، ١٥ أغسطس ١٩٣٩، ٤.

(١٠٣) "هل تضم إسبانيا إلى دولتي المحور؟"، الأهرام، ١٧ يوليو ١٩٣٩، ٤.

(١٠٤) افتتاحيات الأهرام في ١ أغسطس، ٤؛ ١٦ أغسطس، ٤؛ ١٧ أغسطس، ٤؛ ٢١ أغسطس ١٩٣٩، ٤.

(١٠٥) لتقارير عن الموقف في البحر المتوسط في صيف ١٩٣٩، انظر "إيطاليا ومشكلة البحر المتوسط"، الأهرام، ٢ يوليو ١٩٣٩، ٤؛ "إذا وقعت الحرب"، الأهرام، ٨ أغسطس ١٩٣٩، ٤؛ "الحوض الشرقي للبحر المتوسط"، الأهرام، ١٠ أغسطس ١٩٣٩، ٤.

(١٠٦) عن التقارير المبكرة عن مسألة دانزيج، انظر الأهرام، ٥ مايو ١٩٣٩.

(١٠٧) "دانزيج تهز العالم"، الأهرام، ٢٠ يوليو ١٩٣٩، ٤.

(١٠٨) "شبح الحرب في أوروبا: مشكلة دانزيج وموقف الدول منها"، الأهرام، ٣ يوليو ١٩٣٩، ٤.
(١٠٩) "مشكلة دانزيج وخطورتها"، الأهرام، ١٢ يوليو ١٩٣٩، ٤؛ وانظر أيضا الأهرام، ٢٠ يوليو ١٩٣٩، ٤.
(١١٠) "دانزيج بين ألمانيا وبولندا"، الأهرام، ٢٨ يوليو ١٩٣٩، ٤؛ "مشكلة دانزيج وخطورتها القريبة"، الأهرام، ٢٢ أغسطس ١٩٣٩، ٤.
(١١١) الاستشهاد الأول من "خطبة الهر هتلر"، المصري، ٢٩ أبريل ١٩٣٩، ١؛ والثاني من "فرنسا تساعد بولونيا في حالة الحرب"، المصري، ٦ مايو ١٩٣٩، ١-٣. وللرأي نفسه انظر المصري، ٣ مايو ١٩٣٩، ٤.
(١١٢) "بولونيا ليست مثل تشيكوسلوفاكيا"، المصري، ٤ يوليو ١٩٣٩، ٤.
(١١٣) "الحرب واقعة وستقع عاجلا"، المصري، ٢٩ يونيو ١٩٣٩، ١و٤؛ ويتكرر في "لا مفر من إعلان الحرب"، المصري، ٣٠ يونيو ١٩٣٩، ١.
(١١٤) "نشوب الحرب"، المصري، ٢ يوليو ١٩٣٩، ١-٢.
(١١٥) "تفوق ألمانيا الحربي على بولونيا"، المصري، ٢٤ يوليو ١٩٣٩، ٤.
(١١٦) "النشاط الحربي في بولونيا ودانزيج"، المصري، ٢٤ يوليو ١٩٣٩، ٣.
(١١٧) "مشروع لتسوية مشكلة دانزيج"، المصري، ١٤ أغسطس ١٩٣٩، ٤.
(١١٨) "الواجب على بريطانيا أن تتصالح"، المصري، ٢٨ يونيو ١٩٣٩، ٣.
(١١٩) "مفاخرة الألمان بقوميتهم الحربية"، المصري، ٢٩ يونيو ١٩٣٩، ٥.
(١٢٠) "أغسطس ١٩١٤ وأغسطس ١٩٣٩"، الأهرام، ٨ أغسطس ١٩٣٩، ١.
(١٢١) "أوروبا بين الحرب والسلم: ١٢ مليون جندي تحت السلاح في أوروبا"، الأهرام، ٢١ أغسطس ١٩٣٩، ٤.
(١٢٢) "مشكلة دانزيج وأخطارها القريبة"، الأهرام، ٢٢ أغسطس ١٩٣٩، ٤؛ المصري، ١٣ أغسطس، ٥؛ المصري، ١٦ أغسطس، ١-٢.
(١٢٣) المصري، ٣١ يوليو ١٩٣٩، ٥؛ المصري، ٤ أغسطس، ١-٥؛ المصري، ١٣ أغسطس ١٩٣٩، ٥؛ المصري، ١٦ اغسطس ١٩٣٩، ١-٢.
(١٢٤) "دانزيج ملتقى الأنظار"، المصري، ١٩ أغسطس ١٩٣٩، ٤-٥.
(١٢٥) المصري، ٢١ أغسطس ١٩٣٩، ٣؛ المصري، ٢٢ أغسطس ١٩٣٩، ٤؛ المصري، ٢٣ أغسطس ١٩٣٩، ٣-٤.
(١٢٦) "الحديث الخطير في أوروبا: الاتفاق بين ألمانيا وروسيا"، الأهرام، ٢٣ أغسطس ١٩٣٩، ٤؛ "ساعات القلق والانتظار"، الأهرام، ١ سبتمبر ١٩٣٩، ٤.
(١٢٧) "حدث مفاجئ في الموقف الدولي: روسيا تعقد ميثاقا بعدم الاعتداء مع ألمانيا"، المصري، ٢٣ أغسطس، ٤-٦؛ المصري، ٢٤ أغسطس ١٩٣٩، ٣-٦.
(١٢٨) "تتويج العصابات"، الأهرام، ٢٨ أغسطس ١٩٣٩، ١.
(١٢٩) "وطنية الديمقراطية ووطنية الديكتاتورية"، الأهرام، ٢٣ مايو ١٩٣٩، ١.
(١٣٠) نفسه.

(١٣١) نفسه.
(١٣٢) نفسه. للمزيد من الانتقادات للديناميكيات التوسعية للعنصرية النازية، انظر "مسألة العنصرية"، الأهرام، ٣٠ يوليو ١٩٣٨، ٤؛ "المدى الحيوي ومكافحة الاعتداء"، الأهرام، ١٣ أغسطس ١٩٣٩، ٤.
(١٣٣) "دول الشرق بين الديمقراطية والديكتاتورية"، المصري، ٢٣ يوليو ١٩٣٩، ١-٢.
(١٣٤) نفسه.
(١٣٥) "في سبيل الديمقراطية يخوض المصريون غمار الحرب"، المصري، ١٤ سبتمبر ١٩٣٩، ٦.

الفصل الثالث

(١) عادة ما كانت الصحف الأسبوعية المصورة تنشر قائمة بأسعارها في البلاد العربية الأخرى. وعن دور الكاريكاتير السياسي في صياغة الرأي العام في مصر والشرق الأوسط، انظر
Afaf Lutfi al-Sayyid Marsot, "The Cartoon in Egypt," Comparative Studies in Society and History, 13 (Jan. 1971), 2–15; Fatma Müge G?çek, ed., Political Cartoons in the Middle East (Princeton, NJ, 1998).

(2) Ayalon, Press, 78, 149 .

(3) Ibid., 150; "Note sur la presse égyptienne et la presse palestinienne," 125 .

(4) Ayalon, Press, 150; "Note sur la presse égyptienne et la presse palestinienne," 125 .

(٥) نفسه.
(٦) المصور، ٦ سبتمبر ١٩٣٥، الغلاف.
(٧) الاثنين والدنيا، ١١ نوفمبر ١٩٣٥، الغلاف.
(٨) روز اليوسف، ١٨ نوفمبر ١٩٣٥، ٧.
(٩) الاثنين والدنيا، ١٣ يناير ١٩٣٦، الغلاف.
(١٠) الاثنين والدنيا، ١٣ أبريل ١٩٣٦، الغلاف.
(١١) المصور، ٢٢ يناير ١٩٣٧، ٣٧.
(١٢) المصور، ٣ يناير ١٩٣٨، الغلاف.
(١٣) الاثنين والدنيا، ٣ يناير ١٩٣٨، الغلاف.
(١٤) روز اليوسف، ٣ يناير ١٩٣٨، الغلاف الأخير.
(١٥) الاثنين والدنيا، ٢١ مارس ١٩٣٨، ٥.
(١٦) الاثنين والدنيا، ٢٦ سبتمبر، الغلاف.
(١٧) الاثنين والدنيا، ٢٦ سبتمبر ١٩٣٨، الغلاف.
(١٨) الاثنين والدنيا، ٣ أكتوبر ١٩٣٨، الغلاف.
(١٩) الاثنين والدنيا، ١٠ أكتوبر ١٩٣٨، ٣.
(٢٠) الاثنسن والدنيا، ١٠ أكتوبر ١٩٣٨، الغلاف.

(٢١) روز اليوسف، ٢٢ أغسطس ١٩٣٨، ١٥.
(٢٢) روز اليوسف، ١٨ سبتمبر ١٩٣٨، ١٣.
(٢٣) روز اليوسف، ٢ أكتوبر ١٩٣٨، الغلاف
(٢٤) روز اليوسف، ٢ أكتوبر ١٩٣٨، ١٠.
(٢٥) روز اليوسف، ٢ أكتوبر ١٩٣٨، ١١.
(٢٦) روز اليوسف، ٩ أكتوبر ١٩٣٨، الغلاف.
(٢٧) روز اليوسف، ١١ ديسمبر ١٩٣٨، الغلاف الأخير.
(٢٨) روز اليوسف، ٤ ديسمبر ١٩٣٨، الغلاف.
(٢٩) روز اليوسف، ٢٥ ديسمبر ١٩٣٨، الغلاف.
(٣٠) الاثنين والدنيا، ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨، الغلاف.
(٣١) الاثنين والدنيا، ٩ يناير ١٩٣٨، الغلاف.
(٣٢) روز اليوسف، ١ يناير ١٩٣٩، الغلاف الأخير.
(٣٣) المصور، ٢٠ يناير ١٩٣٩، ١٣.
(٣٤) روز اليوسف، ١٧ مارس ١٩٣٩، ٩.
(٣٥) روز اليوسف، ٢ أبريل ١٩٣٩، ٧.
(٣٦) روز اليوسف، ٢ أبريل ١٩٣٩، الغلاف الأخير.
(٣٧) روز اليوسف، ٩ أبريل ١٩٣٩، الغلاف.
(٣٨) الاثنين والدنيا، ٣ أبريل ١٩٣٩، ٣.
(٣٩) الاثنين والدنيا، ١٧ أبريل ١٩٣٩، الغلاف.
(٤٠) الاثنين والدنيا، ٢٤ أبريل ١٩٣٩، ١٨.
(٤١) روز اليوسف، ٧ مايو ١٩٣٩، الغلاف الأخير.
(٤٢) روز اليوسف، ٣٠ أبريل ١٩٣٩، الغلاف.
(٤٣) الاثنين والدنيا، ٢٤ أبريل ١٩٣٩، ٣.
(٤٤) الاثنين والدنيا، ١ مايو ١٩٣٩، الغلاف.
(٤٥) الاثنين والدنيا، ٢٤ أبريل ١٩٣٩، الغلاف.
(٤٦) الاثنين والدنيا، ٢٩ مايو ١٩٣٩، الغلاف.
(٤٧) المصور، ٧ يوليو ١٩٣٩، الغلاف.
(٤٨) المصور، ٢٨ يوليو ١٩٣٩، ٢٠.
(٤٩) نفسه.
(٥٠) "دانزيج: موطن الخطر في أوروبا"، الاثنين والدنيا، ١٠ يوليو ١٩٣٩، ٢٥.
(٥١) الاثنين والدنيا، ١٠ يوليو ١٩٣٩، ٣.
(٥٢) الاثنين والدنيا، ١٧ يوليو ١٩٣٩، ٣.
(٥٣) الاثنين والدنيا، ٣ يوليو ١٩٣٩، ٣.
(٥٤) المصور، ٢٢ سبتمبر ١٩٣٩، ٨.

(٥٥) الاثنين والدنيا، ١٦ أكتوبر ١٩٣٩، الغلاف.
(٥٦) روز اليوسف، ٩ سبتمبر ١٩٣٩، الغلاف.
(٥٧) الاثنين والدنيا، ٤ سبتمبر ١٩٣٩، الغلاف.
(٥٨) الاثنين والدنيا، ١٨ سبتمبر ١٩٣٩، الغلاف.

الفصل الرابع

(١) يقدر توزيع العدد الخاص من الصحيفة بعنوان "العرب والإسلام في العصر الحديث"، في أبريل ١٩٣٩، بنحو ٤٠ ألف نسخة. ونستخلص من هذا الرقم نسبة توزيع أقل لكنه لا يزال كبيرا.

(٢) عن جذور الهلال، راجع A Thomas Philipp, Gurgi Zaidan: His Life and Thought (Beirut, 1979), 229–234; for its publishing history, see Ayalon, Press, 53–54, 76–78, 192, 197.

(٣) See Ayalon, Press, 81; J. Brugman, An Introduction to the History of Modern Ara-bic Literature in Egypt (Leiden, 1984), 381–384; Gershoni, "Al-Risala's Reaction to Fascism and Nazism," 555- 556؛ نعمات أحمد فؤاد، قمم أدبية،؛ دراسات وتراجم لأعلام الأدب المصري الحديث (القاهرة ١٩٦٦)، ١٧٥–٢٣٢؛ محمد سيد محمد، الزيات والرسالة (الرياض ١٩٨٢).

(٤) محمد، الزيات، ١٩٠؛ فؤاد، قمم أدبية، ١٧٧–١٧٨.

(٥) أحمد أمين، "الثقافة في عامها الثاني"، الثقافة، ٢ يناير ١٩٤٠، ١. عن توجهها، انظر أيضا Brugman, Literature, 388–389.

(٦) يعتمد تقدير توزيع الثقافة على مراجعة السنة الأولى من صدورها الذي ظهر في أواخر ١٩٣٩ وأوائل ١٩٤٠.

(٧) عن تاريخها في مجال النشر، انظر Salama Musa, The Education of Salama Musa, trans. L. O. Schuman (Leiden, 1961), 131–132; Vernon Egger, A Fabian in Egypt: Salamah Musa and the Rise of the Professional Classes in Egypt, 1909–1939 (Lanham, MD, 1986), 171, 178, 180, 221–222; Ayalon, Press, 239; Brugman, Literature, 394.

(٨) انظر Brugman, Literature, 382، لشهادة عن تأثيرها على الكتاب الحداثيين الشباب.

(٩) علي أدهم، "بين كارليل ونيتشه: البطل والإنسان الأعلى"، الهلال، أبريل ١٩٣٨، ٦٢٣–٦٣٠.

(١٠) نفسه.

(١١) علي أدهم، "أساتذة موسوليني وهتلر: المفكرون الذين مهدوا للديكتاتورية الحديثة"، الهلال، نوفمبر ١٩٣٨، ٢٨–٣٢.

(١٢) نفسه.

(١٣) نفسه.
(١٤) عبد الرحمن صدقي، "الجماهير كالأطفال"، الهلال، مايو ١٩٣٨، ٧٧٧-٧٨٠.
(١٥) إبراهيم المصري، "لمن يكتب الكاتب في مصر: الجمهور لا يكترث للحركـــة الفكريـــة"، الهلال، يوليو ١٩٣٨، ٩٨٧-٩٩١.
(١٦) محمد حسين هيكل، "أثر السياسة في أخلاق المجتمع"، الهلال، مارس ١٩٣٦، ٤٨٥-٤٨٨.
(١٧) نيقولا حداد، "بين الحرية والديكتاتورية"، الهلال، نوفمبر ١٩٣٦، ٣٣-٣٨.
(١٨) عبد الرحمن صدقي، "الشعوب اليائسة تحلم برجل الأقدار"، الهلال، ديسمبر ١٩٣٨، ١٥٨-١٦٢.
(١٩) نفسه.
(٢٠) الثورة الفاشستية من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٣٩"، الهلال، مارس، ٥٥٣-٥٥٦.
(٢١) عبد الرحمن صدقي، "ألمانيا النازية تقيم نهضتها على العنصرية"، الهلال، يونيـــو ١٩٣٩، ٧٤١-٧٤٤.
(٢٢) علي أدهم، "الحرب ونزعات الفكر الألماني"، الهلال، نوفمبر ١٩٣٩، ٥٩-٦٤.
(٢٣) نفسه، ٦١-٦٣؛ "البطل والإنسان الأعلى"، الهلال، أبريل ١٩٣٨، ٦٢٩-٦٣٠.
(٢٤) علي أدهم، "الحرب ونزعة الفكر الألماني"، الهلال، نوفمبر ١٩٣٩، ٥٩-٦٠ و٦٤.
(٢٥) سلامة موسى، "ألمانيا والإصلاح الاجتماعي"، المجلة الجديدة، نـــوفمبر ١٩٣٦، ١٠-١١؛ ولنقاش أوسع، انظر Egger, 169–217.
(٢٦) سلامة موسى، الدنيا بعد ثلاثين سنة (القاهرة ١٩٣٦). وقد ظهرت هذه المقالة المطولة أولا كملحق خاص بالمجلة الجديدة، فبراير ١٩٣٦.
(٢٧) افتتاحية بعنوان "ألمانيا والإصلاح الاجتماعي"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٦، ١٠-١١.
(٢٨) سلامة موسى، "الجديد في ألمانيا"، المجلة الجديدة، ســبتمبر ١٩٣٥، ٣٠-٣٢؛ موســـى، "ألمانيا والإصلاح الاجتماعي"، نوفمبر ١٩٣٦، ١٠-١١.
(٢٩) سلامة موسى، "ألمانيا تستغني العالم"، المجلة الجديدة، ديـــسمبر ١٩٣٦، ٥-٦؛ موســـى، "الجديد في ألمانيا"، المجلة الجديدة، سبتمبر ١٩٣٥، ٣٠-٣٢؛ موسى، الدنيا، ٣٥-٣٧.
(٣٠) سلامة موسى، "العالم يستيقظ ونحن نيام"، المجلة الجديدة، يناير ١٩٣٥، ٧؛ موسى، "فـــي الدول الديكتاتورية"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٦، ٧-٨؛ موسى، "ألمانيا تستغني العالم"، المجلة الجديدة، ديسمبر ١٩٣٦، ٥-٧.
(٣١) سلامة موسى، "الجديد في ألمانيا"، المجلة الجديدة، سبتمبر ١٩٣٥، ٣٠-٣٢؛ موسى، "في الدول الديكتاتورية"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٦، ٨؛ "حركة الشباب الهتلري"، المجلـــة الجديدة، يوليو ١٩٣٧، ٩-١٢.
(٣٢) افتتاحية بعنوان "الألعاب الأوليمبية"، المجلة الجديدة، يناير ١٩٣٦، ٩٤-٩٥.
(٣٣) سلامة موسى، "في الدول الديكتاتورية"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٦، ٧-٨.
(٣٤) موسى، الدنيا، ٥-٦.
(٣٥) سلامة موسى، "الحكومات الحاضرة ومستقبلها"، المجلة الجديدة، مارس ١٩٣٦، ١٧-٢٢.

(٣٦) سلامة موسى، "ألمانيا والإصلاح الاجتماعي"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٦، ١١.
(٣٧) سلامة موسى، "ألمانيا بعد خمس سنوات"، المجلة الجديدة، مارس ١٩٣٨، ٦-١٣.
(٣٨) نفسه، ٦-٧.
(٣٩) نفسه، ٧-٨.
(٤٠) سلامة موسى، "مسائل الشباب المصريين"، المجلة الجديدة، أبريل ١٩٣٨، ٨٠-٨٧.
(٤١) نفسه، ٨٣-٨٦.
(٤٢) سلامة موسى، "الدولة الجمعية والدولة الديمقراطية"، المجلة الجديدة، ديسمبر ١٩٣٨، ٦٥-٦٦.
(٤٣) نفسه.
(٤٤) نفسه.
(٤٥) رشدي سعيد، "اليمقراطية والديكتاتورية"، المجلة الجديدة، أغسطس ١٩٣٨، ٦١-٧٥. نفسه، ٧٣.
(٤٦) نفسه ٧٣ .
(٤٧) نفسه، ٦٩-٧١.
(٤٨) علي أدهم، "السياسة والأخلاق: خطر المكيافيلية في العصر الحديث"، الهلال، يوليو ١٩٣٦، ٩٧٧-٩٨٣.
(٤٩) إبراهيم المصري، "نظرية سيادة الدولة وأثرها في تقهقر الفكر العروبي اليوم"، الهلال، ديسمبر ١٩٣٧، ١٥٨-١٦١.
(٥٠) مآسي الحرية في العصر الحديث"، الهلال، ديسمبر ١٩٣٨، ١٩٤-١٩٨.
(٥١) عن استخدام التعبير، انظر محمد عبد الله عنان، "السيرة بين الطغيان والديمقراطية"، الرسالة، ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥، ١٨٨٧-١٨٨٩.
(٥٢) افتتاحية بعنوان "مهنة الصحافة الألمانية في ظل الإرهاب الهتلري"، الرسالة، ٤ نوفمبر ١٩٣٥، ١٧٩٧-١٧٩٨.
(٥٣) محمد عبد الله عنان، "مصرع الصحافة العظيمة في ظل النظم الطاغية"، الرسالة، ٢٠ مايو ١٩٣٥، ٨٠٩-٨١٢.
(٥٤) "ديكتاتورية هتلر"، الرسالة، ٢٤ أبريل ١٩٣٩، ٨٣٦؛ انظر أيضا الرسالة، ٢٢ مايو ١٩٣٩ ، ١٠٢٨.
(٥٥) "الوطنية واستعباد الفكر"، الرسالة، ٢ نوفمبر ١٩٣٦، ١٨١٦؛ "نظريات جديدة في الفن والنقد"، الرسالة، ٢١ نوفمبر ١٩٣٦، ٢٠٩٥.
(٥٦) "الدعاية في ألمانيا"، الرسالة، ١٥ مايو ١٩٣٩، ٩٨٣؛ "الديمقراطية والإذاعة"، الرسالة، ١٩ يونيو ١٩٣٩، ١٢٢١-١٢٢٢.
(٥٧) نفسه.
(٥٨) "الدعاية في ألمانيا"، ١٥ مايو ١٩٣٩، ٩٨٣.
(٥٩) طه حسين، بعض وجهات التفكير الحديث"، الهلال، فبراير ١٩٣٧، ٣٦١-٣٦٦.

(٦٠) نفسه.
(٦١) سلامة موسى، "الدولة الجمعية والدولة الديمقراطية"، المجلة الجديدة، ديسمبر ١٩٣٨، ٦٥-٦٦.
(٦٢) "المرأة في ظل الديكتاتورية"، الرسالة، ١ مايو ١٩٣٩، ٨٨٦-٨٨٧.
(٦٣) انظر أيضا البريد الأدبي، "الحركة النسوية في ألمانيا"، الرسالة، ٣ أكتوبر ١٩٣٨، ١٦٣٥-١٦٣٦؛ "النازي وطبيعة المرأة"، الرسالة، ٢٥ سبتمبر ١٩٣٩، ١٨٧٧-١٨٧٨.
(٦٤) عبد الرزاق السنهوري، "التعبير عن رأي الأمة"، الهلال، أبريل ١٩٣٨، ٦٠١-٦٠٦؛ الهلال، مايو ١٩٣٨، ٧٣٤-٧٣٩.
(٦٥) عبد الرزاق السنهوري، "التعبير عن رأي الأمة"، الهلال، أبريل ١٩٣٨، ٦٠١-٦٠٦.
(٦٦) إبراهيم المصري، "وحي سبرطة الديكتاتورية"، الهلال، يناير ١٩٣٩، ٢٨٠-٢٨٣.
(٦٧) نفسه، ٢٨١-٢٨٣.
(٦٨) نفسه، ٢٨٣.
(٦٩) محمد لطفي جمعة، "تطورات العصر الحديث في الخلق السياسي"، الرسالة، ١٦ مارس ١٩٣٩، ١٠٨-١١٠.
(٧٠) نفسه.
(٧١) "الثورة الفاشستية من سنة ١٩١٩ إلى ١٩٣٩"، الهلال، مارس ١٩٣٩، ٥٥٣-٥٥٦.
(٧٢) "المجاس الفاشي الأعلى"، الهلال، مايو ١٩٣٩، ٦٧٨-٦٨٠.
(٧٣) نفسه.
(٧٤) نفسه، ٦٧٩-٦٨٠.
(٧٥) نفسه، ٦٧٨-٦٨٠.
(٧٦) هل تنجح الديكتاتورية عندنا؟"، الهلال، فبراير ١٩٣٩، ٣٦١-٣٦٨.
(٧٧) نفسه، ٣٦٢-٣٦٣.
(٧٨) نفسه، ٣٦٣-٣٦٧.
(٧٩) نفسه، ٣٦٧-٣٦٨.
(٨٠) عبد الرحمن شكري، "هل تنجح الديكتاتورية عندنا؟"، الهلال، مارس ١٩٣٩، ٥١٥-٥١٧.
(٨١) أحمد حسن الزيات، "هذا رجل ....!"، الرسالة، ١ مايو ١٩٣٩، ٨٤٧-٨٤٨.
(٨٢) نفسه، ٨٤٨.
(٨٣) عباس محمود العقاد، "مصير المذاهب الاجتماعية الحاضرة إذا وقعت الحرب"، الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٢١-٧٢٥.
(٨٤) نفسه ٧٢٣-٧٢٥.
(٨٥) نيقولا الحداد، "الديكتاتورية حمى عارضة لا خطر منها على الديمقراطية"، الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٥٣-٧٥٨.
(٨٦) نفسه، ٧٥٤-٧٥٥، ٧٥٧.
(٨٧) انظر Egger ٤١-٤٥، ٦١،٦٢.

(٨٨) سلامة موسى، "ماذا تطلب هذه المجلة"، المجلة الجديدة، أغسطس ١٩٣٥، ٤٣؛ موسى، "الوراثة والوسط"، المجلة الجديدة، سبتمبر ١٩٣٥، ٣٣-٣٦؛ موسى، "الجديد في ألمانيا"، المجلة الجديدة، سبتمبر ١٩٣٥، ٣٠.

(٨٩) سلامة موسى، "العالم يستيقظ ونحن نيام"، يناير ١٩٣٥، ٧؛ "الجديد في ألمانيا"، سبتمبر ١٩٣٥، ٣٠-٣٢.

(٩٠) موسى، الدنيا، ٤٢-٤٣.

(٩١) نفسه، ٤٢-٤٣. للأفكار والتعبيرات المشابهة عند موسى، انظر موسى، "العالم يستيقظ ونحن نيام"، المجلة الجديدة، يناير ١٩٣٥، ٧؛ "التعقيم وصحة الذهن والجسم"، المجلة الجديدة"، المجلة الجديدة، أغسطس ١٩٣٥، ١٥.

(٩٢) سلامة موسى، "الجديد في ألمانيا"، المجلة الجديدة، سبتمبر ١٩٣٥، ٣٠-٣١؛ موسى، "ألمانيا والإصلاح الاجتماعي"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٦، ٩؛ "عقدة فلسطين"، المجلة الجديدة، يناير ١٩٣٧، ٩٢.

(٩٣) "الألعاب الأوليمبية"، المجلة الجديدة، يناير ١٩٣٦، ٦٤.

(٩٤) سلامة موسى، "قوميتنا فرعونية"، المجلة الجديدة، يونيو ١٩٣٧، ٨٢-٨٥؛ موسى، "تطور الوطنية وقيمتها الأخلاقية في العصر الحديث"، المجلة الجديدة، مايو ١٩٣٧، ٦١-٦٩؛ انظر أيضا Egger, 136–139.

(٩٥) سلامة موسى، "ألمانيا بعد خمس سنوات"، المجلة الجديدة، مارس ١٩٣٨، ٨-١٢.

(٩٦) سلامة موسى، "مشاكل العصر الحديث: المسألة اليهودية"، المجلة الجديدة، يوليو ١٩٣٨، ٣-٥.

(٩٧) نفسه، ٤-٥.

(٩٨) نفسه.

(٩٩) نفسه، ٣-٤.

(١٠٠) المجلة الجديدة، سبتمبر ١٩٣٨، ٩٣-٩٤.

(١٠١) "اضطهاد اليهود في إيطاليا"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣، ٧٨-٨٩.

(١٠٢) "مصادر الهتلرية"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٨، ٧٨-٨٠.

(١٠٣) ميشيل عبد الأحد، "اليهودي التائه"، المجلة الجديدة، فبراير ١٩٣٩، ٣٨-٤٧.

(١٠٤) نفسه، ٤٢-٤٤.

(١٠٥) نفسه، ٤٥-٤٧.

(١٠٦) محمد عبد الله عنان، "الصراع بين الطغيان والديمقراطية ومحنة الديمقراطية المعاصرة"، الرسالة، ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥، ١٨٨٧-١٨٨٩؛ عنان، "ذكريات عن قضية درايفوس"، الرسالة، ١٢ أغسطس ١٩٣٥، ١٢٩٠-١٢٩٣؛ عنان، "رياح التعصب الجنسي تهب على أوروبا"، الرسالة، ٢٧ يناير ١٩٣٦، ١٢٦-١٢٨.

(١٠٧) "نظريات الجنس والدم في ألمانيا"، الرسالة، ٢٦ أغسطس ١٩٣٥، ١٣٩٨.

(١٠٨) "مسألة الجنس"، الرسالة، ١٠ أغسطس ١٩٩٣٦، ١٣١٧.

(١٠٩) "هتلر والسامية"، الرسالة، ٣١ أكتوبر ١٩٣٨، ١٧٩٥.

(١١٠) "نظرية الجنس والسلالة والخصومة السامية"، الرسالة، ٢٨ أكتوبر ١٩٣٥، ١٧٥٨-١٧٥٩.

(١١١) "نظرية الجنس والسلالة"، الرسالة، ١٨ نوفمبر ١٩٣٥، ١٨٧٨.

(١١٢) "سوبمارت [ورنر سوبمارت] والوطنية الاشتراكية"، الرسالة، ٣١ يناير ١٩٣٨، ١٩٥.

(١١٣) أحمد حسن الزيات، "اقتلوا الجوع تقتلوا الحرب"، الرسالة، ٩ نوفمبر ١٩٣٩، ٨٠٠.

(١١٤) "الحركة الفكرية العنصرية في ألمانيا"، الرسالة، ٩ نوفمبر ١٩٣٦، ١٨٥٦.

(١١٥) جواد علي، "عقيدة الزعامة في النازية"، الرسالة، ١٨ سبتمبر ١٩٣٩، ١٨٢٥-١٨٢٧؛ "هتلر والسامية"، الرسالة، ٣١ أكتوبر ١٩٣٨، ١٧٩٥؛ أحمد حسن الزيات، "اقتلوا الجوع تقتلوا الحرب"، الرسالة، ٢٤ أبريل ١٩٣٩، ٧٩٩

(١١٦) إبراهيم عبد القدر المازني، "حربان عظميان: تثيرهما ألمانيا على نمط واحد"، الرسالة، ١٨ سبتمبر ١٩٣٩، ١٨٠٧-١٨٠٨.

(١١٧) البريد الأدبي، "الحركة النسوية في ألمانيا"، الرسالة، ٣ أكتوبر ١٩٣٨، ١٦٣٥.

(١١٨) "هتلر والسامية"، الرسالة، ٣١ أكتوبر ١٩٣٨، ١٧٩٥؛ جواد علي، "عقيدة الزعامة في النازية"، الرسالة، ١٨ سبتمبر ١٩٣٩، ١٨٢٥-١٨٢٧.

(١١٩) أحمد حسن الزيات، "أسبوع محموم بين الديمقراطية والديكتاتورية"، الرسالة، ٢٦ سبتمبر ١٩٣٨، ١٥٦١-١٥٦٢.

(١٢٠) علي أدهم، "الشعوبية في العصر الحديث"، الهلال، فبراير ١٩٣٨، ٣٨٤-٣٨٨؛ عبد الرحمن صدقي، "ألمانيا النازية تقيم نهضتها على العنصرية"، الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٤١-٧٤٤؛ علي أدهم، "الحرب ونزعة الفكر الألماني"، الهلال، نوفمبر ١٩٣٩، ٥٩-٦٤.

(١٢١) نفسه، ٥٩-٦٠.

(١٢٢) نفسه، ٦١.

(١٢٣) عبد الرحمن صدقي، "أي الأجناس ابتدع الحضارة؟"، الهلال، يناير ١٩٣٧، ٢٧٣-٢٧٧

(١٢٤) عبد الرحمن صدقي، "ألمانيا النازية تقيم نهضتها على العنصرية"، الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٤١-٧٤٤.

(١٢٥) نفسه، ٧٤٤.

(١٢٦) إبراهيم المصري، "مذهب البشرية بين الديمقراطية والفاشية"، الهلال، يوليو ١٩٣٩، ٩٠٠-٩٠٥.

(١٢٧) علي أدهم، "الشعوبية في العصر الحديث"، الهلال، فبراير ١٩٣٨، ٣٨٤-٣٨٨.

(١٢٨) نفسه، ٣٨٧-٣٨٨.

(١٢٩) نفسه، ٣٨٨.

(١٣٠) نفسه، ٣٨٤-٣٨٨.

(١٣١) عبد الرحمن صدقي، "ألمانيا النازية تقيم نهضتها على العنصرية"، الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٤١-٧٤٤.

(١٣٢) سامي الجرديني، "اضطهاد اليهود"، الهلال، ديسمبر ١٩٣٨، ١٤٨-١٤٩.
(١٣٣) انظر على سبيل المثال الهلال، أبريل ٧٠٠-٧٠١؛ الهلال، ديسمبر ١٩٣٨، ٢١٧-٢١٩؛ الهلال، مارس ١٩٣٩، ٥٢٧؛ الهلال، يوليو ١٩٣٩، ٩٢٩-٩٣١؛ الهلال، أغسطس ١٩٣٩، ١٠٤٩-١٠٦٣.
(١٣٤) ماذا استفاد الألمان من إبعاد اليهود؟"، الهلال، يوليو ١٩٣٩، ٩٤٤.
(١٣٥) "ليس اليهود جنسا"، الهلال، ديسمبر ١٩٣٨، ٢٢٥-٢٢٦.
(١٣٦) نفسه.
(١٣٧) نفسه.
(١٣٨) "اليهود وفلسطين"، الهلال، فبراير ١٩٣٩، ٤٧٩؛ وانظر أيضا الهلال، مارس ١٩٣٩، ٥٥٨-٦٠٠.
(١٣٩) افتتاحية "بين الإسلام واليهودية"، الرسالة، ١٢ ديسمبر ١٩٣٨، ٢٠٣٧.
(١٤٠) "شيلوك الحديث"، الثقافة، ٢١ مارس ١٩٣٩، ١-٣.
(١٤١) "القضية الفلسطينية على ضوء الكتاب الأبيض"، الثقافة، ٣٠ مايو ١٩٣٩، ١-٤.
(١٤٢) عبد الرحمن شكري، "مشكلة اليهود في العالم"، الرسالة، ٣١ يوليو ١٩٣٩، ١٤٨٥-١٤٨٧.
(١٤٣) نفسه، ١٤٨٦-١٤٨٧.

الفصل الخامس

(١) سلامة موسى، "موسوليني والحبشة"، المجلة الجديدة، أغسطس ١٩٣٥، ٣-٤؛ "الغازات والحرب"، المجلة الجديدة، ديسمبر ١٩٣٥، ٣٣-٣٨؛ "الفاشية والنازية"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٦، ٨٣-٨٤.
(٢) "سير الحوادث نحو عصبة الأمم"، المجلة الجديدة، أكتوبر ١٩٣٥، ٣. انظر أيضا الافتتاحيات "سير الحوادث"، المجلة الجديدة، أبريل ١٩٣٥، ٣؛ "إيطاليا والحبشة"، المجلة الجديدة، يوليو ١٩٣٥، ٥؛ "موسوليني والحبشة"، المجلة الجديدة، أغسطس ١٩٣٥، ٣-٤؛ "سير الحوادث" "العصبة وإيطاليا" و"الحل في الحبشة"، المجلة الجديدة، سبتمبر ١٩٣٥، ٣-٥؛ "سير الحوادث" و"نحو عصبة الأمم"، المجلة الجديدة، أكتوبر ١٩٣٥، ٣.
(٣) سلامة موسى، "الغازات والحرب"، المجلة الجديدة، ديسمبر ١٩٣٥، ٣٣-٣٨.
(٤) "توحش إيطاليا"، المجلة الجديدة، فبراير ١٩٣٦، ٥-٦.
(٥) "موسوليني والأمهات الحبشيات"، المجلة الجديدة، مايو ١٩٣٧، ٨٩-٩١.
(٦) "مستعمرات إيطاليا في البحر المتوسط"، المجلة الجديدة، أبريل ١٩٣٧، ٨٦-٨٧؛ "هجوم إيطاليا على مصر"، المجلة الجديدة، أغسطس ١٩٣٧، ٤-٥.
(٧) عباس محمود العقاد، "موسوليني: من السلام إلى الحرب"، الهلال، ديسمبر ١٩٣٥، ١٣٠-١٣٣.

(٨) عباس محمود العقاد، "البحر الأبيض المتوسط: محور للسياسة الأوروبية في الوقت الحاضر"، الهلال، فبراير ١٩٣٧، ٣٧٣-٣٧٦.

(٩) عباس محمود العقاد، "ساسة العالم: هل أفلحوا في توجيه سياسته؟"، الهلال، يوليو ١٩٣٧، ٩٦١-٩٦٤.

(١٠) نفسه؛ عباس محمود العقاد، "مواطن الخطر في أوروبا: من أين تأتي الحرب المقبلة؟"، الهلال، يناير ١٩٣٧، ٢٤١-٢٤٦.

(١١) عباس محمود العقاد، "ساسة العالم: هل أفلحوا في توجيه سياسته؟"، الهلال، يوليو ١٩٣٧، ٩٦٣-٩٦٤. انظر أيضا العقاد، "أثر الأجانب في نهضة مصر"، الهلال، يونيو ١٩٣٧، ٨٤١-٨٤٤؛ العقاد، "النظام الملكي في مصر"، الهلال، أغسطس ١٩٣٧، ١٠٨٦-١٠٨٩.

(١٢) محمد عبد الله عنان، "الصراع بين الحبشة والاستعمار الغربي"، الرسالة، ٢٤ ديسمبر ١٩٣٤، ٢٠٨٨-٢٠٩١.

(١٣) محمد عبد الله عنان، "مصر وماء النيل وحوادث الحبشة"، الرسالة، ٧ يناير ١٩٣٥، ٦-٩.

(١٤) أحمد حسن الزيات، "أساليب الاستعمار: قضية الحبشة ـ قضية الشرق وقضية الحرية"، الرسالة، ٥ أغسطس ١٩٣٥، ١٢٤١-١٢٤٢.

(١٥) نفسه.

(١٦) أحمد حسن الزيات، "مصر وعصبة جنيف"، الرسالة، ٩ سبتمبر ١٩٣٥، ١٤٤١-١٤٤٢.

(١٧) أحمد حسن الزيات، "خيبة المدنية"، الرسالة، ٢٨ أكتوبر ١٩٣٥، ١٧٢١-١٧٢٢. .

(١٨) محمد عبد الله عنان، "أحلام السلام وكيف انهارت في خمسة عشر عاما"، الرسالة، ٢١ أكتوبر ١٩٣٥، ١٦٨٧-١٦٨٩؛ دبلوماسي كبير [عنان]، "عصبة الأمم وتطبيق العقوبات: تحريم الحرب من الوجهة الدولية"، الرسالة، ٢١ أكتوبر ١٩٣٥، ١٧٢٨-١٧٣٠.

(١٩) دبلوماسي كبير [عنان]، "المأساة الفاشستية"، الرسالة، ١١ نوفمبر ١٩٣٥، ١٨٠٩-١٨١٠؛ دبلوماسي كبير [عنان]، "الصراع الحاسم بين الطغيان والديمقراطية"، الرسالة، ١٣ يوليو ١٩٣٦، ١١٢٩.

(٢٠) دبلوماسي كبير [عنان]، "المأساة الفاشستية"، الرسالة، ١١ نوفمبر ١٩٣٥، ١٨١٠-١٨١١؛ محمد عبد الله عنان، "أساليب الكفاح الدولي بين الأمس واليوم"، الرسالة، ١٧ فبراير ١٩٣٦، ٢٤٩-٣٥١؛ عنان، "المسألة الحبشية بين إيطاليا وإنكلترا"، الرسالة، ١١ مايو ١٩٣٦، ٧٦٧-٧٦٩؛ دبلوماسي كبير [عنان]، "بعد انهيار الحبشة: الخطر الفاشستي والصراع بين الفاشستية والإمبراطورية البريطانية"، الرسالة، ١ يونيو ١٩٣٦، ٨٨٧-٨٨٩؛ دبلوماسي كبير [عنان]، "خطر الفاشستية على سلام العالم ومشكلة البحر الأبيض المتوسط"، الرسالة، ٢٣ نوفمبر ١٩٣٦، ١٩١٠-١٩١٣.

(٢١) دبلوماسي كبير [عنان]، "المسألة الفاشستية"، الرسالة، ١١ نوفمبر ١٩٣٥، ١٨٠٩-١٨١١؛ دبلوماسي كبير [عنان]، "بعد انهيار الحبشة: الخطر الفاشستي والصراع بين الفاشستية والإمبراطورية البريطانية"، الرسالة، ١ يونيو ١٩٣٦، ٨٨٧-٨٨٩.

(٢٢) دبلوماسي كبير [عنان]، "خطر الفاشستية على سلام العالم ومشكلة البحر الأبيض المتوسط"، الرسالة، ٢٣ نوفمبر ١٩٣٦، ١٩١٠-١٩١٣؛ محمد عبد الله عنان، "تطور خطير في السياسة الدولية"، الرسالة، ٧ ديسمبر ١٩٣٦، ١٩٨٥-١٩٨٨؛ عنان، "طور جديد في تاريخ أوروبا السياسي"، الرسالة، ٢١ ديسمبر ١٩٣٦، ٢٠٦٣-٢٠٦٥. ٧

(٢٣) دبلوماسي كبير [عنان]، "مصر وإيطاليا: عبر الماضي دلائل الحاضر"، الرسالة، ٦ ديسمبر ١٩٣٧، ١٩٦٥-١٩٦٧.

(٢٤) محمد عبد الله عنان، "طور جديد في تاريخ أوروبا السياسي"، الرسالة، ٢١ ديسمبر ١٩٣٦، ٢٠٦-٢٠٦٥؛ وحول الموضوع نفسه، دبلوماسي كبير [عنان]، "عاصفة في الشرق الأقصى"، الرسالة، ٤ يناير ١٩٣٧، ٥-٧.

(٢٥) دبلوماسي كبير [عنان]، "الصراع الحاسم بين الطغيان والديمقراطية"، الرسالة، ١٣ يوليو ١٩٣٦، ١١٢٧-١١٢٩؛ دبلوماسي كبير [عنان]، "الحرب الأهلية الإسبانية صراع بين الطغيان والحرية"، الرسالة، ٩ نوفمبر ١٩٣٦، ١٨٣٣-١٨٣٥؛ دبلوماسي كبير [عنان]، "معركة المبادئ والنظم"، الرسالة، ٢٤ أغسطس ١٩٣٦، ١٣٦٥-١٣٦٧.

(٢٦) دبلوماسي كبير [عنان]، "إلام يسير العالم؟ طريق الحرب وطريق السلام"، الرسالة، ٨ نوفمبر ١٩٣٧، ١٨٠٤-١٨٠٦.

(٢٧) دبلوماسي كبير [عنان]، "الصراع الحاسم بين الطغيان والديمقراطية"، الرسالة، ١٣ يوليو ١٩٣٦، ١١٢٧-١١٢٩.

(٢٨) انظر تعليقات الجرديني في الهلال، أبريل ١٩٣٨، ٦٤٤-٦٤٨، والهلال، مايو ١٩٣٨، ٧٦٥-٧٦٧.

(٢٩) سامي الجرديني، "سجل الأيام"، الهلال، يوليو ١٩٣٨، ١٠١٠-١٠١٥.

(٣٠) "اتجاهات السياسة الحاضرة ـ الصراع بين جبهتين: الديمقراطية والفاشية"، الهلال، أغسطس ١٩٣٨، ١٠٨٩-١٠٩٢.

(٣١) أحمد حسن الزيات، "أسبوع محموم: بين الديمقراطية والديكتاتورية"، الرسالة، ٢٦ سبتمبر ١٩٣٨، ١٥٦١-١٥٦٢. .

(٣٢) نفسه.

(٣٣) إبراهيم المصري، "الديكتاتوريات تهدد الدول الديمقراطية"، الهلال، نوفمبر ١٩٣٨، ٣٦-٣٧.

(٣٤) "صوت من مقبرة تشيكوسلوفاكيا"، الرسالة، ٥ ديسمبر ١٩٣٩، ١٥٦٥-١٥٦٦.

(٣٥) "الثقافة في خدمة السياسة"، الرسالة، ٥ ديسمبر ١٩٣٨، ١٩٩٥.

(٣٦) سلامة موسى، "الدولة الجامعة والدولة الديمقراطية"، المجلة الجديدة، ديسمبر ١٩٣٨، ٦٥-٦٦.

(٣٧) نيقولا يوسف، "رجل الوطنية يدعو إلى الوحدة العالمية"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٨، ٣٥-٤٣.

(٣٨) "الصراع بين الديكتاتورية والديمقراطية"، الثقافة، ٣ يناير ١٩٣٩، ٨-١٢. لاستخدامات أخرى للتعبيرات في الثقافة، انظر عباس محمود العقاد، "العبرة بالخواتيم"، الثقافة، ٧ فبراير ١٩٣٩، ١-٤؛ "الموقف الدولي الحاضر"، الثقافة، ٩ مايو ١٩٣٩، ١-٥.

(٣٩) "الصراع بين الديكتاتورية والديمقراطية"، الثقافة، ٣ يناير ١٩٣٩، ٨.
(٤٠) نفسه، ٨-١٢.
(٤١) نفسه، ١٠-١٢.
(٤٢) نفسه، ١١-١٢.
(٤٣) "بعد انتصار فرانكو"، المجلة الجديدة، فبراير ١٩٣٩، ٣-٥.
(٤٤) عباس محمود العقاد، "أثر الأزمة الدولية على العالم العربي"، الهلال، يناير ١٩٣٩، ٢٥٧-٢٦٠.
(٤٥) إبراهيم المصري، "ألمانيا تزحف إلى الشرق"، الهلال، فبراير ١٩٣٩ان ٣٩٩-٤٠٣.
(٤٦) "سجل الأيام"، الهلال، مارس ١٩٣٩، ٥٢٤-٥٢٨.
(٤٧) نيقولا الحداد، "تجار الموت الذين يسوقون الشعوب إلى الحرب"، الهلال، مارس ١٩٣٩، ٥٣٧-٥٤٢.
(٤٨) محمد عوض محمد، "المأساة الإسبانية"، الثقافة، ٧ مارس ١٩٣٩، ١-٦.
(٤٩) "مسألة البحر الأبيض المتوسط"، الثقافة، ٤ أبريل ١٩٣٩، ١-٥.
(٥٠) "المأساة التشيكوسلوفاكية"، الثقافة، ٢٨ مارس ١٩٣٩، ١-٥.
(٥١) "ألمانيا الجديدة"، المجلة الجديدة، أبريل ١٩٣٩، ٣-٥.
(٥٢) "مصرع ألبانيا: محنة أمة صغيرة باسلة"، الثقافة، ١٨ أبريل ١٩٣٩، ١-٥ و٤٢.
(٥٣) محمد عوض محمد، "مصر وسط عواصف السياسة الدولية"، الثقافة، ٢٥ أبريل ١٩٣٩، ١-٥ و٤٤.
(٥٤) أحمد حسن الزيات، "اقتلوا الجوع تقتلوا الحرب"، الرسالة، ٢٤ أبريل ١٩٣٩، ٨٠٠.
(٥٥) "لا صداقة للإسلام مع الاستعمار"، الرسالة، ٢٩ مارس ١٩٣٩، ١٠٧٨. لتنويعات على هذا الموضوع في الرسالة، انظر الرسالة، ١٢ يونيو ١٩٣٩، ١١٧٢-١١٧٤؛ الرسالة، ٢٤ يوليو ١٩٣٩، ١٤٦٨-١٤٧٠؛ الرسالة، ٧ أغسطس ١٩٣٩، ١٥٦٥-١٥٦٧؛ الرسالة، ٢٨ أغسطس ١٩٣٩، ١٧١٠-١٧١١.
(٥٦) "الخلاف بين ألمانيا وبولونيا ومسألة دانزيج والمامير"، الثقافة، ١٦ مايو ١٩٣٩، ١-٤.
(٥٧) "الموقف الدولي الحاضر والسلام"، الثقافة، ٩ مايو ١٩٣٩، ١-٥.
(٥٨) "روسيا السوفيتية وجبهة مقاومة الاعتداء"، الثقافة، ١٣ يونيو ١٩٣٩، ١-٤.
(٥٩) نفسه.
(٦٠) إبراهيم المصري، "الموقف السياسي الأوروبي"، الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٤٥-٧٥٢.
(٦١) نفسه، ٧٤٧-٧٥٢.
(٦٢) "سحب في أفق أوروبا: توالي الحرب والسلام"، الثقافة، ١١ يوليو ١٩٣٩، ١-٤.
(٦٣) "بين الأمس واليوم: كيف يعيد التاريخ نفسه"، الثقافة، ١٥ أغسطس ١٩٣٩، ١-٤.
(٦٤) "قنبلة موسكو"، الثقافة، ٢٩ أغسطس ١٩٣٩، ١-٤.
(٦٥) انظر على سبيل المثال، المجلة الجديدة، ٣-٥، ٩٦-١٠٠؛ المجلة الجديدة، مايو ١٩٣٩، ٣-٨، ٧٧-٧٩؛ المجلة الجديدة، يونيو ١٩٣٩، ٨-٢١؛ المجلة الجديدة، أغسطس ١٩٣٩، ٤٠-٤٥.

(٦٦) "مكافحة التعطل في الولايات المتحدة"، المجلة الجديدة، مايو ١٩٣٩، ٣-٥؛ "ماهية الديمقراطية الأمريكية"، المجلة الجديدة"، يوليو، ١٩٣٩، ٤-٦.
(٦٧) المجلة الجديدة، مارس ١٩٣٩، ٣-٥؛ المجلة الجديدة، يونيو ١٩٣٩، ٣-١٠؛ المجلة الجديدة، أغسطس ١٩٣٩، ٣-٥، ٥٢-٥٥.
(٦٨) أحمد حسن الزيات، "اقتلوا الجوع"، الرسالة، ٢٤ أبريل ١٩٣٩، ٨٠٠.
(٦٩) "مسألة البحر الأبيض المتوسط"، الثقافة، ٤ أبريل ١٩٣٩، ١-٦.
(٧٠) نفسه، ٥-٦، الثقافة، ٢٥ أبريل ١٩٣٩، ١-٥، ٤٤؛ الثقافة، ٤ يوليو ١٩٣٩، ٣-٤.
(٧١) "الميثاق الفرنسي التركي والتوازن في شرقي الأبيض المتوسط"، الثقافة، ٤ يوليو ١٩٣٩، ١-٤.
(٧٢) الهلال، مارس ١٩٣٩، ٥٨٩-٥٩١؛ الهلال، مايو ١٩٣٩، ٦٥١-٦٥٦ و٧٠٩-٧١١؛ الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٧٢-٧٧٦.
(٧٣) محمد عوض محمد، "مصر وسط عواصف السياسة الدولية"، الثقافة، ٢٥ أبريل ١٩٣٩، ١-٥، ٤٤؛ "الميثاق الفرنسي التركي"، الثقافة، ٤ يوليو ١٩٣٩، ١-٤.
(٧٤) الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٧٢-٧٧٦؛ الهلال، يوليو ١٩٣٩، ٨٩٠-٨٩٢.
(٧٥) نيقولا الحداد، "السلم أرجح: بحث يثبت توافق الدول الديمقراطية"، الهلال، مايو ١٩٣٩، ٦٣٧-٦٤٢.
(٧٦) "المواقف الدولي الحاضر واحتمالات الحرب والسلام"، الثقافة، ٤ مايو ١٩٣٩، ١-٥.
(٧٧) الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٨٩٠-٨٩٢.
(٧٨) نفسه، ٨٩٢.
(٧٩) امتحان النظام الديمقراطي"، المجلة الجديدة، مارس ١٩٣٩، ٩٧-٩٨.
(٨٠) "الحرب"، المجلة الجديدة، أكتوبر ١٩٣٩، الغلاف.
(٨١) نيقولا يوسف، "عشرين سنة بين رسل السلام وزبانية الحرب"، المجلة الجديدة، أكتوبر ١٩٣٩، ١٧-٢٣.
(٨٢) نيقولا الحداد، الهلال، يوليو ١٩٣٦، ١٠١٤-١٠٢٠.
(٨٣) إبراهيم المصري، "الشباب وروح القوة"، الهلال، مايو ١٩٣٦، ٧٦٣-٧٦٨.
(٨٤) أحمد حسن الزيات، "من أحاديث الشباب: حول الديمقراطية"، الرسالة، ٢٦ ابريل، ١٩٣٧، ٦٨١-٦٨٢؛ أحمد حسن الزيات، "إلى الشباب: حول الديمقراطية أيضا"، الرسالة، ٣ مايو ١٩٣٧، ٧٢١-٧٢٢.
(٨٥) خليل هنداوي، "رسالة الشباب في الحاضر"، الرسالة، ٣١ مايو ١٩٣٧، ٩٠٧-٩٠٨.
(٨٦) عبد المجيد نافع، "الإسلام والديمقراطية"، الرسالة، ٧ يونيو ١٩٣٧، ٩٣٧-٩٤٠؛ نافع، الرسالة، ١٤ يونيو ١٩٣٧، ٩٨٢-٩٨٥.
(٨٧) سلامة موسى، المجلة الجديدة، أبريل ١٩٣٨، ٨٣-٨٤.
(٨٨) عبد الرحمن صدقي، "الجماهير كالأطفال"، الهلال، مايو ٢٩٣٨، ٧٨٠.
(٨٩) نفسه.

(٩٠) إبراهيم المصري، "لمن يكتب الكاتب في مصر: الجمهور لا يكترث للحركة الفكرية"، الهلال، يوليو ١٩٣٨، ٩٨٨-٩٩١؛ إبراهيم المصري، "الطبقة العالية في مصر وهل تؤدي واجبها نحو الشعب؟"، الهلال، مارس ١٩٣٩، ٥٠٧-٥١٠.

(٩١) عبد الرحمن صدقي، "الجماهير كالأطفال"، الهلال، مايو ١٩٣٨، ٧٧٩-٧٨٠؛ إبراهيم المصري، لمن يكتب الكاتب في مصر: الجمهور لا يكترث بالحركة الفكرية"، الهلال، يوليو ١٩٣٨، ٩٨٨-٩٩١.

(٩٢) طه حسين، "الديمقراطية والتعليم الأولي"، الهلال، يناير ١٩٣٩، ٢٤٤-٢٤٨. والنص من كتاب طه حسين "مستقبل الثقافة في مصر"، ٢٤٩. (القاهرة، ١٩٣٨)، ٩٤-١٠٢.

(٩٣) "امتحان النظام الديمقراطي"، المجلة الجديدة، مارس ١٩٣٩، ٩٧-٩٨؛ "شئون التعليم: التعليم والديمقراطية"، المجلة الجديدة، أبريل ١٩٣٩، ٧٦-٨٠.

(٩٤) عباس محمود العقاد، "مصير المذاهب الاجتماعية الحاضرة إذا وقعت الحرب"، الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٢٢١-٧٢٥.

(٩٥) نيقولا الحداد، "الديكتاتورية حمى عارضة لا خطر منها على الديمقراطية"، الهلال، يونيو ١٩٣٩، ٧٥٣-٧٥٨.

(٩٦) عبد الرزاق السنهوري، "التعبير عن رأي الأمة"، الهلال، أبريل ١٩٣٨، ٦٠١-٦٠٦؛ مايو ١٩٣٨، مايو ١٩٣٨، ٧٣٤-٧٣٩.

(٩٧) "الديمقراطية والإذاعة"، الرسالة، ١٩ يونيو ١٩٣٨، ١٢٢١.

(٩٨) نفسه.

(٩٩) عباس محمود العقاد، "إصلاح الصحافة"، ٢٨ نووفمبر ١٩٣٨، ١٩٢١-١٩٢٣.

(١٠٠) توفيق الحكيم، "هل فهم أدباؤنا المصريون حقيقة رسالتهم؟"، الثقافة، ٢٥ أبريل ١٩٣٩، ٩؛ انظر Israel Gershoni, “Confronting Nazism in Egypt: Tawfiq al-Hakim’s Anti-Totalitarianism, 1938–1945,” Tel Aviver Jahrbuch für deutsche Geschichte, 26 (1997), 121–150.

(١٠١) نيقولا يوسف، "رجل الوطنية يدعو إلى الوحدة الألمانية"، المجلة الجديدة، نوفمبر ١٩٣٨، ٣٥-٤٣.

(١٠٢) علي أدهم، "النزاع العالمي"، الهلال، ديسمبر ١٩٣٨، ١٦٥-١٦٨.

(١٠٣) سلامة موسى، "ثقافة بشرية أم ثقافة وطنية متعددة"، المجلة الجديدة، فبراير ١٩٣٩، ١٧-١٩.

(١٠٤) نفسه، ١٨-١٩.

(١٠٥) عباس محمود العقاد، "حكومة عالمية"، الهلال، مايو ١٩٣٩، ٦٠١-٦٠٤.

(١٠٦) إبراهيم المصري، "مذهب البشرية: بين الديمقراطية والفاشزم"، الهلال، يوليو ١٩٣٩، ٩٠٠-٩٠٥.

الجزء الثالث
المدخل

(١) انظر مدخل الجزء الثاني من "المجال العام والخطاب العام في مصر بين الحربين" لمناقشة تعبير "أفندي" و"أفندية".

(٢) انظر Gershoni and Jankowski, Redefining the Egyptian Nation, 1–31, and Deeb, Party Politics in Egypt, pas-sim. For a study of the phenomenon in another Arab country, see Michael Eppel, "The Elite, the Effendiyya, and the Growth of Nationalism and Pan-Arabism in Iraq, 1921– 1958," International Journal of Middle East Studies, 30 (1998), 227–250.

(٣) Mitchell, The Society of the Muslim Brothers، هي الدراسة الكلاسيكية لتاريخ الحركة المبكر. وقد أضيف إليها مؤخرا دراسة Brynjar Lia The Society of the Muslim Brothers in Egypt.

(4) See Jankowski, Egypt's Young Rebels: Ali Shalabi, Misr al-Fatah wa Dawruha fi al-Siyasa al-Misriyya (Cairo, 1982) .

(5) See Ahmed Abdalla, The Student Movement and National Politics in Egypt (Lon-don, 1985), 39–43; Haggai Erlich, Students and University in Twentieth Century Egyptian Politics (London, 1989), 95–123 .

(6) Erlich, Students, 123–133; James P. Jankowski, "The Egyptian Blue Shirts and the Egyptian Wafd, 1935–1938," Middle Eastern Studies, 6 (1970), 77–95 .

الفصل السادس

(١) بالإضافة إلى Mitchell's Society of the Muslim Brothers and Lia's Society of the Muslim Brothers in Egypt, see James Heyworth-Dunne, Religious and Politi cal Trends in Modern Egypt (Washington, 1950); I. M. Husaini, The Moslem Brethren: The Greatest of Mod-ern Islamic Movements (Beirut, 1956); Christina P. Harris, Nationalism and Revolution in Egypt: The Role of the Muslim Brotherhood (The Hague, 1964); Ramadan, Tatawwur, 1:279–330; Rif at al- Sa id, Hasan al-Banna: Mata . . . Kayfa . . . wa li Madha? (Cairo, 1977); Charles Wendell, Five Tracts of Hasan al-Banna' (1906–1949) (Berkeley, CA, 1978)؛ زكريا سليمان بيومي، الإخوان المسلمون والجامعة الإسلامية في حياة السياسة المصرية، ١٩٢٨-١٩٤٨ (القاهرة ١٩٧٩)، ٢٥٩-٣٠٦؛ عبد العظيم محمد رمضان،، دراسات في تاريخ مصر المعاصر (القاهرة ١٩٨١)، ٢٥٩- ٣٠٦. وانظر أيضا مذكرات حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية (القاهرة ١٩٤٣؟) والتي ترجمها M. N. Shaikh as تحت عنوان Memoirs of Hasan al-Banna Shaheed (Karachi, 1981).

(٢) انظر علـــى ســبيل المثـــال، For example, see Heyworth-Dunne, Trends, 23, 86 n. 20; Malcolm Halpern, The Politics of Social Change in the Middle East and North Africa (Princeton, NJ, 1963), 135– 136; Ramadan, Tatawwur, 1:307–315; Tareq Y. Ismael and Jacqueline S. Ismael, Govern-ment and Politics in Islam (London, 1985) , 77; Shimon Shamir, "The Influence of German National Socialism on Radical Movements in Egypt," in Germany and the Middle East, 1835–1939, ed. J. L. Wallach, 200–204 (Tel Aviv, Jihad and Jew-Hatred: Islamism, Nazism and ، 1976); most recently Matthias Küntzel the Roots of 9/11 (New York, 2007), 6–31.

(3) For these features, see Mitchell, Society of the Muslim Brothers, 163—294, and Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 161–197 (both of whom do not go so far as to characterize the movement as "fascist").

(٤) حسن البنا، "هل نحن قوم عمليون؟"، جريدة الإخوان المسلمبن، ١٩ جمادى الأولى، ١٣٥٣، كما ورد في بيومي، الإخوان المسلمون، ١٩٢-١٩٣.

(٥) نفسه، ١٩٢-١٩٥. كما يشير بيومي إلى نقد ورفض العقيدة الفاشية الموجود في نـــصوص الإخوان؛ انظر ١٩٤-١٩٧.

(6) See Gershoni and Jankowski, Redefining the Egyptian Nation, 79–96; Israel Ger-shoni, "Rejecting the West: The Image of the West in the Teachings of the Muslim Brotherhood, 1928– 1939," in Dann, The Great Powers in the Middle East, 1919–1939, 370–390 .

(٧) من بين الأعمال الأخرى، انظر: عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين (القاهرة، ١٩٨٠)؛ "،James Jankowski, "Egyptian Responses to the Palestine Problem in the Interwar Period International Journal of Middle East Studies, 12 (1980), 1–38; Thomas Mayer, Egypt and the Palestine Question, 1936–1945 (Berlin, 1983); Israel Gershoni, "The Muslim Brothers and the Arab Revolt in Palestine, 1936–1939," Middle Eastern Studies, 22 (1986), 367–397; Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 235–247; Abd Al-Fattah The Muslim Brothers and the Palestine Question, 1928–1947 ،Muhammad El-Awaisi (London, 1998) 34–101.

(8) Notes on Wilhelm Stellbogen," Oct. 23, 1939, FO, WO 208:502, as cited in Lia ،Society of the Muslim Brothers in Egypt, 179–180 .

(9) The Ikhwan al-Muslimin Reconsidered," Dec. 14, 1942, FO 141:838 as quoted in Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 176 .

(١٠) حسن البنا، دعوتنا، (القاهرة ١٩٣٧)، ١١-١٤.

(١١) نفسه، ١٤-١٥.

(١٢) حسن البنا، إلى أي شيء ندعو الناس؟ (القاهرة ١٩٣٦)، ٢٠-٣٠.

(١٣) البنا، دعوتنا، ١٥.
(١٤) نفسه، ١٧-١٨.
(١٥) نفسه، ١٨-١٩.
(١٦) نفسه، ١٩.
(١٧) حسن البنا، نحو النور (القاهرة ١٩٣٧)، ١١
(١٨) نفسه، ١٥.
(١٩) حسن البنا، "الإخوان المسلمون في عشر سنوات"، النذير، ١٧ ذو الحجة ١٣٥٧، ٣-٣٤؛ صدر فيما بعد في كتيب بعنوان رسالة المؤتمر الخامس (القاهرة ١٩٤٠).
(٢٠) الإخوان المسلمون في عشر سنوات"، ٢٦-٢٧.
(٢١) نفسه، ٣٢-٣٥.
(٢٢) نفسه، ٣٣-٣٤.
(٢٣) حسن البنا، "إلى الشباب"، النذير، ٥ ذو الحجة ١٣٥٨، ٩-١٣. صدر بعد ذلك في كتيب بعنوان "إلى الشباب" (القاهرة ١٩٤١). وتوسع البنا في هذه الموضوعات في خطابه الذي ألقاه في مقرات الإخوان بالقاهرة في ٤ أبريل ١٩٣٩، كما نشرت في النذير؛ انظر حسن البنا، "الخطاب الجامع الذي ألقاه فضيلة المرشد العام"، النذير، ٥ ذو الحجة (١٥ يناير ١٩٤٠)، ١-٧. ١٣٥٨
(٢٤) البنا، "إلى الشباب"، ٩-١٣.
(٢٥) محمد الغزالي، "الإخوان المسلمون ــ حقيقة الوطنية بين حضارات الغرب"، النذير، ٣ ربيع الثاني ١٣٥٨، ٦-٨.
(٢٦) نفسه.
(٢٧) صالح مصطفى عشماوي، "الكفر ملة واحدة والاستعمار ذل واحد"، النذير، ٢٩ محرم ١٣٥٨، ٣-٥.
(٢٨) نفسه، ٤-٥.
(٢٩) نفسه، ٥.

(30) Jankowski, Egypt's Young Rebels, 39–40 .

(31) Ibid., 40, 74–76 .

(٣٢) البنا، "الإخوان المسلمون في عشر سنوات"، ٣١-٣٢.
(٣٣) صالح مصطفى عشماوي، "الذين يريدون من الإخوان أن يتحدوا مع مصر الفتاة"، النذير، ١ جمادى الأولى ١٣٥٨، ١٠،٥.
(٣٤) عبد الحافظ محمد عبد الجواد، الإخوان المسلمون ومصر الفتاة"، النذير، ٨ رمضان ١٣٥٨، ٧-١٠. انظر أيضا بيومي، ٢٣٦-٢٤٤؛ رمضان، تطور، ٣٠٧-٣١٥.
(٣٥) النذير، ١٥ رمضان ١٣٥٧، كما ورد في Awaisi, Muslim Brothers and the Palestine Question, 70.
(٣٦) نفسه، ٧٠-٧١.

(٣٧) النذير، ذو الحجة ١٣٥٧، كما وردت في نفسه، ٧١.
(٣٨) نفسه، ٧٤-٧٥.
(٣٩) حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، كما وردت في El-Awaisi, Muslim Brothers and the Palestine Question, 6.
(٤٠) البنا، دعوتنا، ١٩.
(٤١) محمد الغزالي، "الإخوان المسلمون ــ حقيقة الوطنية بين حضارات الغرب"، النذير، ٣ ربيع الثاني ١٣٥٨، ٦-٨.
(42) El-Awaisi, Muslim Brothers and the Palestine Question, 7, 203 .
(٤٣) بيــومي، الإخـــوان المـــسلمون، ٣٣-٩٦؛ Heyworth-Dunne, Trends, 11–35; Mitchell, Society of the Muslim Brothers, 5–11; Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 29–30, 55–60, 163–165, 215–216.
(٤٤) محب الدين الخطيب، "وطن واحد، أمة واحدة، لغة واحدة"، الفتح، ٢٢ محرم ١٣٥٧، ٣-٤؛ الخطيب، "القومية العربية والقومية الألمانية"، الفتح، ٢٠ رجب ١٣٥٧، ٣-٤.
(٤٥) الخطيب، "وطن واحد، أمة واحدة، لغة واحدة"، ٣-٤.
(٤٦) الخطيب، "القومية العربية والقومية الألمانية"، ٤.
(٤٧) نفسه.
(٤٨) الخطيب، القومية العربية والقومية الألمانية"، ٤. انظر أيضا مقالاته "فراغ في حياة القومية العربية"، الفتح، ٢ جمادى الأولى ١٣٥٧، ٣-٤، و"تعاون الناطقين بالضاد فـــي عــشرين سنة"، الفتح، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٥٨، ٣-٤.
(٤٩) الخطيب، "وطن واحد، أمة واحدة، لغة واحدة"، ٣-٤.
(٥٠) محب الدين الخطيب، "مواقف الكتلتين الدوليتين من القومية العربية"، الفــتح، ٢ جمــادى الأولى ١٣٥٨، ٣-٤. انظر أيضا الخطيب، "تعاون العرب لإنقاذ قــوميتهم"، الفــتح، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٨، ٣-٤.
(٥١) البنا، "الإخوان المسلمون في عشر سنوات"، ٢١-٢٤.
(٥٢) حسن البنا، "كلمة الأسبوع"، النذير، ١٣ شوال ١٣٥٧، ٥.
(٥٣) نفسه، ٤-٥.
(٥٤) نفسه، ٣-٦.
(٥٥) نفسه، ٤.
(٥٦) البنا، "الإخوان المسلمون في عشر سنوات"، ٢١.
(٥٧) نفسه، ٢٢.
(٥٨) نفسه، ٢٢-٢٣؛ "في محيط الإخوان المسلمين"، النذير، ١ محرم ١٣٥٨، ٢٥-٢٦؛ صالح مصطفى عشماوي، "سياستنا"، النذير، ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٧، ٦.
(٥٩) البنا، "الإخوان المسلمون في عشر سنوات"، ١٩-٢١.
(٦٠) النذير، ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٧، ١٣-١٤.
(٦١) البنا، "الإخوان المسلمون في عشر سنوات"، ١٣-١٤.
(62) Discussed in Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 248–251 .

(63) See Jankowski, Egypt's Young Rebels, 37–43 .

(64) See Mitchell, Society of the Muslim Brothers, 17–18, and Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 247–256 .

(٦٥) [تقرير إجمالي خاص]، كما ورد في Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 253-254.

(٦٦) حسن البنا، "واجبات الإخوان في العادات واللباس والمنظر"، ورد في نفسه، ٢٥٥.

(67) Mitchell, Society of the Muslim Brothers, 22–23; Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 261–266 .

(68) Heyworth-Dunne, Trends, 39–41; Mitchell, Society of the Muslim Brothers, 6–27; Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 268–269 .

(69) Killearn to Eden, June 16, 1943, FO 371:35536, J 2855:2:16 .

(70) Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 172–177 .

(71) On this body, see ibid., 177–181; El-Awaisi, Muslim Brothers and the Palestine Question, 110–119; Mitchell, Society of the Muslim Brothers, 30–32 (who dates its inception later in the war .

(72) See Lia, Society of the Muslim Brothers in Egypt, 151–154 .

(73) Kellar to Loxley, July 19, 1943, FO 371:35536, J 3177:2:16 .

(٧٤) نفسه.

الفصل السابع

(١) لدراسات عن الحركة، انظر Jankowski, Egypt's Young Rebels; Shalabi، مصر الفتاة، رمضان، تطور، ١٧٥:١-٢٧٧؛ رفعت السعيد، أحمد حسين، كلمات ومواقف (القاهرة ١٩٧٩). أهم شهادات زعيم الحركة أحمد حسين هي سيرته الذاتية بعنوان "إيماني" (القاهرة ١٩٣٦)، الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٤٦)؛ حسين، مرافعات الرئيس أحمد حسين في عهد حكومة الوفد (القاهرة ١٩٣٨)؛ حسين، نصف قرن مع العروبة وقضية فلسطين (بيروت ١٩٧١).

(٢) للدراسات التي تتناول، كليا أو جزئيا، حركات الشباب والتأثير الفاشي في بلاد المشرق العربي الأخرى في الثلاثينيات، انظر Hanna Batatu, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements in Iraq (Princeton, NJ, 1978); John P. Entelis, Pluralism and Party Transformation in Lebanon: al-Kata ib, 1936–1970 (Leiden, 1974); Eppel, "The Elite, the E? endiyya," 227–250; Philip S. Khoury, Syria and the French Mandate: The Poli-tics of Arab Nationalism, 1920–1945 (Princeton, NJ, 1987); Reeva S. Simon, Iraq Between the Two World Wars: The Creation and Implementation of a Nationalist

Ideology (New York, 1986); Thompson, Colonial Citizens; Watenpaugh, Being Modern in the Middle East; Peter Wien, Iraqi Arab Nationalism: Authoritarian, Totalitarian, and Pro-Fascist Inclinations, 1932–1941 (New York, 2006); Meir Zamir, Lebanon's Quest: The Road to Statehood, 1926–1939 (New York, 1997); Labib Zuwiyya Yamak, The Syrian Social Nation-alist Party: An Ideological Analysis (Cambridge, MA, 1966); G?tz Nordbruch, Nazism in Syria and Lebanon: The Ambivalence of the German Option, 1933–1945 (London, 2009).

(٣) مجلة الصرخة، ٢١ أكتوبر ١٩٣٣، ٧.

(٤) نفسه.

(٥) الصرخة، ١٤ يناير ١٩٣٥، ٥.

(٦) نفسه.

(7) MSA, 14 Jan.1935, 2. For a similar statement from a speech of 1936, see Husayn, Imani (1946 ed.), 274–275 .

(٨) الصرخة، ٣١ مارس ١٩٣٤، ١٣.

(٩) سنناقش جملة حمادة ناهل في الثغرة، ٢٤ أبريل ١٩٣٧، ٨، فيما يلي.

(10) Stein Ugelvik Larsen, "Was There Fascism Outside Europe? Diffusion from Eu rope and Domestic Impulses," in Fascism Outside Eu rope, ed. Stein Ugelvik Larsen (New York, 2001), 727, 732 .

(11) U.S. National Archives, Microfi lm Series T-120 (Deutsches Auswärtiges Amt), roll 4873, L310544–L310545 .

(12) Discussed in Williams, Mussolini's Propaganda Abroad, 121–122, 131 .

(١٣) الأهرام، ٢٣ يونيو ١٩٣٦،٢.

(١٤) الأهرام، ٢٤ يونيو ١٩٣٦.

(١٥) نفسه، ١٠ أكتوبر ١٩٣٦، ١٠؛ حسين، مرافعات الرئيس، ١١٠-٢٨٤.

(١٦) جريدة مصر الفتاة، ١٢ أبريل ١٩٣٩، ٦.

(١٧) محمد صبيح، من العلمين (القاهرة ١٩٦٣)، ٢٣. عن "اتفاق الجنتلمان"، وأثره في تقليل الدعاية الإيطالية المعادية لبريطانيا في الشرق الأوسط في ١٩٣٨-١٩٣٩، انظر .

(18) A similar phenomenon has been observed for Iraq in the 1930s, where Peter Wien has noted that "Germany was only one reference for nationalists among others"; Wien, Iraqi Arab Nationalism, 2.

(١٩) فتحي رضوان، تاريخ غاندي (القاهرة ١٩٣٢)

(٢٠) من خطبة ١٩٣٥، كما وردت في "إيماني" (١٩٦٤ طبعة ثانية) ١٦٢١٦٣.

(٢١) فتحي رضوان "ديفاليرا" (القاهرة ١٩٣٧) ٦.

(٢٢) محمد صبيح "اليابان: بلاد الشمس المشرقة"، (القاهرة ١٩٣٧)، ٣.

(٢٣) جريدة مصر الفتاة، ١٤ أبريل ١٩٤٨، ٤.
(٢٤) جريدة مصر الفتاة، ١٨ يوليو ١٩٣٨، ٣.
(٢٥) من خطاب في مارس ١٩٣٦، كما ورد في حسين، "إيماني"، (طبعة ١٩٣٦) ٣١٥.
(٢٦) جريدة مصر الفتاة، ١٩ مارس ١٩٣٨، ٥.
(٢٧) نفسه.
(٢٨) مجلة الصرخة، ٣٠ ديسمبر ١٩٣٣، ٣.
(٢٩) مجلة الصرخة، ٢٥ أغسطس ١٩٣٤، ٥.
(٣٠) مجلة الصرخة، ٢٥ أغسطس ١٩٣٤، ٩.
(٣١) نفسه؛ نفسه، ١ سبتمبر ١٩٣٤، ٥؛ نفسه، ٨ سبتمبر ١٩٣٤، ٩.
(٣٢) الأهرام، ٢٧ سبتمبر ١٩٣٤، ٨؛ مجلة الصرخة، ٢٨ سبتمبر ١٩٣٤، ١٩٣٤، ٩.
(٣٣) حسين، مرافعات الرئيس، ١٢٨-١٣١؛ "إيماني" (١٩٤٦) ١٥٥.
(٣٤) البلاغ، ١٧ أغسطس ١٩٣٥، ٤.
(٣٥) افتتاحيات وادي النيل (يومية كانت تصدر في الإسكندرية ارتبطت بالحركة لفترة قصيرة في الثلاثينيات)، ١٠ يوليو ١٩٣٥ ، ١؛ ٢٤ يوليو ١٩٣٥، ١؛ ٨ أغسطس ١٩٣٥، ١؛ ٢٩ أغسطس ١٩٣٥، ١.
(٣٦) الأهرام، ٣ أكتوبر ١٩٣٥، ١.
(٣٧) مجلة الصرخة، ١٢ نوفمبر ١٩٣٥، ٤.
(٣٨) فتحي رضوان، موسوليني (القاهرة ١٩٣٧) ٤-٦.
(٣٩) نفسه، ١٥٧-١٦٠.
(٤٠) رضوان، ديفاليرا، ٣-٤.
(٤١) محمد صبيح، هتلر (القاهرة ١٩٣٧)، ٤-٨٨.
(٤٢) نفسه، ١٤٥-١٥٠.
(٤٣) نفسه، ١٤٥-١٥٠.
(٤٤) من مقابلة مع أحد قادة الجمعية لم يذكر اسمه مع مجلة اللطائف المصورة، ٢٩ يونيو ١٩٣٦، ٧.
(٤٥) مجلة الصرخة، ٢١ أكتوبر ١٩٣٣، ٥.
(٤٦) عن موقف مصر الفتاة من معاهدة ١٩٣٦، انظر الأهرام، ٦ سبتمبر ١٩٣٦، ١١؛ ٢٣ سبتمبر ١٩٣٦، ٩؛ ٢٦ أكتوبر ١٩٣٦، ١٠؛ ١ نوفمبر ١٩٣٦، ١٠؛ أحمد حسين، رأي جمعية مصر الفتاة في معاهدة سنة ١٩٣٦ (القاهرة ١٩٣٦).
(٤٧) مجلة الثغر، ٢٤ أبريل ١٩٣٧، ٨. يعلن المقال أن الآراء الواردة به لا تعبر عن موقف حزب مصر الفتاة.
(٤٨) نفسه.
(٤٩) رمضان، تطور، ١:٢٢٠-٢٢٧.
(٥٠) جريدة مصر الفتاة، ٣١ مارس ١٩٣٨، ١.

(٥١) مصر الفتاة، ٤ أبريل ١٩٣٨، ٢.
(٥٢) مصر الفتاة، ١٨ يوليو ١٩٣٨، ٥.
(٥٣) مصر الفتاة، ٢٤ يوليو ١٩٣٨، ١١.
(٥٤) نفسه.
(٥٥) مصر الفتاة، ١٤ أبريل ١٩٣٨، ٤.
(٥٦) مصر الفتاة، ٢٤ يناير ١٩٣٨، ١١.
(٥٧) مصر الفتاة، ١٤ أبريل ١٩٣٨، ٥.
(٥٨) نفسه.
(٥٩) مصر الفتاة، ٢١ فبراير ١٩٣٨، ٤.
(٦٠) مصر الفتاة، ١٤ مارس ١٩٣٨، ٣.
(٦١) مصر الفتاة، ٢٣ أغسطس ١٩٣٨، ١٣-١٤.
(٦٢) نفسه.
(٦٣) في مقابلته مع لافرو فاشيستا، كما يرد في مصر الفتاة، ١ أغسطس ١٩٣٨، ٢.
(٦٤) مصر الفتاة، ٢٣ أغسطس ١٩٣٨، ١٤-١٥.
(٦٥) نفسه، ١٥-١٦.
(٦٦) مصر الفتاة، ٧ مارس ١٩٣٨، ٨.
(٦٧) بدوي، سيرة حياتي، (بيروت ٢٠٠٠)، ١٨٦-١٤٩.
(٦٨) مصر الفتاة، ١ أبريل ١٩٣٨، ٤، ١٠؛ نفسه، ١١ أبريل ١٩٣٨، ٤و١٠؛نفسه، ٢ مايو ١٩٣٨، ١١،٤.
(٦٩) مصر الفتاة، ١ أغسطس ١٩٣٨، ٤.
(٧٠) مصر الفتاة، ١١ أغسطس ١٩٣٨، ٤.
(٧١) مصر الفتاة، ١٥ أغسطس ١٩٣٨، ٩،٤.
(٧٢) مصر الفتاة، ١ سبتمبر ١٩٣٨، ٥.
(٧٣) مصر الفتاة، ٨ سبتمبر ١٩٣٨، ٦.
(٧٤) مصر الفتاة، ٢٩أغسطس ١٩٣٨، ٤.
(٧٥) مصر الفتاة، ٢٩ أكتوبر ١٩٣٨، ٣؛ نفسه، ٣١ أكتوبر ١٩٣٨، ٣؛ نفسه، ٣ نوفمبر ١٩٣٨، ٦-٧.
(٧٦) مصر الفتاة، ١٥ يوليو ١٩٣٩، ١.
(٧٧) مصر الفتاة، ٢٩ يوليو ١٩٣٩، ٣،٥.
(٧٨) مصر الفتاة، ١٠ يوليو ١٩٣٩، ٩.
(٧٩) مصر الفتاة، ٧ أغسطس ١٩٣٩، ٢.
(80) See Jankowski, Egypt's Young Rebels, 39 .
(٨١) مصر الفتاة، ٢٧ يوليو ١٩٣٩، ١،٤.
(٨٢) مصر الفتاة، ٢٨ فبراير ١٩٣٨، ١.

(٨٣) مصر الفتاة، ١ أبريل ١٩٣٨، ٣،٧.
(٨٤) مصر الفتاة، ٢٩ يونيو ١٩٣٨، ٣.
(٨٥) مصر الفتاة، ٨ ديسمبر ١٩٣٨، ١١.
(٨٦) مصر الفتاة، ١٥ مايو ١٩٣٩، ٧.
(٨٧) مصر الفتاة، ١٤ مارس ١٩٣٨، ٢.
(٨٨) نفسه، ٣.
(٨٩) نفسه، ٣.
(٩٠) مصر الفتاة، ٢٦ سبتمبر ١٩٣٨، ٤.
(٩١) مصر الفتاة، ٢٩ سبتمبر ١٩٣٨، ١.
(٩٢) مصر الفتاة، ٢٤ سبتمبر ١٩٣٨، ٢.
(٩٣) مصر الفتاة، ٥ نوفمبر ١٩٣٨، ٥.
(٩٤) مصر الفتاة، ٨ أكتوبر ١٩٣٨، ٦.
(٩٥) مصر الفتاة، ١٠ أكتوبر ١٩٣٨، ٣.
(٩٦) للمحددات، انظر مصر الفتاة، ٢٩ سبتمبر ١٩٣٨، ٧؛ نفسه، ١ أكتوبر ١٩٣٨، ٤-٥؛ نفسه، ٨ أكتوبر ١٩٣٨، ٧؛ نفسه، ١٣ أكتوبر ١٩٣٨، ٩،٥،١.
(٩٧) مصر الفتاة، ٣ نوفمبر ١٩٣٨، ٣؛ نفسه، ١٠ نوفمبر ١٩٣٨، ٦؛ نفسه، ١٩ نوفمبر ١٩٣٨، ٤؛ نفسه، ٢٨ نوفمبر ١٩٣٨، ٥.
(٩٨) مصر الفتاة، ١٠ أبريل ١٩٣٩، ١.
(٩٩) مصر الفتاة، ١٢ أبريل ١٩٣٩، ٦.
(١٠٠) مصر الفتاة، ١٠ أبريل ١٩٣٩، ١.
(١٠١) مصر الفتاة، ١٢ أبريل ١٩٣٩، ٦.
(١٠٢) صدر خطاب حسين المفتوح إلى هتلر، بالعربية والفرنسية، في مصر الفتاة، ٦ يوليو ١٩٣٩، ١-٤. ونشر على هيئة كتيب، يحوي نصوصا بالعربية والإنجليزية، بعد الحرب:
Ahmed Hussein, Message to Hitler! (New York, 1947).
(١٠٣) نفسه، ٦.
(١٠٤) نفسه، ٨-٩.
(١٠٥) مصر الفتاة، ٣١ أغسطس، ٤،١.
(١٠٦) نفسه، ٥.
(١٠٧) مصر الفتاة، ٣١ أغسطس ١٩٣٩، ٣.
(١٠٨) مصر الفتاة، ٢ سبتمبر ١٩٣٩، ٣.
(١٠٩) مصر الفتاة، ٢٤ أغسطس ١٩٣٩، ١٢.
(١١٠) مصر الفتاة، ٢٨ أغسطس ١٩٣٩، ١.
(١١١) مصر الفتاة، ٢ سبتمبر ١٩٣٩، ٤.
(١١٢) مصر الفتاة، ١٣ سبتمبر ١٩٣٩، ٤.

(١١٣) مصر الفتاة، ١٥ يناير ١٩٤٠، ٣؛ نفسه، ٢٥ يناير ١٩٤٠، ٥؛ ٢ يناير ١٩٤١، ٨.
(١١٤) نشر البرنامج أولا في مصر الفتاة، ١٨ مارس ١٩٤٠، ٤-٨.
(115) See Lampson to Eden, Apr. 29, 1941, FO 407:225, 29–34; Cairo to Foreign Of -fice, May 27, 1941, FO 371:27429, J 1646:18:16; Lampson to Eden, June 2, 1941, FO 371:27431, J 1737:18:16; Lampson to Eden, Feb. 12, 1942, FO 403:466, 16237, 5–10 .
(116) Details in Lampson to Eden, June 7, 1941, 371:27431, J 1805:18:16; Lampson to Eden, June 17, 1941, FO 371:27431, J 2157:18:16; Lampson to Eden, July 23, 1941, FO 371:27431, J 2418:18:16; Husayn, Imani (1946 ed.), 323 أحمد حسين، وراء القضبان (القاهرة ١٩٤٩)، ٥-١٠.

الخاتمة

(١) انظر على سبيل المثال، Majid Khadduri, Indepen dent Iraq: A Study in Iraqi Politics Since 1932 (London, 1951), 127–205; Elie Kedourie, "Pan-Arabism and British Policy," in his The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies (London, 1970), 213–235; Kedourie, "The Kingdom of Iraq: a Retrospect," ibid., 236–285; Mohammad A. Tarbush، The Role of the Military in Politics: A Case Study of Iraq to 1941 (London, 1982); Phebe Marr, The Modern History of Iraq (Boulder, 1985); Marr, "The Development of Nationalist Ideology in Iraq, 1921–1941," The Muslim World, 75, no. 2 (1985), 85–101; Simon, Iraq Be-tween the Two World Wars; Walid Hamdi, Rashid Ali al-Gailani and the Nationalist Movement in Iraq, 1939–1941 (London, 1987); Liora Lukitz, Iraq: The Search for National Identity (London, 1995).

(٢) انظر على سبيل المثال، A. L. Tibawi, A Modern History of Syria Including Lebanon and Palestine (London, 1969), 363–378; Zuwiyya Yamak, The Syrian Social Nationalist Party; Itamar Rabinovich, "Germany and the Syrian Political Scene in the late 1930s," in Ger-many and the Middle East, 1835–1939, ed. J. L. Wallach, 191–198 (Tel Aviv, 1975); Khoury, Syria and the French Mandate, 395–580, 626–630; Miloš Mendel and Zdeněk Müller, "Fascist Tendencies in the Levant in the 1930s and 1940s," Archív Orientálni 55 (1987), 1–17; Zamir, Lebanon's Quest, 233– 239؛ شفيق جحا، الحركة العربية السرية: جماعة الكتاب الأحمر، ١٩٣٥-١٩٤٥ (بيروت ٢٠٠٤).

(٣) علي محافظة، العلاقات الألمانية الفلسطينية، ١٨٤١-١٩٤٥ (بيروت ١٩٨١)؛ Martin Kramer, the chapter entitled "Congresses of Collaboration: Islam and the Axis, 1938–1945," in his Islam Assembled: The Advent of the Muslim Congresses (New York, 1986), 157–165; Bernard Lewis, the chapter entitled "The Nazis and the Palestine Ques-

tion" in his Semites and Anti-Semites: An Inquiry into Confl ict and Prejudice (New York, 1986), 140–163; Philip Mattar, The Mufti of Jerusalem: Hajj Amin al-Husayni and the Pal-estinian National Movement (New York, 1988); Zvi Elpeleg, trans. by David Harvey, The Grand Mufti: Haj Amin al-Hussaini, Founder of the Palestinian National Movement (Lon-don, 1993)؛ عبد الرحمن عبد الغني، ألمانيا النازية وفلسطين، ١٩٣٣-١٩٤٥ (بيروت، ١٩٩٥)، ١٨٧-٤٠٥

؛Klaus-Michale Mallmann and Martin Cüppers, Halbmond und Hakenkreuz: Das Dritte Reich, die Araber und Palästina (Darmstadt, 2006); cf. Klaus Gensicke, Der Mufti von Jerusalem und die Nationalsozialisten: Eine politische Biographie Amin el-Husseinis (Darmstadt, 2007 .

(4) See E. Marston, "Fascist Tendencies in Pre-War Arab Politics: A Study of Three Arab Political Movements," Middle East Forum, 35 (1959), 19–35; Tillmann, Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg; Robert L. Melka, "The Axis and the Arab Middle East, 1930–1945," Ph.D. diss., University of Minnesota, 1966; Hirszowicz, The Third Reich and the Arab East; Be eri, Army O?cers in Arab Politics and Society; Schröder, Deutschland und der Mittlere Osten; Elie Kedourie, Politics in the Middle East (New York, 1992 .

(5) See, for example, Sylvia Haim, Arab Nationalism: An Anthology (Berkeley, CA, 1962), 36–72; Lewis, Semites and Anti- Semites, 140–163; Yehoshua Porath, In Search of Arab Unity (London, 1986 .

(6) The phrase is that of Francis Nicosia in his "Arab Nationalism and National Socialist Germany, 1933–1939: Ideological and Strategic Incompatibility," International Journal of Middle East Studies, 12 (1980), 351–372. See also Nicosia, The Third Reich and the Palestine Question (London, 1985); Wild, "National Socialism in the Arab Near East"; Francis R. Nicosia, "Fritz Grobba and the Middle East Policy of the Third Reich," in National and International Politics in the Middle East: Essays in Honour of Elie Kedourie, ed. Edward Ingram, 206–228 (London, 1986); Hillgruber, "The Third Reich and the Near and Middle East," 274–282 .

(7) For works in this vein, see Christoph Schumann, Radikalnationalismus in Syrien und Libanon: Politische Sozialisation und Elitenbildung, 1930–1958 (Hamburg, 2001); Schumann, "The Generation of Broad Expectations: Nationalism, Education, and Autobiography in Syria and Lebanon, 1930–1958," Die Welt des Islams, 41 (2001), 174–205; Schumann, "The Experience of Organized Nationalism: Radical Discourse and Political Socialization in Syria and Lebanon, 1930–1958," in From the Syrian Land to the State of

Syria, ed. Thomas Philipp and Christoph Schumann, 343–358 (Würzburg, 2004); Thompson, Colonial Citizens, 191–196; Keith David Watenpaugh, "Steel Shirts, White Badges and the Last Qabaday: Fascism, Urban Violence and Civic Identity in Aleppo Under French Rule," in France, Syrie et Liban, 1918–1946—les ambiguities et les dynamiques de la relation mandataire, ed. N. Méouchy, 325–347 (Damascus, 2003); Watenpaugh, Being Modern in the Middle East, 255–278 .

(8) Orit Bashkin, "Protecting Pluralism, 1931– 1945," in The Other Iraq: Pluralism and Culture in Hashemite Iraq (Stanford, CA, 2008), 52–86 ..

(9) Wien, Iraqi Arab Nationalism, 78, 113–115 .

(10) See Zamir, Lebanon's Quest, 84–233, 240–247; Eyal Zisser, "Writing a Constitu-tion: Constitutional Debates in Syria in the Mandate Period," in The Roots of Liberal Thought in the Eastern Mediterranean: Late 19th Century Until the 1960s, ed. Christoph Schumann, 195–215 (Leiden/Boston, 2008 .

(11) Manfred Sing, "Between Lights and Hurricanes: Sami al-Kayyali's Review al-Hadith as a Forum of Modern Arabic Literature and Liberal Islam," in The Middle East-ern Press as a Forum for Literature, ed. Horst Unbehaun, 119–141 (Frankfurt, 2004); Sing, "Illiberal Metamorphoses of a Liberal Discourse: The Case of Syrian Intellectual Sami al-Kayyali (1898–1972)," in Schumann, Roots of Liberal Thought, 293–322 .

(12) See Khoury, Syria and the French Mandate; Zamir, Lebanon's Quest; Thompson, Colonial Citizens; Kais M. Firro, Inventing Lebanon: Nationalism and the State under the Mandate (London, 2003).

(13) Discussed in Nordbruch, Nazism in Syria and Lebanon, 37–38, 138 .

(14) René Wildangel, Zwischen Achse und Mandatsmacht: Pal?stina und der National-sozialismus (Berlin, 2007). See also Mustafa Kabha, " 'My Enemy's Enemy— A Friend': Attitudes of the Palestinian National Movement Toward Fascism and Nazism, 1925– 1945," Zmanim, 17 (1999), 79–86 [Hebrew]; Mustafa Kabha, Writing Up a Storm: The Palestinian Press as Shaper of Public Opinion, 1929–1939 (London, 2007), 141–154, 252–254. Additional contributions to the new narrative concerning the entire Arab Middle East can be found in Gerhard H?pp, Peter Wien, and René Wildangel, eds., Blind für die Geschichte? Arabische Begegnungen mit dem Nationalsozialismus (Berlin, 2004.

(15) See Nordbruch, Nazism in Syria and Lebanon, 34–42, 68–70, 112–114, 123–126, 138–140; Götz Nordbruch, "Bread, Freedom, Independence—Opposition to Nazi Ger-many in Lebanon and Syria and the Struggle for a Just Order," in "Intellectual History in

Middle Eastern Studies," guest editors Amy Singer and Israel Gershoni, special issue Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East, 28, no. 3 (2008), 416–422 .

(16) Nordbruch, Nazism in Syria and Lebanon, 69–70, 79, 112–114, 123, 125–126, 139– 140; Nordbruch, "Bread, Freedom, Independence," 420–422 .

(١٧) رئيف خوري، "تقرير اللجنة التحضيرية في مؤتمر مكافحة الفاشستية"، الطليعة، مايو ١٩٣٩، ٣٥٨، كما ورد في Nordbruch, "Bread, Freedom, Indepen-dence," 421–422.

(18) Nordbruch, "Bread, Freedom, Independence." See also Nordbruch, "Defending the French Revolution during World War II: Raif Khoury and the Intellectual Chal-lenge of Nazism in the Levant," Mediterranean Historical Review, 21, no. 2 (Dec. 2006), 219–238 .

(١٩) خالد بكداش، العرب والحرب الأهلية في إسبانيا (دمشق ١٩٣٧)، ٣٣. ونشكر Götz Nordbruch على إتاحته هذا المصدر.

(20) Stanley Payne, A History of Fascism, 1914–1945 (Madison, WI, 1995), 352 .

(21) Ibid., 352–353 .

(22) Ibid., 352 .

(23) See the positive reaction to Küntzel's book in Jeffrey Goldberg, "Seeds of Hate," New York Times, Jan. 6, 2008; and Stephen Schwartz's enthusiastic review, The Weekly Standard, 013, no. 31 (Apr. 28, 2008). Schwartz goes as far as to claim that "the Muslim Brotherhood did [emphasis in original] become an open ally of Hitler in seeking en-hanced German influence in the Islamic world." In his foreword to the book, Jeffrey Herf endorses the book's conclusions about the Muslim Brothers, stating that "[i]n ideology and organization, it [the Egyptian Muslim Brothers] echoed themes of European fascism and Nazism" that "all created points of commonality with fascism and Nazism"; Mat-thias Kűntzel, Jihad and Jew-Hatred: Islamism, Nazism, and the Roots of 9/11 (New York, 2007), x .

(24) Kűntzel, Jihad and Jew-Hatred, xxiii .

(٢٥) نفسه، ٣.

(٢٦) نفسه، ٦-٦٠.

(٢٧) بتوصله إلى أن معاداة السامية المستلهمة من النازية مستمدة من ألمانيا النازية، يتجاهل العمل ما توصل إليه أحد مصادره الأساسية. فكما لاحظنا في الفصل السادس، لا تشير دراسة العويسي لنشاط الإخوان المسلمين الداعم للفلسطينيين والمعادي لليهود في أواخر الثلاثينيات إلى وجود تأثير للنازية على الإخوان المسلمين في تلك الفترة، ولا تحوي الكثير عن أصداء معاداة النازية المتجذرة والشاملة للسامية. واستنتاج العويسي المعتمد على مصادر أساسية، يستحق التنويه: "معاداة الجمعية لليهود لها جذورها في قراءة خاصة

للقرآن، وسنة النبي، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والتاريخ الحديث. ومع ذلك، تؤكد الجمعية على إمكانية التعايش السلمي مع اليهود، لولا أحداث فلسطين".

(28) Küntzel, 31–46 .

(٢٩) نفسه، ٣٧.

(٣٠) نفسه، ٢٥–٣٧.

(31) Banna, Da watuna, 19, as translated and quoted in Wendell, Five Tracts of Hasan Al-Banna , 54 .

(32) Kűntzel, 27–28, citing Edmund Cao-Van-Hoa, "Der Feind meines Feindes . . . ," Darstellungen des nationalsozialistischen Deutschland in ägyptischen Schriften (Frankfurt-am-Main, 1990), 98. The latter work, rather than demonstrating an ideological predisposi-tion toward Nazism on the part of Egyptians, presents certain Egyptian attitudes toward Nazi Germany as based on the tactical and instrumental "the-enemy- of-my-enemy-is-my-friend" grounds characteristic of the old narrative .

(33) Stanley Payne's admonition at the close of a chapter considering "Fascism Out-side Europe?" is pertinent: "Thus it seems that the full characteristics of Eu ropean fas-cism could not be reproduced on a significant scale outside Europe. . . . It is consequently doubtful that a typology derived from European fascism can be applied to non-European movements or regimes with full accuracy or specificity. . . . [F]ascism was a historical phenomenon primarily limited to Europe during the era of world wars." Payne, History of Fascism, 353–354 .

(34) Saul Friedländer, Nazi Germany and the Jews: The Years of Persecution, 1933–1939 (London, 1997), 73–112.

(35) Marc Bloch, The Historian's Craft (New York, 1953), 31. Marc Bloch was himself a victim of Nazis.

بيليوجرافيا

Archival Repositories and Collections

Bourne, Kenneth, D. Cameron Watt, and Michael Partridge, general eds. *British Documents on Foreign Affairs: Reports and Papers from the Foreign Office Confidential Print.* Pt. 2, ser. G, *Africa, 1914–1939: Egypt and the Sudan,* edited by Peter Woodward. 20 vols. Lanham, MD: University Publications of America, 1994–1995 [BDFA].

Great Britain. Public Record Office. Records of the Foreign Office [FO 371].

United States National Archives. Microfilm ser. T-120. *Deutsches Auswärtiges Amt.*

Egyptian Periodicals Consulted

al-Ahram
al-Balagh
al-Fath
al-Hilal
al-Ithnayn wa al-Dunya
Jaridat al-Ikhwan al-Muslimin
Jaridat Misr al-Fatah
al-Jihad
al-Majalla al-Jadida
Majallat al-Lata'if al-Musawwara
Majallat al-Sarkha
Majallat al-Thughr
al-Misri
al-Muqattam
al-Musawwar
al-Nadhir
al-Risala

Ruz al-Yusuf
al-Thaqafa

Arabic Books and Articles Cited

ʿAbd al-Ghayni, ʿAbd al-Rahman. *Almaniya al-Naziyya wa Filastin, 1933–1945*. Beirut, 1995.
ʿAbd al-Nasir, Jamal. *Falsafat al-Thawra*. Cairo, 1954. Translated as *The Philosophy of the Revolution*. Buffalo, 1959.
ʿAbd al-Rahman, ʿAwatif. *Misr wa Filastin*. Cairo, 1980.
ʿAtiq, Wajih. *Al-Jaysh al-Misri wa al-Alman fi Athna' Harb al-ʿAlamiyya al-Thaniyya*. Cairo, 1993.
———. *Al-Malik Faruq wa Almaniya al-Naziyya: Khams Sanawat min al-ʿAlaqat al-Sirriyya*. Cairo, 1992.
Badawi, ʿAbd al-Rahman. *Sirat Hayati*. 2 vols. Beirut, 2000.
al-Banna, Hasan. *Daʿwatuna*. Cairo, 1937.
———. *Ila al-Shabab*. Cairo, 1941.
———. *Ila Ayy Shay' Nadʿu al-Nas?* Cairo, 1936.
———. *Mudhakkirat al-Daʿwa wa al-Daʿiya*. Cairo, [1943?]. Translated by M. N. Shaikh as *Memoirs of Hasan al-Banna Shaheed*. Karachi, 1981.
———. *Nahwa al-Nur*. Cairo, 1937.
Bayumi, Zakariya Sulayman. *al-Ikhwan al-Muslimun wa al-Jamaʿat al-Islamiyya fi al-Hayat al-Siyasiyya al-Misriyya, 1928–1948*. Cairo, 1979.
Fu'ad, Niʿmat Ahmad. *Qimam Adabiyya: Dirasat wa Tarajim li Aʿlam al-Adab al-Misri al-Hadith*. Cairo, 1966.
Haykal, Muhammad Husayn. *Mudhakkirat fi al-Siyasa al-Misriyya*. 2 vols. Cairo, 1951, 1953.
Husayn, Ahmad. *Imani*. Cairo, 1936. 2d ed., Cairo, 1946.
———. *Murafaʿat al-Ra'is Ahmad Husayn fi ʿAhd Hukumat al-Wafd*. Cairo, 1938.
———. *Nisf Qarn Maʿa al-ʿUruba wa Qadiyyat Filastin*. Beirut, 1971.
———. *Ra'y Jamʿiyyat Misr al-Fatah fi Muʿahadat Sanat 1936*. Cairo, 1936.
———. *Wara' al-Qudban*. Cairo, 1949.
Husayn, Taha. *Mustaqbal al-Thaqafa fi Misr*. Cairo, 1938.
Jaha, Shafiq. *al-Haraka al-ʿArabiyya al-Sirriyya: Jamaʿat al-Kitab al-Ahmar, 1935–1945*. Beirut, 2004.
al-Jundi, Anwar. *al-Maʿarik al-Adabiyya fi al-Shiʿr wa al-Nathr wa al-Thaqafa wa al-Lugha wa al-Qawmiyya al-ʿArabiyya*. Cairo, 1961.
———. *al-Maʿarik al-Adabiyya fi Misr, 1914–1939*. Cairo, 1983.
Muhafaza, ʿAli. *al-ʿAlaqat al-Almaniyya al-Filastiniyya 1841–1945*. Beirut, 1981.
Muhammad, Muhammad Sayyid. *al-Zayyat wa al-Risala*. Riyadh, 1982.
Musa, Salama. *al-Dunya baʿda Thalathin Sana*. Cairo, 1936.
al-Nahhas, Mustafa. *Mudhakkirat Mustafa al-Nahhas: Rabʿ Qarn min al-Siyasa fi Misr, 1927–1952*. Edited by Ahmad ʿIzz al-Din. 2 vols. Cairo, 2000.

Radwan, Fathi. *Difalira*. Cairo, 1937.
———. *Musulini*. Cairo, 1937.
———. *Ta'rikh Ghandi*. Cairo, 1932.
al-Rafi'i, 'Abd al-Rahman. *Fi A'qab al-Thawra al-Misriyya*. 3 vols. Cairo, 1947–1951.
Ramadan, 'Abd al-'Azim Muhammad. *Dirasat fi Ta'rikh Misr al-Mu'asir*. Cairo, 1981.
———. *al-Sira' bayna al-Wafd wa al-'Arsh, 1936–1939*. Cairo, 1979.
———. *Tatawwur al-Haraka al-Wataniyya fi Misr, 1937–1948*. 2 vols. Cairo, 1972.
al-Sadat, Anwar. *Asrar al-Thawra al-Misriyya*. Cairo, 1957. Translated as *Revolt on the Nile*. New York, 1957.
———. *In Search of Identity: An Autobiography*. New York, 1977.
———. *Qissat al-Thawra Kamilatan*. Cairo, 1956.
al-Sa'id, Rif'at. *Ahmad Husayn: Kalimat wa Mawaqif*. Cairo, 1979.
———. *Hasan al-Banna: Mata . . . Kayfa . . . wa li Madha?* Cairo, 1977.
Shalabi, 'Ali. *Misr al-Fatah wa Dawruha fi al-Siyasa al-Misriyya, 1933–1941*. Cairo, 1982.
Subayh, Muhammad. *Hitlar*. Cairo, 1937.
———. *Min al-'Alamayn*. Cairo, 1963.
———. *al-Yaban: Bilad al-Shams al-Mushriqa*. Cairo, 1937.

Cited Books and Articles in Other Languages

Abdalla, Ahmed. *The Student Movement and National Politics in Egypt*. London, 1985.
American Christian Palestine Committee. *The Arab War Effort: A Documented Account*. New York, [1946?].
Arielli, Nir. "Fascist Italy in the Middle East, 1935–1940." Ph.D. dissertation, University of Leeds, March 2008.
Ayalon, Ami. "Egyptian Intellectuals Versus Fascism and Nazism in the 1930s." In *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, edited by Uriel Dann, 391–404. New York, 1988.
———. *The Press in the Arab Middle East: A History*. New York, 1995.
Baker, Keith Michael. "Politics and Public Opinion under the Old Regime: Some Reflections." In *Press and Politics in Pre-Revolutionary France*, edited by Jack R. Censer and Jeremy D. Popkin, 204–246. Berkeley, CA, 1987.
Bashkin, Orit. *The Other Iraq: Pluralism and Culture in Hashemite Iraq*. Stanford, CA, 2008.
Batatu, Hanna. *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements in Iraq*. Princeton, NJ, 1978.
Be'eri, Eliezer. *Army Officers in Arab Politics and Society*. New York, 1970.
Berque, Jacques. *Egypt: Imperialism and Revolution*. London, 1972.
Bloch, Marc. *The Historian's Craft*. New York, 1953.
Brugman, J. *An Introduction to the History of Modern Arabic Literature in Egypt*. Leiden, 1984.
Calhoun, Craig, ed. *Habermas and the Public Sphere*. Cambridge, MA, 1992.
Cao-Van-Hoa, Edmond. *"Der Feind meines Feindes . . ." Darstellungen des nationalsozialistischen Deutschland in ägyptischen Schriften*. Frankfurt-am-Main, 1990.

Ciano, Galeazzo. *Diary, 1937–1943*. New York, 2002.
Coury, Ralph. "Who 'Invented' Egyptian Arab Nationalism?" *International Journal of Middle East Studies*, 14 (1982), 249–281, 459–479.
Cowan, Brian. "Mr. Spectator and the Coffeehouse Public Sphere." *Eighteenth Century Studies*, 37, no. 3 (2004), 345–366.
Deeb, Marius. *Party Politics in Egypt: The Wafd and Its Rivals, 1919–1939*. London, 1979.
Edgar, Andrew. *The Philosophy of Habermas*. Montreal, 2005.
Egger, Vernon. *A Fabian in Egypt: Salamah Musa and the Rise of the Professional Classes in Egypt, 1909–1939*. Lanham, MD, 1986.
El-Awaisi, Abd Al-Fattah Muhammad. *The Muslim Brothers and the Palestine Question, 1928–1947*. London, 1998.
Elpeleg, Zvi. *The Grand Mufti: Haj Amin al-Hussaini, Founder of the Palestinian National Movement*. Translated by David Harvey. London, 1993.
Entelis, John P. *Pluralism and Party Transformation in Lebanon: al-Kata'ib, 1936–1970*. Leiden, 1974.
Eppel, Michael. "The Elite, the *Effendiyya*, and the Growth of Nationalism and Pan-Arabism in Hashemite Iraq, 1921–1958." *International Journal of Middle East Studies*, 30 (1998), 227–250.
Eppler, John W. *Rommel Ruft Kairo: Aus dem Tagesbuch eines Spions*. Gutersloh, 1959.
Erlich, Haggai. "Periphery and Youth: Fascist Italy and the Middle East." In *Fascism Outside Europe*, edited by Stein Ugelvik Larsen, 393–423. New York, 2001.
———. *Students and University in Twentieth Century Egyptian Politics*. London, 1989.
Firro, Kais M. *Inventing Lebanon: Nationalism and the State Under the Mandate*. London, 2003.
Fraser, Nancy. "Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy." In *Habermas and the Public Sphere*, edited by Craig Calhoun, 109–142. Cambridge, MA, 1992.
Friedländer, Saul. *Nazi Germany and the Jews: The Years of Persecution, 1933–1939*. London, 1997.
Gensicke, Klaus. *Der Mufti von Jerusalem und die Nationalsozialisten: Eine politische Biographie Amin el-Husseinis*. Darmstadt, 2007.
Gershoni, Israel. "Confronting Fascism in Egypt: Tawfiq al-Hakim's Anti-Totalitarianism, 1938–1945." *Tel Aviver Jahrbuch für deutsche Geschichte*, 26 (1997), 121–150.
———. "Egyptian Liberalism in an Age of 'Crisis of Orientation': *al-Risala's* Reaction to Fascism and Nazism, 1933–1939." *International Journal of Middle East Studies*, 31 (1999), 551–576.
———. *Light in the Shade: Egypt and Fascism, 1922–1937*. Tel Aviv, 1999 [in Hebrew].
———. "The Muslim Brothers and the Arab Revolt in Palestine, 1936–1939." *Middle Eastern Studies*, 22 (1986), 367–397.
———. "Rejecting the West: The Image of the West in the Teachings of the Muslim Brotherhood, 1928–1939." In *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, edited by Uriel Dann, 270–290. New York, 1988.

Gershoni, Israel, and James Jankowski. *Redefining the Egyptian Nation, 1930–1945*. Cambridge, UK, 1995.
Göçek, Fatma Müge, ed. *Political Cartoons in the Middle East*. Princeton, NJ, 1998.
Gross, Alan G. "Habermas, Systematically Distorted Communication, and the Public Sphere." *Rhetoric Society Quarterly*, 36, no. 3 (2006), 309–330.
Habermas, Jürgen. "The Public Sphere." *New German Critique*, 3 (1974), 49–55.
———. *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*. Translated by Thomas Burger. Cambridge, MA, 1989. First published in German, 1962.
Haim, Sylvia G. *Arab Nationalism: An Anthology*. Berkeley, CA, 1962.
Halpern, Malcolm. *The Politics of Social Change in the Middle East and North Africa*. Princeton, NJ, 1963.
Hamdi, Walid. *Rashid Ali al-Gailani and the Nationalist Movement in Iraq, 1939–1941*. London, 1987.
Harris, Christina P. *Nationalism and Revolution in Egypt: The Role of the Muslim Brotherhood*. The Hague, 1964.
Heyworth-Dunne, James. *Religious and Political Trends in Modern Egypt*. Washington, DC, 1950.
Hillgruber, Andreas. "The Third Reich and the Near and Middle East, 1933–1939." In *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, edited by Uriel Dann, 274–282. New York, 1988.
Hirszowicz, Lukasz. *The Third Reich and the Arab East*. London, 1966.
Hoexter, Miriam, Shmuel N. Eisenstadt, and Nehemia Levtzion, eds. *The Public Sphere in Muslim Societies*. Albany, NY, 2002.
Holub, Robert C. *Jurgen Habermas: Critic in the Public Sphere*. London, 1991.
Höpp, Gerhard, Peter Wien, and René Wildangel, eds. *Blind für die Geschichte? Arabische Begegnungen mit dem Nationalsozialismus*. Berlin, 2004.
Hourani, Albert. *Arabic Thought in the Liberal Age, 1798–1939*. Oxford, 1962.
Husaini, I. M. *The Moslem Brethren: The Greatest of Modern Islamic Movements*. Beirut, 1956.
Hussein, Ahmed [Ahmad Husayn]. *Message to Hitler!* New York, 1947.
Ismael, Tareq Y. and Jacqueline S. *Government and Politics in Islam*. London, 1985.
Jankowski, James. "The Egyptian Blue Shirts and the Egyptian Wafd, 1935–1938." *Middle Eastern Studies*, 6 (1970), 77–95.
———. "Egyptian Regional Policy in the Wake of the Anglo-Egyptian Treaty of 1936: Arab Alliance or Islamic Caliphate?" In *Britain and the Middle East in the 1930s: Security Problems, 1935–39*, edited by Michael J. Cohen and Martin Kolinsky, 81–97. London, 1992.
———. Egyptian Responses to the Palestine Problem in the Interwar Period." *International Journal of Middle East Studies*, 12 (1980), 1–38.
———. *Egypt's Young Rebels: "Young Egypt," 1933–1952*. Stanford, CA, 1975.
———. "The Government of Egypt and the Palestine Question, 1936–1939." *Middle Eastern Studies*, 17 (1981), 427–453.

Kabha, Mustafa. "'My Enemy's Enemy—A Friend': Attitudes of the Palestinian National Movement towards Fascism and Nazism, 1925–1945." *Zmanim*, 17 (1999) 79–86 [in Hebrew].
———. *Writing Up a Storm: The Palestinian Press as a Shaper of Public Opinion, 1929–1939*. London, 2007.
Kedourie, Elie. "Egypt and the Caliphate, 1915–52." In *The Chatham House Version and Other Middle-Eastern Studies*, 177–212. London, 1970.
———. "The Kingdom of Iraq: A Retrospect." In *The Chatham House Version and Other Middle-Eastern Studies*, 236–285. London, 1970.
———. "Pan-Arabism and British Policy." In *The Chatham House Version and Other Middle-Eastern Studies*, 213–235. London, 1970.
———. *Politics in the Middle East*. New York, 1992.
Khadduri, Majid. *Independent Iraq: A Study in Iraqi Politics Since 1932*. London, 1951.
Khoury, Philip S. *Syria and the French Mandate: The Politics of Arab Nationalism, 1920–1945*. Princeton, NJ, 1987.
Kirk, George. *Survey of International Affairs, 1939–1946*. Vol. 2, *The Middle East in the War*. London, 1952.
Kramer, Martin. *Islam Assembled: The Advent of the Muslim Congresses*. New York, 1986.
Küntzel, Matthias. *Jihad and Jew-Hatred: Islamism, Nazism, and the Roots of 9/11*. New York, 2007.
Lacouture, Jean. *Nasser: A Biography*. New York, 1973.
Lacouture, Jean and Simonne. *Egypt in Transition*. 1956. Reprint, New York, 1958.
Larsen, Stein Ugelvik. "Was There Fascism Outside Europe? Diffusion from Europe and Domestic Impulses." In *Fascism Outside Europe*, edited by Stein Ugelvik Larsen, 705–818. New York, 2001.
Lewis, Bernard. *Semites and Anti-Semites: An Inquiry Into Conflict and Prejudice*. New York, 1986.
Lia, Brynjar. *The Society of the Muslim Brothers in Egypt: The Rise of an Islamic Mass Movement, 1928–1942*. Reading, UK, 1998.
Lukitz, Liora. *Iraq: The Search for National Identity*. London, 1995.
MacDonald, Callum A. "Radio Bari: Italian Wireless Propaganda in the Middle East and British Countermeasures." *Middle Eastern Studies*, 13 (1977), 195–207.
Maghraoui, Abdeslam M. *Liberalism Without Democracy: Nationhood and Citizenship in Egypt, 1922–1936*. Durham, NC, 2006.
Mallmann, Klaus-Michale, and Martin Cüppers. *Halbmond und Hakenkreuz: Das Dritte Reich, die Araber und Palästina*. Darmstadt, 2006.
Mansfield, Peter. *Nasser's Egypt*. Baltimore, 1965.
Marr, Phebe. "The Development of Nationalist Ideology in Iraq, 1921–1941," *The Muslim World*, 75, no. 2 (1985), 85–101.
———. *The Modern History of Iraq*. Boulder, CO, 1985.

Marsot, Afaf Lutfi al-Sayyid. "The Cartoon in Egypt." *Comparative Studies in Society and History*, 13 (Jan. 1971), 2–15.

———. *Egypt's Liberal Experiment, 1922–1936.* Berkeley, CA, 1977.

Marston, E. "Fascist Tendencies in Pre-War Arab Politics: A Study of Three Arab Political Movements." *Middle East Forum*, 35 (1959), 19–35.

Mattar, Philip. *The Mufti of Jerusalem: Hajj Amin al-Husayni and the Palestinian National Movement.* New York, 1988.

Matthews, Weldon C. *Confronting an Empire, Constructing a Nation: Arab Nationalism and Popular Politics in Mandate Palestine.* London, 2006.

Mayer, Thomas. *Egypt and the Palestine Question, 1936–1945.* Berlin, 1983.

McKeon, Michael. "Parsing Habermas' 'Bourgeois Public Sphere.'" *Criticism*, 46, no. 2 (2004), 273–277.

Melka, Robert L. "The Axis and the Arab Middle East, 1930–1945." Ph.D. dissertation, University of Minnesota, 1966.

Mendel, Miloš, and Zdeněk Müller. "Fascist Tendencies in the Levant in the 1930s and 1940s." *Archiv Orientální*, 55 (1987), 1–17.

Mitchell, Richard. *The Society of the Muslim Brothers.* London, 1969.

Musa, Salama. *The Education of Salama Musa.* Translated by L. O. Schuman. Leiden, 1961.

Nation Associates, The. *The Record of Collaboration of King Farouk of Egypt with the Nazis and Their Ally, the Mufti.* New York, 1948.

Nicosia, Francis. "Arab Nationalism and National Socialist Germany, 1933–1939: Ideological and Strategic Incompatibility." *International Journal of Middle East Studies*, 12 (1980), 351–372.

———. "Fritz Grobba and the Middle East Policy of the Third Reich." In *National and International Politics in the Middle East: Essays in Honour of Elie Kedourie*, edited by Edward Ingram, 206–228. London, 1986.

———. *The Third Reich and the Palestine Question.* London, 1985.

Norbrook, David. "Women, the Republic of Letters, and the Public Sphere in the Mid-Seventeenth Century." *Criticism*, 46, no. 2 (2004), 223–240.

Nordbruch, Götz. "Bread, Freedom, Independence: Opposition to Nazi Germany in Lebanon and Syria and the Struggle for a Just Order." In "Intellectual History in Middle Eastern Studies," guest editors Amy Singer and Israel Gershoni, special issue, *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, 28, no. 3 (2008), 416–422.

———. "Defending the French Revolution During World War II: Raif Khoury and the Intellectual Challenge of Nazism in the Levant." *Mediterranean Historical Review*, 21, no. 2 (2006), 219–238.

———. *Nazism in Syria and Lebanon: The Ambivalence of the German Option, 1933–1945.* London, 2009.

"Note sur la presse égyptienne et la presse palestinienne à la fin de 1944." *Cahiers de l'Orient contemporaine*, 1 (1944–1945), 124–127.

Nutting, Anthony. *Nasser.* New York, 1972.

Pask, Kevin. "The Bourgeois Public Sphere and the Concept of Literature." *Criticism*, 46, no. 2 (2004), 241–256.

Payne, Stanley. *A History of Fascism, 1914–1945*. Madison, WI, 1995.

Philipp, Thomas. *Gurgi Zaydan: His Life and Thought*. Beirut, 1979.

Porath, Yehoshoa. *In Search of Arab Unity, 1930–1945*. London, 1986.

Rabinovich, Itamar. "Germany and the Syrian Political Scene in the late 1930s." In *Germany and the Middle East, 1835–1939*, edited by J. L. Wallach, 191–198. Tel Aviv, 1975.

Ryzova, Lucie. *L'effendiyya ou la modernité contestée*. Cairo, 2004.

———. "Egyptianizing Modernity through the 'New Effendiya': Social and Cultural Constructions of the Middle Class in Egypt Under the Monarchy." In *Re-Envisioning Egypt, 1919–1952*, edited by Arthur Goldschmidt, Amy J. Johnson, and Barak A. Salmoni, 124–163. Cairo, 2005.

Sachar, Howard Morley. *Europe Leaves the Middle East, 1936–1954*. New York, 1972.

Safran, Nadav. *Egypt in Search of Political Community*. Cambridge, MA, 1961.

Sansom, Alfred William. *I Spied Spies*. London, 1965.

Schröder, Bernd Philipp. *Deutschland und der Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg*. Göttingen, 1975.

Schumann, Christoph. "The Generation of Broad Expectations: Nationalism, Education, and Autobiography in Syria and Lebanon, 1930–1958." In *From the Syrian Land to the States of Syria and Lebanon*, edited by Thomas Philipp and Christoph Schumann, 342–358. Würzburg, 2004.

———, ed. *Liberal Thought in the Eastern Mediterranean: Late 19th Century Until the 1960s*. Leiden/Boston, 2008.

———. *Radikalnationalismus in Syrien und Libanon: Politische Sozialisation und Elitenbildung, 1930–1958*. Hamburg, 2001.

Segré, Claudio G. "Liberal and Fascist Italy in the Middle East, 1919–1939: The Elusive White Stallion." In *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, edited by Uriel Dann, 199–212. New York, 1988.

Shamir, Shimon. "The Influence of German National Socialism on Radical Movements in Egypt." In *Germany and the Middle East, 1835–1939*, edited by J. L. Wallach, 200–209. Tel Aviv, 1976.

Simon, Reeva S. *Iraq Between the Two World Wars: The Creation and Implementation of a Nationalist Ideology*. New York, 1986.

Sing, Manfred. "Between Lights and Hurricanes: Sami al-Kayyali's Review *al-Hadith* as a Forum of Modern Arabic Literature and Liberal Islam." In *The Middle Eastern Press as a Forum for Literature*, edited by Horst Unbehaun, 119–141. Frankfurt, 2004.

———. "Illiberal Metamorphoses of a Liberal Discourse: The Case of Syrian Intellectual Sami al-Kayyali (1898–1972)." In *Liberal Thought in the Eastern Mediterranean: Late 19th Century Until the 1960s*, edited by Christoph Schumann, 293–322. Leiden/Boston, 2008.

Smith, Charles D. "The 'Crisis of Orientation': The Shift of Egyptian Intellectuals to Islamic Subjects in the 1930s." *International Journal of Middle East Studies*, 4 (1973), 382–410.

———. *Islam and the Search for Social Order in Modern Egypt: A Biography of Muhammad Husayn Haykal.* Albany, NY, 1983.

Somers, Margaret R. "What's Political or Cultural about Political Culture and the Public Sphere? Toward an Historical Sociology of Concept Formation." *Sociological Theory*, 13, no. 2 (1995), 113–144.

Steffens, Hans von. *Salaam: Geheimcommando zum Nil, 1942.* Neckargemund, Germany, 1960.

Stephens, Robert. *Nasser: A Political Biography.* New York, 1972.

St. John, Robert. *The Boss: The Story of Gamal Abdel Nasser.* New York, 1960.

Tarbush, Mohammad A. *The Role of the Military in Politics: A Case Study of Iraq to 1941.* London, 1982.

Thompson, Elizabeth. *Colonial Citizens: Republican Rights, Paternal Privilege, and Gender in French Syria and Lebanon.* New York, 2000.

Tibawi, A. L. *A Modern History of Syria Including Lebanon and Palestine.* London, 1969.

Tillmann, Heinz. *Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg.* Berlin, 1965.

Tripp, Charles. "Ali Mahir and the Politics of the Egyptian Army, 1936–1942." In *Contemporary Egypt: Through Egyptian Eyes. Essays in Honour of P. J. Vatikiotis*, edited by Charles Tripp, 45–71. London, 1993.

Vatikiotis, P. J. *The Modern History of Egypt.* New York, 1969.

———. *Nasser and His Generation.* New York, 1978.

Vaucher, Georges. *Gamal Abdel Nasser et son Equipe.* 2 vols. Paris, 1959.

Watenpaugh, Keith David. *Being Modern in the Middle East: Revolution, Nationalism Colonialism, and the Arab Middle Class.* Princeton, NJ, 2006.

———. "Steel Shirts, White Badges, and the Last Qabaday: Fascism, Urban Violence and Civic Identity in Aleppo Under French Rule." In *France, Syrie, et Liban, 1918–1946: Les ambiguïtés et les dynamiques de la relation mandataire*, edited by N. Méouchy, 325–347. Damascus, 2003.

Wendell, Charles. *Five Tracts of Hasan al-Banna' (1906–1949).* Berkeley, CA, 1978.

Wheelock, Keith. *Nasser's New Egypt.* New York, 1960.

Wien, Peter. *Iraqi Arab Nationalism: Authoritarian, Totalitarian, and Pro-Fascist Inclinations, 1932–1941.* New York, 2006.

Wild, Stefan. "National Socialism in the Arab East Between 1933 and 1939." *Die Welt des Islams*, 25 (1985), 126–173.

Wildangel, René. *Zwischen Achse und Mandatsmacht: Palästina und der Nationalsozialismus.* Berlin, 2007.

Williams, Manuela A. *Mussolini's Propaganda Abroad: Subversion in the Mediterranean and the Middle East, 1935–1939.* London, 2006.

Wynn, Wilton. *Nasser of Egypt: The Search for Dignity.* Cambridge, MA, 1960.

Yamak, Labib Zuwiyya. *The Syrian Social Nationalist Party: An Ideological Analysis.* Cambridge, MA, 1966.
Zamir, Meir. *Lebanon's Quest: The Road to Statehood, 1926–1939.* New York, 1997.
Zisser, Eyal. "Writing a Constitution: Constitutional Debates in Syria in the Mandate Period." In *Liberal Thought in the Eastern Mediterranean; Late 19th Century Until the 1960s,* edited by Christoph Schumann, 195–215. Leiden/Boston, 2008.

المؤلفان في سطور:

هما مؤلفا كتاب "هوية مصر بين العرب والإسلام" الـــذي صــــدرت طبعتـــه الثانية عن الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٣.

إسرائيل جرشوني: أستاذ التاريخ بجامعة تل أبيب، إلى جانـــب عـــدد مـــن الجامعات الأمريكية.

جيمس جانكوفسكي: أستاذ التاريخ بجامعة كولورادو الأمريكية، وشارك مع جرشوني في عدد من الكتب المتصلة بالتاريخ المصري.



المترجم في سطور:

بدر الرفاعي

ترجم ونشر في:

الأهرام الاقتصادي ـــ مجلة القاهرة (القديمة) ـــ الثقافة العالمية (الكويت) ـــ جريدة العالم اليوم ـــ البيان (الإماراتية) ـــ زهرة الخليج ـــ كل الناس ـــ وجهات نظر. جريدة الشروق.

من ترجماته:

ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي، تأليف اليعازر بعيري ـــ دار سينا ١٩٩٠؛ الحروب العربية الإسرائيلية، حاييم هيرتزوج ـــ دار سينا (بدون تاريخ نشر)؛ هوية مصر بين العرب والإسلام، جرشوني وجانكوفسكي ـــ دار شرقيات ١٩٩٩، الميراث المر، بول سالم ـــ المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢.؛ مصر الخديوية، روبرت هنتر ـــ المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥؛ الصناعات الإبداعية (جزآن) ـــ عالم المعرفة ٢٠٠٧.

عقد الثلاثينيات بوصفه عقد
صيلي للمصادر الأساسية
ذي لازال خافيًا حتى اليوم،
ا الأصوات الصامتة التي
التعبير عن الأفكار الليبرالية
المثقفين والكتاب المصريين،
الفاشية للتنظيم السياسي
لمصري، حتى عندما كانت
ي في أوروبا وفي أماكن

ل من الروايتين السياسية
الية والانجذاب بالمقابل إلى
السنوات الأخيرة من عقد
يا النازية في أوج نفوذهما
ى سياق يمكن أن يوفر بيئة
ل، كان هناك دفاع عن
ون حقوق الأفراد ومصالح
الديمقراطية الليبرالية في
مصريين في تلك الفترة في



تصميم الغلاف: نسرين كشك



بدر الرفاعي

مواجهة الفاشية في مصر
الديكتاتورية مقابل الديمقراطية في الثلاثينيات

إسرائيل جرشوني
جيمس جانكوفسكي

2721



المركز القومي للترجمة

مواج

الديكتاتورية مق

2721

